# بصائر الإسلام الكبري

## فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولي

١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م

رقم الإيداع: ١٠٠٩٧ / ٢٠٢٢م

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٩٩٧-٣٨٤-٥

جوال المؤلف

٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بريد إلكتروني: mb_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 - 0502357979

# بصائر الإسلام الكبرى

## فِي ضَوْءِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ


للفقير إلى مولاه

مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التُّوَيْجِرِيّ



الطبعة الأولي

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

الجُزْءُ الأَوَّلُ

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن
رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ
فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمـة

إن الحمد للهِ نحمده، ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

كان الله ولم يكن شيء قبله، فأراد جل جلاله أن يُعرف فخلق السموات والأرض ومن فيهن، وما عليهن، وما بينهن، من المخلوقات، ليعرف الناس ربهم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، ويعلموا كمال عظمته وجلاله وجماله، وعظمة ملكه وسلطانه، وكمال قوته وقدرته وعلمه، وكمال رحمته وإنعامه وإحسانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

فإذا عرف الخلق ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، آمنوا بالله وأحبوه، وكبروه ومجدوه، وحمدوه وشكروه، وسألوه، وعبدوه وحده لا شريك له بكمال الحب والتعظيم والذل له : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ غافر: ٦٥ ].

ومقصود الرب من خلقه أن يتصفوا بصفاته على شاكلة العبودية .

فالله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان، والله سلام يحب السلام، وأهل السلام، والله حميد يحب الحمد، وأهل الحمد، والله شكور يحب الشكر، وأهل الشكر، والله محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان، والله كريم يحب الكرم، وأهل الكرم، والله عفو يحب العفو، وأهل العفو، والله تواب يحب التوبة، وأهل التوبة، والله حليم يحب الحلم، وأهل الحلم، والله رحيم يحب الرحمة، وأهل الرحمة، والله غفور يحب المغفرة، وأهل المغفرة، والله رفيق يحب الرفق، وأهل الرفق: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [ الأعراف: ١٨٠ ] .

فأحب خلق الله إليه من اتصف بصفاته على شاكلة العبودية.

والله جل جلاله لكمال رحمته بعباده أرسل إليهم الرسل بثلاثة أمور:

تعريف الناس بربهم العظيم، ليعبدوه وحده لا شريك له، ويجتنبوا عبادة ما سواه.

وتعريفهم بالطريق الموصل إليه، ليتقربوا إليه بما يحبه ويرضاه، ويجتنبوا ما يكرهه ويسخطه .

وتعريفهم بما لهم بعد القدوم عليه يوم القيامة، ليقبلوا على طاعته، ويبتعدوا عن معصيته، ويرجوا ثوابه، ويخافوا عقابه .

والدين الحق الذي أكمله الله لعباده، ورضيه لهم، وأمرهم بإتباعه، يشتمل على ثلاث مسائل هي:

أخبار نصدقها، وأوامر نفعلها، ونواه نجتنبها: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [ الأنعام: ١١٥ ] .

فمن صدق أخبار الله ورسوله، وفعل ما أمر الله ورسوله به، واجتنب كل ما نهى الله ورسوله عنه، فقد نجا وأفلح وسعد في الدنيا والآخرة: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [ البقرة: ٥ ] .

ومن كذب بذلك، وأعرض عن دين الله، خاب وخسر، وشقى في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [ طه: ١٢٣ – ١٢٦ ] .

لهذا لابد للعبد الذي يرجو ثواب الله، ويخاف عقاب الله، أن يعرف بصائر الاسلام الكبرى، وأمهات العلم الإلهي، ومفاتيح أبواب التوحيد والإيمان، ليكون على بينة من ربه ودينه، ويعبد الله على بصيرة: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [ المجادلة: ١١ ] .

والبصائر التي يجب على العبد معرفتها، وعبادة الله بموجبها، سبع وهي:

أن يعر ف المسلم الرب الذي يعبد بأسمائه وصفاته وأفعاله، ليعبده بما يليق بجلاله، ويعرف القرآن الذي يهتدي بأخباره وأحكامه ومواعظه، ويعرف رسول ربه ليقتدي بسيرته وسنته، وأقواله وأفعاله وأخلاقه، ويعرف نفسه ماذا يريد الله منها، وبماذا يكرمها الله إذا أطاعته، وبماذا يعاقبها إذا عصته، ويعرف عدوه الأكبر وهو الشيطان، وكيف يسلم من شره وكيده، ويعرف الدنيا التي يعيش فيها، ماذا يعمل فيها، وبماذا يتزود فيها لآخرته، ويعرف الأخرة التي سوف يصير إليها، وماذا يحمل معه من الدنيا لها .

والقرآن كله بيان لهذه البصائر السبع العظيمة: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾[ الأنعام: ١٠٤ ] .

وأعظم ما فصل الله في القرآن الكريم هذه البصائر العظيمة، لحاجة كل مخلوق إليها: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[ الجاثية: ٢٠ ] .

والبصائر جمع بصيرة، والبصيرة هي الحكمة، والحكمة معرفة الحق، والعمل بموجبه، وهي من أعظم إحسان الرب الى عباده كما قال سبحانه: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[ البقرة: ٢٦٩] .

فأعظم مقاصد الشريعة معرفة الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم عبادته وحده لا شريك له بموجب هذه المعرفة، وتصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته في كل ما أمر به أو نهى عنه، لأنه وحده الرب المستحق للعبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ

كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [ الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣ ] .

ومقصود الرب من خلقه أن يعبدوه وحده لا شريك له، ويجتنبوا عبادة ما سواه، ليفوزوا برضاه، ويدخلوا جنته، وينجوا من عذابه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [ الذاريات: ٥٦ – ٥٨ ] .

وأشرف العلوم ما يوصل إلى هذه المقاصد العظيمة، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [ محمد: ١٩ ] .

والله حكيم عليم في خلقه، وأمره، وشرعه .

خلق جل جلاله جميع المخلوقات، لتدل على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [ الطلاق: ١٢ ] .

وجعل تقليب الأحوال للابتلاء، وتذكير الناس بربهم الذي بيده مقاليد الأمور، حتى لا ينسوه: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [ النور: ٤٤ ] .

وأنزل الأوامر الشرعية للفوز برضوان الرب، والحياة الطيبة في الدنيا، ودخول الجنة في الآخرة، والنجاة من النار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [ البينة: ٧ – ٨ ] .

وجعل سبحانه الدنيا دار معرفة الحقوق، وأداء الحقوق، وجعل الآخرة دار الثواب والعقاب، الجنة دار التشريف والتكريم للمؤمنين، والنار دار الإهانة والعذاب للكافرين .

وجعل سبحانه الدنيا دار الإيمان، والعمل، والابتلاء، وأداء المسؤليات .

والمسؤليات الكبرى ثلاث:

الأولى: مسؤلية حق النفس، بحملها على الإيمان، وطاعة الله ورسوله .

الثانية: مسؤلية حق الأهل والأقارب، بدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

الثالثة : مسؤلية حق البشرية كلها، بدعوتهم إلى الله، وإبلاغ دين الله في كل مكان وزمان: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [ إبراهيم: ٥٢ ] .

والميدان مفتوح للمصلحين، والمفسدين، ولأهل الحق، ولأهل الباطل، إبتلاء من الله والناس مخيرون، ولكن من كمال رحمة الله أن بين الحق، ورغب فيه، وأثاب عليه، وبين الباطل، وحذر منه، وعاقب عليه، وهذا سر التكليف بالأمر والنهي : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [ الكهف: ٢٩ – ٣٠ ] .

والله سبحانه بعث الأنبياء والرسل بالدعوة إلى عبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ

وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [ النحل: ٣٦ ] .

وقد فطر الله الخلق على التوحيد، ولكن الشياطين صرفوا أكثرهم إلى عبادة غير الله، واتباع أهوائهم، وترك هدي ربهم: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ الروم: ٣٠ ] .

وأحسن الناس سيرة، وأعظمهم بصيرة، وأعلمهم بالرب، وأعبدهم له، وأتقاهم له، وأخشاهم له، هم الأنبياء والرسل، ومن سار على هديهم من المؤمنين إلى يوم الدين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [ الأنبياء: ٩٠ ] .

ومن عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، آمن بالله ووحده، وأحبه ومجده، وعظمه وكبره، وحمده وشكره، وأطاعه ولم يعصه، وسارع إلى مرضاته، بتصديق أخباره، وإمتثال أوامره، وإجتناب نواهيه، بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [ محمد: ١٩ ] .

ومن فقهه الله في الدين أحبه، وأستقام عليه، ودعا غيره إليه، لعلمه بأن الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة بالاستقامة على الدين، ودعوة الناس إليه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ فصلت: ٣٣ ] .

والله جل جلاله أكرم جميع أوليائه بجنتين عظيمتين:

الأولى: جنة في الدنيا، وهي جنة معرفة الله، والإيمان به، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ الأنفال: ٢ – ٤ ] .

والثانية: جنة الآخرة، وهي لمن دخل جنة الدنيا من قبل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ التوبة: ٧٢ ] .

وجنة الدنيا أعظم من جنة الآخرة، لأنها متعلقة بمعرفة الرب، وعبادته، والأنس به، فهنيئاً لمن دخل هذه وهذه: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [ الرحمن: ٤٦ ].

وبالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، يأتي الإيمان في القلب، وبالنظر والتفكر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية، يزيد الإيمان، وإذا زاد الإيمان قويت الأعمال الصالحة، وإذا قويت الأعمال الصالحة جاء رضوان الله، وإذا رضي الله أصلح جميع الأحوال: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [ الأعراف: ٩٦ ] .

والدين يُفهم ويُحفظ بالبيئة الإيمانية، وبالدعوة إلى الله يزيد الإيمان، وتزيد الهداية، وبالتعلم والتعليم يقوى الإيمان، وتحسن الأعمال، وبالهجرة والنصرة من أجل إقامة الدين ينتشر الإيمان والدين في العالم، وبالإحسان إلى الخلق

تجتمع القلوب على المحبة والإيمان: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وفي البيئة الإيمانية يكرمنا الله بخمس كرامات:

فنتعلم الدين، ونعمل بالدين، ونثبت على الدين، ونترقى في الدين، وننشر الدين: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

والإيمان وقود الأعمال الصالحة، فمن قوي إيمانه زادت أعماله، وتنوعت طاعاته، وحسنت أفعاله، وكثرت حسناته، وقلت سيئاته: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد: ١٧].

ومن ضعف إيمانه قلت طاعاته وحسناته، وكثرت معاصيه وسيئاته: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة: ٣٩].

ومن أطلق بصره ولسانه خلاف أمر الله أعمى الله بصيرته، وسلبه التوفيق إلى ما ينفعه، ومن غض بصره عن محارم الله شرح الله صدره لكل طاعة، وكره إليه كل معصية، ووفقه لكل ما ينفعه، وحماه من كل ما يضره: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

وليس الشأن أن تحب الله فقط، لأن كل أحد يحب الله لجلاله وجماله وإحسانه، بل الشأن كل الشأن أن يحبك الله، ولن يحبك الله حتى تؤمن به، وتتبع رسوله محمداً ﷺ في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [ آل عمران: ٣١ ].

والصلاة والزكاة، والصوم والحج وغيرها من الشعائر، هذا مستوى إسلامك، وليس المقصود فقط مستوى إسلامك، بل المقصود الأعظم مستوى إيمانك كيف يقوى ويزيد، ليدفعك إلى فعل الطاعات، وإجتناب المعاصي، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، والصبر على كل ذلك إبتغاء مرضاة الله كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [ العصر: ١ –٣ ].

فاستقم كما أمرك ربك، لا كما أشتهت نفسك، وزينه هواك، وغرك به الشيطان: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ الروم: ٣٠ ].

وقد يسر الله عز وجل بمنه وعونه، وفضله وتوفيقه، كتابة هذه البصائر، ووضعها بين يدي المسلمين، شكراً لله على نعمائه، وإظهاراً للحق الذي يجب بيانه، والعمل بموجبه، والدعوة إليه، ودفعاً للباطل الذي تجب محاربته، والتحذيرمنه، وقياماً بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح لكل مسلم، وتذكرة لنفسي وإخواني في كل زمان ومكان، وعسى أن يهتدي ضال، ويتذكر ناس، وينتبه غافل، ويتوب عاص، ويتعلم جاهل، ويقبل مدبر،

ويبصر أعمى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ١٠٤﴾ [ الأنعام: ١٠٤ ] .

وقد حررنا هذا الكتاب بفضل الله وحده باسلوب سهل، وعبارة موجزة، تحمل معانٍ سامية، في ضوء القرآن والسنة، ليسهل على القارئ والسامع فهمه، والعمل بموجبه، وتعليمه ونشره.

ولما اكتملت أبوابه، وبلغ ما أردناه، وسمناه باسم ( بصائر الإسلام الكبرى في ضوء القرآن والسنة ) .

أسأل الله عز وجل أن يجعل هذه البصائر تبصرة لكل أحد، وأن ينفع بها الخاص والعام، والراغب والزاهد، والعالم والمتعلم، وينفع بها من كتبها، وقرأها، وسمعها، وعلمها، وترجمها، وأعان على نشرها: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٢١﴾ [ الحديد: ٢١] .

كما أسأله سبحانه أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعلها من العمل المقبول، والسعي المشكور، والتجارة التي لا تبور: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٩﴾ [ الشعراء: ٨٨ – ٨٩ ] .

كما أسأله عز وجل أن يغفر لي كل زلة غير مقصودة، فإن زلات اللسان والقلم كثيرة، لكنها بجنب عفو أرحم الراحمين لا تساوي ذرة، وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ .

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت .

اللهم اغفر لي، والوالدي، ولأهل بيتي وذريتي، ولجميع المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، يا واسع الرحمة والمغفرة، وأهل التقوى، وأهل المغفرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ .

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد .

اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .


**كتبه الفقير إلى عفو ربه**

**محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجري**

المملكة العربية السعودية – بريدة – جوال:( ٠٥٠٨٠١٣٢٢٢ )

( ٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢ )

موقعنا على الأنترنت : (هذا الإسلام)hatha-alislam.com/index

البريد الإلكتروني :Mb_twj@hotmail.com

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## حقيقة ( لا إله إلا الله ) بين النفي والإثبات

## القسم الأول: النفي

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

١ – نفي فعل كل ما في الكون من المخلوقات بنفسه .

٢ – نفي التعلق بالمحبوبات الثمانية من دون الله .

٣ – نفي يقين الأمم السابقة على كل ما سوى الله .

٤ – نفي فعل النفس .

٥ – نفي فعل الأشياء المباشرة للقلب .

٦- وجوب النفي الكامل قبل الإثبات الكامل.

# كلمة التوحيد (لا إله إلا اللهّ) بين النفي والإثبات

## القسم الأول : النفي

(لا إله) :نفي فعل كل ما سوى الله بنفسه، من دون أمر الله

(إلا الله) :إثبات الربوبية والألوهية والعبودية للهّ وحده لا شريك له:﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[ الذاريات: ٥٠ -٥١ ] .

والنفي مقدمٌ على الإثبات، فيجب على المسلم النفي أولًا، ثم الإثبات ثانيًا: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[ محمد: ١٩] .

# القسم الأول: النفي

النفي مقدمٌ على الإثبات، والإثبات الكامل لا يكون إلا بعد النفي الكامل.

والقلب كالأرض لابد له من التخلية قبل التحلية، ومن التطهير قبل التعطير، ومن التنظيف قبل البذر، ومن التكنيس قبل التأسيس، ومن التنزيه قبل التقديس، ومن التصغير قبل التكبير، ومن الانفصال قبل الاتصال.

ثم بعد ذلك يستقر فيه الإيمان، ثم تنبت الأعمال الصالحة على جذور الإيمان: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[ محمد: ١٩ ].

**ولتطهير القلب مما سوى اللهّ يجب تطهيره وتنقيته من خمسة أشياء:**

الأول: نفي فعل كل ما في الكون من المخلوقات بنفسه .

الثاني: نفي التعلق بالمحبوبات الثمانية من دون الله .

الثالث: نفي يقين الأمم السابقة على كلما سوى الله

الرابع: نفي فعل النفس .

الخامس: نفي فعل الأشياء المباشرة للقلب.

## الأول: نفي فعل كل ما في الكون من المخلوقات بنفسه

اللهّ جل جلاله هو الملك الحق، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والأحكام المجيدة، وكل شيء بيد اللهّ وحده لا شريك له، وكل ما سوى الله من المخلوقات ليس بيده شيء؛ لأن الخلق والأمر كله لله وحده، وكل ما سواه من المخلوقات مظهر لقدرة الله، وجميعها في قبضة الله، لا تفعل إلا بأمر اللهّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

ثم بعد هذا النفي الكامل لفعل كل ما سوى الله بنفسه، تستقر "لا إله إلا الله" في القلب، وتثمر كمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ، ثم تثمر أنواع الأقوال والأعمال الصالحة، والتي تثمر رضوان الرب، ودخول الجنة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

كان اللهّ جل جلاله ولم يكن شيءٌ قبله، ثم خلق جميع المخلوقات العلوية والسفلية، لتدل على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكمال علمه وقدرته، وليس لها من الأمر شيء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

فاللهّ جل جلاله وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، وكل ما سواه مخلوقٌ له، مملوك له عبدٌ له: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ

ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ
ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

الخلق والإيجاد بيد الله وحده، والتدبير والتصريف بيد الله وحده، والتحريك والتسكين بيد الله وحده، والنفع والضر بيد الله وحده، والحياة والموت بيد الله وحده، والعطاء والمنع بيد الله وحده، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع:
﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن
تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧].

ومفاتيح كل شيء بيد الله وحده لا شريك له، وكل ما سواه ليس بيده شيء:
﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢].

النفع والضر بيد الله وحده، والغنى والفقر بيد الله وحده، والعافية والمرض بيد الله وحده: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٧-١٨].

**وحقيقة (لا إله إلا الله) في القلب تقوم على أصلين عظيمين:**

الأول: نفي فعل جميع المخلوقات بنفسها من دون أمر الله.

الثاني: إثبات الوحدانية لله وحده في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبادته:
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

فالله وحده هو الواحد الأحد، الخالق لكل أحد، المالك لكل أحد، المتصرف

في كل أحد، فلا إله إلا اللهّ وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وكل ما سوى الله من مخلوقاته عبيده ومماليكه، منفذون لأوامره منقادون لحكمه من الفرش إلى العرش، ومن الذرة الى المجرة:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[ الأنعام: ١٠٢ ] .

وجميع مخلوقات اللهّ ﷻفي العالم العلوي، والعالم السفلي،خلقها الله لتدل على خالقها، وتسبح بحمده، وكلها شاهدة بوحدانيته، وخاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وذليلة لعزته، ومتصاغرة لكبريائه، وساجدة لعظمته، ومذعنة لجبروته، ومنقادة لقهره من العرش والكرسي، والسماوات والأرض، والشمس والقمر، والنجوم والكواكب، والسهول والجبال، والبحار والأنهار، والنبات والأشجار، والحيوان والطير، والملائكة والروح، والجن والإنس، وغيرهم من المخلوقات :﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨ ﴾[ الحج: ١٨] .

فجميع مخلوقات اللهّ جل جلاله منقادة لأمره، ومستسلمة لحكمه، وساجدة لعظمته: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُۤ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ٥٠ ﴾[النحل:٤٩-٥٠] .

فهل يليق بالعاقل إذا عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، أن يجعل له شريكًا في الخلق والأمر، وفي التصريف والتدبير، وفي الألوهية والعبودية؟:﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ

﴿فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل:٥١-٥٣] .
فالكون كله قائمٌ بأمر اللهّ وحده، من الفرش إلى العرش، ومن الذرة الى المجرة، والسموات والأرض، والدنيا والآخرة، والملائكة والجن والإنس .
كل هذه المخلوقات العظيمة ليس بيدها شيء، فكل شيء من دون اللهّ مخلوق مفعول، والمخلوق لا يخلق، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا، ولكن للامتحان والابتلاء يرينا اللهّ المنافع تخرج من بعض الأشياء كالماء والنبات، ويرينا المضار تخرج من بعض الأشياء كالنار والسموم: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾[العنكبوت: ٢ –٣]
فهذه الأسباب يُبتلى بها المؤمن، ويطمئن بها الكافر، فالتوحيد أن ترى اللهّ وحده هو الفعال لكل شيء وكل ما سواه لا يفعل بنفسه، لأنه مخلوق مفعول، ناصيته بيد من خلقه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾[الملك:١].
فجميع المخلوقات التي نراها والتي لا نراها هي مخلوقاتٌ فيها أمر الله، فحقيقة الأشياء ليس فيها شيء، وليس منها شيء، لأن الأمر كله بيد الله وحده، فالله خلق النار وجعل من صفاتها الإحراق، ولكن النار لا تملك هذه الصفة، فقد يسلبُها الله منها إذا شاء، كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم :﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾[ الأنبياء: ٦٩] .
ولو كانت النار تملك صفاتها، لكانت إلهًا من دون الله..
وكذلك البحر سائلٌ يُغرِق بأمر الله، ولكن البحر لا يملك هذه الصفة، فقد يسلبه الله هذه الصفة فلا يُغرق؛ كما جعله الله طريقًا يبسًا لموسى وقومه، فالمخلوق شيء، وصفاته شيء، فليست صفة المخلوق صفةٌ ملازمةٌ له، فالإنسان الحي والميت كلاهما له عينان وأذنان و يدان ورجلان ولسان، لكن

الفرق بينهما أن الإنسان الحي فيه أمر الله فهو يسمع ويرى ويتكلم ويتحرك بأمر الله، أما الإنسان الميت فقد خلا منه أمر الله فظهرت حقيقته أنه ليس بيده شيء، فيدفن في الأرض لئلا تتأذى منه الخلائق :﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [ النحل: ٧٨ ] .

والإنسان الحي له عينان: يرى بواحدة، والأخرى لا يرى بها، فهذه التي يرى بها فيها أمرُ الله فأبصرت، وتلك خلا منها أمر الله فعميت، وأمر الله لا نراه، لكن نرى آثاره، وأمر الله لا تراه العيون، لكن تدركه العقول:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

فكل ما سوى الله لا يخلق، لأنه مخلوق، والمخلوق لا يخلق المخلوق، لأن خالق كل شيء هو الله وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[ الأنعام:١٠٢ - ١٠٣ ] .

فالثمر يخرج من خزائن الله، ولكن الله جعل الشجر ممراً له ابتلاء، فظن الإنسان أن الشجرة تخلق الثمرة، والنور يخرج من خزائن الله، ولكن الله جعل الشمس ممراً له، والكلام يخرج من خزائن الله، ولكن الله جعل اللسان ممراً له.

والله على كل شيء قدير، يظهر قدرته لخلقه كما شاء، لكمال قدرته .

يظهر قدرته بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، وبقلة السباب، وبكثرة الأسباب: ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[ الملك: ١] .

فيظهر قدرته سبحانه بالأسباب، كما جعل الماء سبباً للإنبات، ونكاح المرأة سبباً للحمل (( للإنجاب )): ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ الأنبياء: ٣٠ ] .

ويظهر قدرته سبحانه بدون الأسباب، كما رزق مريم طعاماً بلا شجر، وابناً بلا ذكر: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾[ آل عمران: ٣٧ ] .

ويظهر قدرته سبحانه بضد الأسباب، كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وكما أخرج الماء من الحجر آية لموسى ﷺ: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾[ الأنبياء: ٦٩ ] .

ويظهر قدرته سبحانه بقلة الأسباب كما نصر رسله وأولياءه مع قلة الأسباب: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)﴾[ آل عمران: ١٢٣].

ويظهر قدرته سبحانه بكثرة الأسباب، كما دمر فرعون مع ملكه، وخسف بقارون الأرض مع كثرة ماله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١)﴾[ القصص: ٨١ ] .

فسبحان القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾[ الملك: ١] .

والعبد مأمور بفعل الأسباب، لأن الله أمره بها، فيفعلها ليأخذ الثواب عليها، يفعلها بجوارحه، ويتيقن على الله وحده بقلبه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣)﴾[ التغابن: ١٣] .

وإنكار الأسباب إلحاد، لأن من أنكر الأسباب، فقد أنكر خالق الأسباب .

والغلو في الأسباب يهودية، فلا نترك الأوامر الإلهية،من أجل الأسباب المادية.

وترك الأسباب نصرانية ورهبانية، فنفعل الأسباب، لأننا في دار الأسباب .

وفعل الأسباب إسلامية، ونفي فعل الأسباب إيمانية، وهذا هو الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧)﴾[ الحج: ٧٧ ] .

## الثاني: نفي اليقين على المحبوبات الثمانية

والمحبوبات الثمانية هي المذكورة في قول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

فحُب هذه الأشياء الثمانية أمرٌ فطري، ولكن المؤمن يجبُ أن يُقدِّم حُب الله ورسُوله ودِينه على تلك المحبوبات، فيترك ما تحبه نفسه إلى ما يحبه ربه، ويطهّر قلبه من التعلق بتلك المحبوبات الثمانية إلى التعلق بالله وحده لا شريك له: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

فهذه الأشياء الثمانية ميّتة، والذي يتعلق بها تعلق بالمخلوق من دون الخالق، والله يريد من العبد أن يتعلق به وحده، ولا يتعلق بأحدٍ سواه، ومتى تعلق القلب بتلك من دون الله أشرك مع الله غيره في المحبة، ثم جاءت الظلمة في القلب، فرأى المخلوق يفعل من دون الله، فوقع في الشرك: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

فالمؤمن الموحد يقدّم محبوبات الرب على محبوبات النفس، ومحبوبات الرب أصولها عشرة، كما قال سبحانه عن عبادة الذين اشتراهم: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ

بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[ التوبة: ١١٢ ] .

ومن أكمل محبوبات الرب في الدنيا من الإيمان والأعمال الصالحة أكمل الله له محبوباته في الجنة، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[ البينة: ٧-٨ ] .

وكل من تعلق بمخلوق من دون الله عُذِّب به، ليعود إلى ربه :﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[ الشعراء: ٢١٣ ] .

فالأصل ذبح كل حبٍّ يزاحم حبَّ الله ورسوله ودينه، ولهذا أمر الله إبراهيم ﷺ بذبح ابنه اسماعيل لمّا تعلق قلبه بحبه، وكذا يعقوب ﷺلما تعلق قلبه بابنه يوسف ابْتُليَ بفراقه، حتى ابيضت عيناه من الحزن.

فالقلب محل نظر الله ﷻ، فيجب تطهيره من كل ما سوى الله، وإذا امتلأ القلب بمحبوبات النفس، لم يتَّسع لمحبوبات الرب، وإذا كان فيه مزاحِمٌ لمحبوبات الرب تنجَّس، فيجب تطهيره من كل ما سوى الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾[ التوبة: ٢٨ ] .

فالأمر كله بيد الله وحده، وهذه المحبوبات الثمانية ليس بيدها شيء من الخلق والأمر، والنفع والضر، وليس عندها شيء :﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [ آل عمران: ١٥٤ ] .

فكل من أحب غير الله عُذب به، حتى يعود إلى ربه الذي يجب أن يُصرَف له كمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[ غافر: ٦٥ ] .

وحلُّ مشاكل الأمة بالإيمان والأعمال الصالحة، لا بالأموال و الأسباب المادية، لكن الأسباب نمتثل فيها أمر الله تعبُدًا، والأعمال طريقنا إلى الله، لأن الله وحده بيده جميع الأمور، والله لم يجعل المخلوق يحل مشاكل المخلوق، فالأعمال الصالحة طريق الأنبياء، والأسباب طريق الكفار، والله مع أوليائه لا مع أعدائه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾[ النحل: ١٢٨ ] .

وبالإيمان والأعمال الصالحة تُقضى حوائج الدنيا والآخرة: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦ ﴾[ الأعراف: ٩٦ ] .

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨ ﴾[ الكهف:١٠٧-١٠٨ ] .

## الثالث :نفي يقين الأمم السابقة على كل ما سوى الله:

فالله وحده هو الملك الذي بيده ملكوت كل شيء وكل ما سواه ليس بيده مثقال ذرةٍ من نفعٍ أو ضر، او عطاء أو منع: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[ الملك:١] .

فكل من اعتمد على ما سوى الله خذله الله به :﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾[ الإسراء: ٢٢ ] .

مذمومًا لا حامدَ لك، مخذولًا لا ناصر لك.

فيقين قوم نوح كان على الكثرة، ويقين قوم عاد على القوة، ويقين ثمود على الصناعة، ويقين مدين على التجارة، ويقين قوم سبأ على الزراعة، ويقين فرعون على الملك، ويقين قارون على المال، ويقين قوم إبراهيم على الأصنام، ويقين كفار مكة على الأوثان والأصنام: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾[ المائدة: ٧٦ ] .

وجميع هؤلاء لما كان يقينهم على هذه الأشياء المادية من دون الله، وجاءتهم رسلهم بالدعوة إلى عبادة الله وحده فلم يقبلوها، دمرهم الله فأهلكهم بذنوبهم وأنجى رسله وأولياءه :﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ

وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[ العنكبوت: ٣٦-٤٠ ] .

وقال الله ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾[ الحاقة: ٤ -٧ ] .

وقال ﷻ عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[ الأنبياء: ٦٨ – ٧٠ ] .

فالمخلوقات أوان فارغة، ليس فيها شيء، ولا منها شيء، لأن الأمر كله بيد الله وحده .

والكون كله لا يفعل بنفسه، لأنه مخلوق، والمخلوق لا يخلق المخلوق أبداً، بل الله وحده هو الخالق الذي خلق المخلوق، وخلق صفاته، وخلق تأثيره: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[ الزمر: ٦٢].

وكما لا يفعل الكون بنفسه، فكذلك الجزء منه لا يفعل بنفسه، فكل المخلوقات بأنواعها، وصفاتها، وآثارها، تحت أمر الله في كل حين .

وجود المخلوق بأمر الله، وبقاء المخلوق بأمر الله، وقوت المخلوق بأمر الله، ونفع المخلوق بأمر الله، وضرر المخلوق بأمر الله: ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[ غافر: ٦٥ ] .

والأسباب أوان فارغة، ليس فيها ولا منها ولا عندها شيء، لأن الأمر كله بيد الله وحده: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾[ آل عمران: ١٥٤ ] .

والله سبحانه أمرنا بفعل الأسباب لأننا في دار الأسباب، فنفعل الأسباب لنمتثل

أمر الله فيها، ولكن يقيننا الاعتماد على الله وحده، فالله أظهر المخلوقات، وأخفى أمره فيها، ابتلاءً للعباد، فمن فعل السبب، وتوكل على الله وحده، فاز في الاختبار: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [ الكهف:٧ ] .

والله سبحانه أمرنا بالأعمال مقابل الأسباب، ووعدنا بالجنة على الأعمال الصالحة، لا على الأسباب الظاهرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[ الكهف: ١٠٧ -١٠٨ ] .

والله وحده بيده كل شيء، وكل ما سواه ليس بيده شيء، فالشركة والدكان والوظيفة ممران لرزق الله، وهي مخلوقة، والرزق مخلوق، والمخلوق لا يخلق المخلوق، لأن الخالق هو الله وحده: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[ الحشر: ٢٤ ] .

والله قادر على كل شيء، أظهر قدرته بخمسة أشياء، لكمال قدرته .

فالله وحده يخلق ويفعل، ويعطي ويرزق، وينصر ويحفظ، ويفتح ويكرم، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، وينصر ويخذل، بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، وبقلة الأسباب، وبكثرة الأسباب: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[ آل عمران: ٢٦ ] .

أمر الله جار على الملك والمملكة، وعلى الأمير والإمارة، وعلى الوزير والوزارة.

أمر الله جار على الجسد والقلب، وعلى الطبيب والمريض، وعلى الداء والدواء.

أمر الله جار على السائق والسيارة، وعلى القائد والطيارة، وعلى الربان والسفينة، وعلى الزارع والمزرعة، وعلى التاجر وتجارته، وعلى الصانع ومصنعه: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٦﴾ [ هود: ٥٦ ] .

الحياة والموت بأمر الله، الضحك والبكاء بأمر الله، الأمن والخوف بأمر الله، السلم والحرب بأمر الله، العطاء والمنع بأمر الله، العافية والمرض بأمر الله، الغنى والفقر بأمر الله، الحركة والسكون بأمر الله، النصر والهزيمة بأمر الله: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢﴾ [ فاطر: ٢ ] .

البحر لا يغرق إلا بأمر الله، النار لا تحرق إلا بأمر الله، الماء لا يروي إلا بأمر الله، الطعام لا يشبع إلا بأمر الله، الدواء لا يشفي إلا بأمر الله، المال لا ينفع إلا بأمر الله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٧ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾[ الأنعام: ١٧ – ١٨ ].

اللسان لا يتكلم إلا بأمر الله، والعين لا تبصر إلا بأمر الله، والأذن لا تسمع إلا بأمر الله، والرجل لا تمشي إلا أمر الله، والقلب لا ينبض إلا بأمر الله، والعقل لا يعقل إلا بأمر الله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨﴾[ النحل: ٧٨ ] .

والله سبحانه هو الملك القادر على كل شيء، وكل ما سوى الله مخلوق ليس بيده شيء، وامر الله ينزل على المخلوقات في كل حين، وكل مخلوق يفعل بأمر الله لا بنفسه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ٦٢﴾[ الزمر: ٦٢ ] .

ولما أظهر الله المخلوقات، وأخفى فيها قدرته، انخدع الإنسان بهذه

المخلوقات، فظن أنها هي التي تفعل بنفسها، فتعلق قلبه بها من دون الله، وصار يحب المخلوق، ويأنس بالمخلوق، ويخاف من المخلوق، ويرجو المخلوق، ويسأل المخلوق، ويطيع المخلوق، ويعتمد على المخلوق، فوقع في أنواع الشرك: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[ يوسف: ١٠٦] .

وسنة الله أن من خاف المخلوق سلطه الله عليه، ومن أحب المخلوق عذبه الله به، ومن تيقن على المخلوق وكله الله إليه، وعذبه به ليعود إلى ربه: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[ الشعراء: ٢١٣ ] .

فالمخلوقات كلها مظهر لقدرة الله في الخلق والإبداع، والتصريف والتدبير، وليس لها من الأمر شيء، وليس بيدها شيء، وإنما خلقها الله لتدل على من خلقها، وتشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده، وتسجد لعظمته، وتذل لعزته، وتذعن لجبروته، وتخضع لقهره، وتسرع إلى إرادته، وتطيع أمره: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾[ الحج: ١٨ ] .

# الرابع: نفي فعل النفس

اتباع هوى النفس يوردها الهلاك، واتباع هدى الرب ينجيها من الهلاك: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [ الشمس: ٧-١٠ ] .

وهوى النفس أعظم صنم معبود من دون الله: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾ [ القصص: ٥٠ ] .

فالأمور كلها بيد الله وحده، وكل ما سوى الله ليس بيده شيء من الخلق والأمر، والعطاء، والمنع، والنفع، والضر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [ فاطر: ١٣ – ١٤ ] .

الخلق والأمر كله بيد الله وحده، والنفع والضر كله بيد الله وحده: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [ الأعراف: ١٨٨ ] .

والنفس أمارة بالسوء غالبا، فلابد من تزكيتها بالتوحيد الإيمان والتقوى، وحملها على امتثال أوامر الله في كل حال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [ يوسف: ٥٣ ] .

وقال الله ﷻ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [ الأعلى: ١٤– ١٥ ] .

فالإنسان فقير إلى الله في كل حال، محتاج إلى الله في كل وقت، وكل نعمة فيه من الله لا منه، ولا من ماله، ولا من علمه، ولا من دكانه، ولا من ذكائه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [ النحل:٥٣ ] .

فكل مخلوق من البشر موسوم بخمس صفات:
ضعيف، فقير، عاجز، جاهل، محتاج: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[ فاطر: ١٥ ].
وقال الله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣ ﴾[ النساء: ١١٣ ].
كان الله ولم يكن شيء قبله، والإنسان مخلوق ليس بيده شيء من الخلق والأمر، أو العطاء والمنع، أو النفع والضر، وإنما ذلك كله بيد الله وحده: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾[ الإنسان:١-٣ ].
المخلوقات كلها فقيرة إلى الله في خلقها وإيجادها، وبقائها وفنائها، ونفعها وضرها .
جميع أسباب النفع لا تخلق ذرة نفع، وجميع أسباب الضر لا تخلق ذرة ضر .
لأن الله وحده هو خالق النفع والضر، وهو قادر على أن يعطي النفع بأسباب النفع كما جعل الماء سبباً للحياة، وقادر أن يوقع الضرر بأسباب الضر كالنار التي تحرق كل شيء، وقادر أن يعطي النفع بأسباب الضر كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ﷺ، وكما حفظ يونس بأسباب الموت في بطن الحوت .
فالخلق والأمر بيد الله وحده، والعطاء والمنع بيد الله وحده، والنفع والضر بيد الله وحده، والحياة والموت بيد الله وحده: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[ الأنعام: ١٠٢ ].
فلو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يخلقوا ذرة لما استطاعوا، لأن الخالق هو الله وحده لا شريك له .
ولو اجتمع الخلق كلهم على أن ينفعوا أحد أو يضروه، لم يقدروا على ذلك،

لأن النفع والضر بيد الله وحده: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[ الأنعام: ١٧ ] .

ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يهدوا أحد أو يضلوه، لم يقدروا على ذلك، لأن الهدى والضلال بيد الله وحده: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾[ الكهف: ١٧ ] .

ولو اجتمعت جيوش وطائرات ودبابات وصواريخ وقنابل العالم على أن يقتلوا نملة لم يرد الله قتلها، لم يقدروا على ذلك، لأن الحياة والموت بيد الله وحده: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾[ المؤمنون:٨٠ ]

والعطاء والمنع بيد الله وحده، وكل ما سوى الله لا يعطي مثقال ذرة، ولا يمنع مثقال ذرة، فلو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يعطوا أحداً، أو يمنعوا أحداً، لم يقدروا على ذلك، لأن العطاء والمنع بيد الله وحده، ولأن خزان كل شيء بيد الله وحده : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[ الحجر:٢١ ] .

والله وحده هو الغني عن كل ما سواه، وجميع مخلوقاته فقراء إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[ فاطر: ١٥ ] .

فالإنسان فقير إلى الله في كل شيء، بل هو كيس الحاجات التي يقضيها الله إليه وحده.

فالإنسان عندما يجوع فهو فقير إلى الله حتى يشبع، وعندما يعطش فهوا فقير إلى الله حتى يرتوي من الماء، وعندما يمرض فهو فقير إلى الله حتى يشفى، وعندما يتنفس فهو فقير إلى الله حتى يأذن له بالنفس: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[ النحل:٥٣ ] .

والله جل جلاله خلق المخلوقات كلها، لتدل على كمال أسمائه وصفاته

وأفعاله، وكمال قوته وقدرته، وكمال علمه وإحاطته، وليس لها من الأمر شيء: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[ الطلاق:١٢] .

فخلق الله المخلوقات، لتهدي خلقه إليه ليعبدوه وحده لا شريك له، ولكن الإنسان انخدع بتلك المخلوقات العظيمة، واعتقد أنها تفعل بنفسها من دون الله، فتعلق بها، وصار يقضي أكثر أوقاته معها، بل عبدها من دون الله .

ثم خدع الشيطان بني آدم بالمصنوعات البشرية، وغرهم بمنافعها، فاعتمد الإنسان عليه، واستغنى بها، وتحصن بها، وتعلق قلبه بها، وصار يقضي أكثر أوقاته معها، ويخاف من بعضها أكثر مما يخاف من الله، ويحتمي بها من دون الله، واشتغل بها عن أداء أوامر الله، فشقي وتعذب بها: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[ الشعراء: ٢١٣ ] .

الخلق والأمر بيد الله وحده، والمخلوق كله إناء فارغ ليس فيه شيء، ولا يملك شيئاً، ولا يعطي شيئاً، ولا يمنع شيئاً، فاقطع الرجاء منه، والخوف منه، والتوكل عليه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[ التغابن:١٣ ] .

وإذا راى الإنسان غير الله يفعل أو يضر أو ينفع، فقد اجتمعت في قلبه الصنام التي تعبد من دون الله: : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[ الذاريات:٥٠-٥١ ] .

وإذا أعطى الإنسان أغلى شيء عنده وهو المجاهدة لمعرفة الله وعبادته، والدعوة إليه، أعطاه الله أغلى شيء في خزائنه وهو الهداية:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[ العنكبوت: ٦٩ ] .

## الخامس: نفي فعل الأشياء المباشرة للقلب

النفس تقول للإنسان الماء يرويني، والطعام يشبعني، والدواء يشفيني، والسلاح يحميني، والمال يغنيني، والأكل يحفظني، والرصاصة تقتلني، وكل ذلك خداع، فمن اعتقد ذلك فقد جعل مع الله شريكاً في الخلق والأمر، والنفع والضر، لأن الله وحده بيده الخلق والأمر، والتدبير والتصريف، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والحياة والموت: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

فالمخلوقات كالصورة، وأمر الله فيها كالروح، والإنسان يرى المخلوق، ولا يرى أمر الله فيه، ولذلك أنخدع به، وظن أنه يفعل بنفسه من دون أمر الله، والمخلوق لا يخلق المخلوق، لأن الخالق هو الله وحده: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر: ٦٢].

وجميع المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، لا تفعل شيئاً بنفسها، لأنها مخلوقة، والمخلوق لا يكون خالقاً أبداً، بل الخالق هو الله وحده، والمخلوقات كلها تنتظر في كل حين أمر الله في النفع والضر، والعطاء والمنع، والحركة والسكون، والحياة والموت، والبقاء والفناء: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف: ٥٤].

جميع المخلوقات لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي ولا تمنع، إلا بأمر الله وحده، وكلها كالصورة التي لا روح فيها، وأمر الله فيها كالروح.

فالماء لا يروي إلا بأمر الله، والطعام لا يشبع إلا بأمر الله، والدواء لا يشفي إلا

بأمر الله، والمال لا ينفع إلا بأمر الله، والنار لا تحرق إلا بأمر الله، والبحر لا يغرق إلا بأمر الله، والنهر لا يجري إلا بأمر الله، والسحب لا تمطر إلا بأمر الله، واللسان لا يتكلم إلا بأمر الله، والعين لا تبصر إلا بأمر الله، والأذن لا تسمع إلا بأمر الله، والأرض لا تنبت إلا أمر الله، والريح لا تهب إلا بأمر الله .

فالله عز وجل خلق المخلوق، وخلق صفاته، وخلق آثاره: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾[ الزمر:٦٢ ] .

فالله خلق العين، وخلق فيها الأثر وهو البصر، وخلق الأذن، وخلق فيها الأثر وهو السمع، وخلق اللسان، وخلق فيه الأثر وهو الكلام .

فالله وحده خلق العين، وخلق فيها البصر، والله قادر أن يخلق لك العين، ويسلبها البصر، لأن البصر أمر الله في العين ولكننا لا نراه، فالعين مخلوق، والبصر مخلوق، والمخلوق لا يخلق المخلوق، بل الخالق للعين والبصر هو الله وحده، ولكننا نرى العين ولا نرى البصر، ونرى الأذن ولا نرى السمع، ونرى اللسان ولا نرى الكلام، ونرى الأرض ولا نرى أمر الله فيها بالإنبات .

كل ما سوى الله لا يخلق ذرة، لأن الخالق الله وحده، كل ما سوى الله لا يعطي ولا يمنع مثقال ذرة، لأن العطاء والمنع بيد الله وحده، كل ما سوى الله لا ينفع ولا يضر، لأن النفع والضر بيد الله وحده: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[ الأنعام:١٠٢-١٠٣ ] .

فليس الشبع من الطعام، وليس الري من الشراب، وليست الراحة في المنام. وليس الشفاء من الدواء، وليس قضاء الحوائج بالمال، وليس النصر بقوة السلاح، لأن المخلوق لا يخلق المخلوق، بل كل ذلك بيد الله وحده، وبأمر الله

وحده: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [ الأنفال: ١٧ ] .

وهذه أسباب للامتحان والابتلاء، قد تنفع وقد لا تنفع، فإذا كان فيها أمر الله نفعت، وإذا خلت من أمر الله لم تنفع، ما سوى الله مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا، ولا حياة ولا موتاً: ﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ الشعراء: ٧٧ -٨٢].

فكل شيء بيد الله وحده، وكل ما سواه ليس بيده شيء: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[ غافر: ٦٥ ].

وقال الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [ التغابن: ١٣ ] .

فكل ما سوى الله لا يفعل، بل الله وحده هو الفعال وحده لا شريك له: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾[ الفرقان:٢-٣ ].

فتوكل على الله وحده، ولا تلتفت لأحد سواه، لأن كل ما سوى الله ليس بيده شيء: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[ الذاريات:٥٠-٥١ ].

# وجوب النفي الكامل قبل الإثبات الكامل

فإذا تطهر القلب من هذه الأشياء الخمسة، وتخلص منها، ونفاها بالكلية .

نفى فعل كل مخلوق في الكون بنفسه، ونفى التعلق بالمحبوبات الثمانية، ونفى يقين الأمم السابقة، ونفى فعل النفس، ونفى فعل الأشياء المباشرة للقلب، جاء اليقين الكامل على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وحده لا شريك له، فصار الإنسان بعد هذا النفي الكامل مستعدا لتوحيد الله، والإيمان بالله، وتكبير الله، وحب الله، وشكر الله، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ونيل ثوابه، وعبد الله بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[ الأنفال: ٢ -٤ ] .

فمن عرف الله حقًا آمن به حقًا، ووحده حقًا، وعبده حقًا، ولم يشرك به أحدًا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[ المؤمنون: ٥٧ -٦١ ] .

فهذا هو الإيمان بالله الواحد الأحد، الذي يريده الله من عباده ؛ والذي ثوابه الجنة والرضوان من رب العالمين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[ البينة: ٧ – ٨ ] .

وهذا هو التوحيد الذي يريده الله من عباده، توحيد الله بذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وتوحيده بعبادته وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿

فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الحج:٣٤-٣٥] .

وقال الله ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ١ – ٤]

وتوحيد الله بعبادته، هو ثمرة توحيده بذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله .

وإذا جاء هذا التوحيد والإيمان في القلب أجاب الله دعاء من دعاه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[ البقرة: ١٨٦ ] .

فإذا نفينا اليقين على تلك الأشياء الخمسة، وكل ما سوى الله، وعرفنا الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، امتلأت قلوبنا باليقين على الله وحده، لا شريك له، وأخلصنا له العبادة وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[ الأنعام: ١٠٢ -١٠٣ ] .

**وإذا نفينا اليقين على تلك الأشياء الخمسة، أكرمنا الله بخمس كرامات :**

الأولى: خروج اليقين على كل ما سوى الله ﷻ، ورسوخ اليقين على الله وحده: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[ غافر: ٦٥ ] .

الثانية: خروج محبة كل ما سوى الله ﷻمن قلوبنا، ورسوخ محبة الله ورسوله ودينه في قلوبنا، وذبح كل محبة تزاحم حب الله كما ذبح إبراهيم ﷺإبنه اسماعيل.

الثالثة: السلامة من شر تلك المخلوقات مهما كانت ضارة، لأن الحفيظ سبحانه يحفظنا .

الرابعة: أن الله يسخرها لنا كما سخر البحر لموسى ﷺ، وكما جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم ﷺ.

الخامسة: أن الله ينصرنا على عدونا، مهما كانت قوته وجبروته: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[ غافر:٥١ ] .

فالنصر بيد الناصر وحده لا شريك له: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[ الحج: ٤٠ – ٤١ ] .

والسؤال، والإشراف، وعرض الحال على الناس تصريحا أو تلميحا، تذبح قوة الدعاء، وتقطع حبل الرجاء: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[ غافر: ٦٥ ] .

والدعاء يقوى بحسب قوة المجاهدة والدعوة، فمن كان يقينه على الله وحده لا شريك له، ثم دعا ربه، أجاب الله دعاءه فورا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[ غافر:٦٠ ].

وأصدق الخلق يقينا هم الأنبياء والرسل، الذين يبلغون رسالة الله إلى خلقه. ولكمال يقينهم على ربهم، إذا دعوه أجاب دعاءهم فورا، كما قال سبحانه عن نوح ﷺ: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ ﴾ [ القمر: ١٠-١٣ ] .

وقال عز وجل عن أيوب ﷺ: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[ الأنبياء:٨٣-٨٤ ] .

وقال عز وجل عن يونس ﷺ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

وقال عز وجل عن زكريا ﷺ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٩ – ٩٠ ].

والله جل جلاله خلق جميع المخلوقات بقدرته، وكل مخلوق في قبضته وتحت تدبيره وتصرفه، إن شاء أبقاه، وإن شاء أفناه، وإن شاء نفع به، وإن شاء ضرَّ به، وإن شاء أحياه، وإن شاء أماته، كما قال هود ﷺ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾[ هود: ٥٦ ] .

فالمخلوق كالإناء الفارغ، وكالصورة والشكل، ليس بيده شيء، وكل المخلوقات مظهرٌ لقدرة الله، وكل المخلوقات ليس بأيديها شيء لأن الخلق والأمر كله بيد الله وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [ الأعراف:٥٤ ] .

فالله خلق المخلوقات، وأخفى أمره فيها، فالعين ترى المخلوقات، ولكنها لا ترى أمر الله فيها، فانخدع بذلك الإنسان، وظن أنها تفعل بنفسها .

والله سبحانه قادر أن يبقي المخلوق، ويبقي صفته، أو يغير صفته، كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم .

والله خالق كل شيء، وبيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ

لِلَّهِ ﴾ [ آل عمران: ١٥٤ ] .

فالله خلق الأرض، وأمرها بالإنبات، وخلق الأشجار، وأمرها بإخراج الثمرات، وخلق الرياح، وأمرها أن تهب، وخلق الشمس، وأمرها بالإنارة، وخلق الجبال، وأمرها بالقرار، وخلق البحار، وأمرها بالسيلان، وخلق الأنهار، وأمرها بالجريان، والمخلوق لا يملك نفسه ولا صورته ولا صفاته ولا بقاءه؛ بل المالك لكل ذلك هو الذي خلقه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[ الملك:١ ] .

والله سبحانه خلقَ وملَك، ما خلقَ وترَك :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾[ فاطر:١٣ ] .

فالمخلوق لا يخلق المخلوق، لأنه مخلوق، بل الخالق هو الله وحده لا شريك له: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[ الحشر:٢٤ ] .

وكل مخلوق من الذرة إلى المجرة في قبضة الله، يتصرف به كيف شاء، فجميع المخلوقات موجودة بأمر الله، باقية بأمر الله، نافعة بأمر الله، ضارة بأمر الله :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾[ فاطر:٤١ ] .

فالله سبحانه خلق العين، وجعل فيها أمر الله وهو النظر، فهي لا تبصر إلا بأمر الله، وخلق الأذن، وجعل فيها الأمر وهو السمع، فهي لا تسمع إلا بأمر الله، وخلق اللسان، وجعل فيه أمر الله وهو الكلام، فهو لا يتكلم إلا بأمر الله:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس: ٣١ – ٣٢]

وخلق عز وجل الرجل،وجعل فيها الأثر وهو المشي، وهي لا تمشي إلا بأمر الله، ولو كان المخلوق يفعل لكان شريكًا لله في الخلق، والله وحده هو الخالق وكل ما سواه مخلوق: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [ الزمر: ٦٢] .

وكل نظام في العالم، كيف نستفيد من الأحوال والأسباب؟ كيف نستفيد من المخلوق للمخلوق؟

أما المؤمن، فيستفيد من خزائن الله بالإيمان والأعمال الصالحة، ويطلبها من الله وحده :﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [ الحجر: ٢١ ] .

فالكافر يستفيد من الأسباب المادية فقط، لأنه لا يؤمن بالله، ولا يعرف الله، والأسباب قد تعطي وقد لا تعطي، أما الله فإنه يعطي حوائج الخلق بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[ الأعراف:٩٦ ] .

والله سبحانه أرسل الأنبياء لتغيير يقين الناس من المخلوق إلى الخالق، وبيان أن الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة فقط بامتثال أوامر الله، على طريقة رسوله ﷺ، وليس بالأموال والأشياء والأسباب.

فالفوز والفلاح بإقامة أمر الله في التجارة، وإقامة أمر الله في الزراعة، وإقامة أمر الله في الصناعة، وإقامة أمر الله في الحكومة، فجميع المخلوقات من آثار قدرة الله، وهي لا تفعل إلا بأمر الله وحده، فمن تيقن على الله وحده نصره، ومن اعتمد على الأسباب من دون الله خذله الله بها، لأنه جعل مع الله إلهاً آخر، والله واحد في ربوبيته وألوهيته :﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [ الإسراء:٢٢ ] .

وسبب فساد حياة الناس، اعتمادهم على الأسباب المادية من دون الله، وتقديم الأسباب على الأعمال الصالحة: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[ الروم:٤١ ].

إن سبب ظهور أنواع الفساد بين أفراد الأمة من الرجال والنساء، والعامة والخاصة، والأغنياء والفقراء؛ سببه ضعف الإيمان بالله، وضعف الإيمان سببه عدم النظر في الآيات الكونية، وعدم التدبر للآيات القرآنية، وترك الدعوة إلى الله التي تزيد الإيمان في القلب، فيحب العبد الطاعات ويؤدّيها، ويكره المعاصي ويجتنبها، ويدل غيره على من يحب ليؤمن به، ويعبد الله وحده لا شريك له:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[ فصلت:٣٣ ].

وبقدر المجاهدة تنزل الهداية :﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩]

وبسبب الدعوة الى الله تنزل الهداية، ويكثر سواد المسلمين، ويُعبد الله وحده في الأرض، وإذا تركت الدعوة أغلقت أبواب الهداية وكثر سواد أهل الباطل، وعبدت الأصنام من دون الله، فنزلت عقوبة الله على أهل الأرض:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[ آل عمران:١٠٤-١٠٥ ].

ومن نظر إلى أحوال المسلمين اليوم رجالًا ونساءً، وأولادًا وبناتًا، رأى النقص الكبير في أعمال الدين، وفي أخلاق الدين، وفي المعاملات والمعاشرات، حتى تشبّه أكثرهم باليهود والنصارى وسائر الكفار، فالدعوة لهؤلاء واجبة ليعودوا إلى الإيمان، والأعمال، والأخلاق التي علّمها النبي ﷺ لأصحابه

فكانوا خير أمة أخرجت للناس: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[ آل عمران:١٠٤] .

**والله ﷻ يرضى عنا، ويقبل أعمالنا، إذا حققنا أمرين :**

الأول: إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [ الزمر:٢-٣ ].

الثاني: اتباع النبي ﷺ في إيمانه، وتوحيده، وأقواله، وأعماله، وأخلاقه، كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾[ الكهف:١١٠ ] .

وحقيقة لا إله إلا الله تغير اليقين من الاستفادة من المخلوق إلى الاستفادة من الله وحده لا شريك له، وهذا روح التوحيد، وحقيقة الإيمان، كما قال نوح ﷺ لقومه : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾[ نوح:١٠-١٢] .

المؤمن بلا إله إلا الله حقًا يسأل الله وحده، ولا يسأل أحداً سواه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[ غافر:٦٠] .

المؤمن حقًا ينفع الآخرين، ولا ينتفع منهم، ويعطي الآخرين، ولا يأخذ منهم، ويحسن إليهم بنفسه وماله وإن أساؤوا إليه، لأنه يطلب الأجر من الله وحده لا شريك له: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[ آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

وفي زماننا هذا صار المسلم ظالماً، والكافر مظلوماً؛ لأن المسلم ترك دعوته إلى الله، ولم يشفق عليه من عذاب الله، ولم يرحمه، فعاش كافراً، ومات كافراً،

بسبب ترك الدعوة إلى الله، والله يقول: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[ النحل: ١٢٥ ] .

بل صار المسلم ظالماً لنفسه بارتكاب أنواع المعاصي، وترك نصح غيره من المسلمين وغيرهم، وترك دعوة الكفار إلى الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾[ البقرة:١٥٩-١٦٠ ] .

المؤمن حقاً لا يثق إلا بالله وحده لا شريك له، ولا يتوكل في جلب النفع، ودفع الضر، إلا على الله وحده لا شريك له: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[ غافر:٦٥] .

وقد عجب الله من قريش الذين أَلِفوا رحلة الشتاء والصيف وتعلقوا بها من دون الله، وما ألفوا عبادة رب البيت الذي بيده كل شيء فقال سبحانه: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤ ﴾[ قريش:١-٤] .

لهذا أرسل الله رسوله محمداً ﷺ كافة للناس، لتغيير يقين الناس من المخلوق إلى الخالق، ومن الأسباب إلى الأعمال، ومن الدنيا إلى الآخرة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾[ الجمعة:٢] .

فقوة الإيمان والأعمال الصالحة أقوى من جميع الأسباب المادية.

جميع الأسباب المادية لا تستطيع أن تنقل عرش بلقيس من اليمن إلى الشام في طرفة عين، ولكن الأعمال الصالحة نقلته بقدرة الله من اليمن إلى الشام إلى

سليمان ﷺ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[ النمل:٤٠] .

جميع الأسباب المادية لا تستطيع أن توقف الشمس، لكن الأعمال الصالحة أوقفتها كما حبسها الله ليوشع بن نون.

وجميع الأسباب المادية لا تستطيع أن تحفظ إنساناً في بطن الحوت، لكن الأعمال حفظت يونس ﷺ في بطن الحوت.

وجميع الأسباب المادية لا تستطيع أن تشق القمر، ولكن الأعمال شقته نصفين للنبي ﷺ في مكة.

وجميع الأسباب المادية لا تستطيع أن تحول العصا إلى حية، ولكن الأعمال حولته من عصا إلى حية، ومن حية إلى عصا كما في قصة موسى ﷺ.

وجميع الأسباب المادية لا تستطيع أن تخرج الماء من حجر، ولكن الأعمال أخرجته كما أمر الله موسى ﷺ أن يضرب بعصاه الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً .

جميع الأسباب المادية لا تستطيع أن تحول النار إلى برد وسلام، ولكن الأعمال حولتها كما جعل الله النار برداً وسلاماً على إبراهيم ﷺ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[ الأنبياء: ٦٩].

فالله وحده هو القادر الذي يفعل ما يشاء، يفعل بالأسباب، وبضد الأسباب، وبدون الأسباب، وبقلة الأسباب، وبكثرة الأسباب: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[ يس:٨٢-٨٣] .

فالأسباب مخلوقة، وهي في قبضة الله، ليس لها من أمرها شيء، فالله أذل

فرعون في ملكه، وأذل نمرود في ملكه، وأذل قارون مع ماله، ونصر رسله مع قلة أسبابهم وخذل أعداءه مع كثرة أسبابهم؛ لأن الأمر كله لله وحده، ولا نحصل على ما عنده إلا بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج:٤٠-٤١].

فكل المخلوقات لا تفعل إلا بأمر الله، ولا تبقى إلا بأمر الله ولا تفنى إلا بأمر الله.

فالسماوات مخلوقة لا تبقى إلا بأمر الله، ولا تزول إلا بأمر الله، والأرض مخلوقة لا تبقى إلا بأمر الله، ولا تزول إلا بأمر الله وحده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤١﴾[فاطر:٤١].

فالسماوات والأرض مخلوقات ليس بيدها شيء، بل أمرها بيد الذي خلقها وحده لا شريك له: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٧﴾[الجاثية:٣٦-٣٧].

والمال مخلوق لا يزيد ولا ينقص إلا بأمر الله وحده، ولا يربح ولا يخسر إلا بأمر الله وحده، ولا ينفع ولا يضر إلا بأمر الله :﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١﴾[الملك:١].

فالتوحيد أن نتيقن أن الله وحده بيده كل شيء، وكل ما سواه ليس بيده شيء، ومن تيقن أن المخلوق يفعل بدون أمر الله فقد أشرك بالله في ربوبيته، فجعل له شريكاً في الخلق، والله واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ

﴿بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾[ النساء:١١٦] .

فالتوحيد والإيمان هو اليأس من المخلوق، والثقة بالله وحده لا شريك له، والتوكل عليه وحده: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾[ التغابن:١٣] .

ويتم ذلك بتغيير اليقين من المخلوق إلى الخالق، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن الأموال والأشياء إلى الإيمان والأعمال، ومن النظر في السنن الكونية إلى رؤية القدرة الإلهية: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[ غافر:٦٥ ].

فالمخلوقات والأسباب والحكومات شكل من أشكال المخلوقات التي لا تنفع ولا تضر إلا بأمر الله، فمن تعلق بشيء من ذلك وكله الله إليه، وخذله من جهة ما تعلق به، ليعود إلى ربه :﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾[الشعراء:٢١٣] .

الله وحده بيده ملكوت كل شيء، قادر بالتجارة يغنينا، وقادر بالتجارة يفقرنا، وقادر بالبحر يغرقنا، وقادر بالبحر يحفظنا، وقادر بالنار يهلكنا، وقادر بالنار يحفظنا، وقادر بالأسباب يعزنا، وقادر بالأسباب يذلنا :﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[ يس:٨٢].

فأعظم أمراض القلوب أن ترى غير الله يفعل، وشفاؤها أن ترى الله وحده هو الذي يفعل، وغيره مخلوق لا يفعل إلا بأمر الله .

في بدر كان يقين الصحابة على الله وحده، فنصرهم وحده :﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣﴾[ آل عمران:١٢٣] .

وفي أُحد مال بعض الصحابة إلى التعلق بالمال والغنائم، فرفع الله النصرة عنهم كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ

حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[آل عمران:١٥٢].

وفي عهد الخلفاء الراشدين أصحاب النبي ﷺ كبروا الله، وصغروا ما دونه من الكفار والطغاة، والأسلحة والأسباب، فنصرهم الله، وخذل أعداءهم، ففتحوا بلاد الروم والفرس بلا إله إلا الله، وهما أعظم الدول في زمانهم: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج: ٤٠ – ٤١]

والإنسان ظلوم جهول، إذا قويت الأسباب عنده أعرض عن ربه، وإذا ضعفت الأسباب توجه بالدعاء إلى ربه، وحين تنقطع الأسباب أو تقل يسهل على العبد ذكر الله، والتوجه إلى الله، ولما تأتي الأسباب ينسى العبد أوامر الله، ويغفل عن ربه، ويتعلق بالمخلوق من دون الله، ويسأل حوائجه من مخلوق مثله: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ ﴾[التوبة: ٢٥ – ٢٧]

فأعظم المصائب اليقين على الأسباب من دون الله، ولا يزول هذا اليقين إلا

ببذل الجهد لإعلاء كلمة الله، وإرجاع الأمة إلى حقيقة لا إله إلا الله بالنفي والإثبات، فالله وحده بيده كل شيء، وكل ما سواه ليس بيده شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك:١].

هو الواحد الأحد، الخالق لكل أحد، المالك لكل أحد، المتصرف فيكل أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص: ١-٤]

وبسبب هذا اليقين الفاسد على ما سوى الله من المخلوقات والأسباب تتأثر القلوب من نقص الأسباب، ولا تتأثر من نقص الأعمال الصالحة التي أمر الله ورسوله بها، فنتأثر ونتألم من نقص التجارة، وخسارة الأموال، وفساد الأشياء، ولا نتأثر من نقص الدين في حياة الأمة، والتقصير في الفرائض والواجبات، بسبب ضعف الإيمان، وتعلق القلوب بالأموال والأسباب والأشياء، فعلينا التوبة إلى الله ونفي فعل كل ما سوى الله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾[الذاريات:٥٠-٥١].

فحل مشاكل الأمة في الدنيا والآخرة بالاعتصام بالله وحده، والتوكل عليه وحده، وسؤال الله وحده، فنعمر قلوبنا بالإيمان بالله وحده، وحب الله ورسوله ودينه، ولا نسأل إلا الله وحده، فحوائجنا تقضى بالإيمان والأعمال، لا بالأموال والأسباب: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الأعراف: ٩٦].

فالصلاة شرعت لاستدامة ذكر الله، ومن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، فالله وحده يفعل كل شيء بدون أي شيء، وغير الله لا يفعل شيئاً ولو كان معه كل شيء، وللتمرين على هذا اليقين شرع الله لنا الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، لنتمرن على الإخلاص، ونتمرن على الذكر، والتكبير، وشكر الرب، وتقديم

التحية لله الذي له صفات الجلال والجمال والكمال .
والدعوة للداعي تركيزاً ولغيره تذكيراً، فالهداية تنزل على الداعي إلى الله أولاً، أما المدعو فقد يهتدي وقد لا يهتدي: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت: ٦٩]
وقال سبحانه: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾ [ العنكبوت:٦] .

والأصل الدعوة إلى الله بين الكفار، ولكن المسلمين اليوم جاء فيهم النقص في الإيمان، والأعمال، والأخلاق، فهم يحتاجون إلى الدعوة، ليكونوا كما كان أصحاب النبي ﷺ بإيمانهم وأعمالهم وأخلاقهم، الذين رضي الله عنهم، ورضوا عنه، فإذا جاء الإيمان الحقيقي في قلوب المسلمين، سهل عليهم امتثال أوامر الله، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله.

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كان في قلوبهم كمال الرحمة، وكمال اليقين على الله وحده، ونفي فعل كل ما سواه، وفي قلوبهم حب الهداية للخلق، وكمال الرحمة لهم، والشفقة عليهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩ ﴾[ الأحزاب: ٣٩ ] .
وقال الله ﷻ: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾[ التوبة: ١٢٨ ].
وبالدعوة إلى الله تنزل الهداية من الله على الخلق، وتصلح أحوال الأمة، وينصرها الله على أعداء الله ورسوله ودينه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾[ الحج:٤٠-٤١] .
والداعي إلى الله معه الله يحفظه وينصره، ويجعله سبباً لهداية البشرية، ومن كان

الله معه فكل شيء معه، كما قال الله لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٥-٤٦].

وقال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

اللهم طهر قلوبنا وأسماعنا وأبصارنا من كل ما سواك، واملأها بكمال الحب والتعظيم والذل لك، وكمال اليقين يا رب العالمين،

اللهم اهد جميع المسلمين لكمال اليقين والتقوى، والتوفيق لما تحب وترضى، وأذن لجميع الكفار والمشركين بالهداية، وأنزل عليهم رحمتك، واحفظنا من شر أعداء الدين، واجعل كيدهم في نحورهم يا رب العالمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، يا أرحم الرحمين.

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## حقيقة ( لا إله إلا الله ) بين النفي والإثبات

## القسم الثاني: الإثبات

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

١ -الإيمان بوجود الله عز وجل .

٢ -الإيمان بوحدانية الله عز وجل .

٣ -الإيمان بربوبية الله عز وجل .

٤ -الإيمان بألوهية الله عز وجل .

٥ -الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله.

# كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) بين النفي والإثبات

## القسم الثاني: الإثبات

الإثبات هو إثبات حقيقة التوحيد لله وحده في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبادته وحده بموجب هذه المعرفة، والإثبات الكامل لا يكون إلا بعد النفي الكامل: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[ غافر:٦٥] .

**وإثبات حقيقة التوحيد والإيمان في القلب لها خمسة أركان:**

الأول: الإيمان بوجود الله ﷻ.

الثاني: الإيمان بوحدانية الله ﷻ.

الثالث: الإيمان بربوبية الله ﷻ.

الرابع: الإيمان بألوهية الله ﷻ.

الخامس: الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله.

## الركن الأول: الإيمان بوجود الله ﷻ

الإيمان بالله ﷻ: هو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو رب كل شيء، وخالق كل شيء، ومالك كل شيء، ومدبر كل شيء، وأنه الإله الحق الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والأحكام المجيدة، ولما له من صفات الجلال والجمال والكمال، وعبادة الله بموجب ذلك بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[ الحشر:٢٢- ٢٤] .

والإيمان بالله ﷻهو الأصل الذي تُبنى عليه جميع الأعمال الصالحة، وكل عملٍ لا إيمان معه فهو مردود غير مقبول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[ النحل:٩٧].

والإيمان بالله ﷻ أعظم أركان الإسلام، وأول أركان الإيمان، ومن عرف الله حقًا، آمن به حقًا، ووحده حقًا، وعبده حقًا، ونال ثوابه العظيم حقًا: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[ محمد:١٩].

وقد فطر الله كل مخلوق على الإيمان بخالقه، كما قال سبحانه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[ الروم:٣٠ ] .

فالخلق يدل على الخالق، والصور تدل على المصور، والملك يدل على المالك: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[ الأنعام:١٠٢– ١٠٣] .

ولا ينكر وجود الله جل جلاله إلّا فاقد العقل، مسلوب الفكر، محروم الفهم:﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[ إبراهيم:١٠] .

وقد دل العقل على أن لهذا الخلق خالقًا ومالكًا ومدبرًا؛ فالخلق يدل على الخالق، والصور تدل على المصور، والأرزاق تدل على الرزاق، والمُلك يدل على المَلك:﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾[ فاطر:١٣] .

ودل العقل على أن لهذا الكون ربًا عظيمًا:

يخلق ويرزق، ويدبّر ويحكم، فهذه المخلوقات التي لا يحصيها إلا الله، لا بدّ لها من خالق أوجدها، وهي لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة، فتعيَّن قطعًا أن يكون لها موجدٌ أوجدها، وهو الله رب العالمين، كما قال سبحانه: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[ الطور:٣٥-٣٦ ] .

فسبحان الرب العظيم الذي له الخلق كله، وله الأمر كله:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[ الأعراف:٥٤ ].

ودلّ الحسّ على وجود الرب سبحانه، فإننا نرى كل يوم تقليبُ الليل والنهار، ورزق الإنسان والحيوان، وتدبير جميع أمور الخلائق في العالم العلوي، والعالم السفلي، مما يدل دلالة قاطعة على وجود الرب جل جلاله:﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ

﴿ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [ يونس:٣١-٣٢ ].

وقال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [ المؤمنون:٨٠ ].

والله جل جلاله أيّد رسله وأنبياءه بآيات ومعجزات، رآها الناس أو سمعوا بها، وهي أمور خارجة عن قدرة البشر، ينصر الله بها رسله، ويؤيدهم بها، وهذا برهان قاطع على وجود مرسلهم وهو الله ﷻ، كما جعل الله النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ﷺ، وفلق البحر لموسى ﷺ، وفجر الحجر له ولقومه بالماء، وأحيا الموتى لعيسى ﷺ، وشق القمر نصفين لمحمد ﷺ في مكة، فلا ريب في وجوده سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [ الحديد: ٢٥ ].

وكم أجاب الله من الداعين، وكم أعطى من السائلين، وكم أغاث من المكروبين، مما يدل بلا ريب على وجود الله، وكمال علمه وقدرته، كما قال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [ الأنفال: ٩ – ١٠ ].

وقال الله ﷻ عن أيوب ﷺ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [ الأنبياء: ٨٣ – ٨٤ ].

وقال الله عن يونس ﷺ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

[ الأنبياء: ٨٧ – ٨٨ ]

وقال الله عن زكريا ﷺ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩ - ٩٠].

ودلَّ الشرع على وجود الله سبحانه؛ فالأحكام العظيمة العادلة المتضمنة لمصالح الخلق في الدنيا والآخرة، والتي أنزل الله بها كتبه، وأرسل بها رسله؛ دليلٌ قاطعٌ على أنها من ربٍ حكيمٍ قادر، عليمٍ بمصالح عباده: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥- ١٦].

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا ملكه وسلطانه، وهذه نعمه وأفضاله، هو وحده الرب الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، وتجتنب عبادة ما سواه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

# الركن الثاني: الإيمان بوحدانية الله جل جلاله

الله جل جلاله هو الإله الواحد الأحد، الخالق لكل أحد، المالك لكل أحد، القادر على كل أحد، القاهر لكل أحد، المحيط بكل أحد، العليم بكل أحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، وهو الواحد الأحد الذي لا يحتاج إلى أحد: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

هو الواحد الأحد في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

هو الواحد الأحد في ذاته، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، وأحكامه المجيدة: ﴿سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر:٤].

هو جل جلاله الواحد الأحد الذي عمّ برحمته كل أحد: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

هو سبحانه الواحد الأحد، القادر على كل أحد، العليم بكل أحد، المحيط بكل أحد، السميع لكل أحد، البصير بكل أحد: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا عرفتم ذلك؛ آمنتم بالله وحده، وعبدتموه وحده لا شريك له.

هو سبحانه الواحد الأحد الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

هو جل جلاله الواحد الأحد، رب كل أحد، وإله كل أحد :﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[ الكهف:١١٠ ] .

هو جل جلاله الواحد الأحد، الذي بيده وحده الخلق والأمر، والتدبير والتصريف، وبيده وحده المُلك والملكوت، والعطاء والمنع، والحياة والموت، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والأمن والخوف: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[ الأعراف:٥٤] .

هو سبحانه الواحد الأحد، القاهر لكل أحد، المهيمن على كل أحد، هو الواحد القهار، وكل ما سواه مقهور له، خاضع لكبريائه، وذليل لعزته: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾[ الزمر:٤] .

فتوحيد الله جل جلاله أول واجب على العبيد، وهو الأساس الذي تُبنى عليه جميع أعمال العبيد، ولا يقبل ربنا جل جلاله أي عمل بدونه، فكل عملٍ لا توحيد فيه فباطل: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[ الزمر:٦٤-٦٦] .

# الركن الثالث: الإيمان بربوبية الله ﷻ

الله جل جلاله هو الرب العظيم، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والأحكام المجيدة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

هو الرب العظيم الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجَعُ الأمر كله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠١ – ١٠٣].

هو الرب العظيم، الملك الحق المبين، الذي له الملك كله من كل وجه.

فله ملك السماوات والأرض، وله ملك ما في السماوات والأرض، وله ملك ما بين السماوات والأرض، وله ملك خزائن السماوات والأرض، وله ملك غيب السماوات والأرض، وله ملك جنود السماوات والأرض، وله ملك مقاليد السماوات والأرض، وله ملك ميراث السماوات والأرض: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].

وله جل جلاله ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك عالم الغيب وعالم الشهادة، وله ملك الدنيا والآخرة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

فنعلم ونتيقّن أن الله هو الرب العظيم الذي خلق المخلوقات، وصوّر الكائنات، وأبدع الموجودات، وخلق الذرات والمجرات وحده لا شريك له:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾[ يونس:٣ ] .

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٢ ﴾[ البقرة: ٢١ – ٢٢] .

هو الرب الحي القيوم الذي لا يخفى عليه شيء، ولا يعجزه شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا يقف له شيء: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾[ البقرة: ٢٥٥].

هو الرب الخالق لكل شيء في العالم العلوي والعالم السفلي .

خلق العرش والكرسي، وخلق السماوات والأرض، وخلق الذرات والمجرات، وخلق النجوم والكواكب، وخلق الشمس والقمر، وخلق الليل والنهار، وخلق الجماد والنبات، وخلق الطير والحيوان، وخلق الجن والإنس، وخلق الملائكة والروح، وخلق السهول والجبال، وخلق البحار والأنهار، وخلق النور والظلام، وخلق الجنة والنار:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٦٣ ﴾[ الزمر:٦٢ -٦٣].

الله وحده هو الرب الذي خلق وملك، ما خلق وترك، هو الرب: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[ الرعد: ٢-٣] .

هو الرب العظيم الذي استوى على العرش برحمته: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[ طه:٥] .

هو الرب الذي أمسك السماء بقدرته: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [ الحج:٦٥] .

هو الرب العظيم الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [ فاطر:٤١ ] .

هو الرب العظيم الذي دحى الأرض بمشيئته، وخلق الخلائق بإرادته، وقهر العباد بقوته: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزمر: ٦٧

هو الر العظيم الذي خلق كل شيء: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ نوح: ١٣ - ٢٠

ونعلم ونتيقن أن الله وحده هو الرب العظيم القادر على كل شيء، هو الرب الذي خشعت الأصوات لهيبته، وخضعت الأعناق لعظمته، وأذعنت الخلائق

لكبريائه، وذلَّ الأقوياء لعزته: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[ الأنعام:١٠٢- ١٠٣ ] .

هو الرب العظيم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ يس: ٨٢ - ٨٣

والله سبحانه هو الرب الحكيم الخبير في خلقه وأمره .

أظهر بحكمته سبعة، واخفى سبعة:

فأظهر المخلوقات، وأخفى نفسه، وأظهر المخلوقات، وأخفى أمره فيها.

وأظهر الدنيا، وأخفى الآخرة، وأظهر قيمة الأموال والأشياء، وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة، وأظهر سبحانه سننه الكونية، وأخفى قدرته الإلهية، وأظهر سبحانه الأجساد، وأخفى الأرواح ، وأظهر الأبدان، وأخفى العقول ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[ الحشر:٢٤ ]

فسبحان الحكيم الخبير في خلقه وأمره: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنعام:١٨]

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا ملكه وسلطانه، وهذا خلقه وأمره، وهذه قوته وقدرته، وهذه رحمته وإحسانه؛ هو الرب العظيم الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويعبد وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[ يونس:٣ ] .

هو سبحانه الرب العظيم العليم الخبير بكل شيء .

يعلم مثاقيل الجبال، ويعلم مكاييل البحار، ويعلم عدد ذرات الرمال، ويعلم عدد قطر الأمطار، ويعلم عدد ورق الأشجار، ويعلم ما أظلم عليه الليل، وما أشرق عليه النهار، لا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضًا، ولا جبلٌ ما في وعره، ولا بحرٌ ما في قعره: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

هو الرب العظيم الذي يُقلّب الأحوال على الخلق، كما يُقلّب الليل والنهار على الأرض، وكل يوم هو في شأن .

يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، ويرحم ويعذب: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

بيده وحده الخلق والأمر، والتدبير والتصريف والتحريك والتسكين، والغنى والفقر، والعافية والمرض، والأمن والخوف، والنعيم والعذاب: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾
[آل عمران: ٢٦ – ٢٧]

ونعلم ونتيقّن أن خزائن كل شيء عند الله وحده لا شريك له: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١].

خزائن الخلق عند الله، خزائن الرزق عند الله، خزائن العلم عند الله، خزائن الأحوال عند الله .

وإذا علمنا كل ذلك، وتيقّنا على كمال قدرة الله، وكمال علم الله، وكمال رحمة الله، وكمال عظمة الله، وعظمة خزائن الله، وكمال وحدانية الله، وكمال حكمة الله؛ آمنت القلوب بهذا الرب العظيم، ولهجت الألسن بذكره وشكره، وتكبيره وحمده، وانقادت الجوارح لعبادته بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧]

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا ملكه وسلطانه، وهذه نعمه وآلاؤه، هو الرب العظيم الذي يستحق العادة وحده لا شريك له: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠١ – ١٠٣].

# الركن الرابع: الإيمان بألوهية الله ﷻ

يجب أن نعلم ونتيقّن أن الله وحده هو الرب العظيم، والإله الحق، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة جلاله وجماله وكماله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[ الأنعام:١٠٢- ١٠٣ ] .

ونعلم ونتيقن أن الله هو الإله الحق الذي تجب عبادته وحده لا شريك له، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والأحكام المجيدة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[ يونس:٣ ] .

فكما خضعنا لربوبيته خلقًا ونوعًا، وإمداداً وتدبيرًا؛ فكذلك يجب أن نخضع لألوهيته أمرًا ونهيًا، فنعبده وحده لا شريك له، ونجتنب عبادة ما سواه: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

ونعلم ونتيقّن أن الله كما أنه واحدٌ في ربوبيته لا شريك له، كذلك هو واحدٌ في ألوهيته لا شريك له، فنعبده وحده لا شريك له، ونجتنب عبادة ما سواه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[ البقرة: ٢١ – ٢٢] .

فالله هو الإله الحق، وكل معبود سواه فألوهيته باطلة، وعبادته باطلة: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج:٦٢].

فيجب إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ومن أشرك مع الله غيره في عبادته فعبادته باطلة وعمله مردود غير مقبول: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[ الزمر:٦٤-٦٦]

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي:(أنا أغنى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ، مَنْ عمِلَ عملاً أشركَ فيه معِيَ غيرِي تركتُهُ وشِركَهُ). أخرجه مسلم (١).

والرب العظيم، والإله الكريم، الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذا ملكه وسلطانه، وهذا كرمه وإنعامه، هو الإله الحق الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويعبد وحده لا شريك له: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [ البينة: ٥] .

ومقصود الرب عز وجل من خلقه تحقيق العبودية الكاملة لله عز وجل كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[ الذاريات: ٥٦ –٥٨ ] .

وتحقيق العبودية الكاملة لله جل جلاله تحصل للعد بستة أمور:

الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن عرف الله حقاً آمن به حقاً ووحده: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[ محمد: ١٩ ] .

الثاني: محبة الله عز وجل، فمن عرف الله أحبه، لما يراه من جلاله وجماله، وكماله وإحسانه: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[ غافر: ٦٥ ] .

الثالث: تعظيم الله جل جلاله، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرف عظمة ملكه وسلطانه، كبره وعظمه ومجده، وخافه ورجاه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ

---

(١)أخرجه مسلم برقم ( ٢٩٨٥ ) .

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر:٢٢ – ٢٤].

الرابع: طاعة الله عز وجل، فمن عرف الله حقاً آمن به، وأحبه، وعظمه، وأطاعه ولم يعصه، واتبع رسوله ولم يخالفه: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١].

الخامس: عبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥].

السادس: الدعوة إلى الله، فمن عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، وأحكامه المجيدة، دعا الناس إلى الإيمان به، ورغبهم في طاعته وعبادته وحده، بأفضل الفرائض، وأكبر أسباب الفلاح: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥].

# الركن الخامس: الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله

الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والأحكام المجيدة، والأقدار الحكيمة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه:٨]

فالله جل جلاله موصوف بصفات الجلال والجمال والكمال، منزّهٌ عن جميع صفات النقص والعيب والعجز، وعن مشابهة صفات البشر: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى:١١]

هو الواحد الأحد الذي لم يكن له كفوًا أحد: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤]

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾[ غافر: ٦٥ ] .

فمعرفة صفات القوة والقدرة والعزة والجبروت؛ تملأ القلب خوفًا من الله، وذلّا لله، وانكسارًا لله، وخشوعًا وخضوعًا لله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٧﴾ الزمر: ٦٧

ومعرفة صفات الرحمة واللطف، والجود والبر، والإحسان والكرم ، تملأ القلب حبًّا لله، وحمدًا لله، ورغبةً وطمعًا في فضل الله وإحسانه﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾[ الحشر:٢٢-٢٤] .

وقال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨ ﴾ [الشورى: ٢٨]

ومعرفة صفات العلم والإحاطة، والسمع والبصر؛ تثمر للعبد الحياء من الله، ومراقبة الله في جميع حركاته وسكناته، وفي جميع أقواله وأفعاله، وفي ظاهره وباطنه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ ﴾ [الملك: ١٢]

ومعرفة جميع هذه الصفات العظيمة لله ﷻتثمر للعبد توحيد الله، والإيمان بالله، وحب الله، وتكبير الله، والشكر لله، والأُنس بالله، والرغبة إلى الله، والحياء من الله، والخوف منه، والرجاء له، والتوكل عليه، والتقرب إليه بعبادته وحده لا شريك له: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[ محمد: ١٩] .

والمؤمن إذا عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ أثبت له من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه في كتابه، وما أثبته له رسوله ﷺ في سنّته، ونفى عنه ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص والعيب والعجز على حدّ قوله، سبحانه:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى:١١]

ونؤمن بجميع أسماء الله وصفاته وبما دلت عليه من المعاني والآثار.

فنؤمن بأن الله رحيم: ومعناه أنه ذو رحمة، ومن آثار هذا الاسم أنه يرحم من يشاء.

ونؤمن باسم الله الخالق: ومعناه أنه يخلق كيف شاء متى شاء .

ومن آثار هذا الاسم: جميع المخلوقات التي خلقها الله ﷻويخلقها في كل زمان ومكان، وهكذا في بقية أسماء الله الحسنى .

ونثبت كل ذلك لله ﷻعلى ما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف على حدّ قوله، سبحانه﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]

ونعلم ونتيقن أن الله وحده له الأسماء الحسنى والصفات العلا وندعوه بها، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]

والله مؤمن يحب الإيمان وأهل الإيمان، والله واحد يحب التوحيد وأهل التوحيد، والله شكور يحب الشكر وأهل الشكر، والله محسن يحب أهل الإحسان، والله عفو يحب العفو وأهل العفو، والله تواب يحب التوبة وأهل التوبة، وهكذا القول في بقية الأسماء والصفات لله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]

وقال النبي ﷺ:" إن لله تسعة وتسعون اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة " متفق عليه (١).

وإحصاؤها حفظها، وفهم معانيها، والتعبد لله بموجبها.

والإيمان بأسماء الله وصفاته يقوم على ثلاثة أصول عظيمة:

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ( ٢٧٣٦ ) ومسلم برقم ( ٢٦٧٧ ) .

الأول: تنزيه الخالق سبحانه عن مشابهة المخلوقين في الذات، والأسماء، والصفات والأفعال، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[الإخلاص: ١ – ٤]

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى، والصفات العلا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨]

الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية أسماء الله وصفاته وأفعاله؛ فكما لا نعلم كيفية ذات الله، كذلك لا نعلم كيفية أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى:١١]

فهذه هي أركان الإيمان بالله ﷻ التي يجب على العبد أن يؤمن بها، ويثبتها لربه، ويعبد الله بموجبها، ليتحصل على الإيمان المطلوب الذي يريده الله ﷻ من عباده، وبه تحصل للمؤمنين العزة والسعادة، والنُصرة في الدنيا والآخرة: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣٧ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨﴾ البقرة: ١٣٧ – ١٣٨

وقال ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾[ غافر:٥١ ] .

ومن آمن بالله العظيم؛ آمن ببقية أركان الإيمان الستة، وهي :

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ومن آمن بالله العظيم آمن بكتابه العظيم، واتبع رسوله العظيم، وفاز برضوان رب العالمين، وبثوابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾[البينة: ٧ – ٨] .

وقال ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة: ٧٢]

وأخطر شيء على الإنسان أن يتأثر ويتعلق بالمخلوق من دون الخالق، ويمشي على هواه لا على هُدى ربه، ويتيقن على الأشياء المادية ويهمل الأوامر الإلهية، ويزهد في الموعودات الربانية، وينشغل بالشهوات البهيمية: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم: ٥٩].

وفوز الإنسان وفلاحه في الدنيا والآخرة أن يتعلق بالخالق وحده، وأن يسير على هدى ربه، لا على هوى نفسه، وأن يتيقن على الله وحده، وينفي فعل كل مخلوق سواه بنفسه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ فصلت: ٣٠ - ٣٢

فالله وحده هو رب العالمين؛ الذي خلق الخلق، هو الذي يربيهم وحده، ويرزقهم من خزائنه وحده، ويعمّهم برحمته وحده، فلله الحمد والشكر على

نعمه التي لا تعد ولا تحصى، والتي عمّ بها المؤمن والكافر، والبر والفاجر: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧] .

وهذه الدنيا خلقها الله لتكميل الإيمان والأعمال الصالحة، والله يريد من كل مسلم أن يترقى في الإيمان، والأعمال، والأخلاق ، لينال أعلى الدرجات في الجنة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤] .

وشياطين الإنس والجن يريدون من الإنسان أن يترقى في الأسباب المادية والصراعات البشرية، ويشغلونه بهذه عن أداء أوامره الإلهية التي فيها سعادته وفلاحه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧-٨]

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء.

هو الرب الذي يشفي وحده، ويشفي كل مريض، ويهدي كل شقي، ويؤمن كل خائف، ويجيب من دعاه، ويعطي من سأله، ويعين من استعان به، ويغفر لمن استغفر له: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [ غافر: ٦٥ ] .

وكل من يقول لا إله إلا الله يقيناً فقد دخل في حصن الله، فحفظه وأغناه، وأسعده في الدنيا، وأدخله في الآخرة الجنة، وأنجاه الله من النار يوم القيامة:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

وأعظم الأمراض: أمراض القلوب، وأعظم أمراض القلوب: اليقين على ما سوى الله من المخلوقات، وتعلقه بغير الله من الأموال والأسباب والأشخاص: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥ ﴾ [ غافر: ٦٥ ] .

ومن امتلأ قلبه بنور لا إله إلا الله، سأل الله وحده، وتوكل عليه وحده، واستعان به وحده، ولم يقف بباب مخلوق أبدًا؛ لأن الله سخر له كل شيء وأغناه من كل ما سواه: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنونَ} [التغابن: ١٣]

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ ﴾[ نوح:١٠-١٢] .

فالأمور كلها بيد الملك القادر على كل شيء، وكل ما سواه من المخاليق ليس بيده شيء: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ ﴾ [الذاريات: ٥٠].

فنكبر الله ﷻ في كل وقت، ونصغر ما دونه من المخلوقات لتأتي عظمة الله في قلوبنا، وإذا عظمناه جل جلاله عظمنا أوامره، وعظمنا وعده ووعيده، وندعو الناس الى أن يؤمنوا بالله، ويكبروه ويعبدوه وحده لا شريك له، وإذا قمنا بعبادة الله ﷻ والدعوة إلى الله هدانا الله إلى سبل رضاه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩ ﴾[العنكبوت: ٦٩]

فالله وحده هو الملك القادر الذي يفعل ما يشاء، وكل ما سواه مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا.

فمن توكل على الله وحده كفاه، ومن استغنى بالله أغناه، ومن سأل الله أعطاه: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[ غافر: ٦٥ ] .

نشكو أحوالنا إلى الله وحده، ونسأله قضاء حوائجنا وحده، وشفاء أمراضنا وسد فاقتنا: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾[ البقرة: ١٨٦ ] .

الله وحده معنا بقوته وقدرته، ومن كان مع الله فكل شيء معه، ومن كان مع غير الله فليس معه أي شيء: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ [ النحل: ١٢٨ ] .

ومن ذاق حلاوة الإيمان بالله أكمل محبوبات الرب في الدنيا من الإيمان والأعمال الصالحة، والله سبحانه يكمل له محبوباته في الجنة يوم القيامة : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾[البقرة: ٢٥]

ومن أحب الله ﷻ عرَّف النَّاس بمن يحُب ليؤمنوا به، فيحبهم ويحبونه ويعبدونه بكمال الحب والتعظيم والذل له لما يرونه من كمال وصفات جماله وكماله : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [ فصلت:٣٣ ] .

وكلما قلت الأسباب المادية قوي التعلق بالله جلَّ جلاله، وكلما قويت الأسباب المادية ركن الناس إليها وضعف تعلقهم بالله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف:٧].

ولإحياء الدين في العالم كله؛ لابد أن نكون الأمة التي تعمل بالدين وتنشر الدين وتتعاون على البر والتقوى، كما كان أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار والذين أثنى الله عليهم بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

فالمهاجرون تركوا كل شيء من أجل الدين، والأنصار بذلوا كل شيء من أجل الدين، فالتقت الهجرة والنصرة، فجاء الثالث وهو رضوان رب العالمين ودخول الجنة يوم القيامة.

وبغير الهجرة والنصرة لا ينتشر الدين أبدًا، والله لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها بالدعوة إلى الله وعبادة الله بالهجرة والنصرة، بالبذل والترك، كما قال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾

[الحشر: ٨-١٠]

المهاجرون رضي الله عنهم تركوا من أجل إعلاء كلمة الله كل شيء، وضحّوا بكل شيء، ضحوا بأموالهم وأنفسهم وأوقاتهم وتركوا أهلهم وديارهم وشهواتهم، والأنصار بذلوا كل شيء من أجل إعلاء كلمة الله ونشر الحق في العالم، بذلوا أوقاتهم وأنفسهم وأموالهم وديارهم؛ فرضي الله عن هؤلاء وهؤلاء وأثابهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾[ البينة: ٧ –٨ ] .

وتضحيات المهاجرين - رضي الله عنهم- أعظم؛ لأنهم تركوا أموالهم وديارهم للكفار في مكة، أما الأنصار فقد بذلوا كل شيء لإخوانهم المسلمين القادمين إليهم في المدينة، ولهذا قدمهم الله في الذكر في القرآن، فقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٧٤﴾ الأنفال: ٧٤

فهذه هي تضحية المهاجرين والأنصار التي هي أسوة لجميع المسلمين إلى يوم القيامة، أما تضحيتهم الكبرى هي تضحيتهم بفراق النبي ﷺ حين كان يبعثهم في الأرض لإبلاغ دين الله والجهاد في سبيل الله. فيذهبون ويضحون من أجل ذلك بفراق النبي ﷺ.

أما تضحيات الأنبياء والرسل فهي أعظم من كل ذلك، وهي فراق مناجاة الرب جل جلاله من أجل دعوة الخلق إلى الله.

لقد كان ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، وفي نهاره مع الناس يدعوهم إلى الله، ويعلمهم شرع الله: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ

رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ [الزمر: ٩]

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨].

وقال ﷻ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨]

ونحن من أتباع النبي ﷺ، فيجب اتباعه في نيته وفكره وفي توحيده وإيمانه وفي أقواله الحسنة وفي أعماله الصالحة وفي أخلاقه الكريمة: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١]

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، واصرف عنا برحمتك شر ما قضيت.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا، يا أرحم الراحمين.

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

# الباب الأول

ويشتمل هذا الباب على البصائر الآتية :

١ – بصائر التوحيد والإيمان.

٢ – مَعْرِفَةُ الله بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

٣ – كيفَ يزيدُ الإيمانُ في قلوبِنا.

٤ – القرآنُ مَنْهَجُ حَيَاةِ كُلِّ إِنْسَانِ.

٥ – النبيُّ ﷺ إمامٌ وقدوةٌ لِكُلِّ إنْسَانٍ.

٦ – الإنسان بين التكريم والتكليف والتشريف

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الأولى

## بصائر التوحيد والإيمان

**وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :**

الأول : أمهات العلم الإلهي .

الثاني : الحكمة من خلق المخلوقات .

الثالث : أشرف المخلوقات .

الرابع : حكمة خلق الإنسان .

الخامس : أفضل العلوم .

السادس : كيفية الحصول على العلم الإلهي .

# البصيرة الأولى

# بصائر التوحيد والإيمان

## ١ - أمهات العلم الإلهي

أمهات العلم الإلهي، ومفاتيح أبواب التوحيد والإيمان، ومقاليد العلم الإلهي، وبصائر الفقه الإسلامي الكبرى ، **تتكون من سبعة أمور** :

**الأول** : العلم بالله الذي نعبد.

**الثاني** : معرفة القرآن الذي نتبع.

**الثالث** : معرفة الرسول الذي نقتدي به.

**الرابع** : معرفة النفس البشرية ،ماذا تريد من الله ؟ وماذا يريد الله منها؟

**الخامس** : معرفة عدو الإنسان الشيطان الذي يريد أن يضله ويهديه إلى عذاب السعير .

**السادس** : معرفة الدنيا التي نعيش فيها ،وماذا نعمل فيها ؟

**السابع** : معرفة الآخرة التي سوف نرحل إليها ،وماذا أعد الله فيها لمن آمن به، ولمن كفر به ؟

فأول الواجبات العلم بالله الذي نعبد، فيجب علينا أن نعرف الرب الذي نعبد بذاته، وأسمائه ، وصفاته، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ووعيده ؛ حتى نتوجه إلى الغني ، ونتوجه إلى القوي ،ونستعين بالكبير، ونستغفر الغفور ، ونحمد المنعم : ﴿ **فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩** ﴾ [محمد:١٩].

فالله عز وجل له الأسماء الحسنى ، وله الصفات العلى ، وله الأفعال الحميدة ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض :﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ**

أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم:٢٧].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الرب الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويعبد وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

ومعرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده، ودينه، وشرعه، هي غذاء القلوب، وأعظم أركان الإيمان.

فإذا امتلأ القلب بالتوحيد والإيمان أحب الله، وكبر الله، ووحد الله، وتقرب إليه بأنواع القربات من أنواع الطاعات، في أوقاتها المشروعة.

والكون كله آيات كونية، والقرآن كله آيات شرعية، وهذه ،وهذه، آيات عظيمة تهدي المخلوق إلى خالقه، وتذكره بعظمة الله وكبريائه ،وتعرفه بعظيم نعمه وإحسانه، وقد أمرنا الله عز وجل بالتفكر والنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات الشرعية.

فقال عز وجل عن الآيات الكونية: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

وقال عز وجل: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

وكذا أمرنا الله عز وجل بالتدبر للآيات القرآنية، كما قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وكل ما يقوله الناس في الدين شرح للسنة النبوية،وكل السنة النبوية شرح للقرآن.

**وكل القرآن شرح لثلاثة أمور :**

**الأول:** شرح أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، التي ثمرة معرفتها توحيد الله ، والإيمان به ، وتعظيمه ، ومحبته ، وحمده ، وشكره ، وعبادته وحده لا شريك له.

**الثاني:** بيان أحوال اليوم الآخر، وأهوال يوم القيامة، من الصراط، والميزان والجنة، والنار وغير ذلك .

**الثالث:** بيان حياة الأنبياء والرسل، الذين أرسلهم الله إلى خلقه رحمة بهم ؛ ليدلوا الناس على الصراط المستقيم، ويعرفونهم بثلاثة أمور :

**الأول:** معرفة الرب الذي يعبدون.

**الثاني:** معرفة الطريق الموصل إليه.

**الثالث:** معرفة مالهم بعد القدوم عليه.

وهذا كله من رحمة الله بعباده: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال عز وجل : ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١].

والقرآن العظيم كله بصائر ، وهدى ، وبيان، وشفاء ، ورحمة، وموعظة : ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وقال عزوجل: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آلعمران: ١٣٨].

# ٢ - الحكمة من خلق المخلوقات

**من أسباب تقوية الإيمان :**

التفكر والتدبر لما في الآيات الكونية، والآيات الشرعية، من أعظم دلائل التوحيد والإيمان، ومظاهر الجلال والجمال للرب عز وجل .

والله عز وجل هو خالق كل شيء، ليُعرف ويعبد وحده لا شريك له : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٦٣ ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

وقال عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢ ﴾ [الطلاق: ١٢].

خلق الله عز وجل بحكمته المكان والزمان .

خلق الله المكان ، وجعله ظرفا للأشياء، وخلق الزمان، وجعله ظرفا للأعمال .

والمكان أقسام، والزمان أقسام، وفي كل منهما آيات عظيمة تثمر كمال التوحيد والإيمان.

فالمكان علوي وسفلي، وبر وبحر ، وجبال وسهول.

والزمان ليل ونهار، وصباح ومساء، وضحى وظهر، وعصر وعشاء : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝١٩٢ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٢].

وفي خلق المكان والزمان آيات وعبر تدل على عظمة من خلقها : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝١٦٤ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فالله عز وجل هو الملك الحق الذي له الملك كله ، وبيده الأمر كله : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك:١].

فلابد للعبد من معرفة الملك ، ومعرفة ما يملك ؛ حتى نتوجه إليه، ونسأله جميع الأمور والحوائج، ونستعين به في أمور ديننا، ودنيانا، وأخرانا : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

فالله عز وجل هو الملك الحق الذي له ملك العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وله ملك عالم الغيب والشهادة ، وله ملك الدنيا والآخرة ، وله ملك السموات والأرض ، وله ملك ما في السموات والأرض ، وله ملك خزائن السموات والأرض ، وله ملك جنود السموات والأرض ، وله ملك مقاليد السموات والأرض ، وله ملك ما بين السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض ، وله ميراث السموات والأرض : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾[فاطر:١٣].

فالمكان ظرف للأشياء الكبيرة والصغيرة، كالسموات والأرض، والسهول، والجبال، والأنهار، والبحار، والجماد ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان ، والملائكة ، والجن، وغيرهم من المخلوقات التي لا يحصيها إلا الله الذي خلقها : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

أما الزمان فهو ظرف للأعمال التي تصدر من المخلوقات، من نبات، وحيوان، ومن الملائكة، و الإنس، والجن : ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ١٢﴾ [الإسراء:١٢].

ولهذا أثنى الله على نفسه بخلق المكان والزمان في آيات كثيرة، فقال عز وجل :

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر:١].

وَقَالَ عز وجل : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام:١].

فلابد من التفكر والتدبر في هذا الخلق العظيم، خلق السموات والأرض ، وخلق الليل والنهار.

والزمان يتكون من الأيام، والليالي، والشهور، والأعوام، والقرون.

والمكان كذلك يتكون من العالم العلوي ، والعالم السفلي ، ومن عالم البر والبحر والجو ، وغير ذلك من التقاسيم .

وهذا المكان العظيم، وهذا الزمان المتجدد، كل منهما مسخر للإنسان تسخيرين عظيمين :

**التسخير الأول:** تسخير تعريف لنؤمن بالرب الذي خلقه ، وقدر حجمه ، وشكله، ونوعه، ووظيفته ، وعمره ، ووقته : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠].

وقال عز وجل : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦ –٨].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢٠].

وقال عز وجل : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وهذا النظر والتفكر فيما سخره الله لنا، من خلق السموات والأرض ،وما عليهما، وما فيهما وما بينهما ، يثمر للعبد كمال التوحيد والإيمان بالله، وكمال

الحب له، والخوف منه، والحياء منه،ويثمر تعظيم الرب وتكبيره، والخضوع له، والتصاغر لكبريائه، والانكسار بين يديه : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة: ١٥ -١٧].

**أما التسخير الثاني**: فهو تسخير تكريم للإنسان، فقد أكرم الله عز وجل الإنسان، بأن سخر له ما في السموات وما في الأرض، ليعرف نعمة الله عليه ، فيشكر ربه على هذا العطاء العظيم ،والإكرام الواسع الكبير : ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء: ٧٠].

وقال عز وجل : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم: ٣٤].

وقال عز وجل : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل: ٥٣].

وكل صفة للرب، وكل نعمة، لها أمر شرعي متعلق بها.

فإذا رأى العبد عظمة الرب، وعظمة إحسانه إليه ؛ آمن به ، ووحده ، وكبره ، وعظمه، وحمده ، وشكره ، وأحبه ، وامتثل أوامره ، واجتنب نواهيه ، وصدق أخباره ، وطبق أحكامه ، وعبده بكل ما جاء عن الله ورسوله، بكمال الحب له ، وكمال التعظيم له ، وكمال الذل له : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ -٢٢].

فسبحان الرب الحي بجميع صفات الجلال والجمال والكمال : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

# ٣- أشرف المخلوقات

أشرف المخلوقات في العالم السفلي هو الإنسان، الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وزينه بصفاته ، وأسجد له ملائكته ، وجعله في الدنيا خليفة، وفي الآخرة إن آمن جليسه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

فجبريل ﷺ أفضل ما في العالم العلوي، والإنسان إن آمن أفضل ما في العالم السفلي.

وأفضل بني آدم هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وأفضلهم هم أولوا العزم : نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، عليهم الصلاة والسلام.

وأفضل الخمسة، الخليلان: إبراهيم، ومحمد، عليهما أفضل الصلاة والسلام.

فالإنسان خلقه الله مخيراً بين الإيمان والكفر، وبين الطاعات والمعاصي.

ومن رحمة الله به بيَّن له الإيمان، والطاعات، ورغبه فيها، وأثابه عليها ،وبيَّن له مضار الكفر ،والمعاصي، وحذره منها، وعاقبه عليها : ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣٠].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٢ – ٣].

وقال عز وجل : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء: ١٣ – ١٤].

وكل إنسان خلقه الله مختاراً أن يعيش ما شاء من أنواع الحياة، ورغبه ربه في الحياة الطيبة، وحذره من الحياة السيئة، وأمره باتباع الهدى، وحذره من اتباع الهوى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾[الأنعام: ١٥٣].

**والناس في حياتهم أربعة أقسام :**

**الأول:** منهم من يختار حياة الأنعام والبهائم ،همه من الدنيا أن يتمتع بالشهوات؛ فهو غافل عن الله، وعن دينه ،وهؤلاء هم أكثر الخلق من الكفار : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾[محمد: ١٢].

وقال عز وجل : ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤﴾[الفرقان: ٤٤].

**الثاني** : ومن الناس من يختار حياة السباع ، قد أشغله الشيطان بسفك الدماء، ونهب أموال الناس، والعلو في الأرض، كفرعون وأمثاله : ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤﴾[القصص: ٤].

**الثالث** : ومن الناس من يختار حياة الشياطين في الكفر بالله، وفعل كل ما يغضب الله ورسوله ، وجرِّ الناس إلى النار في كل زمان ومكان؛ فهو ضال مضل، وفاسد ومفسد : ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾[الأعراف: ١٧٩].

وهؤلاء أشقى الخلق في الدنيا والآخرة، وأعمى الناس عن الحق، والعمل به .

وقد حذَّرنا الله عز وجل في القرآن من إبليس وجنوده ،ومن شياطين الإنس والجن بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾[فاطر: ٥ –٦].

وقال عز وجل عن الشيطان : ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ١٢١ ﴾[النساء: ١١٨ –١٢١].

**الرابع** :ومن الناس من يختار حياة الملائكة، والأنبياء ، والرَّسل؛ بالإيمان بالله وتوحيده ، وحمده ، والثناء عليه ، وحسن عبادته ، وكمال طاعته، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾[البينة: ٧–٨].

وهؤلاء هم خير الناس، وأفضل الناس ، وأسعد الناس في الدنيا والآخرة : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾[آل عمران: ١١٠].

فما أعظم إيمانهم، وما أحسن أعمالهم، وما أعظم ثوابهم : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

والله عز وجل رحيم بعباده؛ فقد أرسل الله إليهم الأنبياءوالرسل بالدعوة إلى

التوحيد؛ ليكونوا سببا لنقل الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن المعاصي إلى الطاعات ، ومما يسخط الله إلى ما يحبه الله ويرضاه : ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾﴾[إبراهيم: ١].

وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾[المائدة: ١٥ –١٦].

وكذا نقل الناس من حياة البهائم ، وحياة السباع ، وحياة الشياطين،إلى حياة الأنبياء و المرسلين ، والملائكة المقربين : ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾[الجمعة: ٢].

فما أرحم الله بعباده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٤].

وقال عز وجل : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: ٩].

# ٤ - حكمة خلق الإنسان

أراد الله عز وجل بحكمته ورحمته أن يجعل هذا الإنسان خليفة في الأرض، ينفذ أوامر الله، ينفذ أوامر من استخلفه على نفسه وعلى غيره : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾[الأنعام: ١٦٥].

وقال عز وجل : ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص: ٢٦].

**وقد جعل الله هذا الإنسان يعيش بين مخلوقين كبيرين عظيمين:**

**الأول** : مخلوق أسمى منه، وهم الملائكة الكرام الذين محضهم الله لعبادته، فهم يسبحون الليل و النهار، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون : ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

**والثاني**: مخلوق أدنى منه؛ وهم عالم البهائم والأنعام، الذين خلقهم الله للشهوات، ومنافع الإنسان : ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾ [النحل: ٥ -٦].

أما الإنسان فقد امتحنه الله بالشهوات الحيوانية، التي يشارك فيها البهائم، والأوامر الشرعية، التي يشارك فيها الملائكة؛ فهو مكلف بالتكاليف الشرعية كالملائكة، ومبتلى بالشهوات الحيوانية كالبهائم : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾[الكهف: ٧] .

فإن قدَّم الإنسان الأوامر الإلهية على الشهوات البهيمية التحق بالملائكة، بل كان أفضل منهم، وإن قدم الشهوات على أوامر الله التحق بالبهائم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد: ١٢].

فلابد لهذا الإنسان أن يعرف من خلقه ؟، ويعرف لماذا خلقه ؟، ويعرف ماذا يريد الله منه ؟، ويعرف ماذا يريد هو من الله ؟ : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

وقال عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

**وقد خلق الله بني آدم لأمرين عظيمين:**

**الأول:** ما يشترك الإنسان فيه هو والجن والملائكة، وهو عبادة الله وحده لا شريك له،كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

**والثاني:** خاص بالإنسان، وهو أن الله عز وجل اختاره؛ ليكون خليفة في الأرض، كما قال سبحانه : ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة: ٣٠].

ومقصود خلق الجن والإنس، عبادة الله، وتنفيذ أوامر الله، وطاعته في الدنيا، والفوز برضوانه، والجنَّة في الآخرة : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وقد شرَّف الله هذا الإنسان من بين المخلوقات بالعلم كما قال سبحانه : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[البقرة: ٣١].

وعلم الله سبحانه رسوله محمداً ﷺ ما لم يكن يعلم من قبل، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء: ١١٣].

ودعا الله عز وجل هذه الأمة إلى طلب العلم وتعليمه بقوله : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

# ٥ - أفضل العلوم

أعلى أنواع العلم هو العلم الإلهي الذي يورث خشية الله، وتقواه.

وهو العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، و خزائنه، و دينه، وشرعه، ووعده، ووعيده، وثوابه، وعقابه.

فهذا العلم فرض على كل مسلم و مسلمة ، كل بحسب قدرته ،كما قال سبحانه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢].

وقال عز وجل : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨].

فالعلم الأعلى هو العلم بالأعلى، والعلم العظيم، هو العلم بالعظيم.

وهذا العلم العظيم من أعظم أسباب خشية الله وتقواه، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨].

وقال عز وجل : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر: ٩].

وهذا العلم الإلهي من أعظم أسباب رفعة الدرجات، كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال النبي ﷺ : « **مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرَاً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ** » متفق عليه(١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، وأخرجه مسلم برقم(1037) .

وقال النبي ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَمَ الْقُرآنَ وَعَلَّمَهُ » أخرجه البخاري[1].

وهذا العلم الإلهي هو المطلوب من كل مسلم ومسلمة، كل أحد حسب قدرته .

وهذا العلم كالشجرة، والعمل به كالثمرة، والثمرة هي خشية الله وتقواه كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨]

وهذا العلم أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه ؛ لما يثمره ذلك من الثمرات الكبيرة، والمنافع العظيمة ، التي لا يحصيها إلا الله ؛ و ذلك يحتاج الى جهد وبذل مستمر : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]

وقال عز وجل : ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾[الحج: ٧٨].

---

(١) أخرجه البخاري برقم ( ٥٠٢٧ ).

# ٦ - كيفية الحصول على العلم الإلهي

العلم الإلهي العظيم يحصل للعبد بعد توفيق الله بسبعة أمور:

**الأول** : بذل الجهد من أجله، بالتَّغرب من أجل تحصيله كما فعل النبي ﷺ في غار حراء ؛ فقد كان يتزود ﷺ الليالي ذوات العدد، يتعبد ،ويتحنث لله عز وجل في غار حراء .

وكذلك مسير موسى ﷺ إلى الخضر لطلب العلم كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠].

وكما قال الله عز وجل عن موسى ﷺ أنه قال للخضر : ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦٦].

وكما قال الله عز وجل : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

**الثاني** :الورع، ومعناه فعل ما أمر الله ورسوله به من الفرائض، والسنن، واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه، من المحرمات ، والمكروهات، واجتناب الشبهات والشهوات، وغيرها مما يكون فيه معصية لله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: ١٧ –١٨].

فمن أراد أن يكون وعاء للوحي الإلهي ، ويعمل بموجبه ، ويدعو إليه ؛ فليكف لسانه وجوارحه عما حرم الله؛ لكي تستنير بصيرته بنور العلم الإلهي ، ويتزين قلبه بذلك، كما قال سبحانه : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

**الثالث** :التواضع لمن تأخذ عنه العلم ؛ فالعلم أعظم سلعة، فلابد من التواضع

لمن جعل الله السلعة عنده، من العلماء الربانيين كما فعل جبريل حين جاء ليسأل النبي محمداً ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وجلس بين يديه، ووضع كفيه على فخذية، وكما فعل موسى ﷺ مع الخضر: ﴿**قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾**﴾ [الكهف: ٦٦]

**الرابع** : الإقلال من الطعام والشراب ؛ ليصفو الذهن ، ويخف البدن لطلب العلم، و يتهيأ العقل للفهم .

ومن كان أكثر همه المآكل والمشارب قضى أوقاته في طلبها، والتمتع بها ، وغفل عن مراد الله منه. فاستحق عقوبة الله : ﴿**فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾**﴾ [مريم: ٥٩].

وكان ﷺ يقول : « **اللَّهم اجعلْ رزق آل محمّدٍ قُوتاً** » متفق عليه (١).

وقد ربط النبي ﷺ الحجر على بطنه من شدة الجوع

**الخامس** : أن تهون على الإنسان نفسه في طلب العلم ، ويخاطر بكل شيء من أجله، فموسى ﷺ ما نال العلم حتى ركب البحر، وقطع المسافات ؛ من أجل أن يصل إلى الخضر ؛ ليتعلم منه ، وهذه من أعظم المخاطرات : ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾**﴾ [الكهف: ٦٠].

ومن عرف عظمة ما يطلب خاطر من أجله، كما يغوص الإنسان في البحر؛ ليحصل على اللؤلؤ والمرجان .

**السادس**: معصية الهوى ، فمن اتبع هواه في سبيل الراحات، والتمرغ في الشهوات ؛ لا يكون أبدا من أهل العلم : ﴿**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾**﴾ [القصص: ٥٠].

**السابع**: أن يعمل الإنسان بما علم؛ فالعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه، وإلا ارتحل.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).

فمَن عمل به فهو حجة له ، ومن لم يعمل به فهو حجة عليه، فالقرآن حجة لك أو عليك : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾[الصف: ٢ - ٣].

وهذه الأمور السبعة العظيمة، تحتاج إلى أصول تقوم عليها، وأجنحة تطير بها، هي عدة طالب العلم الإلهي ومن ذلك :

**الأول** : الإخلاص لله في طلب العلم؛ لان طلب العلم من أعظم العبادات : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[البينة: ٥].

وقال عز وجل : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩﴾[محمد: ١٩]

**ثانيا**:تفريغ الأوقات للعلم، طلبا، وقراءة، وكتابة، ومراجعة، وتعليما: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ۝٧٩﴾[آل عمران: ٧٩].

وأفضل الأوقات البكور، وسؤال الله العون على ذلك : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ۝١١٤﴾ [طه: ١١٤].

**الثالث**:أن ينوي طالب العلم بعلمه إصلاح نفسه، وإصلاح غيره : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾[العنكبوت: ٦٩].

وقال الله عز وجل : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٤﴾[آل عمران: ١٠٤].

**الرابع** :علو الهمة، وهى العزيمة، والقوة، والجلد، على طلب العلم : ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[البقرة: ٦٣].

وقال عز وجل : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨].

فالجبالُ العالية لا يصل إليها إلَّا أشدَّ الرجال ، وأقوى الطيور ، والدرجات العالية لا يصل إليها إلا الأنبياء والمرسلون والصادقون : ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٩٠].

وقال عز وجل : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤]

**الخامس** :أن تكون جميع حياة الإنسان في ضوء القرآن والسنة، علما، وتعليما، وعملا، وتعبداً، ودعوة، وإحسانًا إلى الخلق في كل حال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج: ٧٧].

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف: ١٠٨].

وقال عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران: ٧٩].

وقال عز وجل : ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٦١ -١٦٣].

نسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى ،وصفاته العلى ، أن يرزقنا جميعا العلم النافع ،والعمل الصالح .

كما نسأله عز وجل أن يعطينا ولا يحرمنا، وأن يكرمنا ولا يهنَّا ،وأن يرفعنا ولا يضعنا ،إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الثانية

## مَعْرِفَةُ اللهِ بِأَسْمَائِهِ، وَصْفَاتُهِ، وَأَفْعَاله

**وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :**

الأول : فقه العلم باللهِ وأَسْمَائِهِ وَصْفَاتُهِ وأفعاله.

الثاني : أفعال الرب العظيم في ملكه العظيم.

الثالث : أفعال الرب العظيم ببني آدم.

الرابع : فضائل معرفة اللهِ بِأَسْمَائِهِ وَصْفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ .

الخامس : ثمرات معرفة اللهِ بِأَسْمَائِهِ وَصْفَاتُهِ وَأَفْعَالِهِ .

# البصيرة الثانية

# مَعْرِفَةُ اللهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَاله

## ١ – فقه العلم باللهِ وأَسْمَائِهِ وَصِفَاتُهِ وأفعاله .

اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ هو الملك العظيم، الذي لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ العُلَى، وَالأَفْعَالُ الحَمِيدَةُ، وَالمَثَلُ الأَعْلَى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

له جل جلاله الخلقُ كُلُّهُ، وله الأمرُ كُلُّهُ، وله المُلْكُ كُلُّهُ ، وإليهِ يرجعُ الأمرُ كُلُّهُ، وبيدهِ الخيرُ كُلُّهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

وَمِنْ أَرَادَ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللهِ حَقًّا، وَيَعْبُدُ اللهُ حَقًّا، وَيَدْخُلُ جَنَّةَ المَعْرِفَةِ الموصلة إلى جنة الآخرة؛ فليعرفْ ربهُ العَظِيمِ بذاتِهِ، وأسمائِهِ، وصفاتِهِ، وأفعالِهِ، ويعرفْ عظمةَ ملكِهِ، وسلطانِهِ، ويعرفْ عظمةَ نعمِهِ، وإحسانِهِ، ويعرفْ عظمةَ دينِهِ، وشرعِهِ، ويعرفْ عظمةَ ثوابِهِ وعقابِهِ، ويعرفْ ما يُرضِي اللهَ، وما يسخطهُ، ويعبدْ ربَّه بموجبِ ذلك : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ هو المَلِكُ، وَكُلُّ مَا سَوَّاهُ عَبِيدٌ لَهُ، اللهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الرَّبُّ، وَكُلُّ مَا سَوَّاهُ مربوب لَهُ، اللهُ عزَّ وجلَّ هُوَ الغَنِيُّ، وَكُلُّ مَا سَوَّاهُ فقيرٌ إليهِ ، اللهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الخَالِقُ، وَكُلُّ مَا سَوَّاهُ مخْلُوقٌ لَهُ ، اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ القَاهِرُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهِ مَقْهُورٌ لَهُ، اللهُ عزَّ وجلَّ هُوَ القَوِيُّ، وَكُلُّ مَا سِوَاهِ ضَعِيفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، اللهُ سُبْحَانَهُ هُوَ العَزِيزُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهِ ذَلِيلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ القَادِرُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهِ عَاجِزٌ، اللهُ عزَّ وجلَّ هُوَ السَّلَامُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهِ تُصِيبُهُ الآفَاتُ، وَالعُيُوبُ، وَالنَّقْصُ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾[الإخلاص: ١ – ٤].

هو سبحانه الواحد الأحد ، الذي ليس كمثله شيء : ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى: ١١].

هو سبحانه الحي القيوم وحده لا شريك له : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر: ٦٥].

اللهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الحيُّ، وَكُلُّ مَا سِوَاهِ يَمُوتُ، هو الْقَيُّوم، وكلُ ما سواه يغْفل وينامُ : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾[آل عمران: ٢].

هُوَ سبحانه المستعان، الَّذِي يُعِينُ كُلَّ مخْلُوقٍ، هُوَ سُبْحَانَهُ الكَبِيرُ الَّذِي لا أكبرَ منه، هُوَ العَظِيم الَّذِي لا أعْظَمَ مِنْهُ، هو الجَبّار الَّذِي لا أجْبرَ مِنْهُ، هُوَ العَلِيمُ الَّذِي لا أعْلَمَ مِنْهُ، هُوَ الرّحْمن الَّذِي لَا أَرْحَمَ مِنْهُ : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾ [الحج: ٦٢].

هُوَ الرءوف الَّذِي لَا أَرْأَفَ مِنْهُ، هُوَ القَدِير الَّذِي لَا أَقْدَرَ مِنْهُ، هُوَ اللّطِيف الَّذِي لا أَلْطَفَ مِنْهُ، هُوَ البارئ الَّذِي لَا أَبْرَأَ مِنْهُ، هُوَ الكَرِيم الَّذِي لَا أَكْرَمَ مِنْهُ، هُوَ الجَمِيل الَّذِي لَا أَجْمَلَ مِنْهُ : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

هو سُبْحَانَهُ الواحد الأحد، القادرُ على كُلِّ أحد ، الخالقُ لكُلِّ أحد، الغَنّي عن كُلِّ أحد ، المالكُ لكُلِّ أحد ، القَائِمُ على كُلِّ أحد ، المُحْسِنُ إلى كُلِّ أحد.

هو الواحدُ الأحَد، الذي لا يحتاج إلى أحدٍ ، الْأَحَد الَّذِي يحتاجُ إليه كُلُّ أحد : ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾[البقرة: ١٦٣].

هُوَ سُبْحَانَهُ الغَفّار، الَّذِي يغفرُ الذنوب جميعا، السّتِير، الَّذِي يسترُ العيوبَ كُلَّها. هُوَ سُبْحَانَهُ العَفُو، الَّذِي يعفو عن السيئاتِ، هُوَ التّوابُ، الَّذِي يقبلُ التَّوبةَ من

عبادهِ، هُوَ المُحِيطُ، الَّذِي أحاطَ بِكُلِّ شيءٍ ، هُوَ الوَهْابُ، الَّذِي وهبَ كُلَّ شيءٍ، هُوَ المُعْطِي، الَّذِي أعطَى كُلَّ شيءٍ، هُوَ الهادِي، الَّذِي هدَى كُلَّ شيءٍ هُوَ المبِين، الَّذِي بَيْنَ كُلَّ شيءٍ، هُوَ الصَّمَد، الَّذِي يَصْمُدُ إليه كُلُّ شيءٍ، هُوَ السَّمِيعُ، الَّذِي يَسمعُ كُلَّ شيءٍ، هُوَ البَصِيرُ، الَّذِي يُبْصرُ كُلَّ شيءٍ، هُوَ الخَبِيرُ، الَّذِي لا يخْفَى عليه شيءٍ، هُوَ العَلِيّ، الَّذِي علا فوق كُلِّ شيءٍ، هُوَ المُهَيْمِنُ، الَّذِي هَيْمَنَ عل كُلِّ شيءٍ، هُوَ المتِينُ، الَّذِي بيدهِ كُلُّ شيءٍ ،وعندَه خزائنُ كُلِّ شيءٍ، هُوَ المُصَوِّرُ، الَّذِي صَوَّرَ كُلَّ شيءٍ، هو الحَكِيمُ، الَّذِي أحْكَمَ كُلَّ شيءٍ، وحكم كل شيء : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤].

هو سُبْحَانَهُ الْأَوَّلُ قبلَ كُلِّ شيءٍ، الْآخِرُ بعدّ كُلِّ شيءٍ، الظَّاهِرُ فوقَ كُلِّ شيءٍ الْبَاطِنُ، دونَ كُلِّ شيءٍ : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣].

هو سُبْحَانَهُ المَلِكُ الحقِّ ، وكُتُبُهُ حق، ورُسُلُهُ حق، ودِينُهُ الحقِّ، ووعْدُهُ الحق، ولِقاؤه حق : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣٢].

هو سُبْحَانَهُ الرَّزَّاقُ لكُلِّ أحدٍ، البَرُّ بكُلِّ أحدٍ، القَرِيبُ من كُلِّ أحدٍ، الحَلِيمُ على كُلِّ أحدٍ، الشَّاكِرُ لكُلِّ أحدٍ، الرَّقِيبُ على كُلِّ أحدٍ، الشَّهِيدُ لكُلِّ أحدٍ ، المُجِيبُ لكُلِّ أحدٍ، المُحِيطُ بكُلِّ أحدٍ، الحَفِيظُ لكُلِّ أحدٍ، الوَتْرُ الذي ليس معه أحدٍ ، الوَارِثُ لكُلِّ أحدٍ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ

﴿ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٤﴾ [غافر: ٦٤].

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو سُبْحَانَهُ السَّبُوح ،الذي يسبح بحمده كُلُّ شيءٍ، القُدُّوسُ، الذي يقدسه كُلُّ شيءٍ، الحَمِيدُ، الذي يسبح بحمده كُلُّ شيءٍ، المَجِيدُ، الذي يمجده كُلُّ شيءٍ، الوَدُودُ الذي تودد إلى خلقه بأنواع النعم: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

هو سُبْحَانَهُ الوَاسِعُ، الذي وسع علمه، ووسع ملكه، ووسعت رحمته، كل شيء، الطَّيِّبُ، الذي طيب كُلَّ طيب، المُقَدِّمُ، الذي يقدم ما يشاء، والمُؤَخِّرُ ، الذي يؤخر ما يشاء : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ١١٥﴾ [البقرة: ١١٥].

هو سُبْحَانَهُ النُّورُ، الذي أنار كل شيء ، الرَّفِيقُ، الذي كل رفق منه، الشَّافِي، الذي بيده خزائنُ الشفاءِ وحده لا شريكَ له، الحَيِّي، الذي حياؤه كُلُّه بر وإحسان إلى عباده : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

هَذِهِ بَعْضُ أَسْمَاءِ الله الحسنى، وَصِفَاتُهُ العُلى، والله يحب من عباده أن يعبدوه بموجبها على شاكلَة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالله مؤمن يحب الإيمان وأهل الإيمان، والله شكور يحب الشكر وأهل الشكر، والله محسن يحب الإحسان وأهل الإحسان.. وهكذا في بقية الأسماء الحسنى.

## ٢ - أفعال الرب العظيم في ملكه العظيم.

مَا هِي أَفْعَالُ رَبِّكَ العَظِيمِ في ملكهِ العَظِيمِ ؟ : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

الله وحده له الخلق كُلُّهُ، وله الأمر كُلُّهُ، وله الملك كله.

**وأوامر الرب جل جلاله ثلاثةُ أقسامٍ :**

الأوامر الملكية الكونية..والأوامر الملكية الشرعية.. والأوامر الملكية الجزائية بالوعد والوعيد : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١]

وقال عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

**مَا هِي أَفْعَالُ رَبِّكَ العَظِيمِ ؟** : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

**مَا هِي أَفْعَالُ رَبِّكَ العَظِيمِ في ملكه العَظِيمِ ؟**: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النحل: ٨١].

وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾ [الملك: ٥].

**مَا هِيَ أَفْعَالُ رَبِّكَ القوي المتين ؟** : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر: ٤١].

وقال عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر: ٦ – ١٤].

**مَا هِيَ أَفْعَالُ رَبِّكَ القوي المتين ؟** : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النبأ: ٦ – ١٧].

وقال عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الفيل: ١ – ٥].

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

مَا هِيَ أَفْعَالُ رَبِّكَ العَظِيمِ ؟ : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ١٣ - ٢٠].

مَا هِيَ أَفْعَالُ رَبِّكَ الغني الكريم ؟ : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٠ - ١٨].

وقال عز وجل : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس: ٧١ - ٧٣].

وقال عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾[لقمان: ٢٠ – ٢١].

**مَا هِيَ أَفْعَالُ رَبِّكَ الحكيم الخبير ؟** : ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾[ق: ٦ – ٨].

وقال عز وجل : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢١].

وقال عز وجل : ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾﴾[الطارق: ٥ – ٨].

**مَا هِيَ أَفْعَالُ رَبِّكَ الحكيم الخبير العليم ؟** : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾[الأنعام: ٩٨ – ٩٩].

وما هي أَفعَالُ رَبِّكَ المَلِكُ الحق، الذي له ملك السموات والأرض، وله ملك ما في السموات والأرض، وله ملك ما بين السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض ، وله ملك العالم العلوي، وملك العالم السفلي، وله ملك عالم الغيب كُلِّه ، وملك

عالم الشهادة كُلِّه ، وله ملك الدنيا كلها ، وله ملك الآخرة كلها : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال عز وجل : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١].

هو جَلَّ جَلالُهُ بديع السموات والأرض : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١ –١٠٣].

**مَا هِي أَفْعَالُ رَبِّكَ المَلِكُ الحق المبين ؟ :** ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١٠ – ١١].

**ما سِعةُ مُلكِ رَبِّكَ العظيم ؟ :** ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٩٢].

مَا هِي أَفْعَالُ رَبِّكَ العليم ؟ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

وقال عز وجل: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال عز وجل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٩].

وقال عز وجل: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣ - ١٤].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

وما هِي أفْعَالُ ربِّكَ الخَلَّاق العليم ؟ : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

فالعرشُ شَيءٌ، والكُرسِي شَيءٌ، والسَّموات شَيءٌ، والملائكةُ شَيءٌ، والشَّمسُ والقَمرُ والنُّجُومُ شَيءٌ، والملائكةُ شَيءٌ، واللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٌ.

والأَرضُ شَيءٌ، والجبالُ شَيءٌ، والسُّهولُ شَيءٌ، والبِّحارُ شَيءٌ، والأَنْهارُ شَيءٌ، والإِنْسُ شَيءٌ، والجِنُّ شَيءٌ، والجمادُ شَيءٌ، والنَباتُ شَيءٌ، والحيوانات شيء، واللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ.

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

سُبْحَانَهُ هُو اللهُ الوَاحِدُ القهارُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

وإِذا عَرفْتُم ذلكَ أَحببتُمْ ربَّكُم، وحَمَدْتمُوهُ، وكَبَّرتمُوهُ، وعَظَّمْتُمُوهُ وعَبَدْتمُوهُ وحدهُ لا شريكَ لَهُ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس: ٣].

ومَا هي أفعالُ ربِّكَ القوي القادرِ؟: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ

رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور: ٤٣ – ٤٦].

وما هي أفعالُ ربِّكَ القوي القادرِ القهارِ ؟ : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩ – ١٢].

وما هي أفعالُ ربِّكَ القوي القادر القديرِ ؟ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًاۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠ – ٣٣].

وما هي أفعالُ ربِّكَ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ؟ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ [الرحمن: ١ – ٦].

وقال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠].

وقال سبحانه : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

وقال سبحانه : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

فهذهِ بعضُ أفعالِ ربِّكَ العظيمِ في مُلْكِهِ العَظِيمِ .

خلقّ سُبْحَانَهُ العَالمَ العلوي ،وخلقَ العالمَ السُفلي وخَلقَ عَالمَ الجمادِ ، وخلقَ عَالمَ النباتَ، وخَلقَ عَالمَ الحيوانَ، وخَلقَ عَالمَ الإنسِ، وخَلقَ عَالمَ الجِنِّ، وخَلقَ عَالمَ المَلائِكَةِ، وغَيْرَهُمْ مِنْ المَخْلُوقَاتِ التِي لا يعْلمُهَا ولا يحُصِيْهَا إلاَّ اللهُ وحده : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

فهذا الرَبُّ العظيمُ الَّذي خَلقَ هذهِ المَخْلُوقاتِ الْعَظِيمةِ، وأَنْعَمَ بِالنِّعَمِ العَظِيْمَةِ، هُو وحْدهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ، وأن يَذْكُرَ، وأن يشكرَ سُبْحَانَهُ : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فلا إله إلا الله كم أضل الشيطان من الخلق : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١].

## ٣- أفعال الرب العظيم ببني آدم

ومَا هي أَفعالُ ربِّك العظيمِ بِبَنِيْ آدم؟، وما هي أفعالُهُ بِأَولِيائِهِ ؟، وما هي أَفْعَالُهُ بِأَعْدائِهِ ؟.

فَأَفْعَالُ الربِّ بِبَنِي آدمَ أحسنُ الأفعالِ؛ فقدْ خَلقَهُمْ فِي أَحْسَنَ تقويمٍ، كما قال سبحانه : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ [التين:٤].

وخَلقَ أَباهُم آدمَ ﷺ بيدِهِ : ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾ [ص: ٧٥].

وزودَّ بَنِي آدمَ بِآلاتِ العِلمِ والمعرفةِ : ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

وقال سبحانه : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن: ١ - ٤].

وأمدَّهُمْ بِأَنْواعِ الأقواتِ : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل:٥٣].

وقال سبحانه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وسَخَّرَ لِبَنِي آدمَ مَا فِي السَّمواتِ ومَا فِي الأَرضِ ؛لِيَسْتَعِينُوا بذَلِكَ عَلَى عِبَادَتِهِ، ويُؤدُّوا شُكْرَ نِعْمَه : ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢ – ٣٤].

وقال سبحانه: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الجاثية: ١٢].

وأَكْرَمَ الله بَنِي آدمِ، وفَضَّلَهُمْ عَلَى غيرِهِم بِأحسنِ الفضائلِ والكراماتِ: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

وفَطَرَهُم سُبْحَانَه وتَعالَى عَلى التَّوحِيد والإيمان: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

وأَنْزَلَ عليهم سُبْحَانَهُ الدِّينَ الَّذِي يَسْعَدونَ بِهِ فِي الدُّنيا والآخرةِ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٦].

وأَكْمَلَ الله لهذه الأُمَّةِ الدِّينَ على يدِ أفضلِ رسولٍ، وآخرِ رسولٍ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وجَعَلَ الله هذهِ الأمَّةَ خيرَ أُمَّةٍ أخرجَتْ للنَّاسِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

[آل عمران: ١١٠].

وأَمَرَ سُبْحَانَهُ بَنِي آدمَ علَى لِسَانِ كُلِّ رسُولٍ بِالإيمانِ بِالله، وتوحيده، وامتثالِ أوامرِه، واجتنابِ نواهِيهِ ، ليسعدوا في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦].

فهذه أعظم أفعال الرب ببني آدم .

وأمَّا أَفْعَالَهُ بِأَولِيائِه فهو الرَّحمنُ الرَّحيمُ بهم في كُلِّ حَالٍ : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة:١٦٣].

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٤].

وهُو النَّاصِر النَّصِيرُ الَّذي يَنْصرُ منْ نَصَرَ دينَهُ : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

وقال جل جلاله : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[غافر: ٥١].

هو الجبَّارُ لأوليائهِ المُنْكَسِرين والمظلُومِين : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[النمل: ٦٢].

هو الرحمن الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[الحجر: ٤٩ – ٥٠].

وقال سبحانه : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

وهُو سُبْحَانَهُ الكريمُ الَّذِي يعطي المؤمنين عَلَى فعلِ الحَسنةِ عشرَ أمثالها، إلى سبعمائةِ ضِعْف، إلى أضعاف كثيرةٍ : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

هو الرب الكريم الذي يعطي من لدنه أجراً عظيماً بلا عمل من العبد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

وهو سبحانه الكريم الذي رفع درجات من آمن به وأطاعه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

هو سبحانه الكريم الذي وعد أولياءه بالجنة والرضوان: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

فهذه بعض أفعاله بأوليائه .

وأمَّا أفعالُهُ بأعدائِهِ، فهوسُبْحَانَه العزيزُ الجبارُ على الظالمين والمُجرِمين المُعتدِين : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

وقال عز وجل : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

وقالَ عزَّ وجلَّ عنْ الطُّغَاةِ والمُجرمِين، والكُفار والمُعانِدين والمُسْتكبِرين، من الأُمَم السَّابِقة : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ

ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ [الحاقة: ١ – ١٠].

ومِنْ أَفْعَالِهِ بِأَعْدائِهِ ما قالَه سُبْحانَهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٨ – ٤٦].

وقال عز وجل عن قوم لوط ﷺ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢ – ٨٣].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذه أفعاله في ملكه العظيم، وهذه أفعاله بأوليائه، وهذه أفعاله بأعدائه، هو الرب الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويعبد وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

وقال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

## ٤ - فضائل معرفة الله بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتُهِ وَأَفْعَالِهِ

معرفةُ الله عزَّ وجلَّ بأسمائهِ وصفاتهِ وأفعاله، أفضلُ العلومِ وأعظمُها، وأكبرُها وأوجبُها، وعبادتُه سُبْحَانَهُ بِموجِبِ هذهِ المعرفةِ أحسنِ الأعمالِ : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

وعبادةُ الله، والدعوةُ إليهِ، أحسنُ الأقوالِ والأعمالِ التي يَتَقربُ بِهَا العبدُ إلى ربِّه، وينالُ بِها أعظمَ الثوابِ بعدَ القدومِ عليهِ : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

إنَّ معرفةَ الله عزَّ وجلَّ بِأَسمائِهِ الحُسْنَى، وصِفَاتِه العُلَى، وأَفْعَالِهُ الجَمِيْلَةِ، أجلُّ المعارفِ عَلَى الإطلاقِ، وأَفضلُ العَطايا مِنْ الله لِعَبدِهِ، لأنَّها روحُ التوحيدِ، ولبُّ الإيمانِ ، وزبدةُ اليقينِ : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

وَمنْ فتحَ اللهُ لهُ هذا الباب العظيم، انْفَتَحتْ لَهُ أَبْوَابُ الدِّين كُلِّها.

أَبْوَابُ التَّوحيدِ الخالصِ، و أَبْوَابُ الإيمانِ الكاملِ، وأَبْوَابُ الإحسانِ، وأَبْوَابُ البِرِّ، وأَبْوَابُ التقوى، وأَبْوَابُ العملِ الصَّالحِ، وأَبْوَابُ الخُلقِ الحسنِ، وأَبْوَابُ الأَجرِّ العظيمِ : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: ٢١].

وأَحسنُ السُّبلِ إِلَى هذِه المَعارف العظيمةِ، النظرُ في الآياتِ الكونيةِ، والنظرُ في الآياتِ الشَّرعيةِ؛ فذلكَ أعظمُ مفتاحٍ لمعرفةِ الله بِأَسمائِهِ ،وصفاتِهِ وأفعالِهِ، واستحضارِ معانِيها ،وتحَصيلِها فِي القلوبِ، حَتَّى تتأثرَ القلوبُ بأَثارِها،

وتتصفُ بِصفاتِها : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

والقلبُ إذا امتلأَ بهذهِ المعارفِ الإلهية، جاءَ فيهِ حبُّ الله ، وتعظيمِه، والذُّلِ لهُ، وحُسْنُ عِبادَتِهِ، ثُمَّ انقادَتْ الجوارحُ معهُ في فِعلِ كُلِّ طاعةٍ ،وتَركِ كُلِّ مَعْصِيةٍ : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فَتَعَرَّفْ إلى ربِّكَ العظيمِ بالنّظرِ في آياتِهِ، ومخلُوقَاتِهِ، تَعْرِفْ ربَّكَ بِأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ ، وأَفْعَالِهِ ، ويَزِيدْ إيمانُكَ ،وتحْسُنْ عبادتُكَ ، وتَعْظُمْ أجورُكَ : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

فمعرفةُ أسماءِ العَظَمَةِ، والمجدِّ، والكبرياءِ، والجبروتِ، والجلالِ، لله عزَّ وجلَّ، تمْلأُ القلوبَ تعظيماً لله، وإجْلالاً لَهُ ،وتكبيراً لهُ ، وتعلقاً بِهِ، وتوحيداً له.

ومعرفةُ أسماءِ الجَمَالِ ، والبَرِّ ، والجودِ ، والإحسانِ ، واللطفِّ ، والرَّحْمَةِ، تمْلأُ القلبَ حُبّاً لله ،وشوقاً إليهِ ، وثناءً عليهِ ، وحَمْداً لهُ ،وحَيَاءً مِنْهُ .

ومعرفةُ أسماءِ العِزَّةِ، والقَهرِّ ، والقوةِ ، والقدرةِ ، والحكمةِ، تمْلأُ القلبَ خضوعاً لله ،وخشوعاً له ،وخوفاً منه، وانكساراً بينَ يَدَيهِ : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

ومعرفةُ أَسْمَاءِ الغِنَي والإحْسَانِ ؛ تمْلأُ القلبَ افتقاراً إلى الله، واضطِّراراً إِلَيْهِ، والتَّوكلِّ عليهِ، والاسْتِعَانَةِ بِهِ، وعَدمِ الالتفاتِ إلى غَيْرِهِ : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

ومعرفةُ أَسْمَاءِ الله العليم، والسميع، والبصير، والخبير، والرقيب، والشهيد، تمْلَأُ القلبَ مُراقبةَ الله فِي كُلِّ حَالٍ، وإحْسَانِ العِبَادَةِ، وحِراسَةِ الخَواطِرِ عنْ الأَفْكَارِ الرَّدِيْئَةِ، والإِرَادَاتِ الفَاسِدَةِ .

وجَمِيعُ هذهِ المَعَارِفِ الإلَهِيْةِ، تزيدُ الإِيمَانَ فِي القلبِ ، وتُثْمِرُّ للعبدِ كَمَالَ التعظيمِ لله، والذُّلَ لَهُ، والحُبَّ لَهُ، والحياءَ مِنْهُ، وتَعَلُّقَ القلبِ بِهِ ، وعَدَمَ الالتفاتِ إِلَى ما سواهُ ، والشَّوقَ إِليهِ ،والرَّجَاءَ لهِ، والخَوْفَ مَنْهُ، والإِنَابَةَ إِلَيْهِ، والتَّوكلَ عَلَيهِ، والأُنْسَ بِهِ، والفِرارَ مَنْ الخَلْقِ إِلَيهِ، وتوحيدَهُ، وإِخْلاصَ الْعَمَلِ لَهُ، وحُسْنَ عبادتِهِ، ودخولَ جَنَّتَهُ : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وكُلَّمَا قَويتْ هذهِ المعرفةِ استنارَ القلبُ بِنورِ العِلْمِ والإِيمانِ، ورأىَ بِهذا النُّورِ عظمةَ ربِّهِ، وإِنْعَامِهِ، وإِحْسَانِهِ، ولُطفِهِ، ورحمتِهِ؛ فَعظُمَ إِقبالُهُ على ربِّهِ واستسلامُهُ لشرعِهِ، ولزومُه أمرِّهِ، والبُعدُ عنْ نَهْيِهِ، وتجريدُهُ لتوحيدِهِ، وأُنْسِهِ بمناجاته : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

والله سبحانه يحبُّ أسماءَهُ الحُسْنَى، وصفَاتَه العُلى، ويُحُبُّ ظُهورَ آثارِها في خلقِهِ على شاكلة العبودية.

فهَو سُبْحَانَهُ واحدٌ يُحِبُّ التوحيدَ وأهلَهُ، عليمٌ يُحِبُّ العلم وأهلَهُ، جميل يُحِبُّ الجمال وأهلَهُ، مؤمن يُحِبُّ المؤمنين ، محُسِنٌ يُحِبُّ المحسِنين ، شَكُورٌ يُحِبُّ الشَّاكِرينَ ، كَرِيمٌ يُحِبُّ أَهْلَ الكرمِ ، بَرٌّ يُحِبُّ أَهْلَ البرِّ، عفوٌ يُحِبُّ أَهْلَ العفوِ ،

رَحِيمٌ يحِبُّ أَهْلَ الرَّحمَةِ ، تَوابٌ يحِبُّ التَّوابِين : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وإذا عَرَفْنَا اللهَ عزَّ وجلَّ بِأَسمائِهِ الحُسْنَى، وصِفَاتِهِ العُلَى، وأَفْعَالِهِ الحَمِيْدَةِ، عَبَدْنَاهُ بِمُوجِبِ تلكَ المعرفةِ؛ بِالحُبِّ لَهُ، والتَّعْظِيمِ لَهُ، والذُّلِ لَهُ، فَنُكَبِرُّ الكَبِيرَ، ونُعَظِمُ العظيمَ، ونُحِبُّ الكريمَ، ونَشْكُرُ المحسنُ، ونَحْمَدُ المنعمَ ، ونَسْتَعِينُ بِالقَادِرِ، ونَتَوَجَهُ إلى القوي، ونتعلقُ بالكبيرِ، ونخضعُ للقَهارِ، ونُطِيعُ الملكَ، ونُوَحِدُ الواحدَ، ونَسأَلُ المُجِيبَ، ونُرَاقِبُ الرَّقِيبَ، ونَسْتَحِيي مِنْ السَّمِيعِ البَصِيرِ : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

ونَسْأَلُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ أَنْ يَرّحمَنَا ، ونَسْأَلُ العفوَ أَنْ يَعْفوَ عنَّا، ونَسْأَلُ التَّوابَ أَنْ يَتُوبَ عَلَينَا، ونَسْأَلُ الغَفُورَ أَنْ يَغْفرَ لَنَا ذُنُوبَنَا : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

فاعرف ربك الواحد الأحد، تزهد في كل أحد : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

## ٥- ثَمَراتُ مَعْرِفَةِ الله بِأَسْمَائِهِ، وصِفَاتِهِ، وأَفْعَالِهِ

من أعظم ثمرات معرفة الله عز وجل:

**الأولى**: التعبدُ لله بِأَسْمَائِهِ وصفاتِهِ، فَإِذا عَلِمَ العَبْدُ أَنَّ اللهَ غفُورٌ، رحِيمٌ، حلِيمٌ، كرِيمٌ؛ سَأَلَ الغفُورَ أَنْ يغفرَ لهُ، وسأَلَ الرَّحِيمَ أَنْ يرحمَهُ، وسأَلَ الكريمَ أَنْ يُعْطِيَهُ، وهكذا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

**الثانية**: أنْ يتصفَ العبدُ بتلكَ الأَسْماءِ، والصِّفَاتِ على شَاكِلةِ العبوديةِ، فاللهُ يحُبُّ أَسْمَاءَهُ وصفاتِهِ، ويحُبُّ أَنْ يرى آثارَها في عبادِهِ، فيعفو العبدُ عمَّنْ أَساءَ إِلَيهِ، ويَغْفرُ لمنْ ظلَمَهُ، ويُعْطِي منْ سأَلَهُ، ويرحم عباده، ويحسن إليهم: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

ومنْ غفَرَ للنَّاسِ زلاتهم غفَرَ اللهُ لَهُ، وَمَنْ رَحمَهُم رَحمَهُ اللهُ، ومن عفا عنهم عفا الله عنه.

قال النبي ﷺ: «**الرَّاحمون يرحمُهم الرَّحمنُ، ارْحمُوا مَنْ فِي الأَرضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماءِ**» أخرجه أحمد والترمذي (١).

**الثالثة**: أنْ يَتعبدَ لله بِتِلْكَ الأَسْماءِ، فَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ سميعٌ؛ حَفِظَ لِسَانَهُ مِنْ كُلِّ مَا يُغْضِبُ اللهَ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ بصيرٌ؛ حَفِظَ جَوارِحَهُ مِنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللهَ وهكذا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

**الرابعة**: قُوةُ العِبادَةِ، فَمَنْ كَانَ باللهِ أَعْرفُ كانَ لهُ أَعْبَدُ، وكانَ لهُ أخْوفُ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٦٤٩٦)، والترمذي برقم (١٩٢٤).

**الخامسة**: محبَّةُ الله وتعْظِيمُهُ ؛ فَمَنْ عَرَفَ اللهَ بأَسْمَائِهِ ، وصِفَاتِهِ ، وأَفْعَالِهِ، أَحبَّهُ وحمَدَهُ وشَكَرَهُ، وَعظَّمَهُ وكَبَّرَهُ وَمجَّدَهُ : ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ** ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

**السَّادِسة**: دُعاءُ الله عَّز وجلَّ، وسُؤالِهِ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى، وذلِكَ أدْعَى للإِجَابَةِ : ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

فنقول يا عليم علمني، ويا رحمن ارحمني، ويا غفار اغفر لي، ويا تواب تب علي... وهكذا

ومَنْ عَرَفَ اللهَ عزَّ وجلَّ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وصِفَاتِهِ العُلَى وأَفْعَالِهِ الحَمِيدَةِ، رزقَهُ اللهَ التوحيدَ الكَامِلَ، والإِيْمَانَ الكَامِلَ ، واليقينَ الكَامِلَ، والعبادة الكاملة، والثواب الكامل : ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴿٢﴾ **ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ** ﴿٣﴾ **أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

**وتوحيدُ الله عزَّ وجلَّ لهُ ستةُ أركانٍ :**

الأول: تَوَحِيدُ الله بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى كَالعَلِيمِ، والقديرِ، والسَّمِيعِ، والبَصِيرِ وغيرَها مِنْ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى.

الثاني: تَوَحِيد الله بِصِفَاتِهِ العُلَى كالحياةِ، والسَّمعِ، والبَصرِ، والقدرةِ، وغيرها منْ الصفاتِ العُلى.

الثالث: توحيدُ الله بأفعالِهِ كالخلقِ، والرِّزقِ، والإحياءِ، والإماتةِ وغيرها.

الرابع: توحيدُ الرَبِّ بِأَفْعَالِ العَبْدِ كدُعَاءِ الله وحده، والتَّوكلِ عَلَيهِ، ومحَبَّةِ الله، والخوفِ مِنْهُ، وكالصلاة والصوم وسَائِر أَنْواعَ العبادةِ .

الخامس: توحيدُ رَّسولِه ﷺ بِالاتِبَاعِ في أَقْوالِهِ ،وأَفْعَالِهِ وأَخْلاَقِهِ.

السادس: توحيدُ القرآنِ بالاتباعِ، بتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

وكُلُّ ذلكَ يحْصلُ لِلعَبْدِ بِكَمَالِ مَعْرِفَةِ الله بِأَسْمَائِه وصِفَاتِه وأَفعَالِهِ:
وبقَدرِ تلكَ المعارفِ الإلَهيةِ، يَمْتَلِئ القَلبُ بنورِ التَّوحِيدِ والإيمانِ، ويَنْشَرِحُ الصدّرُ بجميعِ أنْواعِ الطاعاتِ ،وتَنْقَادُ الجوارح لجميعِ أنواعِ الأعْمَالِ الصَّالحِةِ التي يحُبُّها اللهُ ويرضَاهَا، مِنْ الأَقْوالِ، والأعمالِ، الظَّاهِرةِ والبَاطِنةِ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].
وبِهذِهِ المعارفِ العظيمةِ، يحْصلُ للعبدِ تَوحيدِ الله بِأَسْمائِهِ ،وصفاتِهِ وأفعالِهِ وتوحيده بالعبادةِ ، وتوحيدُ الرَّسولِ ﷺ بالاتباعِ، وتوحيدُ القرآنِ بالاتباع : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].
اللَّهم عَلِمْنا مَا يَنفعُنا، وانفعْنا بِما علَّمْتَنَا، إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ .
اللَّهم آتِ نفوسَنا تقواها، وزكْها أنتَ خيرُ منْ زكَّاها، أنتَ ولِيها ومولاهَا.
اللَّهم إِنَّا نَسْأَلُكَ نُفُوسًا مُطْمَئِنَّةً، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ، وتَرضَى بِقَضَائِكَ، وتقْنَعُ بِعطَائِكَ، وتَصْبِرُ علَى بَلائِكَ.
اللَّهم إِنَّا نسْأَلُكَ إِيماناً نَهتَدِي بِهِ، ونوراً نقتدي بِهِ، وأَعْمَالاً صَالحِةً تَرضَى بِهَا عَنَّا.
اللَّهم لكَ الحمدُ خلقتَنَا، ورزقتَنَا وهديتَنَا للإِسلامِ.
اللَّهم لكَ الحَمدُ حتَّى تَرضَى، ولكَ الحمدَ إِذا رضيتَ، ولكَ الحمدُ بعدَ الرِّضَى، فَأَهْلُ أنتَ أنْ تحْمَدُ، وأَهلُ أَنْتَ أنْ تُعْبَدَ، وأَنتَ أَهْلُ التَّقوى، وأَهلُ المغفرةِ، فاغفرْ لنا ما قدمْنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلَنا، أنت المقدِّمُ ، وأَنتَ المؤخرُ ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ .

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الثالثة

## كيفَ يزيدُ الإيمانُ في قلوبِنا ؟

### وتشتمل هذه البصيرة العظيمة علي المباحث الآتية :

الأول : فقه خلق الإنسان.

الثاني : فضل الفقه في الدين.

الثالث : حقيقة الإيمان.

الرابع : سبل تحصيل الإيمان.

الخامس : كيف يزيد الإيمان في القلب .

# البصيرة الثالثة

# كيفَ يزيدُ الإيمانُ في قلوبِنا

## ١ – فقه خلق الإنسان

يزيد الإيمان في القلب بأمرين، معرفة النفس، ومعرفة الرب.

فالله عزَّ وجل هو الخلَّاق العليم، الذي خلق الإنسانَ في أحسن تقويم، وخلق فيه مخلوقات عظيمة، وآيات عجيبة: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١].

وجعل الله هذا الإنسان مركباً من ثلاثةِ أشياء:

أحدها: جسدٌ غذاؤه الطعامُ والشرابُ.

الثاني: عقلٌ غذاؤه العلم والمعرفة.

الثالث: قلبٌ غذاؤهُ الإيمانُ، والموعظة، والذكر.

فمنْ عرفَ الله عزّ وجلّ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة، وعرفَ أوامره؛ تفانَى في طاعته، ومن عرف أوامر الله دون معرفته؛ تفنن في التفلت من أوامره: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

والدينُ كلُّهُ هو الاستقامة: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود: ١١٢].

وإذا كان حجمُ الإيمانِ في قلبِ العبدِ، أكبرَ من حجمِ الشهوةِ؛ حصلتْ الاستقامةُ، وإذا كانَ حجمُ الإيمانِ، أصغرَ من حجمِ الشهوةِ؛ حصلَ الانحرافُ.

فتصعُبُ الاستقامةُ إذا كان حجمُ الشهوةِ أكبرَ من حجمِ الإيمانِ.

وتَسْهُلُ الاستقامةُ إذا كانتْ قوةُ الإيمانِ أكبرَ من حجمِ الشهوةِ.
وكلما زادتْ معرفةُ العبدِ بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ودينه وشرعه؛ ووعده ووعيده، زادتْ الاستقامة، وقويت الأعمالُ الصالحة.
وكلما عرف الإنسانُ ربَّه أَحَبَّهُ، وحمدهُ وشكرهُ، وخشعَ قلبه لهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].
ومؤشرُ الاستقامة يتحركُ ويزيدُ مع مؤشر العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله بشكل دائم: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد: ١٩].
والله عز وجل برحمته يعطي الصحةَ، والعافيةَ، والذكاءَ، والمالَ، والجمالَ لكثيرٍ من النَّاس، ولكنّه لا يعطي الطمأنينةَ والسكينةَ إلاّ لأصفيائه المؤمنين: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح: ٤].
والله عز وجل خلق الإنسان، وركَّب فيه الشهواتِ، وما ركَّب الله فيه الشهواتِ إلَّا ليَرقَى بِهَا إلى الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].
وهذه الشهوات البهيمية إنْ صاحبها نور الإيمان، سارتْ بصاحبها على صراط مستقيم، وإن تجردتْ من الإيمانِ، سارتْ بصاحبها إلى الجحيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝١٢﴾ [محمد: ١٢].
فالشهواتُ البهيمية التي خلقها اللهُ في الإنسانِ والحيوان قوةٌ محركة إلي كل خير، وقوةٌ مدمرة لكل خير، حسب قوة الإيمان وضعفه، وحسب الإيمان والكفر: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].
والله عز وجل بحكمته ابتلى كل إنسان بأربعة أشياء هي:

النفس .. والهوى .. والشيطان .. والدنيا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

والله عز وجل أعطانا العقل ؛ لنعقلَ به أعظمَ شيء، وهو العلم بالله، وأسمائه وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ودينه، ووعده، ووعيده : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وأعطانا السمع ؛ لنسمعَ به أحسنَ شيء، وهو القرآن : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وأعطانا اللسان ؛ لنتكلمَ به بأعظمَ شيء، وأحسنَ شيء، وهو ذكر الله، والدعوة إليه، وتعليم شرعه كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وقال عز وجل : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال عز وجل : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

وأعطانا سبحانه الجوارحَ، وجعلها أماناتٍ في أيدينا، فالعقلُ أمانة، والقلبُ أمانة، والبصر أمانة ، والسمع أمانة ،والبدن أمانة ، والوقت أمانة.

وأمرنا بأداء الأمانة بالمسابقة والمسارعة إلى كل ما يحبّه اللهُ ويرضاه، من الأقوالِ والأعمالِ والأخلاق : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

لهذا لابد للعبد ليزيدَ إيمانه، ويقوى توحيده، أن يعيش في الجو الإيماني الذاكر، وينقطع عن الجو الغافل.

والجو الإيماني نستفيد منه خمسة أمور:

نتعلم الدين، ونعمل بالدين ، ونثبت على الدين، ونترقى في الدين، وننشر الدين : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

هذا الجو الإيماني الذاكر، هو الذي يكون فيه ذكر الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وذكر خزائنه، ووعده ووعيده، ودينه وشرعه : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

فالجو الذاكر هو مكان تقوية الإيمان، والمربي فيه الرحمن، أمَّا الجو الغافل فهو أكبر مصنع للمعاصي، والمُربي فيه الشيطانُ : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧].

والغفلة تكون بثلاثة أشياء:

تكون بالغفلة عن الله، والغفلة عن أوامر الله، والغفلة عن اليوم الآخر.

وإذا غفلَ العبدُ عن الله عز وجل، وعن أوامره ؛ اصطادهُ الشيطانُ، فتمرغَ في الشهواتِ، وأعرضَ عنْ دين الله : ﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

# ٢ – فضل الفقه في الدين

لابد من الفقه في الدين، ليعبد المسلم ربه على بصيرة، بكمال الحب والتعظيم والذل لله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرَاً يُفَقِّهْهُ فِيْ الدِّيْنِ» متفق عليه[١].

والفقه في الدين على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى والكبرى: الفقه في أسماءِ الله وصفاتِه ،و أفعالِه ، ومعرفة خزائنه، ووعده ووعيده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

الثانية: الفقه في جهد الأنبياء الذين أرسلَهُم اللهُ، لإخراجِ النّاس من الظلماتِ إلى النّور كما قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم: ٤١].

وقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم: ٥٤].

وقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ [مريم: ٥١].

وقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم: ٥٦].

أذكرْ هؤلاءِ، لتعرفَ جهدهم، وتوحيدَهُم، وإيمانهم، وأخلاقِهم، ودعوتِهم،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، وأخرجه مسلم برقم (1037) .

فتقتدي بهم في كل ذلك : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

الثالثة: الفقه في أوامر الله الشرعية، ومعرفة ما أمر الله ورسوله به، ومعرفة ما نهى الله ورسوله عنه.

فهذه درجات الفقه في الدين، الفقه في أسماء الله وصفاته وأفعاله، والفقه في جهد الأنبياء، لنقتدي بهم في الدعوة إلى الله، ثم الفقه في أوامر الله الشرعية، لنعبد الله بما جاءَ عن الله ورسوله : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر: ٧].

# ٣- حقيقة الإيمان

الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكتهِ، وكتبهِ، ورسلهِ، واليوم الآخر، و تؤمن بالقدرِ خيره وشره وتعملُ بمَقتضى ذلك .

فالإيمانُ قولٌ وعمل، قولُ القلبِ واللسان، وعملُ القلبِ واللسان والجوارح، يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالمعصية .

فلا بد للمسلم من العلم بأمرين عظيمينِ هما :

الأول: كيف يأتي الإيمان في قلوبنا ؟ .

والثاني :كيف يزيدُ الإيمان في قلوبنا، لتزيد الطاعات والتقوى لله عز وجل ؟

ودرجاتُ الإيمان في قلوبِ المؤمنين ثلاث :

فالإيمان له طعمٌ، وله حلاوةٌ، وله حقيقة .

أما طعمُ الإيمان فقد بينهُ النبي ﷺ بقوله: « **ذاقَ طعمَ الإيمانِ من رضيَ باللهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلم نبيا**» أخرجه مسلم[١].

وأما حلاوةُ الإيمان فبينها النبي ﷺ بقوله: « **ثلاثٌ منْ كنَ فيه وجدَ حلاوة الإيمان أن يكون اللهُ ورسولهُ أحبُ إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار** » متفق عليه[٢].

وأما حقيقةُ الإيمان فتحصل لمن كان عنده كمالُ اليقين، وحقيقة الدين، وقام بجهد الدين ، عبادةً و دعوةً، وهجرةً ونصرة ، وبذلاً وتركا.

ولا يبلغ عبد حقيقة الإيمان، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه : ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦)، وأخرجه مسلم برقم (43) .

يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾[الأنفال: ٧٢].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات: ١٥].

وأعلى درجاتُ الإيمان هو اليقين ، لأنه إيمانٌ لا شك معه ولا تردد ، وذلك بأن تتيقن ما غاب عنك، كما تشاهد ما حضر بين يديك ، على حد سواء فتعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فأنه يراك ، وهذا هو مقامُ الإحسان، أعلى مراتب الدين : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك: ١٢].

فإذا صار ما أخبرَ اللهُ به من الغيب فيما يتعلق بالله وأسمائهِ وصفاته وأفعاله، و ملائكتهِ، وكتبهِ، ورسلهِ، واليوم الآخرِ، والقدر، بمَنزلة المشاهد، فهذا هو كمالُ اليقين، وحقُ اليقين: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة: ٩٥–٩٦].

والأصل الإيمان بالله عز وجل، وما سوى ذلك من أركان الإيمان فهي فروعه التي تُمِدُ أصوله : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

والإيمان بالله كالشجرةِ الطيبة في أصلها وثمرتها ،أصلها ثابتٌ في أرضِ القلب، وفروعها باسقةٌ في السماء، تُؤْتي أكلها كل حين بإذن ربها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ

﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

**والإيمانُ أركانه ستة كما أجاب النبي ﷺ جبريل حين سأله عن الإيمان فقال:** « أن تؤمن باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ وتؤمن بالقدرِ خيره وشره » متفق عليه (١).

والإيمان تصديق وتطبيق، فهو يشمل اعتقاد القلب، وأعماله، وأقوال اللسان، وأعمالُ الجوارح .

قال النبي ﷺ : « **الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياءُ شعبةٌ من الإيمان** » متفق عليه(٢).

فكل ما يحبهُ الله ويرضاه من واجبٍ ومستحبْ، داخلٌ في مسمى الإيمان، والإيمان أعلاه قول لا إله إلا الله، وأدناه إماطةُ الأذى عن الطريق، وما بين ذلك هو الحياء ، والحياء هو السبب الأقوى للقيام بجميع شُعب الإيمان .

فالمؤمنُ حقا من استحيا من الله، لما عرفه من عظمةِ جلالهِ وجمالهِ، وعظمةِ نعمهِ وإحسانه، وعظمةِ ملكه وسلطانه، وعرف تقصيره في حق الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

وهذه المعارف الكبرى، تُوجب للعبد الحياء من ربه، والبعد عن المعاصي والمحرمات، والقيام بالواجباتِ والمستحبات : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة: ١٥ –١٧].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠)، وأخرجه مسلم برقم (9) .

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٩)، وأخرجه مسلم برقم (35) .

فأعلى شُعب الإيمان وأصلها، أن يقول العبد لا إله إلا الله خالصا من قلبه، بحيث يتيقن إنه لا يستحق هذا الوصف العظيم إلا الله وحده لا شريك له، ويعبد الله بمقتضى هذا اليقين الصادق: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وشُعب الإيمان السبعونُ بعضها يرجعُ إلى الإخلاص للمعبود الحق سبحانه، وبعضها يرجع إلى الإحسان للخلق، وفي ذكر إماطة الأذى عن الطريق تنبيهٌ على جميع أنواع الإحسان القولي والفِعلي للخلق، من جلب المنافع، ودفع المضار عن الخلق، ولكل مسلم من هذه الشعب حظٌ وأجر، بحسب علمه وعمله وقدرته : ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة: ٧١].

وحقيقةُ الإيمان التي يتحقق بها وعد الله للمؤمنين هي كمال اليقين على ذات الله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى، وأفعاله الحميدة، والتعبد لله بموجب ذلك .

فإذا استقرت هذه الحقيقة في القلب، أعلنت عن نفسها في صورة أقوالٌ وأعمال صالحة، موجهةٌ إلى الله وحده، بحيث لا يبقى معها هوى في النفس، ولا شهوةٌ في القلب، ولا ميل في الفطرة، إلا وهو تبع لما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وحقيقةُ الإيمان بالله عز وجل هي مقصود الله من خلقه، وتقوم على أصلين، الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله عز وجل: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ

بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وكمال الإيمان في قلب العبد يحصلُ بمعرفة أركانِ الإيمان الستة، والنظر في الآياتِ الكونية، والآياتِ القرآنية، وكلما ازدادت تلك المعارف، قَوِي الإيمانُ بالله، وزاد تعظيمُ العبدِ لربه، وزاد حبه له، وخَفت عليه الطاعات، وثَقُلت عليه المعَاصي: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

والمحبة التامة لله ولرسولهِ تستلزمُ وجود محبوباته، ومحبتها، والعمل بها، ونشرها: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

فإذا كان حُب المسلم لله، وبُغضهِ لله، وهما عملُ قلبه، وعطاؤه لله، ومَنعُه لله، وهما عَملُ بدنه، دل ذلك على كمال الإيمان، وكمال محبة الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال عز وجل: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١].

وكلما قوى الإيمان في القلب، سارعت الجوارح إلى الأعمال الصالحة، فنال العبد أحسن الثواب: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

# ٤ - سبل تحصيل الإيمان

الأصلُ الأول الذي يجب أن نعرفه : هو كيف يأتي الإيمان بالله عز وجل في قلوبنا ؟

**يأتي الإيمان في قلوبنا ويتحقق بمعرفة أربعة أمور :**

**الأول: الإِيمانُ بوجودِ الله تعالى :**

فقد فطر الله كل مخلوق على الإيمان بخالقه كمال قال سبحانه : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠].

ودل العقل كذلك على أن لهذا الكون خالقا ، فإن هذه المخلوقات العظيمة، لابد لها من خالق أوجدها ، وهي لا يمكن أن تُوجد نفسها بنفسها ؛ ولا أن تُوجد صُدفة ؛ فتعين أن يكونَ لها مُوجد وهو الله رب العالمين ، كما قال سُبحانه : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الطور:٣٥-٣٦].

ودل الحِسُ كذلك على وجود الله سبحانه، فإننا نرى تقليب الليل والنهار ، ورزق الإنسانِ والحيَوان ، وتدبير أُمور الخلائق ، مما يدل دلالة قاطعة على وجودِه تعالى : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور:٤٤].

والله سبحانه أَيد رُسله وأنبياءه بآيات ومعجزات، رآها الناس أو سَمِعوا بها، وهي أمور خارجة عن قدرة البشر ، ينصر الله بها رُسله، ويؤيدهم بها .

وهذا برهان قاطع على وجود مُرسلهم، وهو الله عز وجل، كما جعل الله النار برداً وسلاماً على إبراهيم ﷺ ، وفلق البحر لموسى ﷺ، وأَحي الموتى لعيسى ﷺ ، وشق القمر لمحمد ﷺ .

فلا ريب ولاشك في وجود ربنا عز وجل : ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [إبراهيم : ١٠].

وكم أجاب الله من الداعين ، وأعطى السائلين ، وأغاث المكروبين ، مما يدل دلالة قاطعة على وجوده سبحانه : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال:٩].

وقال عز وجل: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

ودل الشرع كذلك على وجود الله سبحانه :

فالأحكام العظيمة العادلة، المتضمنة لمصالح الخلق، والتي أنزلها الله عز وجل في كتبه على أنبيائه ورسله، دليل قاطع على أنها من رب حكيم قادر، عليم بمصالحِ عباده : ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود: ١].

**الثاني : الإيمان بِأن الله هو الرب وحده لاَ شَرِيكَ لَهُ :**

والربُ هو الذي يستحق أن يعبد ، وهو الملك الذي بيده الملُك ، و له الخلق كله ، وله الأمر كله ، فلا خالق إلا الله ، ولَا مالك إلا الله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠].

له وحده ملك السموات والأرض ، وله ملك مَا فِي السَّموات وَالْأَرْض، وله ملك ما بين السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض ، وله غيب السموات والأرض ، وله جنود السموات والأرض ، وله مقاليد السموات والأرض ، وله ميراث السموات والأرض: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فنعلم ونتيقن أن الله عز وجل هو الرب الذي خلق المخلوقات، وأوجد الموجودات وصور الكائنات، فنعبده وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

فهو سبحانه الخلّاق الذي خلق كل شيء بقدرته، ليس له وزير ولا مشير ولا معين، سبحانه هو الرب الواحد القهار: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

ونعلم ونتيقن كذلك أن الله سبحانه رب عليم قدير على كل شيء، محيط بكل شيء، مالك لكل شيء: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠].

يعلم سبحانه ما في السموات، وما في الأرض، عالم الغيب والشهادة، الكبير المتعال، يعلم مثاقيل الجبال، ويعلم مكاييل البحار، ويعلم عدد قطر الأمطار، ويعلم عدد ورق الأشجار، ويعلم عدد ذرات الرمال، ويعلم ما أظلم عليه الليل، وما أشرق عليه النهار: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ونعلم ونتيقن أن الله جل جلاله كل يوم في شان، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يدبر الأمر، ويرسل الرياح، وينزل الغيث، ويحيّ الأرض بعد موتها، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويحيّ ويميت، ويعطي

ويمنع ، ويرفع ويضع : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ ﴾ [آل عمران :٢٦-٢٧].

ونعلم كذلك ونتيقن أن خزائن كل شيء عند الله وحده لا شريك له : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾ [الحجر :٢١].

وإذا علمنا ذلك، وتيقنا على قدرة الله ، وعظمة الله ، وقوة الله ، وكبرياء الله، وعلم الله ، وملك الله العظيم ، وخزائنه الواسعة ، وعلى رحمة الله ، ووحدانية الله ، أقبلت القلوب إليه، وانشرحت الصدور لعبادته ، وانقادت الجوارح لطاعته ، ولهجت الألسن بذكره ، وتعظيمه ، وتكبيره ، وتسبيحه ، وحمده ، وشكره ، فلا تسأل إلا إياه ، ولا تستعين إلا به ، ولا تتوكل إلا عليه ، ولا تخاف إلا منه ، ولا تعبد إلا إياه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام :١٠٢].

**الثالث : الإيمان بألوهيته سبحانه**

فنعلم ونتيقن أن الله وحده هو الإله الحق لا شريك له ، وأنه وحده المستحق للعبادة ، فهو رب العالمين ، وإله العالمين ، ونعبده بما شرع مع كمال الذل له ، وكمال الحب له ، وكمال التعظيم له ، فكما خضعنا لربوبيته خلقًا وتدبيرًا ، فيجب أن نخضع لألوهيته أمرًا وشرعًا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

ونعلم ونتيقن أن الله كما أنه واحد في ربوبيته لا شريك له ، فكذلك هو واحدٌ في ألوهيته لا شريك له ، فنعبده وحده لا شريك له ، ونجتنب عبادة ما سواه : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦].

فالله عز وجل هو الإله الحق ، وكل معبود من دون الله فألوهيته باطله ، وعبادته باطله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج:٦٢].

**الرابع : الإيمان بأسماء الله وصفاته**

ومعناه ، فهمها، وحفظها ، والاعتراف بها ، والتعبد لله بها ، والعمل بمقتضاها ، فمعرفة أوصاف العظمة لله ، والكبرياء ، والمجد، والجلال، تملأ قلوب العباد هيبةً لله، وتعظيمًا له، وإجلالاً له.

ومعرفةُ أوصافَ العزّة لله، والقوة، والقدرة، والقهر، والجبروت، تملأُ القلوبَ ذلةً وانكساراً، وخضوعاً لِربِّنا الْوَاحِدِ القَهارِ .

ومعرفةَ أوصافَ الرَّحمةَ، والبرِّ ، والجودِ، والكرمِ، والعفو، تملأُ القلوبَ حباً لله، وشكراً له، ورغبةً وطمعاً في فضلِ الله وإحسانِهِ وجودِهِ.

ومعرفةَ أوصافِ الْعِلْمِ والإحاطةِ، تُوجبُ للعبدِ مراقبةَ ربِّه فِي جميعِ حركاتِه وسكناتِه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

ومعرفةً مجموع هذهِ الصفاتِ العظيمةِ، تُوجبُ للعبدِ تعظيمَ الله ،ومحبةَ الله ، والشوقَ إليه، والأُنْسَ بِهِ ،والتوكلَّ عليه ، والتقربَ إليه بِعبادتِهِ وحدِه لا شريكَ

له : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

ونثبتُ لله عزَّ وجلَّ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ ، أو أَثْبَتَهُ لَهُ رسولُه ﷺ من الأسماء الحسنى، والصفاتَ العلى، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسولُه ﷺ، ونثبتُ تلكَ الأسماءُ الحسنى، والصفات العلى، على ما يليقُ بجلال الله سبحانه، من غيرِ تحريفٍ، ولا تعطيلٍ ،ولا تكييفٍ، ولا تمثيلٍ ، ولا تشبيه، على حد قوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

ونعلمُ ونتيقنُ أنَّ اللهَ وحدَهُ لَهُ الأسماءُ الحسنى، والصفاتُ العلى، وندعُوهُ بِها : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

**وقال النّبي ﷺ:** «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مِائَةً إِلّا وَاحِدَةً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » متفق عليه (١).

**فالمؤمنُ حقاً منْ امن بهذه الأصول الأربعةِ :**

الإيمانُ بوجود الله تعالى، والإيمانُ بأنَّ الله هو الربُّ وحده لا شريك له، والإيمانُ بألوهية الله سبحانه، والإيمانُ بأسماء الله وصفاته .

هذا الإيمانُ العظيمُ هو الذي يُثْمِرُ حُبَّ الله ،وتعظيمُه، وطاعتُه ،وحُسنُ عبادتِهِ : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥].

وإيمانُ الخلق على ثلاثِ درجاتٍ :

الدَّرجةُ الأولى : إيمانُ الملائكة، وهؤلاء إيمانهم ثابتٌ لا يزيدُ ولا ينقصُ، لكمال معرفتهم بالله عز وجل فهُم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

﴿يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم :٦].
الدَّرجةُ الثانيةُ : إيمانُ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ ، وهؤلاءِ يزيدُ إيمانُهُمْ ولا ينقصُ ؛ لكمالِ معرفتِهم بالله، وهم درجاتٌ متفاوتةٌ : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء :٩٠].
الدرجةُ الثالثةُ :إيمانُ سائرِ المسلِمِينَ يزيدُ بالطاعةِ ، وينقصُ بالمعصيةِ .
وهم درجاتٌ في الإيمان ، ودرجاتٌ في الأعمال، ودرجاتٌ في الثواب : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].
وأولُّ درجاتِ الإيمانِ تجعلُ المسلمُ يحبُّ اللهَ ، ويعظمُهُ ،ويؤدي العبادةَ للهِ عزَّ وجلَّ ، ويتلذذُ بِهَا ، ويحافظُ عليها .
ولحُسْنِ المعاملةِ معَ أمثالِه مِن النَّاس يحتاجُ إلي إيمان أقوى، يحجزُهُ عنْ الظلمْ لِنَفْسِهِ ولِغَيرِهِ ، ولحُسْنِ المعاشرة لمَِنْ دونه من الخلق ، كالحاكمِ مع رعيتِه ، والمُديرِ مع موظفيهِ ، والرّجلِ مع أهلِه، يحتاجُ إلى إيمانٍ أقوى؛ يحجزُهُ عنْ الظلمِ لمن دونَهُ.
وكلَّمَا زادَ الإيمانُ زاد اليقينُ ، وزادَ العملُ الصالحُ ، وزاد الثواب، وصار العبدُ يؤدي حقَّ الله، وحقوقَ عبادِه، فهو حسنُ الخُلقِ معَ الخالقِ ، ومعَ المخلوقِ ، فهذا بأرفعِ المَنازلِ في الدُّنيا والآخرةِ : ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾[المجادلة: ١١].
فأهلُ الإيمان متفاوتون فيه تفاوتا عظيما، بحسب علمهم وإيمانهم، فإيمان الأنبياء ليس كإيمان غيرهم، وإيمان الصحابة رضي الله عنهم ليس كإيمان

غيرهم ممن جاء بعدهم، وإيمان المؤمنين الصالحين ليس كإيمان الفاسقين : ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣].

وهذا التفاوتُ العظيمُ بحسبِ ما في القلبِ منْ العلمِ بِاللهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ وما شرعَهُ لِعِبادِهِ، ومنْ خشيةِ الله وتقواه .

وتفاوتِ نورِ لا إله إلا الله في قلوبِ أهلِهَا لا يحصيهِ إلَّا اللهَ تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وأَعْرَفُ الخلقِ بالله أشدَّهُمْ حُبّاً لَهُ ، ومحبّةَ الله لذاته وإحسانه وجماله وجلاله أصل العبادة، وكلَّمَا قَوِيتْ المحبةُ كانتْ الطاعةُ أتمَّ، والتعظيمُ أوفرَّ، والسرورُ والأنسُ بالله أكملَ : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

والإيمانُ في قلوبِ المُؤمنينَ على ثلاثِ درجاتٍ :

إيمانٌ موجودٌ .. وإيمانٌ مفقودٌ .. وإيمانٌ مطلوبٌ

والإيمانُ بالله هو مرادُ الله منْ خلقِه، والإيمان له أركانٌ وشعبٌ .

والمؤمنُ مأمورٌ أنْ يجتهَدَ لزيادةِ إيمانِه كمَا يجتهدُ لزيادةِ مالِه، ليضيفَ إلى الإيمانِ المُوجودِ الإيمانَ المفقودَ، وبذلك يصلُ إلى الإيمانِ المطلوبِ الْذِي يحصلُ بِهِ الموعودُ كمَا قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

## ٥ - كيف يزيد الإيمان في القلب؟

أساسُ الدِّينِ هو الإيمانُ بالله عزَّ وجلَّ، واليقينُ على ذاتِهِ، وأسمائِهِ ،وصفاتِه، وأفعالِه، وخزائنِه ،ووعدِهِ ،ووَعيده والعملِ بموجب ذلك : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

وجميعُ الأعمالِ والعباداتِ مبناها وقبولُها مبني على هذا الأصلِ العظيمِ .

وإذا ضعُفَ هذا الإيمانُ ونقصَ، ضعُفتْ الأعمالُ والعباداتُ، فساءتْ الأحوالُ، ثم جاءَ سخطُ الله، ثمّ نزَّلتْ عقوبتُهُ بمن عصاه .

والإيمانُ باللهِ أفضلُ الأعمالِ ، ولتحصيل هذا الإيمان وزيادته، لابدَّ من أربعة جهود :

جُهْدٌ على تحصيلِ الإيمان .. ثمَّ جُهْدٌ على حفظهِ .. ثمَّ جُهْدٌ على الاستفادةِ منه .. ثمَّ جُهْدٌ على نشرِّه .

ومنْ قامَ بهذهِ الجهودِ الأربعة هداهُ اللهَ إلى سُبلِ رضَاه : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقالَ النَّبي ﷺ حينَ سُئِل : أيُّ الأعمال أفضل ؟ قال : «إيمانٌ باللهِ ورسولِهِ، قيلَ : ثمَّ مَاذا ؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل : ثم ماذا ؟ قال:حج مبرور» متفق عليه [١].

والإيمانُ يزيدُ بالطاعاتِ، وينقصُ بالمعاصِي : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤﴾ [الفتح:٤].

**وحتَّى يقوى الإيمانُ في قلوبِنا ويزيدُ لابدَّ من العلم بأمور :**

الأول: أنْ نعلمَ ونتيقنَ أنّ خالقَ كلِّ شيءٍ هو اللهُ وحده لا شريك له، ظاهراً

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥١٩)، وأخرجه مسلم برقم (٨٣).

كان أو باطناً ، صغيراً كان أو كبيراً، متحركاً كان أو ساكناً.
فخالقُ السماءِ هو اللهُ ،وخالقُ الأرضِ هو اللهُ، وخالقُ العرشِ هو اللهُ ، وخالقُ الكرسي هو الله، وخالق الملائكة هو اللهُ، وخالقُ النُّجوم هو اللهُ، وخالقُ البِحارِ والجِّبالِ هو الله ،وخالقُ الجن والإنس هو الله، وخالق الطيور والحيوانات هو الله، وخالقُ النباتِ والجمادِ هو الله ،وخالقُ الجنَّة هو اللهُ ، وخالقُ النَّارِ هو اللهُ، فلابدَّ للقلبِ أنْ يتيقنَ على جميع ذلك: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر:٦٢ -٦٣].
فالعرشُ شيءٌ، والسماواتُ شيءٌ ،والأرضون شيءٌ ،والشمسُ شيءٌ، والقمرُ شيءٌ، والنجوم شيء، واللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ .
والهواءُ شيءٌ ،والماءُ شيءٌ، والبحارُ شيءٌ، واللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ. والجبالُ شيءٌ، والنَّاسُ شيءٌ، والملائكةُ شيءٌ، والجنُّ شيءٌ ،والحيواناتُ شيءٌ، واللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ.
والطيورُ شيءٌ، والجماداتُ شيءٌ، والذراتُ شيءٌ، واللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ ، القادرُ على كلِّ شيءٍ، العليمُ بِكُلِّ شيءٍ : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ –١٠٣].
فنتكلَّمُ بذلكَ، ونسمعُهُ ،ونفكرُ به، ونكررهُ، وننظرُ في الآياتِ الكونيةِ ،والآياتِ القرآنيةِ ، نظرَ اعتبارٍ، وتفكرٍ ؛ حتَّى يرسخَ الإيمانُ في قلوبنا، وقدْ أمرَّنَا اللهُ بذلكَ بقوله : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس:١٠١].
وقال سبحانه : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].
الثاني : أن نعلمَ ونتيقنَ أن اللهَ خلقَ المخلوقاتِ، وخلقَ فيها الأثر.

فخلقَ العين، وخلقَ فيها الأثرَ وهو البصرُ، وخَلَقَ الأُذن ، وخلقَ فيها الأثرَ وهو السمعُ ، وخَلَقَ اللسانَ ،وخَلق فيه الأثرَ وهو الكلامُ ، وخَلَقَ الشَّمس ،وخلقَ فيها الأثرَ وهو النورُ .. وخَلَقَ النَّار ،وخلقَ فيها الأثرَ وهو الإحراقُ .. وخَلَقَ الشجرَ، وخلقَ فِيه الأثرَ وهو الثمرُ ، وهكذا : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾[الحشر: ٢٤].

الثالث : أن نعلمَ ونتيقنَ أن الذي يملكُ جميعَ المخلوقاتِ، و يتصرفَ فِيها ويدبرَها، هو الله وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾[الملك:١].

فكلُّ ما في السَّمواتِ والأرضِ من المخلوقاتِ، كبيرهم وصغيرهم، كلُّهم عبيدٌ فقراءُ إلى الله، لا يملكونَ لأنفسِهم نفعاً ولا ضراً ولا نصراً، ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولاَ نشوراً .

فاللهُ مالكهم، وهم محتاجون إليه، وهو غَنيٌّ عنْهم، وهم فقراءُ إليه : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾[فاطر:١٥].

وهو سُبحانُه الملك القادر الذي يُصرفُ الكونَ، ويُدبِّرُ أُمورَ جميعَ خلقِهِ .

فالذي يتصرفُ في السَّمواتِ والأرضِ، وفي الليل والنهار، وفي الأنهار والبحار، وفي النَّار والماء، وفي الهواء والرِّياح ،وفي الأنْفُس والنَّباتِ ، وفي الكواكبِ والجماداتِ ، وفي الرؤساء والوزراء ، وفي الأغنياءِ والفقراء ، وفي الأقوياء والضعفاء ، وغيرهم، هو الله وحده لا شريك له : ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾[هود:٥٦].

وهم جميعاً في قبضتِهِ، خاضعونَ لأمره، مسرعون إلى إرادته : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾
[آل عمران:٢٦-٢٧].

فالله عزَّ وجلَّ يتصرفُ في جميعِ مخلوقاتِه بقدرتِه، وحكمتِه ، وعلمِه ، كيف شاءَ متى شاءَ ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالله عزَّ وجلَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لا يقف له شيء، ولا يعجزه شيء، فقد يخلقُ الشيءَ ويسلبُ أثرَهُ بقدرتِهِ، فقد تُوجَدُ العينُ ، ولا تُبصرُ، وقد تُوجَدُ الأُذن ، ولا تسمعُ، وقد يُوجَدُ اللسان ، ولا يتكلمُ، والبحرُ، ولا يُغرِقُ، والنار، ولا تحْرِقُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٧].

وقد فعل ذلك سبحانه، إظهاراً لقدرته، لأنَّهُ الذي يتصرفُ بالخلقِ كيفَ شاءَ : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٧].

سبحانه لا إله إلاَّ هو الواحدُ القهارُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٍ .

وبعض القلوب تتأثرُ بالشيء أكثرَ من خالقِ الشيءِ ،فتتعلقُ بالشيء، وتغفلُ عن خالقِ الشيء الذي بيده مقاليد الأمور : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: ١٠٢ –١٠٣].

ويجبُّ أن نصلَ بهذا العلم العظيم ،وبهذا النظر والتفكر، من المخلوق إلى الخالق ، ومن الصور إلى المصور الذي خلق كلَّ شيء وصوره، فنعبده وحده لا شريك له : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

**الرابع : أن نعلمَ ونتيقنَ أن خزائن جميع الأشياء عند الله وحده لا عند غيره.**

فكل شيء في الوجود ، وفي عالم الغيب والشهادة ،فخزائنه عند الله وحده

فخزائنِ العلمِ ، وخزائنِ الهدايةِ، وخزائنِ النُّورِ ، وخزائنِ الكلامِ ، وخزائنِ الأخلاقِ ، وخزائنِ الطعامِ والشَّرابِ ، وخزائنِ والحبوب والثمار، وخزائن المياه والرياح ، وخزائن الأموال ، وخزائن البحار، وخزائنِ الجبال وغيرها، كلُّها عندَ الله، فكلُّ ما نحتاجُهُ نطلبُه من الله، ونسألُه إيَّاه : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

ونكثرُ من العبادات والطاعات لله سبحانه ،فهو سبحانه وحدهُ قاضي الحاجاتِ، ومجيبُ الدعوات : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

هو خيرُ المسئولين ، وخيرُ المعطين ، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع : ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر: ٢١].

والله عزَّ وجلَّ له القدرة المطلقة على كلِّ شيءٍ .

أحيانا يعطي ويرزق بالأسباب ، كما جعل الماء سببا للإنبات ، وكما جعل وطء المرأة سبباً للإنجاب .

ونحنُ في دار الأسبابِ، فنأخذ بالأسبابِ المشروعة، امتثالاً لأمرِّ الله ، ولا نتوكلَّ إلَّا على الله وحدهُ لا شريك له : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال عز وجل : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن: ١٣].

وأحيانا يعطي ويرزق سبحانه بدون أسباب، يقول للشيء كن فيكون ، كما رزق مريم طعاما بلا شجر، وابنا بلا ذكر : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران: ٣٧].

وأحيانا يستعملُ قدرته سبحانه بضدِّ الأسباب، كما جعلَ النَّار برداً وسلاماً على إبراهيم ﷺ، وكما نجَّى موسى ﷺ، وأغرق فرعون وقومه في البحر، بأمر واحد، وبحر واحد، في وقت واحد.

وكما نجَّى الله يونس ﷺ في ظلمات بطن الحوت والبحر: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

هذا بالنسبة للمخلوقات، أما بالنِّسبة للأحوال:

فأولا: نعلمُ ونتيقنُ أنَّ خالق جميع الأحوال هو الله وحده لا شريك له.

من الغنى والفقر، والصحة والمرض، والفرح والحزن، والضحك والبكاء، والعزة والذلة، والحياة والموت، والأمن والخوف، والبرد والحر، والهداية والضلالة، والسعادة والشقاوة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهذه وغيرها من الأحوال خلقها الله وحده لا شريك له: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور: ٤٤].

ثانيا: أن نعلم ونتيقن أن الذي يدبرُّ الأمرَ، ويصرفُ هذه الأحوال، هو الله وحده لا شريك له.

فلا يتبدل الفقر بالغنى إلا بأمر الله وحده، ولا يتبدل المرض بالعافية إلا بأمر الله وحده، ولا تتغير الذلة بالعزة إلا بأمر الله وحده، ولا يتغير الضحك بالبكاء إلا بأمر الله وحده، ولا يموت حيّ إلاّ بإذن الله، ولا يَحيا ميت إلا بإذن الله، ولا يتغير البرد بالحر إلاّ بأمر الله وحده، ولا تتبدل الضلالة بالهداية إلاّ بأمر الله وحده، وهكذا في جميع الأحوال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فتأتي الأحوال بأمر الله سبحانه، وتزيد بأمره ، وتنقص بأمره وتبقى بأمره، وتنتهي بأمره : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾[لقمان: ٢٩].

فعلينا أن نطلبَ تغييرَ الأحوال ممن يملكها، بالتقرب إليه وحده بما شرع : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آل عمران:٢٦].

ثالثا :أن نعلمَ ونتيقنَ أن خزائن جميع الأحوال السابقة وغيرها عِند الله وحده لا شريك له، فلو أعطى الله سبحانه الصحة أو الغنى أو غيرهما كُل الناس، لم ينقص ما في خزائنه سبحانه مثقال ذرة ؛لِأن ما عِند الله لا ينقص أبدا، مهما أعطى منه أبدا، فسبحان الغني الحميد : ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾[لقمان:٢٦].

هو سبحانه الرب الغني الذي يملك خزائن كل شيء : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[الحجر:٢١].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْ اللهَّ تَبارَكَ وَتَعالَى أَنَّهُ قَالَ : «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ محُرَّمًا فَلَا تَظَالمُوا ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تخُطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ

إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم (١).

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذه خزائنه، هو الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويعبد وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فليزيدَ الإيمانُ في قلبك ويقوى، عليك بمعرفة من تعبد بِأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والإكثار من الطاعات، والبعد عن المعاصي والسيئات، فإنَّ الإيمان يزيد بالطاعات والقربات، وينقص بالمعاصي، فكلما ارتقيت في العبادة ارتفعت درجة في الإيمان: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وعليك بالنظر والتدبر في آيات القرآن الكريم، والنظر في الآيات الكونية، والنظر في حياة الأنبياء والرسل، والصالحين من الأحياء والأموات من السلف الصالح: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وليزيد إيمانك ويقوى، عليك بتغيير بيئة الغفلة والمعاصي، والانتقال إلى بيئة الذكر والطاعات: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

وكذلك قاتل مئة نفس أُمر بأن يغير بيئته وبلده لِيقوى إيمانه ويزيد، ويثبت على الاستقامة .

والنَّبي ﷺ كان أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، فلهو أجود بالخير من الريح المرسلة .

وليزيدَ إيمانك عليك بالإكثار من الدعاء بطلب الهداية، وزيادة الإيمان ، فالله يستحي من عبده إذ رفع يديه أن يردهما صفراً خائبتين : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾[الفتح: ٤].

وقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦].

وكذلك يزيد الإيمان بالإكثار من ذكر الله في كل حين ، فالذكر يحيي القلب بالإيمان، فيقبل على الطاعات، ويبعد عن المعاصي : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ» أخرجه البخاري (١).

فما أحوجنا إلى زيادة الإيمان في القلوب؛ لتكون أهلاً للعزة والنصرة، والتمكين في الأرض ، وأهلاً لرضوان الله وجنته : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١].

وقال عز وجل : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٧).

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

فبهذا الإيمان بأركانِهِ ،وشعبهِ، نقل الله به هذه الأُمة مِن شر أُمة إِلى خير أُمة ، ومن شر القرون إلى خير القرون ، وأخرجها من الظلمات إلى النور ، ومن الذِلة إلى العزة ، ومن الشرك إلى التوحيد : ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال عز وجل : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال عز وجل : ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» متفق عليه [(١)].

ومن أقبل على الطاعات؛ زاده الله إيمانا وتقوى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد: ١٧].

وكذلك مما يزيد الإيمان الدعوة إلى الله ، وبذل الجهود لإصلاح النفس والغير: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وكذا الأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر، سببٌ عظيمٌ لزيادة الإيمان : ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٢٩)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٣٣).

وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

فكلُّ طاعةٍ وقربةٌ، وكلُّ عبادةٍ ومعاملة ، وكلُّ ذِكر ودُعاء ، وكلُّ عملٍ تعمله ابتغاءَ وجهِ الله مماّ أمرَ اللهُ ورسوله به، يزيد الإيمان، ويجدده في قلبك : ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

وقال سبحانه: { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ } [الرعد: ٢٨].

وكذلك يزيدُ الإيمانُ بطاعات الخلوات : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

وقال عز وجل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وكلما زاد الإيمان واليقين، توجه العبد إلى ربه في جميع أُموره، ولم يلتفت لأحد سواه وزادت أعماله الصالحة ، وزادت خشيته لربه ، وأجاب الله دعاءه ، لكمال يقينه على ربه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

وأكمل الناس علما ويقينا وتقوى هم الأنبياء والرسل ، ولذلك كلَّما دعوا أجاب الله دعاءهم ، كما قال الله لرسوله ﷺ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩].

وقال سبحانه : ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء:٧٦-٧٧].

وقال الله عز وجل : ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

وقال الله عز وجل : ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

وقال عز وجل : ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

فالنظر في الآيات الكونية المشهودة ، والنظر في الآيات القرآنية المتلوة، من أعظم أسباب زيادة الإيمان، ومن أعظم عبادات القلوب : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم:٢٠-٢٥].

وقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣)﴾ [الأنبياء: ٣٠-٣٣].

فهذا الرب العظيم هو الذي يُستحق أن يُكبر، وأن يُعظم، وأن يُحمد، وأن يُشكر، وأن يُعبد وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦)﴾ [يونس: ٣-٦].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ [محمد: ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ [النساء: ٨٢].

اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم يا حي يا قيوم إنا نسألك أن ترزقنا إيمانا صادقا نكفُّ به جوارحنا عن

معصيتك، ونستعملها في طاعتك ، حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو، ولا ننظر بأبصارنا إلى لهو، وحتى لا نبسط أيدينا إلى محظور، ولا نخطو بِأقدامنا إلى محجور ، وحتى لا يدخل بطوننا إلا ما أحللت، ولا تنطق ألسنتنا إلا بما أمرت إنك على كلِّ شيء قدير .

اللهم ارزقنا الإخلاص في توحيدك ، واستعملْ ألسنتنا بذكرك، وتحميدك ، وتمجيدك ، وجنبنا الإلحاد في توحيدك، والتقصير في تمجيدك ، والشك في دينك، والصّد عن سبيلك، يا من بيده مقاليد الأُمور .

اللهم لك الحمد على ما هديتنا للإسلام وسهلْتَ لنا سبل الإحسان، ووفقتنا لحسن عبادتك، و هديتنا إلى ما يرضيك عنا ، وجنبتنا ما يسخطك علينا .

اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه حتى ترضى وإذا رضيت إقرارا بالإساءة واعترافا بالإضاعة : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الـرَّابِعَـةُ

## الـقـرآنُ مَـنْـهَـجُ حَـيَاةِ كُـلِّ إِنْسَانِ

**وتشتمل هذه البصيرة العظيمة علي المباحث الآتية :**

الأول : فقه القرآن الكريم

الثاني : فضائل القرآن الكريم

الثالث : مفتاح فهم القرآن الكريم

الرابع: كيفية قراءة القرآن الكريم

الخامس : أقسام مواضيع القرآن الكريم

السادس : مقاصد القرآن الكريم

السابع : أنواع خطابات القرآن الكريم

الثامن : ما هو الإسلام؟

التاسع : واجبنا نحو القرآن الكريم

العاشر: ثمرات تدبر القرآن الكريم.

# البصيرة الرابعة

# القرآنُ مَنْهَجُ حَيَاةِ كُلِّ إِنْسَانِ

## ١ - فقه القرآن الكريم

القرآنُ الكريمُ كتابُ الله عزَّ وجلَّ الذي بيَّنّ فِيهِ كُلَّ شيءٍ ، وفصَّلَ فيه كُلَّ شيءٍ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

وقال الله عز وجل : ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١].

هذا القرآنُ العظيمُ بصائرُ وهدى للنَّاس جميعًا : ﴿هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف:٢٠٣].

هذا الكتابُ الحكيمُ مُعْجِزٌ فِي ألفاظِهِ ، مُعجزٌ في مَعَانِيهِ ، مُعْجِزٌ في آياتِهِ، مُعْجِزٌ في أخبارِهِ ، مُعْجِزٌ في أحكامِه، مُعْجِزٌ في أوامِرِهِ .

فهو أحسنُ الحديثِ ، وأصدقُ الحديثِ، وأحكمُ الحديثِ : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء:١٠].

هذا القرآن العظيم: ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران:١٣٨].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر:٨٧].

هذا القرآنُ العظيمُ منهجُ حياةِ البَشريةِ كُلِّها إلَى يوم القيامةِ : ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ

أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾[إبراهيم:١].

هذا القرآن العظيم هدي رب العالمين إلى الناس أجمعين : ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم:٥٢].

هذا القرآنُ العظيمُ بِأخبارِهِ ، وأحكامِهِ ، بآياته ، ومُعْجِزاتِهِ، يُعْطِيكَ مِنْ العُلومِ النافعة، بقدرِ ما تعطيهِ مِنْ الفهمِ ، والتَّدبرِ ، والإخلاصِ : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾[الأنعام: ١٥٥].

ويفتحُ لكَ القرآن كلَّ يومٍ أبواباً مِنَ نور العلمِ، والهدى، والتقوى، بقدرِ ما تفتحُ لهُ من نفسِكَ ، وفكرِكَ ، وعقلِكَ ، ووقتِكَ : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾[البقرة:١-٢].

وفِي القرآنِ الْكرِيم قُوةٌ عظيمةٌ لا يَقِفُ لها شيءٌ : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴿٣١﴾﴾[الرعد:٣١].

القرآن العظيم يهدي لأحسن الأخبار، والأحكام، والأقوال، والأعمال، والأخلاق، والمنازل : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾[الإسراء:٩-١٠].

**والنَّاسُ في فَهمِ القرآنِ الكريمِ أربعةُ أقسامٍ:**

الأولُ :قِسمٌ مِنَ القرآنِ لا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهلِهِ ، فَهُو بيِّنٌ واضحٌ ميسرٌ، وهو جُلُّ القرآنِ : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل:٨٩].

وقال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾[القمر:١٧].

الثاني :قِسْمٌ من القرآنِ لا يَعْرِفُهُ إلَّا العلماءُ الذين اختارَهم اللهُ تعالى وعلَّمَهُم، فهُم يعرفُونَ المُحْكَمَ مِنْ المُتَشَابهِ ، والمُطلقَ مِنْ المُقيدِ ، والعامَ مِنْ الخَاصِ ، والنَّاسِخَ مِنْ المَنْسُوخِ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧].

الثالثُ :قِسمٌ يعرفُه العربُ لا العجمُ ؛ لأنَّ القرآنَ نَزَلَ بِلغةِ العربِ ، فالعربُ يعرفُونَ من نصوصِ القرآن مالا يعرفُه العجمُ : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف:٢].

الرَّابعُ : قِسمٌ استأثَرَ اللهُ بعلمِهِ ؛ لأنَّ اللهَ عليمٌ بِكلِّ شيءٍ، وخَلْقُهُ عَلَّمَهُم من العلمِ ما يحتاجون إليه ،في دينهم ودنياهم : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥].

والقرآنُ الكريمُ كتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ مُنزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ ، وهو صفةٌ منْ صفاتِه ، وعددُ سورهِ مائةٌ وأربعَ عشرَةَ سورةً ،وعددُ آياتِه ستةُ آلاف، ومائتينِ ، وستٍ وثلاثين آيةً .

وكُلُّها تشتملُ على الأخبارِ الصَّادقةِ عن الله ورسولِه ،ودينِه ،ووعدِهِ ،ووعيده، وتشتملُ على الأحكامِ العادلةِ الحسنةِ المَحكمةِ في جميعِ أبوابِ الشريعةِ : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ

﴿فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت:٥١].

فعلينا أنْ نتعبَّدَ للهِ عزَّ وجلَّ بالإيمانِ بِكُتُبِ الله، وتصديقِ أخبارِ القرآن ،وتطبيقِ أحكامِه ،وامتثالِ أوامرِهِ، واجتنابِ نواهيهِ ،وتحليلِ ما أحلَّهُ ،وتحرِّيم ما حرَّمَهُ:
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام:١١٥].

والقرآن الكريم كتاب النور، والإيمان، والرحمة والهداية: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥-١٦].

**وقد قَسَمَ اللهُ النَّاسَ في القرآنِ إلى قسمين:**

الأول: منْ آمن بالله ،وملائكته، وكتبِهِ ،ورسلِهِ، واليومِ الآخرِ، والقدرِ خيرِهِ وشرهِ ،وعبدَ اللهَ وحدَّهُ لا شريكَ لهُ، بامتثالِ أوامرِهِ، واجتنابِ نواهيِهِ، واستقامَ على ذلك، حتَّى ماتَ على ذلكَ.

فهؤلاء بأرفعِ المنازلِ في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

الثاني: من كفرَ بالله ،وأشركَ بهِ، وأعرضَ عن دينِهِ ،وصدَّ عنْ سبيلِهِ.

فهؤلاءِ شرُّ النَّاسِ في الدُّنيا والآخرةِ، وأضلهم عن الصراط المستقيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ

أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٥].

وكلمات الله في القرآن نوعان:

الأول: كلماتٌ كونيةٌ: وهي كلماتُه التي خَلقَ، ويخلُقُ بها خلقَه، ودبَّرَ، ويدبِّرُ بها أمرَّهُ، وهي كلماتٌ موجهةٌ من الله إلى كلِّ مخلوقٍ خلقهُ اللهُ بأنْ يكونَ، فيكونُ فوراً: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل:٤٠].

وكلماتُ الله الكونيةُ لا حدَّ لها ولا حصرَ، ولا يمكنُ عدُّها مطلقاً، ولا إحصاؤها أبدا: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف:١٠٩].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان:٢٧].

فكلماتُ ربِّنا الكونيةُ دائمةٌ مستمرةٌ، لا انقطاعَ لها أبداً، وبها يُكوِّنُ اللهُ الخلْقَ كلَّهُ، والتدبيرَ كلَّهُ، في الدُّنيا والآخرة: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس:٨٢-٨٣].

الثاني: كلماتُ الله الشرعيةُ: وهي كلامُه الذي أنزَلَهُ على رُسُلِهِ بدينه الحق، كما قال سبحانه: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى:٥١].

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء:١٦٤].

وهذهِ الكلماتُ الشرعيةُ ، أخبارٌ وأحكامٌ محصورةٌ في الكتبِ المنزلة التي خُتِمَتْ بالقرآنِ العظيمِ، واكتمل بها دينُ الله إلى يومِ القيامةِ ، فلا يمكنُ أن ينزِّلَ بعدَ القرآن أيُّ كتابٍ للبشرية، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة:٣].

وقال عز وجل : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

والقرآنُ كلامُ الله ، وكلماتُ الله في القرآنِ محصورةٌ ؛ يمكن عدُّ حروفِها ، وكلماتِها ، وآياتِها ،وسورِها، ونَستطيعُ كتابَتَهَا ، ولا تنفدُ أقلامُنَا ، ولا مِدادُنا، بخلافِ الكلمات الكونيةِ التي لا يمكنُّ حصرُها ولا عدُّها أبدا ؛ ففي كلِّ لحظة ينزِلُ ملياراتُ الأوامرِ الكونيةِ على هذا الكون بالإحياءِ والإماتةِ ، والخلقِ والرزقِ، والأمنِّ والخوفِ ، والغنى والفقر، وغير ذلك من الأوامرِّ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

## ٢ - فضائل القرآن الكريم

القرآنُ الكريمُ الذي انزّلَه اللهُ عزَّ وجلَّ على خاتمِ الأنبياء وأفضلهم محمدٍ ﷺ، هو آخرُ الكتبِ السماويةِ ، وهو أعظَمُها وأكملُها وأحكمُها، أنزلَهُ اللهُ تبياناً لكُلِّ شيءٍ ، وهدىً ورحمةً للعالمين : ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل:٨٩].

فالقرآن أفضلُ الكتبِ ، نزلَ بهِ أفضلُ الملائكةِ وهو جبريلُ ﷺ، على أفضلِ الخلقِ وهو محمدٌ ﷺ، على أفضلِ أمةٍ أُخرِجتْ للنَّاسِ ، بأفضلِ الألسنةِ وأفصحِها، وهو اللِّسانُ العربيُ المبينُ : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥].

والقرآنُ الكريمُ كتابُ التوحيدِ والإيمانِ، وكتابُ الدَّعوةِ إلى اللهِ ، وكتابُ الهدايةِ إلى الحقِّ، وكتابُ العلمِ والأحكامِ ، وكتابُ الأجرِّ والثوابِ.

فإذا قامَتْ الدعوةُ إلى الله ، جاءَ التوحيدُ والإيمانُ ، وإذا جاءَ التوحيدُ والإيمانُ جاءَتْ الهدايةُ ، وإذا جاءَتْ الهدايةُ، جاءتْ الرّغبةُ في العملِ بالأحكامِ : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد: ٢٤].

وأكثرُ الخلقِ يقرأون القرآنَ؛ لتحصيلِ الأجر فقط، وهذا حسن، ويغفلونَ عن أعظمِ مقاصدِه، فالقرآن العظيمُ مُتعبدٌ بتلاوتِهِ، ومُتعبدٌ بتدبره، ومُتعبدٌ بالعملِ به: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥].

فيجبُّ على كلِّ أحدٍ الإيمانُ به ، والعملُ بأحكامِه، والتأدبُ بآدابِه ، ولا يقبلُ اللهُ العملَ بغيره بعد نزولِه، تكفلَّ اللهُ بحفظِه؛ فسلِمَ منْ التحريفِ ، والتبديلِ، ومن الزيادة، والنقصانِ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩].

ولحاجَةِ الأمَّةِ إلى القرآن الكريم، رغبَّنا الله في تلاوته، وسماعه، وتدبره، وبين فضائله فقال : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر:٢٣].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإسراء:٩-١٠].

وقال عز وجل : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : «مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » متفق عليه[1].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٠)، وأخرجه مسلم برقم (٧٩٧).

وتعلم القرآن وتعليمه من أعظم العبادات : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩].

وعَنْ عُثْمَانَ رَضِي اللهُ عَنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري[1].

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : «تعاهدوا القرآن للهِ فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ تفصيا من الإبل في عقلها» متفق عليه[2].

وعَنْ سَالمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ» أخرجه البخاري[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٣٣)، وأخرجه مسلم برقم (٧٩١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣)، وأخرجه مسلم برقم (٨١٦).

## ٣- مفتاحُ فَهمِ القرآنِ الكريم

لكلِّ شيءٍ ثمينٍ مفتاحٌ ، ومفتاحُ فهمِ القرآنِ الكريمِ أنْ نعلَّمَ أنَّ القرانَ قسمان، خبر، وإنشاء

فآياتُ القرآنِ الكريمِ فيها تبيانُ كلِّ شيءٍ ، وهي إمَّا خبر، أو طلب.

**القسم الأول : الخبر، والخبرُ قِسمان :**

الأول : أخبار عن الخالقِ وأسمائِه، وصفاتِه، وأفعالِه ،وأقوالِه، وهو الله عزّ وجلّ كما وردَّ في القرآن الكريم : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

وقال الله عز وجل : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ (٤)﴾ [الإخلاص:١-٤].

وغيرُ ذلكَ من الآياتِ الكثيرة التي بيَّنَتْ أسماءَ اللهِ ، وصفاتِه، وأفعالِه، هذا خبرٌ عنْ الخالقِ جل جلاله، وهذا أكثر القرآن .

الثاني : أخبار عن المخلوق، كخلق السمواتِ والأرضِ ، والعرشِ والكرسي، والإنسان والحيوان ،والجماد والنبات ، والجنَّة والنَّار، وأخبار الأنبياء والرُّسل واتباعهم وأعدائهم ، وجزاءُ كلِّ فريقٍ، ونحو ذلك من أخبارِ القرانِ، فهذه كلُّها أخبارٌ بينها الله عزَّ وجلَّ في القرآن؛ لأنّه هو الذي خلقها، فهو الذي يخْبِر بها :

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٥٤)﴾ [الأعراف:٥٤].

فهذهِ هي الأخبارُ ،أخبارٌ عن الله عزَّ وجلَّ بأسمائِه وصفاتِه، وأفعاله ، وأخبارُ عنْ مخلوقاتِه، فإذا عرفَ القلبُ الخالقَ ومخلوقاتِه ؛ آمنَ به ، وإذا آمنَ بهِ ، تشوقَّ لطاعتهِ، وامتثالِ أوامره، واجتنابِ نواهيهِ، ليفوز برضوانه وجنته : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق: ١٢].

**والقسمُ الثاني : الإنشاء وهو الطلب، والطلب من الله لعباده قسمان :**

إما أمرُ بعبادةِ الله وحدَّهُ، وطاعةُ الله ورسولِه، وفعلُ ما أمرَّ الله ُبه كالصلاةِ، والصيام والأخلاق الطيبةَ ونحوهما، كما قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج:٧٧].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[النساء:٣٦].

وإمَّا نهيٌ عن الشرك بالله ،وتحذيرٌ مما حرَّمَ اللهُ كالرِّبا، والزنا، والفواحشَ، والأخلاق السيئة وغيرَ ذلك مها نهى اللهُ عنه ، كما قال عزّ وجلَّ : ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف:٣٣].

وقال عز وجل : ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ

ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ [الإسراء: ٣١-٣٣].

فأعظمُ الأخبارِ معرفةُ الله عزَّ وجلَّ، وأعظمُ الأوامرِ العلمُ بلا إلـهَ إلَّا اللهُ، وأعظمُ المناهي النهي عَن الكفرِ والشركِ، وأعظمُ الأدعيةِ اهدنا الصراط المستقيم، وأعظم الأذكار سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

فللّهِ الحمدُ والشكرُ، حيثُ أرسلَ إلينا أفضلَ رُسُلِهِ، وأَنْزلَ علينا أفضلَ كتبهِ وجعلَنا منْ خيرِ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ للنّاسِ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

فَعليْنا أنْ نقرأَ كتابَ ربِّنا، ونسمعه، ونتدبَّرَهُ، لننتفع بأخباره، وأحكامه، وأوامره، ونواهيه، ووعده، ووعيده: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

فأخبار القرآن كلها صدق، وأحكامه كلها عدل، ومواعظه أحسن المواعظ، وقصصه أحسن القصص: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال النبي ﷺ: «اقرؤوا القرآنَ فإنَّه يأتي يومَ القيامةِ شفيعاً لأصحابِه» أخرجه مسلم [(١)].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٠٤).

# ٤ – كيفيةُ قراءة القرآنِ الكريم

كيفية قراءة القرآن الكريم، بيَّنها اللهُ عزَّ وجلَّ فِي كتابِه العظيم.

فقراءةُ القرآنِ الكريم كما جاءت في القرآنِ على أربعةِ أحوال :

الأولى: قراءةُ البحثِ والإيمانِ .

الثانية: قراءةُ الشكرِ والعرفانِ.

الثالثة: قراءةُ التَّسليمِ والإذعانِ .

فهذِه ثلاثُ قراءاتٍ كلُّها محمودةٌ، مأمورٌ بِها، لأنها تزيد الإيمان، وتثمر الأعمال الصالحة، ورضوان الله والجنة.

الرابعة: قراءةُ الظلمِ ، والطغيانِ ، والعدوانِ ، وهذِهِ قراءةٌ مذمومةٌ، لمن أراد الشر والطغيان، والظلم والعدوان.

وقد ذكرَ اللهُ هذهِ القراءاتِ الأربعَ بقولِه سُبْحانهُ : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ١ –٧].

فالقراءةُ الأولى، قراءةُ البحثِ والإيمانِ في آياتِ الله الكونيةِ، وآياتِ الله الشرعيةِ؛ ليزيدَ إيمانُك بِربِّكَ ، ويقوى توحيدُكَ، ويكمُل يقينُكَ ، وتحَسُنَ عبادتُكَ : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ [العلق: ١ –٣].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ

﴿إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٧].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ١٠﴾ [الطارق: ٥ – ١٠].

فأولُ ما تبدأُ بِهِ أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ، لتؤمن بربك الذي خلقك وصورك ورزقك.

ثم تعرف مخلوقات الله التي تدل عليه، وعلى أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

وقالَ عزّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

وكل ذلك يثمر كمال التوحيد والإيمان، وخشية الله وتقواه.

والقراءةُ الثانيةُ، قراءةُ الشُّكرِ والعرفانِ، فكُلُّ ما خلقَ اللهُ في الكونِ نِعَمٌ مسخرةٌ للإنسانِ؛ تكريماً لهُ مِن ربِّهِ؛ ليؤمنَ بِهِ، ويحمدَهُ ويشكرَه: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

وقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ﴾ [العلق:٣].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾ [الإسراء:٧٠].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤].

ومُوجبُ معرفةِ هذهِ النّعمِ العظيمةِ التي سخرَها اللهُ للإنسانِ ، أن تشكرَهُ على هذه النِّعم، و ذلك بإفرادهِ بالعبادةِ، والتقربِ إليهِ بما أمر بهِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

أما القراءةُ الثالثةُ، فهي قراءةُ التسليم و الإذعان :

فاللهُ عزّ وجلَّ علّمنا بأشياءٍ، و أخْفى عنا أشياء، ليعرفَ الإنسانُ نَفْسَهُ بالجهل ، و يعرف ربهُ بالعلمِ المطلق، وأقدرنا الله على أشياء دون أشياء، ليعرف العبد نفسه بالعجز، ويعرف ربه بالقدرة المطلقة .

فاللهُ عالمُ الغيبِ والشهادةِ، العليمُ بكل ظاهرٍ و باطنٍ : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾ [الإسراء:٨٥].

وقال الله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

وقال الله عز وجل : ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال الله عز وجل : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

فمُقتضى قراءةُ البحثِ و الإيمانِ ؛ أنْ تُؤمن بالله لما عرفته من عظمةِ آياتهِ ، ومخلوقاتهِ ، وعظمةِ ملكهِ ، وسلطانهِ، ومقْتضى قراءةُ الشكرِ والعرفانِ ، أن تحب ربك الكريم، وتشكرَ المنعمُ الَّذي أنعمَ عليك بكُلِّ نعمةٍ ، ومقْتضى قراءةُ التسليم والإذعان ؛ أن تُسلمَ لعالمِ الغيبِ والشهادةِ فيما أمركَ و نهاكَ : ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢].

وقال الله عز وجل : ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ [الانشقاق: ٢٠-٢١].

وقال الله عز وجل : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فمنْ قَرأ هذه القراءاتِ الثلاثِ ملأ اللهُ قلبهُ توحيدًا، وإِيمَانًا، ومحبةً لله عز وجل، و نَطَقَ لِسَانَهُ و قلبهُ ، بالحمدِ و الشكر، و تحركتْ جوارحُهُ بطاعةِ رَبِّهِ العظيم، مع كمال الحبِّ و التعظِّيمِ و الذُّلِ لهُ : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

و من عرف ربَّهُ بِأسمائِهِ الحُسْنَى، وصِفَاتِهِ العُلَى، سلَّم لهُ قلبَهّ وقالبَهُ، وفاز برضاه وثوابه : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥ ﴾[النساء: ١٢٥].

وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢ ﴾[لقمان: ٢٢].

القراءةُ الرابعةُ :قراءةُ الظلمِ و الطغيانِ والعدوانِ : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨ ﴾[العلق: ٦-٨].

فَكل قراءة تجرُ الإنسان إلى الظلمِ، والفسادِ، والطغيانِ، وأكلِ أموالِ النَّاسِ بالباطلِ، وسَفكِ دِمَائِهم، وانتهاكِ أعراضِهم ؛ فهي قراءةُ محرمةُ لما فيها من ظلمِ النَّفسِ ، و ظلمِ النَّاسِ ، و نشرِ الفسادِ في الأَرْضِ.

و هذه قراءةُ الكفارِ و الطغاةِ الَّذين يفسدون فِي الأرضِ ولا يصلحون : ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤ ﴾[القصص: ٤].

فماذا فعل الله به وبجنوده : ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ٥٦ ﴾[الزخرف: ٥٤ – ٥٦].

وقال الله عز وجل عن قارون : ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ ﴾[القصص: ٧٦].

فماذا قال الله عنه؟ : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ ﴾[القصص: ٧٨].

فكانت نهايته : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص:٨١].

وهذه القراءةُ الرابعةُ أخطرُ القراءاتِ التي يُهْلَكُ بسببها الحرثِ و النسلِ : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦].

وأهلُ القرآنِ هُمْ أهلُ اللهِّ و خاصتهِ، هم الَّذِينَ يتلونهُ ويسمعونهُ، ويعملونَ بموجبهِ، ويعبدون الله بمُقْتَضاه : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

والقرآن الكريم كتاب عظيم، جمع الله فيه لهذه الأمة علوم الأولين والآخرين، وَجعلهُ تِبيانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

# ٥ - أقسام مواضيع القرآن الكريم

**أقسام مواضيع القرآن الكريم أربعة :**

**الأول:** بيانُ أسماءِ الله وصفاتِهِ ، و أفعالِهِ ، وعبادتِهِ بِمُوجبِ ذلك : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[غافر: ٦٥].

**الثاني:** بيانُ أصولِ دعوةِ الأنبياءِ والرُّسلِ عليهم الصلاة والسلام كما قال سبحانه : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ ﴾ [مريم: ٤١].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ ﴾ [مريم: ٥٤].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ ﴾ [مريم: ٥١].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ ﴾ [مريم: ٥٦].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧ ﴾ [ص: ١٧].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٨ ﴾ [ص: ٤٨].

فنذكرُ هؤلاء الأنبياء والرسل وغيرهم؛ لنقتديَ بِهِم في توحيدِهم ، و إيمانهم ، و أَخلاقِهم ، و دَعوتِهم إِلَى الله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل

﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾[الأنعام: ٩٠].

**الثالث**: بيانُ مَسائلِ وَ أَحكامِ الشريعةِ في العِبَاداتِ، وَ المُعَاملاتِ، والأخلاق.

فاللهُ فصَّل في القرآنِ أُصولَ العِباداتِ ، والمُعَاملاتِ ، والأخلاق، وأركانِ الإسلامِ ، و أركانِ الإيمانِ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

وقال عز وجل : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

**الرابع**: بَيانُ أَحوالِ اليومِ الأخرِ مِن صِفةِ البعثِ ، وَ النشورِ ، وصفة الجنَّة ، والنَّارِ ، بما بيَّنَ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِهِ : ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦﴾ [الروم: ١٤ -١٦ ].

وقال عز وجلٍ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾[محمد: ١٢].

وقال الله عز وجل : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾[التوبة:٦٨].

# ٦ - مقاصد القرآن الكريم

الإسلامُ لهُ مقاصدُ عظيمةٌ، يسعى لتحقيقِها للإنسان، لكي يسعد في الدُّنْيا والآخرةِ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة:١٥-١٦].

ومقاصد الشريعة الواردة في القرآن والسنة خمسة :

الأول :حفظ الدِّين، فالعباداتُ كُلّها لحِفظِ الدِّين منْ صلاةٍ ، وصيامٍ ، و حجٍ ، وذكرٍ ودعاءٍ، فالإنسان، كالهاتفِ المحمولِ ،إن لم يشحنْ انطفأَ، وتعطلتْ منافعَهُ، فالصلاةُ شُحنةٌ يوميةٌ ، وصلاةُ الجمعةِ شُحنةٌ أسبوعيةٌ ، والصومُ شحنةٌ سَنويةٌ ،والحجُ شُحنةٌ عُمريةٌ ، والأذكارُ و الأدعيةُ شُحنةٌ ليليةٌ ونهاريةٌ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢].

وَقال عزّ وجلّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة:١٥٣].

وبهذهِ الشُحناتِ الإيمانيةِ يَقدرُ المؤمن على امتثالِ أوامرِ الله، واجتنابِ نواهِيهِ ، داخل الصلاةِ ،وَ خارجَ الصلاةِ ، في الحضرِ والسفرِ ، في حَالِ الغنى و الفقر، وفي حال الأمن والخوف: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[البقرة:٤٥].

الثاني : من مقاصدِ الشريعةِ الواردة في القرآن حِفظُ النَّفْسِ، كما قال عزّ وجلَّ ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[البقرة:١٧٩].

الثالث :حِفظ العرض، بإباحة الزواج الشرعي، وغض البصر، وتحريم الزنا والفواحش : ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ

﴿ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ٣١ ﴾ [النور: ٣١].
وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾ [الروم: ٢١].
الرابع :حِفظ المال، بتحريم السرقة، وقطع يد السارق : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨ ﴾ [المائدة:٣٨].
الخامس : حِفْظُ العقلِ، بتحريم شرب الخمر والمسكرات والمفترات، وتأديب من فعل ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ ﴾ [المائدة: ٩٠].
والقرآنُ الكريمُ كتابٌ عظيمٌ ، وفَضلُ كَلام الله على كلام الخلق، كفضلِ الله على خلقِه : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ ﴾ [الحجر:٨٧].
وقال الله عَز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].
والقرآنُ الكريمُ مَنهجُ حياةٍ للبشرية إلى يومِ القيامةِ ، فاللهُ عزّ وجلّ هو الكريمُ الرَّحمنُ، الَّذي امتنَ على عِبادِهِ بِنعمٍ كثيرةٍ لا تُعدُّ ،ولا تُحْصَى، وأعظمها ثلاثٌ:
الأولى: نِعْمَةُ الإيجادِ
الثانية: نِعْمَةُ الإمدادِ
الثالثة: نِعْمَةُ الهدايةِ والإسعادِ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾ [النحل: ٥٣].
وأعظمُ هذهِ النِّعمُ وأجلّها نِعْمَةُ الإسلام ، الَّذي أَرسلَ اللهُ بهِ محُمداً ﷺ إلى النَّاسِ كافة : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ [الحجرات: ١٧].
وقال الله عز وجل: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

والإسلامُ دينُ الحقِّ والعدلِ والإحسانِ ، وهو الدِّينُ الكاملُ ، الشَّامِلُ ، الباقِي إلى يوم القيامةِ : ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ۝٣﴾[المائدة:٣].

فالإسلام هو الدِّين الحقُّ الَّذِي يُنظِمُ علاقةَ الإنسانِ مع ربِّهِ بعبادتِهِ وحده لا شريكَ لهُ ، وتوحيدِه ،وشكرِهِ ، والتوجُهِ إليهِ في كل حال، والخوفِ منْهُ ، والتوكُلِ عليهِ، والذُّل لِهُ ، والمَحَبةِ لهُ ، والتقربِ إليهِ ، والاستعانةِ بهِ ، وطلبِ مرضاته ، وسُبلِ الوصولِ إلى جنتِهِ ، وكيفيةِ النجاةِ منْ غضبِهِ وعقابِهِ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ۝٧٧﴾[الحج:٧٧].

وَيُنظمُ الإسلامُ عَلاقةَ الإنسانِ مَع سيدِ الخَلقِ رسولِ اللهِ ﷺ بطاعتهِ ، ومحبتِهِ ، واتباعِ سنتِهِ ، وتَصديقِ ما جاءَ بِهِ ، والاقتداءِ بأقوالِهِ ، و أعمالِهِ ، و أخلاقِهِ ، وألّا يُعْبدَ اللهُ إلّا بما شرعَ : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾[الأحزاب:٢١].

ويُنظمُ الإسلامُ علاقةَ الإنسانِ مَع غيرِهِ على أحسنِ الوجوهِ ، كالأُمِ والأَبِ ، والزَّوجةِ والأولادِ ، والأقاربِ والجيران ، والعالمِ والجاهلِ ، والمُسلِّم والكافرِ ، والحاكمِ والمحكوم ، وغيرِهِم منْ طبقاتِ النَّاسِ : ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

وقال الله عز وجل: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ۝٣٦﴾[النساء:٣٦].

ويُنَظِمُ الإسلامُ مُعاملاتِ الإنسانِ الماليةِ بكسبِ الحلالِ ،وتجَنبِ الغِشِ والخيانةِ والسَّرقةِ ، ونحو ذلك، والسَّماحَةِ في البيعِ والشِّراءِ ، والإنفاقِ في

وجُوهِ الخَيْرِ ، وكَيفيةِ توزيعِ الصدقاتِ، وتقسيمِ المواريثِ ونحوها ،وتحَرِّي الصدق ،وتجَنبِ الرِّبا ، والكذبِ ، والنفاقِ ، والحسدِ ، ونحو ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧ ﴾[البقرة: ٢٦٧].

ويُنظِمُ الإسلامُ كذلكَ حياةَ الإنسانِ الزَّوجيةِ ، وتربيةِ الأولادِ على أكملِ الوجوهِ ،وصيانةِ الأسرةِ من الفسادِ : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾[الروم: ٢١].

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾ [التغابن: ١٤].

وَيُنظمُ الإسلام حياةَ الرَّجلِ والمرأةِ في حال السَّراءِ والضراءِ ، والغنى والفقرِ ، والصحةِ والمرضِ ، والأمنِ والخوفِ ، والحضرِ والسَّفرِ.

وينظمُ الإسلامُ كذلكَ سائرَ العلاقاتِ على جسورٍ مَتينةٍ ، من الحبِّ في الله والبغضِ في الله ، ويدعو إلى مكارمِ الأخلاقِ ، وجميلِ الصِّفاتِ كالكرمِ ، والجودِ، والحلمِ ، والعفوِ ، والحياءِ، والعفةِ ، والصِّدقِ ، والبرِّ ، والعدلِ ، و الإحسانِ ، والرَّحمةِ و الشَّفقةِ ونحوها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

ويَنْهَى الإسلامُ عن كُلِّ شرِّ وفسادٍ ، وعن كُلِّ ظلمٍ وطغيان كالشركِ بالله ، والقتلِ بغيرِ حقٍّ ، والزنا ، والكذبِ ، والكبرِ ، والنفاقِ ، و السَّرقةِ ، و الغيبةِ ، و أكلِ أموالِ النَّاسِ بالباطلِ ، والربا ، والخمرِ ، والسِّحرِ ، و الرياء ، والغشِ ، ونحو ذلك : ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾[الأعراف: ٣٣].

ويَكْشِفُ الإسلامُ في القرآنِ بعد ذلك كُلَّ حياةِ الإنسانِ في الأخرةِ ، وأنَّها مبنيةٌ على حياتهِ في الدُّنيا ، فمنْ جاءَ بالإيمانِ ، والأعمالِ الصَّالحةِ ؛ دَخلَ الجنةَ ، وسعُد برؤيةِ ربِّه سُبْحَانَهُ ، وفاز برضوانه، وتمتعَ فيها بما لا عين رأتْ ، ولا أذن سمعتْ ، و لا خطرَ على قلبِ بشر : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

ومنْ جاءَ بالكفرِ والمعاصِي ؛ دخلَ النَّارَ ، و النَّارُ فيها عذابٌ أليمٌ ، وعذابٌ شديدٌ ، وعذابٌ عظيمٌ ويُخَلدُ فيها الكافرُ ، ويُعذبُ فيها العاصِي بقدرِ ذنوبه أو يغفرُ اللهُ لهُ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦].

وقال عز وجلٍ : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨].

و سيبلغُ هذا الدِّينَ ما بلغَ الليلُ والنَّهارُ بلا ريب، ثم يعودُ غريبًا كما بدأ ،ثم تكونُ خلافةٌ راشدةٌ على منهاجِ النُّبوةِ .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا» أخرجه مسلم (١).

وقال النبي ﷺ: «بَدأَ الإِسْلاَمُ غَرِيباً، ثُمَّ يَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ، والذي نفسي بيده ليأرزنّ الإسلام إلى ما بين المسجدين ، كما تأرز الحية إلى جحرها» أخرجه مسلم (٢)

وعن تميم الداري رضي الله عنه قال : سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ليَبْلُغن هذا الأمر ما بلغ اللَّيل والنَّهار، ولا يترك الله بيت ممدَرٍ، ولاَ وَبرٍ ، إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّين، بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَليلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر» أخرجه أحمد والحاكم (٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٨٩).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٤٥).
(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٦٩٩٨)، وأخرجه الحاكم برقم (٨٣٢٦).

فاللهُ عزَّ جلَّ عظيمٌ، و كتابُهُ عظيمٌ، وَ خلقهُ عظيمٌ، وَ ثوابهُ عظيمٌ، وَ عقابهُ عظيمٌ: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[الحجر: ٤٩ — ٥٠].

وقد ارتضى اللهُ عزَّ وجلَّ لخيرِ أُمَّة أُخرِجَتْ للنَّاس هذا الدِّينَ العظيمَ ،وهذا القرآن العظيم كما قَال سُبْحَانه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[فاطر: ٣٢ – ٣٤].

والإسلام هو دينُ الله للبشريةِ جَمعاءَ ، أرسلَ اللهُ بهِ رُسُلَهُ، وأنزلَ به كُتبَه : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩].

أرسل اللهُ به خاتمَ رُسُلَهُ للبشريةِ إلى يوم القيامةِ ، وكان ما قبلهُ من الرُّسلِ والكتبُ إعداداً له، وتمهيداً له ، وبه ختمَ اللهُ خِطاباتِهِ إلى أهلِ الأرضِ جميعاً .

وأنزلَ اللهُ الكتبَ السَّابقةِ كالتوراة ، والإنجيل ، والزبور، تُناسب أَطوار خلق النَّاس من قبل، ولَم يشأْ اللهُ أنْ ينزلَها كاملةً خالدةً باقيةً ، إنَّما أنزلها حسبَ أطوارِ البشريةِ كُلَّما ماتَ نبيِّ خلفهُ أخرُ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦]..

وقدْ أرسلَ اللهُ إلى أهلِ الأرضِ رحمةً بهم وعِنايةً بهم، مئة وأربعة وعشرين نبياً، الرُّسُل منهم ثلاثمائةِ وثلاثةَ عشرَ ، حتَّى إذا تجاوزتْ البشريةُ تِلْك الأَطوار، نَسَخها الله بالدِّين الكاملِ ، وخَتمَ اللهُ شَرائعهُ إلى أَهْلِ الأَرْضِ بهَذه الشَّريعةِ الإِسلاميةِ الكاملةِ الخاتمةِ التي جاءَ بِهَا محُمدٌ ﷺ كَمَا قَال سُبْحَانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾ ﴾[المائدة:٣].

وبعدُ كَمالِ هَذَا الدِّين، لا يقبلُ اللهُ بَعْدِهِ سِواه كَمَا قَال سُبْحَانه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ

ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

وَهَذَا الإِسلام بِصورتِه النِهائية الكْاملة الخاتمةِ ، شرعَ الله فيه للعِبادِ كُلَّ ما رَضِيه وَ أَحبَّهُ لهم مِن العقائدِ ،و العِباداتِ ،والمعاملات ، والأخلاقِ، والقيم ، ليكون نظاماً وَ شرعاً شاملاً لِشؤون الحياة كُلها إلى يوم القيامة، كما قَال سُبْحَانه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

وَقال عزَّ وجلَّ : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم:٥٢].

فقد بيَّن اللهُ في شريعةِ محُمدٍ ﷺ كُلَّ شيء بالتفصيلِ إلى يومِ القيامةِ إِمَّا بِوحِي مُنزلٌ وَ هو القرآنُ والسُّنة ، وَ إِمَّا بفهم مُستنبط مِن نصوص الوَحي ،كَمَا قَال سُبْحَانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤].

وَقال سُبْحَانه : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء:٨٣].

وَ أولو الأمر مِنْهُم هُم العُلَماءُ الربانيون، الذَّين يَعقلون عن الله ورسولهِ مَقاصدَ الشَّريعةِ على الإجمالِ وَ التَّفصيلِ ، وهؤلاءِ هم ورثةِ الرُّسولِ ﷺ فيما جاء به، الذين أمرَ اللهُ المؤمنين أنْ يسألوهم فيما أشكلَ عليهم، في كل زمان ومكان، كَمَا قال سُبْحَانه : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣].

وهم الذين يرفعُ اللهُ بهم الجهلَ عن الأمَّةِ ويفهمون عن الله كلامَه، كَمَا قال، سُبْحَانه : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣].

وهذا الدين الكامل لا يقبلُ اللهُ من أحدٍ سواه بعد نزوله .

**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي**

**أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» أخرجه مسلم [1].

وكُلِّ ما شرعَهُ اللهُ عزَّ و جلَّ في كتابِهِ العظيمِ ، و سنَّة رسولِهِ الكريم، كُلُّه لمصالح العبادِ ، و سعادتهم في الدُّنيا والآخرةِ : ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم:١].

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

فإذا أوجب الله شيئا، فهذا دليلٌ على أن مصلحته متمحضة في كُلِّ زمان ومكان، و إذا حرم الله شيئا، فهذا دليلٌ على أن مفسدتَه متمحضةٌ في كل زمان و مكان : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

وإذا ندبَ اللهُ إلى شيءٍ، فهذا دليلٌ على أن مصلحتَه راجحةٌ، وإذا كَرِهَ شيئاً ، فهذا دليلٌ على أن مفسدتَه راجحةٌ.

وإذا أباح الله شيئاً فجعله مستوي الطرفين، فهذا دليلٌ على أنَّه تعتريهِ العوارضَ، فتارة تكون مصلحتُه راجحةَ ، و تارة تكون مفسدتَه راجحةٌ، فيوزن هذا المباح حينئذ بميزان العقل والشرع : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٥٣).

# ٧- أنواع خطابات القرآن الكريم

**الله حكيم عليم، جعل خطابات الشريعة في القرآن والسنة أربعة أقسام :**

**الأول:** خطاب موجه للفرد، يستطيع إقامته بنفسه، كالأمر بالتوحيد والإيمان والتقوى، ومكارم الأخلاق، وكالأمر بالطهارة ، والوضوء، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، ونحوها من الأدعية والأذكار؛ وهذا ربع الفقه الإسلامي.

**الثاني:** خطاب موجه للأسرة، لا يستطيع الفردُ إقامتَه وحدَّهُ، بل في أسرة يتراضى طرفاها على تحكيم شرع الله فيها ،بدءاً بالنكاح الشرعي وتوابعه ، ثم تربية الأولاد وفق الشريعة، و ختاما تقسيم المواريث، حسب الشرع .

وهذا ربع الفقه الإسلامي

**الثالث:** خطاب موجه للمجتمع كله ، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، و الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلي الخلق ، و آداب الضيافة ، و حسن الجوار ، و نحو ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال عز وجل : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

و هذا الربع الثالث من الفقه الإسلامي .

**الرابع**: خطابٌ موجهٌ إلى السُّلطانِ والحاكمِ ،و ذي القوة، كجهادِ العدو ، واستخراجِ خيراتِ الأرضِ ، وتنفيذِ أوامرِ الله في خلقِ الله ، وإقامةِ الحدودِ ، وصدِّ العدوانِ عن المسلمين ، و توزيع الأموال بين الناس بالعدل، كما قال الله سبحانه : ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص:٢٦].

وقال الله عز وجل: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المائدة:٤٩].

وهذا الربع الرابع من الفقه الإسلامي .

بهذه الأوامرِ الأربعةِ تَصلُحُ أحوال الأمَّةِ في الدنيا والآخرة إذا استقامَتْ على أوامرِ الله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

وكُلُّ أُسرةٍ تتكونُ من ذكورٍ و إناثٍ يشدُّ بعضُهم أزر بعض ، و يُكمِلُ بعضهم بعضا، و يُعينُ بعضهم بعضا .

و الله سبحانه قسم هذا الكون إلى قسمين :

جانب مادي حسي .. وجانب معنوي أدبي

وجعلَ سُبحانَهُ بحكمتهِ هذا الإنسانَ خليفةً في الأرضَ ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة:٣٠].

وجعلَ هذا الإنسانَ مكوناً من ذكرٍ وأنثى، فأشرفُ ما في الأرض من المعنوياتِ والأدبياتِ خصَّ الله به الرِّجال دون النساء، كالإمامة العظمى ،

والإمامة الصغرى في الصلاة: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء:٣٤].

وأشرفُ ما في الأرض من الماديات والمحسوسات، خصَّ اللهُ به النساءَ دونَ الرِّجالِ، وهو الذهبُ و الحريرُ.

عن ابنِ زُرَيرٍ رضي الله عنه، أنَّه سَمِعَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ يقولُ: «إنَّ نبيَّ الله ﷺ **أخذ حريرًا، فجعلَه في يمينِه، وأخذ ذهبًا فجعلَه في شِمالِه ثمَّ قال: إنَّ هذينِ حرامٌ على ذُكورِ أمَّتي حل لإناثهم**» أخرجه أحمد أبو داود (١).

والرجال والنساء أمام أوامر الله في الأمر والنهي على حد سواء: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧١-٧٢].

فوقعَ العدلُ و التوازنُ بينَ الرِّجالِ و النساءِ : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٩٥١٥)، وأخرجه أبو داود برقم (٤٠٥٧).

# ٨- ما هو الإسلام؟

دينُ الله عزَّ و جلَّ هو الإسلامُ الذي بعث الله بهِ كُلَّ نبيٍّ و رسولٍ ، ولا يكفرُ به، ولا يعرضُ عنهُ إلَّا كُلَّ سفيه : ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٣٠].

فدين الله لكل الناس هو الإسلام: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٤-٨٥].

والإسلامُ هو دينُ الله الذي جاءَتْ به جميع الرُّسلُ ، قرناً بعد قرن ،وأمَّةً، بعدَ أمَّة ورسولاً بعد رسَول : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

وكلُّ من دان بغيرِ دينِ الإسلامِ فهو كافرٌ ، مخلدٌ في النَّارِ، سواء أكان من اليهود أو النصارى أو المجوس أو غيرهم : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩].

فاليهودُ كفارُ ؛ لأنَّهم قتلُوا الأنبياءَ، وقالُوا : عزيرٌ ابن الله ، وكذَّبُوا بعيسى ﷺ، وكذبوا محمداً ﷺ، ومن أسلم منهم فله الأجر مرتين ؛ لإيمانه بموسى ﷺ، وإيمانه بمحمد ﷺ : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

والنَّصارى كذلك كفار ؛ لأنَّهم قالُوا : إن الله هو المسيح بن مريم، وقالوا إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثة ، وقالُوا : المسيحُ ابنُ الله ، وكذَّبُوا محمداً ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن أسلمَ منهم فله الأجرُ مرتين ؛ لإيمانِه بعيسى ﷺ ، وإيمانه بمحمدٍ ﷺ، ثم ضاعفَ الله الأجرَ ، وتكرّم بالمغفرة والرَّحمة لكلِّ من دخلَ في الإسلام من هذه الأمة فقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾ [الحديد:٢٨-٢٩].

وقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾ [الأنفال:٢٩].

وقالَ النبي ﷺ : «أيما رجل كانتْ عنده وليدةٌ، فعلَّمها فأحسنَ تعليمِها ،وأدَّبَها فأحسن تأديبها، ثم اعتقها وتزوجها؛ فله أجران، وأيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، و آمن بي فله أجران ، وأيما مملوك أدى حق مواليه، وحق ربه فله أجران» أخرجه البخاري (١).

وأهلُ الكتابِ هم الذين آمنُوا بموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، واتبعوا التوراة والإنجيل التي أُنزِّلت عليهما، وعبدُوا اللهَ وحدَهُ لا شريكَ له.

والتوراةُ والإنجيلُ كتبٌ إلهية، ولكنَّها حُرِّفتْ وبُدِّلَتْ ، ثم نَسَخَ اللهُ العملَ بهما بالقرآن.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٨٣).

واليهود والنصارى بعدَ بعثةِ محمدٍ ﷺ كُلُّهم مغضوبٌ عليهم ؛ لأنَّهم عرفُوا الحقَّ وتركُوهُ، فباؤُوا بغضبٍ على غضبٍ، وكُلُّ من لم يُكَفِّرْ اليهودَ والنصارى، وكلُّ منْ عبدَ غيرَ الله فهو كافرٌ، فيجبُ علينا أن نُكفِّر كل من كفَّر الله عزَّ وجلَّ في القرآن، ومن كَفَّرَهُ اللهُ فهو كافرٌ، ومن لم يُكَفِّرْهُ اللهُ فليس بكافرٍ، ومن لم يُكَفِّرْ منْ كَفَّرَ اللهَ ، فقد استلزمَ ذلك أنْ يقبلَ اللهَ دينَه وهذا يستلزمُ تكذيبَ قول الله عزَّ وجلّ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد كفَّرَ اللهُ في القرآن اليهودَ والنصارى ، وكُلَّ منْ عبدَ غيرَ الله.

وبرأَ الله إبراهيمَ ﷺ من اليهودية والنصرانية ؛ فدلَّ على أنهما ديانتا كفر، أحدثَهما الكفارُ بعد موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بقرون، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٥].

فيجبُ علينا دعوةُ جميعِ الكفار، من يهود ونصارى، ومشركين، إلى الإسلام من كانوا ، حيث كانوا : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وجميعُ الكتبِ السماوية السَّابقة، كالتوراة، والإنجيل، والزبور وغيرها، منسوخةٌ بالقرآنِ العظيمِ كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا

لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨].

ومَا في أيدِّي أهلِ الكتابِ مما يسمى بالتوراة والإنجيل، لا تصح نسبته كله إلى أنبياء الله ورسلِه ؛ فقد وقعَ فيهما التحريف والتبديل، كنسبتهم الولد إلى الله ، وتأليه النَصارى عيسى ابن مريم ،ووصف الخالق بما لا يليق بجلاله ، واتهام الأنبياء ، ونحو ذلك.

فيجبُ ردَّ ذلكَ كُلِّهِ ،وعدمَ الإيمانِ إلَّا بما جاءَ في القرآنِ والسُّنةِ تصديقه، وإذا حدَّثَنا أهلُ الكتاب فلا نُصدِّقْهم ولا نُكذِّبْهم ،بل نقول آمنا بالله وكتبِهِ ورُسُلِهِ .

فإن كان ما قالُوه حقَاً لم نكذبْهم، وإنْ كانَ ما قالُوه باطلاً لم نصدَقْهم

واليهودُ والنصارى كفارٌ، ومشركون، ومغضوبٌ عليهم ،وضالون، فيجبُّ عليهم وعلى غيرهم من الكفار الإيمانَ بالإسلامِ الذي جاءَ به جميعُ الأنبياءِ، والعملَ بموجبِ ذلك : ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧-١٣٨].

وقد نفى اللهُ عن إبراهيم ﷺ اليهوديةَ والنصرانية، كما نفى عنه الشركَ ؛ فدلَّ على أنَّهما ديانتا كفرٍ أحدثَهما الكفارُ بعده. فلا يليقُ بأبي الأنبياءِ أن يوصف بهما : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

# ٩ - واجبُنَا نحو القرآنِ الكريمِ

**واجبُنَا نحو القرآنِ الكريمِ ما يلي :**

**أولاً:** يجبُّ الإيمانُ بجميعِ كتب الله عز وجل ، والإيمانُ بالقرآن الكريم، وتصديقُ أخبارِه، وامتثال أُوامره، واجتنابُ نواهيه، والعملُ بأحكامه : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقال الله عز وجل: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨ ﴾ [التغابن:٨].

**ثانيًا:** اتباع كل ما جاء في القرآن إجمالاً ، وتفصيلاً : {وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأنعام : ١٥٥]

**ثالثًا:** الاستماع والإنصات حينَ نسمع القرآنَ الكريمَ : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤ ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

**رابعًا:** وجوبُ إبلاغِه للناس كافة؛ لحاجةِ كلِّ إنسان له : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

وقال عز وجل : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة: ٦٧].

**خامسًا:** تعاهدُ القرآن الكريم بالقراءة، والتدبر، والعمل بما جاء فيه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [ص:٢٩].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠ ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

# ١٠ -ثمرات تدبر القرآن الكريم

**الأولى:** نتدبر القرآن الكريم، لنعرف الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له بأسمائه وصفاته وأفعاله، ونعرف الواحد الذي يستحق التوحيد، ونعرف الكبير الذي يستحق التكبير، ونعرف الشكور الذي يستحق الشكر، ونعرف الرزاق الذي وهب كل رزق، ونعرف المعبود الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وإذا عرفناه أحببناه وكبرناه، وآمنا به ووحدناه، وامتثلنا لأوامر ، واجتنبنا نواهيه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢].

**الثانية:** القرآنُ الكريمُ فيه تبيان كلِّ شيءٍ مما يحتاجه الإنسان في الدنيا والآخرة، وفيه علوم الأولين والآخرين ، وفيه أصول السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

لهذا كلِّ مسلمٍ ومسلمة يجبُّ عليه أن يتدبرَ القرآنَ ؛ ليعرفَ الربَّ المعبود بأسمائه وصفاتهٍ وأفعاله، ويعرف عظمة ملكه وسلطانه، ويعرف عظمة نعمه وإحسانه، ويعرف أمره وشرعه ويعرف وعده ووعيده ويعرف ثوابه وعقابه : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[ص:٢٩].

**الثالثة:** نتدبرُ القرآن الكريم ؛ ليعرفَ الإنسان أصل هذا الإنسان ، ويعرفَ الكراماتِ التي أكرمه الله بها، ويعرفَ الدين الحق الذي يجب عليه أن يعمل به، ويعرف ماذا يريد الله منه، وماذا يعطيه ربه إذا آمن به ، وبماذا يعاقبه الله إذا كفر بالله ، وماذا يريد من الله، وما هي الأعمال والصفات التي يرضى الله بها عنه، وما هي الأعمال والصفات التي يسخط الله بها عليه : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾[التين: ٤ -٨].

وقال الله عز وجل : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣].
وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء:٧٠].
وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾﴾ [الحج:٥].
**الرابعة:** نتدبرُ القرآنَ الكريمِ ؛ لنعرفَ الأنبياءَ والرسلَ الذين أرسلهم الله لهداية عباده إلى الصراط المستقيم ، ونعرفَ طريقةَ حياتِهم ، وجميلَ صفاتِهم ، وكمالَ توحيدِهم ويقينِهم ، وإحسانِهم إلى جميع الخلق ، وصبرِهم في جميعِ الأحوالِ على التكذيب والاستهزاء، والسب والشتم، من أقوامهم ، وكيف جعلَ اللهُ العاقبةَ لهم، وذلك لنقتدي بهم في الإيمانِ واليقينِ، ومحاسنِ الأخلاقِ، والدعوة إلى الله، وتعليم شرعِ الله : ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم:٤١].
وقال الله عز وجل : ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾﴾ [مريم:٥١].
وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم:٥٦].
وقال الله عز وجل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام:٩٠].
**الخامسة:** ونتدبرُ القرآنَ ؛ ليزيدَ إيمانُنا وتوحيدُنا ، وتحسُنُ أعمالُنا وأخلاقُنا ، وذلك بالنظر والتفكر والتدبرِ في الآيات الكونية والشرعية : ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾ [النساء:٨٢].

**السادسة:** نتدبرُ القرآنَ ؛ لنعرفَ الحق من الباطل ،ونعرفَ التوحيد من الشرك، ويعرفَ العبدُ الخيرَ من الشرِّ، ويعرفَ الفضائلَ من الرذائلِ ، و يعرفَ حزبَّ الله من حزب الشيطانِ ، ويعرفّ أولياء الرَّحمن من أولياء الشيطان : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾ [محمد:٢٤].

**السابعة:** نتدبرُ القرآن ؛لنعرفَ ما هي الواجباتُ الكبرى التي يجبُّ على كلِّ مسلمٍ أن يتمسكَ بها، من أصولِ الدين ، وأركانِه ، وإبلاغ دينه، وتعليم شرعه ، والإحسانِ إلى خلقه ، ويعرفَ المسلم فضائلَ هذه الأعمالَ ؛ ليسهلَ عليه القيامَ بها ، ويعرفَ الأجورَ العظيمةَ، لمن قام بها، والعقوبات الشديدة لمن تركها : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾ [التوبة:٧٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٤].

**الثامنة:** نتدبرُ القرآنَ ؛لنعرفَ عدو الإنسانِ الذي لايغفلُ عنه أبدا، وهو الشيطان، ونعرف النفس الأمارة بالسوء ،ونعرف الدنيا التي تشغل العبد عن الدين، والهوى الذي يصده عن الهدى، وإذا عرفنا العدو اتقيناه وحاربناه : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر:٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ [البقرة:٢٠٨].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف:٥٣].

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [فاطر:٥].

وقال الله عز وجل: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾ [القصص:٥٠].

وقال الله عز وجل: ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾ [يس:٦٠-٦١].

**التاسعة:** نتدبرُ القرآن؛ لنعرفَ قيمةَ الدُّنيا التي نحنُ فيها، وقيمةَ الآخرةِ التي نحنُ صائرون إليها ،ونعرفَ ماذا يجبُّ علينا أن نعملَ في هذه الدنيا ،وما ذا أعدَّ الله في الآخرة من نعيمٍ لمن أطاعَهُ ، وما أعدَّهُ من عذابٍ لمن عصاه ؛ ليكونَ ذلك محركاً للقلوب إلى أنواع الأعمال والطاعات، وزاجرا عن المعاصي والسيئات: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت:٦٤].

وقال الله عز وجل: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد:٢٠-٢١].

**العاشرة:** نتدبرُ القرآنَ الكريمَ ؛ لنعرفَ الآخرةَ، وأحكامَ الوعدِ والوعيدِ، وأحكامَ الثوابِ والعقابِ، ونعرفَ الجنَّةَ ، ونعيمَها، وصفاتِ أهلِّها ، ونعرف النَّار، وعذابَها، وصفاتِ أهلِها : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾
[محمد:١٢].

وقال الله عز وجل : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

وقال الله عز وجل عن النّار : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨].

فهذِه الأمورُ العشرة منْ أعظمِ ثمراتِ تَدبرِ القرآنِ الكريمِ

نسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أنْ يرزقَنا إيَّاها وجميع المسلمين والمسلمات.

اللهم يا مَنْ يعلمُ مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار ،وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد حبات الرمال ، وعدد ما أظلم عليه الليل ،وعدد ما أشرق عليه النَّهار، يا مَن لا تواري منه سماءٌ سماءً ، ولا أرضٌ أرضاً ،ولا جبلٌ ما في وعره ، ولا بحرٌ ما في قعره .

اجعلْ خيرَ أعمارِنا أواخِرها، وخيرَ أعمالِنا خواتيمَها، وخيرَ أيامنا يومَ نلقاكَ فيه.

اللهم فقهْنا في الدِّين، وارزقْنا حقيقةَ التوحيدِ والإيمانِ واليقين ،واهدْنا لأحسنِ الأخلاقِ والأقوالِ والأعمال ، واجعلْ جميعَ أعمالِنا خالصةً لوجهك الكريمِ ، وفقَ سنةِ نبِّيك الكريم الرءوفَ الرحيم : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾
[الأعراف:٢٣].

# بصائر الإسلام الكبرى
## في ضوء القرآن والسنة
## البصيرة الخامسة

# النبيُّ ﷺ إمـامٌ وقـدوةٌ لِكُلِّ إنْسَانٍ

**وتشتمل هذه البصيرة العظيمة علي المباحث الآتية :**

الأول : مَراتبُ ودَرجَاتُ الأَنْبياءِ والْرُّسُل

الثاني : نَسِبُ النَّبِي ﷺ

الثالث : فَضَائِلُ النَّبِي ﷺ

الرابع : شَمَائِلُ النَّبِي ﷺ

الخامس : خَصَائِصُ النَّبِي ﷺ

السادس : أُصُولُ أَخْلاقِ النَّبِي ﷺ

السابع : أَقْسَامُ حَيَاةِ النَّبِي ﷺ

الثامن : أَخْلَاقُ النَّبِي ﷺ

التاسع : دَعْوَةُ النَّبِي ﷺ

العاشر: عِبَادَةُ النَّبِي ﷺ

الحادي عشر: مُعَامَلاتُ النَّبِي ﷺ

الثاني عشر: فِقْهُ اِتِبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ.

# البصيرة الخامسة

# النبيُّ ﷺ إمامٌ وقدوةٌ لِكُلِّ إنْسَانٍ

## ١ - مَرَاتِبُ ودرجات الأَنْبياءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمْ الصُّلاةُ والسَّلَامُ

منْ رحْمَةِ الله بِعِبَادِهِ ، وَعِنَايَتِهِ بِهُمْ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، أَنْ خلقَهُمْ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمِ ، وَاصْطَفَاهُمْ بِأَنْ خلقَ أَباهُمْ آدمَ بِيَدِهِ ، وأَكْرَّمَهُمْ بِكَرَّامَاتٍ عَظِيْمَةٍ ، وسَاقَ إِلِيهِمِ أرزاقَهُمْ فِي أَمَاكِنِهُمْ ، وأَخْتَارَ مِنْهُمْ الأَنْبياءَ ،والْرُّسُلَ ، وَأَرسَلَهُمْ إِلَيْهُمْ فِي كُلِّ زمَانٍ ،ومَكَانٍ ، يَدْعُونهُمْ إِلِي عِبَادَةِ الله وحدهُ ، واجتنابِ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦].

وقَدْ بَلغَ عَددُ الْأَنْبيَاءِ وَالرُّسُلِ الَّذِين أَرسَلَهُمْ اللهُ إِلَى خَلْقِهِ إكراماً لهم، وعِنَايةً بِهِمْ( ١٢٤ ) أَلفَ نبيٍّ ، والْرُّسُلُ مِنْهُمْ ثَلاثَمائِةِ وَثَلاثَةَ عشَرَ.

وأَولُ الرُّسُلِ بَعْدَ آدمَ الله ﷺ نوحُ الله ﷺ ،وآخرهُمْ سِيدُهُم وأفضلَهُم محُمَّدٌ الله ﷺ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[الأحزاب:٤٠].

وَقَدْ اِصْطَفَى اللهُ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ ، وأَرسَلَهُمْ علَي مَدَى الزَّمَانِ إِلَى خَلْقِهِ، وفَضَلَّ بَعْضَهُمْ علَى بَعْضٍ: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾[البقرة:٢٥٣].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ٥٥﴾ [الإسراء:٥٥].

وَقَدْ خَصَّ اللهُ عَزَّ وِجَلَّ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنْ الأَنْبياءِ والرُّسلِ بنوعٍ مِنْ الْإِكْرامِ والفَضلِ، والصِّفَاتِ.

**وجَعَلَهُمْ مَرَاتِبَ عَلَي النّحْو التَالِي:**

**الأولـى:** مَرتَبَةُ المُلْكِ والسُّلْطَانِ والقُوةِ، وقَدْ أَعطَى اللهُ داوودَ وسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ والسَّلَامُ مِنْ هذاْ البَابِ نَصِيْباً عَظِيْماً.

**الثانيةُ:** مَرْتَبَةُ الْبَلَاءِ الشَّدِيْدِ، والمِحْنَةِ الْعَظِيْمَةِ ،وقدْ خَصَّ اللهُ أَيوبَ عليه الصلاة والسلام بِهَذِهِ المَرتَبَةِ العَظِيْمَةِ.

**الثالثة:** مِنْ جمَعَ بَيْنَ المُلْكِ والبَلَاءِ، وهُو يوسفُ عليه الصلاة والسلام ؛ فقد نَالَ البَلاَءَ العظيمَ فِي أَولِ الْأَمرِ ، ثُمَّ وصَلَ إِلَي المُلْكِ والعِزَّةِ فِي آخِرِ الْأَمْرِ.

**الـرابعةُ:** قُوةُ المُعْجِزَاتِ ، وكَثْرَةُ البَرَاهِينِ الدَّالَّةُ عَلَى وحدَّانِيةِ الله ، والمهَابةُ العَظِيمَةُ ،والصَّولةُ الشَّدِيْدَةُ ،والتَّخْصِيْصُ بِالتَّكَلِيمِ ، والتّقريبِ، وهَذا كَانَ في حَقِّ مُوسَى وهَارون عليهما الصلاة والسلام .

**الخامسة:** الزُّهْدُ الشّدِيدُ ، والإعراضُ عنْ الدُّنْيَا وزِيْنَتِها وزخارفِهَا، وَتَرْكُ مخُاَلَطَةِ مَن غرَّتْهُ الدُّنيَا، وهذا كَانَ فِي حقِّ زكريَا ويحَيَى وعيسى وإِلْيَاس ؛ ولهَذا وصَفَهُمْ اللهُ بِالصَّالحِيْن فِي كِتَابه.

**السادسةُ:** الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينِ لمَ يَبْقَ لهَمْ اتباعٌ مِنْ الخَلْق، وهُمْ:
إِسْمَاعِيلُ، واليسع، ويونسُ، ولُوْطًا عليهم الصلاة والسلام.

**السابعَةُ:** منْ خَصَّهُ اللهُ بِجَمِيعِ فضَائِلِ الْأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ، وهُو سَيدُ الأَنْبِياءِ والرُّسُلِ، وسَيدُ الخَلْقِ أَجْمعين محُمَّدُ الله ﷺ ؛ الَّذِي جمَعَ اللهُ لهُ محَاسِنَ الأَقْوالِ ، والأَعمَالِ ، والأَخْلَاقِ كما قالَ اللهُ تعالى فِي الثَّنَاءِ عَلَيهِ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم:٤].

وقال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وقدْ ذكَرَ اللهُ هؤلاءِ الأنْبياءَ والرُّسُلَ في سُورةِ الأنْعامِ، ثُمَّ أمَرَ رسُولَهُ محُمَّداً ﷺ بالإقْتِداءِ بهِمْ: فقالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام:٨٣-٩٠].

فيجب علينا الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله، وإتباع شريعة من أرسل إلينا منهم، وهو محمد الله ﷺ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة:١٣٦].

وقال عز وجل: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

## ٢ - نَسَبُ النَّبِي الله ﷺ

النَّبي الله ﷺ هو مُحُمَّدُ، بْنُ عَبْدِ اللهَ، بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، بْنِ هَاشِمٍ ، بْنِ عَبْدِ مَنَافِ ، بْنِ قُصَيِّ ،بْنِ كِلاَبِ ، بْنِ مُرَّةَ ،بْنِ كَعْبِ ، بْنِ لؤَيِّ ،بْنِ غَالِبِ ، بْنِ فِهْرِ، بْنِ مَالِك ،بْنِ النَّضْرِ، بْنِ كِنَانَةَ ،بْنِ خُزَيْمِةِ، بْنِ مُدْرِكَةَ ، بْنِ إِلْيَاسِ ،بْنِ مُضَرَ، بْنِ نِزارِ ،بْنِ مَعَدِّ ، بْنِ عَدْنَانَ، وعدنانُ من نَسلِ إسماعيلَ بْنِ إِبْراهيمَ الله ﷺ ، ونسبُ النَّبِي الله ﷺ محْفُوظٌ إلى آدم الله ﷺ.

وأخوالُ النَّبِي الله ﷺ من بَنِي زهرة ؛ لأَنَّ أُمَهُ آمنةَ بِنْتِ وَهْبِ كانَتْ مِنْهُمْ ، ويَلْتَقِي نَسَبُهُ الله ﷺ بنسبها فِي كِلاَبِ بْنِ مُرة .

وُلِدَ الله ﷺ بِمَكَةَ عامَ الفيلِ الموافق لِعَام (٥٧٠) ميلادي ، ومَاتَ وَالِدُهُ (عبد الله) وهو حمْلٌ فِي بَطْنِ أُمِهِ ، وَلماَّ وُلِدَ كَفَلَهُ جَدُهُ (عبد المطلب)، وماتَتْ والدتُهُ آمنة ، وهو ابن ستِ سنين ، ولمَّا مَاتَ جَدُهُ كَفَلَهُ عَمُهُ ( أبو طالب) .

وعَاشَ الله ﷺ عظيمَ الأخلاقِ ، حسنَ السِّيرةِ ، طَيبَ الشَّمَائِلِ ، حتَّى لقبَّهُ قومُهُ بالأمينِ.

وعَلَى رأسِ الأَربَعِين مِنْ عُمرهِ نُبِّىءَ مُحَمَّدُ الله ﷺ إِذْ جَاءَهُ الحْقُّ وهو بِغارِ حِراء يتعبدُ ، وأخبرَهُ جبريل أَنَّهُ رسُولُ الله ؛ ثُمَّ بَدأَ الله ﷺ يَدْعُو إِلَى الإِيمَانِ بالله ورسولِهِ، وتوحيدِ ربِّ العَالمين ، ويأْمرُ النَّاسَ ويدعُوهُم إلى عبادةِ الله وحدهُ لاَ شريكَ لهُ، واجتنابِ عِبَادةِ مَا سِواهُ ، فَلَقِيَ الله ﷺ صنوفاً مِن الأَذى، فَصَبَرَ حتَّى أظهرَ اللهُ دينَهُ ، وهَاجَرَ إِلى المَدِينةِ ،فَشُرِعَتْ الأَحْكَامُ ، وعَزَّ الإِسلامُ ، وكَمُلَ الدِّينُ ، ثم ماتَ النَّبِي الله ﷺ يومَ الاِثنينِ مِنْ ربيع الأول عام أحدَ عشرَ من الهجرة، وعُمْرُه ثَلاثٌ وسُتُونَ سَنَةً ،ولحِقَ بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى بعدَ مَا بَلَّغَ البلاغَ المبينَ، وجاهدَ فِي الله حقَّ جهادِهِ، ودلَّ الأُمَّةَ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ ،وحذَّرهَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، فَصلواتُ اللهُ وسَلامُهُ عَلَيهِ : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وعنْ أَبِيْ هُريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرناً فَقَرناً، حَتَّى كُنْتُ مِنْ القَرنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ**» أخرجه البخاري (١).

وشَاءَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ أَنْ يكُونَ نَبِيُّهُ الله ﷺ مِنْ أَعْلَى وأَطْهَرَ أَهْلِ الأَرضِ نَسَباً، وأكرمَهُمْ حَسَباً، وأَشْرَفَهُمْ قَوماً وقبيلةً وفخذاً، وأَحْسَنَهُمْ خَلْقاً وخُلْقاً كمَا قَالَ عزَّ وجلَّ عَنْهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

وعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَع رضِي اللهُ عنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ اِصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيْلَ، واصْطَفَى قُرَيشَاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِم مِنْ قُرَيْشَ، واصْطَفَانِيْ مِنْ بَنِي هَاشِم» أخرجه مسلم (٢).

وقدْ شَهِدَ القَرِيْبُ وَالبَعِيْدُ، والْصَّدِيقُ والْعدُو، بِطَهَارَةِ نَسَبِهُ الله ﷺ، ولَمْ يَزَلْ مُحَمَّدٌ الله ﷺ يتنقلُ مِن أَصْلَابِ الآبَاءِ الطَّاهِرين إِلى أرحامِ الأُمَهاتِ الطَّاهِراتِ، لمْ يُصِبْهُ شيءٌ مِنْ سِفَاحِ الجاهِلِيةِ.

وقدْ جرَتْ سُنَّةُ الله عزَّ وجلَّ أنْ لا يَبعثُ نَبياً ولا رسولاً إِلَّا فِي وَسَطٍ من قومِهِ شرفاً ونسباً؛ وقدْ كَانَ فِي الذَّروةِ مِن هذهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ الله ﷺ؛ فَمَا مِنْ أَبٍ مِنْ أَبَائِهِ إِلَّا كَانَ غَنِياً بِالفَضَائِلِ والمَكارِمِ، ومَا مِنْ أَم مِنْ أمهاتِهِ إِلَّا وهي أَفْضَلُ نساءِ قومِها نسباً ومنزلةً، ولمْ تزلْ هذهِ الفَضَائِلُ والكَمَالاتُ البَّشريةُ تتحدرُ مِن الأُصُولِ إِلَىَ الفروعِ، حتَّى تجمعَتْ كُلُّهَا فِي سَيد البَشَرِ، ورسُولِ رَبِّ الْعَالمِيَن، وَخِيْرةِ بَنِي آدمَ على الإطلاق، مُحَمَّدٌ الله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٦).

﴿أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وقدْ اختارَ اللهُ عزَّ وجلَّ محُمَّدَاً الله ﷺ مِنْ قبيلةٍ ذاتِ مكانةٍ عاليةٍ ؛لتكونَ دعوتُهُ إلِىَ العدلِ والمساواة قائمةً عَلى أُسسٍ ثابتةٍ ، وليستْ ردةَ فعلٍ لحالةٍ نفسيةٍ، أو طلبُ مكانةٍ اجتماعيةٍ ؛لئلا يكونَ لِأَعْداءِ الإِسْلَام سلاحٌ في أيديهم، للصَدِّ عنْ سبيلِ الله، وحتَّى لا يتوهَمُ متوهمٌ أَنَّ رسالَتَهُ الله ﷺ مَا هِي إِلَّا وسيلةٌ لِغَايةٍ، وهِي رفعُ وضْعُهُ الاجتماعي، فلو لمْ يَكُنْ محُمَّدٌ الله ﷺ في هذا النسبِ الرَّفيعِ فِي قومِهِ، لَقِيلَ إِنَّ محُمَّداً إِنَّمَا يُطَالِبُ بِمَا افتقدَهُ ؛ لِيَرُدَ اعتبارَهُ الاجتماعي ، ومَع هذا النَّسَبَ الرَّفِيعَ فقد قالَ الكفارُ مَا حَكَى اللهُ عنْهم بقوله : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف:٣١].

وكَونُ النَّبي الله ﷺ من قبيلةٍ ذاتِ مكانةٍ وسيادةٍ ،يعودُ عليهِ بالحِمَايةِ والنُّصْرةِ، وقدْ وقفتْ قبيلةُ الرَّسولِ الله ﷺ مواقفَ طيبةً فِي حمايتِهِ ، ودخلُوا معَهُ فِي الشِّعبِ ؛لِنُصْرَتِهِ ،ولمَّا حاولَ كُفَارُ قُريشٍ قَتْلَهُ، كانَ مِنْ العَقَبَاتِ التِي أهمَّتْهُمْ قبيلتُهُ ، ووقفَ معَهُ عمُه أبو طالبٍ مواقفَهُ المشهورةَ ضِدَّ أَكَابرَ قُريش، وإِسْلَامِ عمُه حمزة رضِي اللهُ عنْه كانَ أصلُهُ وبدايتهُ حَمِيةً لابنِ أخيهِ .

وبهذا نعلمُ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ اختارَ نَبيهُ الله ﷺ منْ خَيرِ القُرونِ ،وأزكَى القَبَائِل ، وأعظمِ البُطُونِ ، فَكَانَ الله ﷺ أوسطَ قومِهِ نسباً، وأعلاهُمْ حسباً ، وأعظمَهُم شرفاً، وأحسنهُمْ خُلقاً، وأعزَّهُم نفراً : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨].

فكانَ الله ﷺ نخبةَ بَنِي هَاشِم ،وصميمَ قُريشٍ ،وأشرفَ العَربِ، وتاجَ النَّاسِ، وخيرةَ خَلقِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فصلوات الله وسلامه عليه.

# ٣- فضائلُ النَّبي ﷺ

**فضل نسبُ النَّبي ﷺ:**

قال النبي الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ اصطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلِ، واصْطَفَى قُرَّيْشَ مِنْ كِنَانَةِ، واصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، واصْطَفَاني مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» أخرجه مسلم(١).

وقَالَ النبي الله ﷺ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً ، أَنَا محُمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ ،وَأَنَا المَاحِي؛ الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيْ الكُفْرَ ،وَأَنَا الحَاشِرُ؛ الَّذِي يحُشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي ،وَأَنَا العَاقِبُ؛ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ ،وَفِي لَفْظٍ وَنَبِيُّ التَّوبَةِ ،وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ» **متفق عليه**(٢).

وقَالَ الله تَعالَى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم قال: «فُضِّلْتُ على الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلى الخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ» أخرجه مسلم(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهَّ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**» متفق عليه(٤).

وقَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٩٦)، و أخرجه مسلم برقم (٢٣٥٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٥٢٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٥)، و أخرجه مسلم برقم (٢٢٨٦).

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» أخرجه مسلم [(١)].

وهذِهِ الأُمَّةُ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْنَّاسِ ؛ فقدْ أكرمَهَا اللهُ بِأَحْسَنَ الْكُتُبِ، وَأَفْضَلَ الرُّسُلِ ،وَأَحسَنَ الشَّرَائِعِ، وأفضل الأعمال، وَأفضلَ البِلَادِ، وأعظم الأجور : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

وَرَسُولُ الله محُمَّدٌ الله ﷺ رسُولٌ للأمَّةِ إلى يوم القِيامَةِ ، جمَعَ اللهُ فِيهِ محَاسِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، فَهُوَ إِمَامُ الأَنْبِياءِ والمُرسَلِينَ، وخليلُ ربِّ الْعَالمِينَ، ورسُولُ الله إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِين ، فهُو الله ﷺ خيرٌ مِنْ كُلِّ أَحدٍ ، ولَهُ الفَضلُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، وزكَّاهُ اللهُ ربُّهُ الواحِدُ الأَحدُ بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤].

زكَّاهُ ربُّهُ إِجمَالاً وتفصِيلاً، فالإجمال كما قال سبحانه : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فهو الله ﷺ الرحمةُ المهداة لِكُلِّ الخلائق منذُ بعثته، وأول من استفاد من هذه الرحمة من أمن به : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وهو الله ﷺ رحمةً على المنافقين بالسَّتر لهم على مَا فِي قُلوبهم ، ورحمةٌ عَلى المُشَّركين ، والكافرين ؛ بالإمهال ، وعدم أخذهم بالعذابِ، وَرَحْمَةٌ عَلى البَرية

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨).

و البَشَرِيةِ كُلِّها إِلَى قِيَام السَّاعةِ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال عز وجل : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وكَمَا زَكَّى اللهُ رسُولَهُ محُمَّداً الله ﷺ بالْإِجْمَالِ، فَقَدْ زكَّاهُ فِي القرآنِ بِالتَّفْصِيلِ .

فقدْ كانَ الله ﷺ خُلُقُهُ القرانُ ؛ يَتخَلَّقُ بِأَخلاقِهِ ، ويصدق أخباره، ويتأَدَّبُ بِآدابِهِ ، ويَمْتَثِلُ أَوامِرَهُ ،ويجْتَنِبُ نَواهِيهِ.

والقرآنُ الكَرِّيمُ عَدَدُ آياتِهِ (٦٢٣٦ ) آية .

وَقَدْ جمَعَ اللهُ فِي القرآنِ ثلاثةَ أشياءٍ : صُورةُ النبيّ الله ﷺ ، وسِيرةُ النبيّ الله ﷺ وسَريرةُ النبيّ الله ﷺ ؛ وقدْ ذكَرَ اللهُ هذهِ الثلاثَ فِي أكثرِّ مِن ألفي آيةٍ فِي القرآنِ الكريمِ .

فذكرّ صُورةَ النَّبيّ ﷺ بِالتَّفْصِيلِ مِنْ الرَّأسِ إِلَى الْقدمِ.

فذكرّ بَصرهُ بِقولِه : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النجم: ١٧].

وذكرَ سَمعَهُ بِقولِهِ : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة: ٦١].

وذكَرَ لِسانَهُ بقولِه : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

وذكَرَ وجْهَهُ بِقولِه : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وذكَرَ قَلبَهُ بِقولِهِ : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ -١٩٥].

وذكَرَ صدْرَهُ بِقولِهِ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [الشرح: ١].

وذكَرَ ظَهْرَهُ بِقولِهِ : ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ [الشرح:٣].
وَذكَرَ أَقْدامَهُ بِقولِهِ: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان:٧].
وذكَرَ حُجُراتِهِ بِقولِهِ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحجرات:٤].
وذكَرَ نِساءهِ بِقولِهِ : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢﴾ [الأحزاب: ٣٢].
وَذكَرَ بَلَدَهُ بِقولِهِ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ [البلد:١ -٢].
وَذكَرَ شَرِيْعَتَهُ بِقولِهِ : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٤].
وَذكَرَ مُعَلِمَهُ وهُو جِبْرِيلُ بِقَولِهِ : ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم:٥].
ثُمَّ ذكَرَ اللهُ صحابَتَهُ بِقولِهِ : ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾ [النور:٣٦-٣٧].
ثُمَّ ذكَرَ أُمتَهُ بِقولِهِ : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].
واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى يُعْطِي كُلَّ نبِّي مَا سَألَ، ولَكِنَّهُ يُعْطِي رسولَهُ الله ﷺ بِدونِ سُؤالٍ : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى:٥].
وقَدْ غفَرَ اللهُ لَهُ الله ﷺ مَا تقدَّمَ مِنْ ذنبِهِ ومَا تَأخرَ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح:١ -٢].
فهُو ﷺ رحمةُ للعالمين، و أُمَّتُهُ ثَلاثةُ أصنافٍ :
ظالمٌ لِنفسهِ .. ومُقتصِدٌ.. وسَابِقٌ بِالخيراتِ ، وكلهم في الجنة.

فالسَّابِقون مِنْ أُمَّتِهِ يَدْخلُون الجنَّةَ بِغيرِ حِسابٍ .. وأمَّا المُقتَصِدون فيَدْخلُون الجنَّةَ بِرحْمَةِ الله .. وأمَّا الظالمُ لِنفسِهِ فيَدْخلُ الجنَّةَ بِشَفاعَةِ رسُولِ الله ﷺ.

وقد قَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ عَنْ أصناف أُمَّةِ محُمَّدٌ الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾ [فاطر: ٣١-٣٤].

فالنبيّ الله ﷺ بعثَهُ اللهُ رحمةً للعالمين : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ونحنُ يجبُّ أنْ نكونَ رحمةً للعالمين، لتفوز برحمة الله : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

## ٤ - شَمَائِلُ النَّبِيّ ﷺ

«كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً، وَأَحْسَنَهُ خَلْقاً، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الذَّاهِبِ وَلا بِالقَصِيرِ». متفق عليه[١].

و«كَانَ ﷺ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ على نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ». متفق عليه[٢].

و«كَانَ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، وَإِذَا كَرِهَ شَيْئاً عُرِفَ في وَجْهِهِ». متفق عليه[٣].

و«كَانَ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَانَ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ». متفق عليه[٤].

و«كَانَ ﷺ يُبَاشِرُ نِسَاءَهُ فَوقَ الإِزَارِ وَهُنَّ حُيَّضٌ». متفق عليه[٥].

و«كَانَ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ في تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ». متفق عليه[٦].

و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لا يَطْرُقُ أَهْلَهُ، كَانَ لا يَدْخُلُ إِلَّا غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً». متفق عليه[٧].

و«كَانَ ﷺ لا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا نَهَاراً في الضُّحَى، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ، فَصَلَّى فِيْهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ». متفق عليه[٨].

و «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعاً، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيهِ». متفق عليه[٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٤٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٤٣٩)، ومسلم برقم (٢١٩٢) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢)، ومسلم برقم (٢٣٢٠) واللفظ له.

(٤) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٦)، ومسلم برقم (٢٧٦٩) واللفظ له.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٠٣)، ومسلم برقم (٢٩٤) واللفظ له.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٨).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٨٠٠) واللفظ له، ومسلم برقم (١٩٢٨).

(٨) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٠٨٨)، ومسلم برقم (٧١٦) واللفظ له.

(٩) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٣٧).

و «كَانَ ﷺ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيُحْيِي آخِرَهُ». متفق عليه[١].

و «كَانَ شَعَرُ رَسُولِ الله ﷺ رَجِلاً، لَيْسَ بِالسَّبِطِ وَلا الجَعْدِ، بَيْنَ أُذُنيهِ وَعَاتِقِهِ». متفق عليه[٢].

و «كَانَ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ». متفق عليه[٣].

و «كَانَ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثاً حَتَّى تُفْهَمَ، وَإِذَا أَتَى على قَومٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيهِمْ ثَلاثاً». أخرجه البخاري[٤].

و «كَانَ ﷺ إِذَا اشْتَدَّ البَرْدُ بَكَّرَ بِالصَّلاةِ، وَإِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ أَبْرَدَ بِالصَّلاةِ». أخرجه البخاري[٥].

و «كَانَ ﷺ يُصَلِّي على رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ، فَإِذَا أَرَادَ الفَرِيْضَةَ نَزَلَ فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ». أخرجه البخاري[٦].

و «كَانَ ﷺ رَحِيماً رَفِيقاً». أخرجه البخاري[٧].

و «كَانَ ﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ». أخرجه البخاري[٨].

و «كَانَ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلا صَوتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ». أخرجه مسلم[٩].

و «كَانَ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ». أخرجه مسلم[١٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٦)، ومسلم برقم (٧٣٩) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٣٨).

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٢٨)، واللفظ له ،وأخرجه مسلم برقم (٥٢٤).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٩٥).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٩٠٦).

(٦) أخرجه البخاري برقم (٤٠٠).

(٧) أخرجه البخاري برقم (٦٣١).

(٨) أخرجه البخاري برقم (٢١٤).

(٩) أخرجه مسلم برقم (٨٦٧).

(١٠) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣).

و «كَانَ ﷺ كَثِيراً مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ». أخرجه مسلم(١).

و «كَانَ ﷺ يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ». أخرجه مسلم(٢).

و «كَانَ ﷺ يَذْكُرُ الله تَعَالى على كُلِّ أَحْيَانِهِ». أخرجه مسلم(٣).

و «كَانَ ﷺ رَجُلاً سَهْلاً». أخرجه مسلم(٤).

و «كَانَ ﷺ يُوجِزُ في الصَّلاةِ وَيُتِمُّ». أخرجه مسلم(٥).

و «كَانَ ﷺ رَحِيماً رَقِيقاً». أخرجه مسلم(٦).

و «كَانَ ﷺ تعجبه الريح الطيبة». أخرجه أحمد وأبو داود(٧).

وغير ذلك من شمائِلِهِ ﷺ الَّتِي هي أحسن شمائل أهل الأرض جميعاً، فهو كما قال عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٧٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٣٧٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٢١٣).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٤٦٩).

(٦) أخرجه مسلم برقم (١٦٤١).

(٧) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٦٣٦٤)، وأخرجه أبو داود برقم (٤٠٧٤).

## ٥ - خصائص النبيّ ﷺ

النبي محمد ﷺ خَاتَمُ الأنبياءِ و المُرسلِين .. وإمامُ المُتقِين .. ورسَالَتَهُ عامةُ للثقلينِ .. أرسلَهُ اللهُ رحمة للعالمين ..أُسْرِيَ بِهِ إِلى بيتِ المَقْدِس .. وعُرِجَ به إِلى السماءِ .. وناداه ربُّهُ بوصفِ النُّبُوةِ والرِّسَالةِ.. وأُعْطِيَ جَوامِعَ الْكَلِمِ .

وقدْ خَصَّهُ اللهُ دونَ الأَنبياءِ بِخصائص وكراماتٍ :

فقد خَصَّ اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَنَا مُحَمَّداً ﷺ بخصائص تفردَّ بها عن جميعِ الأنبياءِ، ولم يشاركْهُ فيها أحدٌ مِنْ الأنبياءِ والرُّسلِ ، ومنها تلك الصفاتُ الخَمْس العَظِيْمِة الَّتِي أَثْمَرتْ كُل خيرٍ وبركةٍ ونفع ، وهذه الصفات هي :

**الأولى** : أنه ﷺ نُصِرَ بالرعب مسيرة شهر ، وهذا نَصْرٌ رباني يُعِينُ اللهُ به رسوله وأمته المستقيمين على هديه ؛ فإذا أراد الله نصر أولياءه ألقى في قلوب أعدائه الرعب كما قال سبحانه: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران:١٥١].

وألقى سُبْحَانَه فِي قلوب أوليائه من القوةِ ، والثباتِ ، والسكينةِ ، والطمأنينةِ ما هو أعظم أسباب النصر : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر:٥١].

وقال عز وجل : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨].

**الثانية** :أن الله عز وجل جعل له ولأمته الأرض مسجدًا و طهورًا ، فجميع بقاع الأرض مساجد يُصَلَّى فيها ، إلا ما استُثني كالمِقْبَرة ، والحمّام ، وأعْطَانِ الإبل، ونحو ذلك ، وكذا من عَدِم الماء، أوتَضَرَّر باستعمالِه، فله العدول للتيمم بجميع ما يصعد على وجهِ الأَرْضِ : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا

﴿ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾[النساء: ٤٣].

**الثالثة** :أن الرَّسُول ﷺ أحلَّ اللهُ لَهُ الغنائِمَ، ولم تحِلْ لأحدٍ من قبلِهِ ؛لكرامتِهِ على رَبِّهِ ، وكرامةِ أمَّتِه وفضلهم على من قَبْلَهُم ، فأحلَّها لهم إكرامًا لهم ، وحصل لهذه الأمة بهذه الغنائم من سعةِ الرزقِ ، وكَثْرةِ الخيراتِ ، والاستقامةِ على أمورِ دينهم ودنياهم ما تحقق بسببِهِ أعظمُ المنافع وقضاء الحاجات : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾[الأنفال: ٦٩].

**الرابعة**: أن الله أعطى لِلنَّبِيِّ ﷺ الشَّفاعةَ العُظْمَى الَّتِي يعتذرُ عنْها كِبارُ الرُّسلِ وهم :نُوح، وَإِبْرَاهِيم، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وانتدب لها خاتم الرسل وأفضلهم محمداً ﷺ فيشفّعهُ الله يوم القيامة في الخلق، ليُقضى بينهم ،ويحصل له المقام المحمود الذي يحْمَدُه عليه الأولون والآخرون ، وأهل السماء وأهل الأرض ، وتنال أمته من هذه الشفاعة الحظ الأوفر : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء:٧٩].

وقال النَّبِيُ ﷺ: «لكل نبي دعوة قد تعجلها، وقد خبأت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا» متفق عليه(١).

**الخامسة** :أن الله بعث كل نبي إلى قومه خاصة ، وبعث محمداً ﷺ للناس عامة، وذلك لكمال شريعته، وعُمُومِها، وسعتها، واشتمالها على أنواع المصالح ، فهي لكمالها صالحة لكل زمان ومكان : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴿٣﴾ ﴾[المائدة:٣].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغنائم، وَلَمْ تحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ**

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٤)، وأخرجه مسلم برقم (١٩٩).

**خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى الناس عامة)** متفق عليه [(١)].

ومِمَّا يَخُصُّهُ ﷺ دونَ أُمَّتِهِ .. الوصالُ فِي الصِّيامِ .. والزواجُ بِلا مَهرٍ .. ونِّكاحُ أكثرَ مِن أربعِ نساءٍ ..ولا تُنكَحُ أزواجُهُ مِنْ بعدِهِ .. وعدمُ أكْلِ الصَّدقةُ .. وأنَّهُ يسمعُ مَا لا يسمعُ النَّاسُ .. ويرى مَا لا يرى النَّاسُ ، كما رأيَ جبريلَ على صورتِهِ الَّتِي خلقَهُ اللهُ عليهَا ، وأنَّهُ ﷺ لا يُورِثُ .

و قدْ فضَّلَ اللهُ عزّ وجلّ النَّبيّ ﷺ بِفضائلَ وخصائص كثيرةٍ ،فاقَ بِها جميعَ الأنبياءِ و الرِّسلِ مِنْ قبلِهِ ، فكُلُّ خصلةٌ حميدةٌ ترجعُ إلى العلومِ النَّافِعةِ ،و المعارفِ النبيلةِ، و الأخلاقِ الكريمةِ ،و الأعمالِ الصَّالحِةِ ، فلنبيِّنَا محُمَّدُ ﷺ أعْلاهَا و أَفْضلَها، وأكملَها و أَحْسنَهَا ،ولهذا أثنى عليهِ ربُّه بقولِه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

وقدْ أكمل ﷺ جميع مَا أمرَّهُ اللهُ بهَ ، وفاقَ جميعَ الخلقِ فِي جميعِ الفضائلِ ، ولهذا لمّا ذكرَ اللهُ أعيانَ الأنبياءِ قالَ لنبيِّه ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾[الأنعام: ٩٠].

هُداهُم، هو مَا كانُوا عليهِ مِن الفضائلِ الظاهرةِ والباطنةِ ، فقَد فرَّقَ اللهُ جميعَ الفَضَائِلِ و المَحَاسِن فِي الأنبياءِ، ثُمَّ جمَعَها فِي سَيدِ الأنبياءِ محُمّد ﷺ ، ولهذا أثنى عليه ربه بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

ثم تلك الفائل في أُمَّةُ سيد الأنبياء كما قال سبحانه : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

فَصلَوَاتُ اللهِ وَسَلامَه عَلَيْهِ، فَقَدْ كَانَ رَحمَةَ لِلعَّالمَين، بَلَّغَ الرِّسَالَة، وَأدى الأمَانَة، وَنَصَحَ الأُمَّة، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقّ جِهَادِهِ، حَتَّى أتَاهُ اليَقِين .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٣٨)، وأخرجه مسلم برقم (٥٢١).

## ٦ - أصول أخلاق النَّبي ﷺ

**أخلاق النَّبي ﷺ تقوم على سبعة أصول عظيمة هي :**

**الأول:** رجاحةُ عقلهِ ﷺ ، وسدادُ رأيهِ ، وَصِدْقُ فِرَاسَتِهِ، وَحُسْنُ تَدْبِيرِهِ ، وصوابُ اختيارهِ، وَحُسْنٌ تَأَلُّفِهِ لِلنَّاسِ، نَبِيهٌ فَطِن، فَمَا اسْتُغْفِلَ فِي مَكِيدَةٍ، وَلَا استعجز فِي شَدِيدَةٍ ، حَكِيمٌ يَضَعُ الأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

**الثاني:** ثباتُه ﷺ في الشدائدِ وهو مطلوب ، وصَبْره على البأساءِ والضراءِ وهو مكروب، ونفسُهُ ﷺ مع شدة الأحوال ومرارتها ساكنةٌ مطمئنةٌ، لا يخور في شديدةٍ، ولا يستكينُ لعظيمةٍ، وهو مع الضَّعْف، وقلة الناصر، يَصْبِرُ صَبْرَ المُسْتَعْلِي، ويثبتُ ثبات المُسْتَوْلي ،وقد لقي ﷺ من كفار قريش صُنُوف الأذى، والتهكم ، والاستهزاء ، والسخرية، ما تشيبُ له النواصي ، وتتفطرُ منه الأكباد، فصلوات الله وسلامه عليه.

قويٌ ثابت ، يواجهُ كل مرة ، وينتقلُ من محنةٍ إلى محنةٍ ، ويخرج من عظيمةٍ إلى عظيمةٍ ، وهو ثابت كالجبالِ الراسيات ؛ لكمال يقينه، وكمال ثقته بربه ، ورضاه بما قدره من حلو ومر ،وكلما زاد بلاؤه ازداد رضاه عن ربه ، وحمدهُ له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤].

**الثالث:** زهده الله ﷺ في الدنيا، وإعراضه عنها، وقناعته منها باليسير ؛ فلم يَمُلْ إلى فتنتها ، ولم تلهه حلاوتها ، ولم تغّره زينتها ،وقد ملك من أقصى الحجاز إلى أقصى الشام ، ومن أقصى اليمن إلى أقصى عُمان ، ومع ذلك كان أزهد الناس فيما يقتني ويشتهي ؛ لم يحفر بئرًا ، ولم يُجْرِ نهرًا ، ولمْ يشدْ قصرًا ،ولم يُورِثْ أهله مالاً ولا متاعاً يصرفهم عن الدنيا كما صرف نفسه عنها ،رضي من

الدنيا بالميسورِ النزرِ ، وقنع منها بالعيشِ الكدرِ، فصلوات الله وسلامه عليه .

**الرابع**: تواضعه ﷺ ، فهو أشد الناس تواضعا للناس وهو سيدُ الخلق كلهم، يمشي في الأسواقِ ، ويجلس على الترابِ ،ويخفضُ الجناحَ ،ويتواضعُ للجليس : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].

لم يتميز ﷺ عن أصحابه، بطعام ، ولا شراب ، ولا لباس ، ولا دار ، ولا مركوب، فصار بالتواضع متميزًا، حتى اضطر القلوب لمحبته وإجلاله وتوقيره: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

**الخامس**: حِلمُه ووقاره ﷺ ، فلم يكن بالطائش ، ولا المستفَز ،كان أوسع الناس صدرا، وأكملهم حلماً، أُبْتُلِي بجفوة الأعراب ، واستكبار الأشرار ، وأذى الحساد ، فكان أحلم الناس على الناس؛ يعفو عمَن ظلمه ، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه ، ويحسن إلى من أساء إليه ، ويحلم على من أذاه ، ويعفو عمن سلبه حقه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].

**السادس**: رحمته ورأفته ﷺ بالناس كلهم، مؤمنهم وكافرهم، كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨].

أكرمه الله بالرحمة، وألان قلبه لكل من رآه أو سمعه ، وجمع به القلوب على التوحيد والإيمان : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقال عز وجل : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وجمع الله به القلوب على التوحيد والإيمان، ونال من رحمته، الإنس والجن، والطير والبهائم، والعدو والصديق، والقريب والبعيد : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

**السابع**: حفظه ﷺ للعهد، ووفاؤه بالوعد ، فلم ينقض عهدا قط ، ولم يخلف وعدا قط ؛ يرى النقض والغدر من مساوئ الأخلاق، فما كان خائنا، ولا غادرا، ولا ناكثا ؛ كان وفيًا ، أميناً صادقًا، كريمًا بنفسهِ وماله ووقته : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾ [القلم: ٤].

فَهَذَا هُوَ النَّبِيُ الخَاتِمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَهُ، وَنَعْرِفُ صِفَاتِه، وَنَعْرِفُ سُنَتَهُ وَسِيرَتِهِ، لِنَقْتَدِيَ بِهِ فِي كُلِّ مَا أَرْسَلَهُ اللهُ بِهِ : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾ [الجمعة: ٢].

## ٧- أقسام حياة النَّبيُ ﷺ

حياة النَّبيُ ﷺ كلها امتثال لأوامر الله : ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣].

**وحياة النَّبيُ ﷺ لها أربعة عناوين :**

حياتهُ ﷺ في بيتهِ .. وحياتهُ ﷺ في مسجدهِ .. وحياتهُ ﷺ بين الناس .. وحياتهُ ﷺ في خروجهِ في سبيلِ الله.

ونحنُ علينا أن نعرفَ هذه الحياة بأقسامها الأربعة :بِأَنْ يَكُونَ بَيْتُنَا كَبَيْتِهِ، وَمَسْجِدُنَا كَمَسْجِدِهِ، وَمَدِينَتِنَا كَمَدِينَتِهِ، وَمجْتَمَعِنَا كَمُجْتَمَعِهِ، وَخُرُوجِنَا فِي سَبِيلِ الله كَخُرُوجِهِ.

فبيتٌ كبيَتهِ مسؤولية المرأة، والرَّجل عونٌ لها ، ومسجد كمسجده، مسؤولية الرَّجل والمرأة عونٌ له، والخروج في سبيل الله، والدعوة إلى الله، لإعلاء كلمة الله، وظيفة الجميع : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة: ٢].

وإذا كانت سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة متعلقةٌ بهدي النَّبِيُ ﷺ ، فيجب على كل مسلم يحب أن يسعد في الدنيا والآخرة أن يعرف من سيرة النَّبِيُ ﷺ وهديهِ وسنتهِ ، ما يخرج به من قوائم الجاهلين، ويدخل به في عِداد اتباعه المؤمنين : ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

**والاتِّباع الكامل للنَّبِي ﷺ يتحقق بسبعة أمور :**

معرفة سيرته وسنته، واتِّباعه في نيته وفكره، و في أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة، وفي دعوته وجهاده من أجل إعلاء كلة الله.

وحياة النَّبِيُ ﷺ أحسن حياة ، وأطهر حياة ، و أزكى حياة ، وأجمل حياة ، وقد

أكرم الله رسوله ﷺ بأنواع الحياة المختلفة :
زوجًا ، وأبًا ، وداعيًا، ومعلمًا ، وعابدًا ، وزاهدًا ، وإمامًا ، وسيدًا، وذاكرًا ، ومُذكّرًا، وغنيًا ،وفقيرًا ، وشاكرًا ،وصابرًا ، ومجاهدًا ،ومقاتلًا، وغير ذلك من صفحات الحياة القلبية ،والبدنية، والمالية ، والأخلاقية لرسولنا ﷺ .
وَنَحْنُ نتعلم هَذِهِ الأُمُورَ، لِنَمْتَثِلْ أَوَامِرَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ حَال، وهذه الأنواع المختلفة من حياة الرَّسُولُ ﷺ ، ليمتثل ﷺ أمر الله إليه في كل حال، ويبلغ فيها الكمال، وينال عليها أحسن الثواب : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤].
وثانيا : ليكون ﷺ قدوة لكل فرد من أمته، سواء كان رجلًا، أو امرأة ، أو زوجًا، أو أبًا، أو حاكمًا، أو محكومًا ،أو قويًا، أو ضعيفًا، أو داعيًا، أو معلمًا : ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾** ﴾ [الأحزاب:٢١].
لهذا يجب على كل مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ مَا جَاءَ بِهِ، وَالعَمَلُ بِمُوجِبِهِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ، والتخلق بِهِ، وَالتَّوَاصِي بِهِ، والصبر على كل ذلك : ﴿**وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾**﴾ [العصر:١-٣].
**وحياة النَّبِيُ ﷺ تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:**
**الأول:** طَرِيقَةُ حَيَاةٍ: وهي كل ما كان يتحلى به الرَّسُولُ ﷺ من الأخلاق، والآداب، والسنن، والفضائل الشرعية، وهي تزيد على أكثر من ألفِ أدبٍ، تزينَ بها النَّبِيُ ﷺ، ليكون قدوة لكل مسلم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤].
**الثاني:** فرائض حياة : وهي جميع الفرائض والواجبات والحقوق الشرعية، فإذا جاء وقت الصَّلَاةِ صَلَّى ، وإذا جاء وقت الصِّيَامِ صَامَ ، وإذا جاء وَقت الحجِّ حَجَّ ، وهكذا في جميع الفرائض ، ويُودي جميع الحقوق لله، ولرسوله، وللوالدين، وللجيران وهكذا.. فهذه فرائض الحياة الواجبة : ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾**﴾[الحج: ٧٧].

**الثالث**: َمقْصَدُ حَيَاة: وهي الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أرسل اللهُ رَسُولَهُ محُمَّداً ﷺ رحمةً للعالمين، فدعا الناسَ إلى توحيدِ ربِ العَالمِينَ ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه من الأصنام والأوثان وغيرها.

فمقصد حياة النبي ﷺ عشرة أمور كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٨].

فقام ﷺ بالدعوةِ إلى الله بين أهلهِ ، وعشيرتهِ ، وقومهِ ، وقريتهِ ، وما حولها ، والعربُ قاطبة ، والناسُ كافة ، والعالمُ قاطبة ، يدعو إلى الله في الليلِ والنهارِ، والحضرِ والسفرِ، والصحةِ والمرضِ .

فَبلَّغَ ﷺ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَجَاهدَ فِي الله حَقّ جِهَادِهِ، وَتَركَ الأُمَّةَ عَلَى البَيْضَاء لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يُزِيغُ عَنْهَا إلا هالك، َتحقيقا لقوله سبحانه : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧].

ودعا ﷺ إلى الله من أول يوم من بعثته إلى آخر يوم من حياته، وربى أصحابه على ذلك، فَالدَّعْوَةُ إِلَى الله هي مقصدُ حياتهِ ﷺ ، وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة، وقد أمر الله بها قبلَ الصلاة والصوم وغيرها من فرائض الإسلام .

ووقت الفرائض، محدود ، ووقت الدعوة مطلق غير محدود ، بل الدَّعْوَةُ إِلَى الله هي أم الفرائض وأداء الفرائض من ثمراتها : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨].

فيجب علينا التحلي بالآداب الإسلامية، وأداء الفرائض والحقوق، والقيام بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن قام بهن الثلاث فقد حقق حياة النبي ﷺ في حياته: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

## ٨ - أخلاق النبي ﷺ

أَخْلَاقهُ ﷺ أَعْظَمُ الأَخْلَاقِ، وَأَحْسَنُ الأَخْلَاقِ، وَأَفْضَلُ الأَخْلَاقِ كما قال عنه ربه عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

وَعَنْ عَبْد الله بِنْ عَمْرٌو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا متفحشا، وكان يَقُولُ أَنْ مِنْ خِيَارِكُمْ أُحْسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» متفق عليه(١).

**وَعَنْ أَنَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ ":خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفّ، وَلَا لمَ صَنَعَتْ، وَلَا أَلَّا صَنْعَتُ. "** متفق عليه(٢).

فلابد لنا أن نعرف حياة النَّبِي ﷺ وأخلاقهُ، لنقتديَ به، ونتعبد لله بذلك.

فنعرف كرمُه ﷺ، وحياؤُه ﷺ، وتواضعُه ﷺ، وشجاعتُه ﷺ، ورفقُه ﷺ، وعفوُه ﷺ، ورحمتُه ﷺ، وشفقتُه ﷺ، وزهدُه ﷺ، وعدلُه ﷺ، وحلمُه ﷺ، وصبرُه ﷺ، ونصحُه ﷺ، وغير ذلك من الصفات والشمائل التي كان يتحلى بها، لنقتدي بالرسول ﷺ في تطبيقها: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأخلاق النَّبِي ﷺ عظيمة لا يتسع الوقت لإجمالها فضلا عن تفصيلها.

فَاللهُ عزَّ وجلَّ أعطى النَّبِي ﷺ صفتين عظيمتين هما:

صِفَةُ الجَمَال، وَصِفَةُ الجَلَال .. وَجمَالُ الظَّاهِرُ، وَجمَالُ البَاطِنُ.

ويوسف ﷺ أُعْطَى شطر هذا الحسن، أمَّا مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ أُعْطِى الجَمَالُ كُلَّهُ، وَالحَسَنُ كُلُّهُ، وَالحَيَاءُ كُلُّهُ، حيث جمع الله فيه محاسن الأقوال والأعمال، والأخلاق والآداب، وجمال الظاهر والباطن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩)، وأخرجه مسلم برقم (٢٣٢١).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٣٨)، وأخرجه مسلم برقم (٢٣٠٩).

فجمال يوسف ﷺ فاتنٌ، فُتِنتْ به نساءُ مصر ، وحسده إخوانه من أجله ؛ لتعلق قلب أبيه يعقوب ﷺ به.

أمَّا جمال محمد ﷺ فَهُوَ أَعْظَمُ جمَالٍ، لَكِنَّ اللهَ كسَّاهُ بِالجَلَالِ، وَالهيْبَةِ ، وَالوَقَارُ، مِنْ رأه هابَهُ وَأَجَلُهُ، وَمِنْ خَالَطَهُ أَحِبَّه، العُيُونُ لَا تمَلُ مِنْ النَّظَرِ إِلَى حُسْنِهِ وَجمالِهِ. وَتَغُضُّ عَنْهِ الأَبْصارُ حَياءٌ لجِلَالِهِ وَمَهابَتِهِ، فهو كما قال عنه ربه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

وإذا كانت الأطوال تقاس بالأمتار، والأوزان تقاس بالكيلو و الطَّن ، فإن الأخلاق تقاس بخلقِ النَّبي ﷺ ، الَّذِي كَانَ أَحْسَنَ الخَلْقِ خَلْقًا وَخُلقًا، وحُسْنًا وَجمَالا، أَبْهَى النَّاسِ وَأجمَلُهُمْ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحَلَّاهُمْ وَأَحسنُهُمْ مِنْ قَرِيبٍ، أفْصَحُ البَشَرِيَّة كلامًا، وأحْسَنُهم بيانًا، وأصْدَقُهم حديثًا، وأكْرمُهُم يدًا، وأجْودُهم عطاء، وأجْمَلُهم حياء، وأعظم إحساناً.

وكان ﷺ فَخمًا مُفَخمًا، وَجْهُه كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمرٍ، يتلألأ وَجهُه كَمَا يتلألأ القَمرُ لَيْلَةُ البَدْرِ، إِذَا تَكَلَّمَ خَرجَتْ كَلِمَاتُهُ كَالدُّرِّ المَنْثُورِ، يَتَكلَّمُ بِجَوَامِعِ الكلم، وَلَا يَتكلَّمْ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو ثوابه.

أَجْمَلُ الجَبِّيْنِ، كَأَنَّ الشَّمْسَ تجْرِي فِي جَبِينِهِ، أَشَدُّ حَيَاءٍ مِنْ العَذْرَاءِ فِي خَدرِهَا، أَحْسَنُ النَّاسِ تَوَاضُعًا، نَظَرُهُ إِلَى الأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ؛ تَوَاضُعًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَجُلَ نَظَرُهُ المُلَاحِظَةُ.

وكَانَ ﷺ دَائِمُ البَشَرِ، سَهْلُ الخُلُقِ، لَيْسَ بِفَضٍّ ، وَلَا غليظٍ، وَلَا سَخَّاب فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا فَحَّاشٍ، وَلَا عيّابٍ ، وَلَا مداح.

وكان ﷺ لَا يَقُومُ وَلَا يجلِسُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ، وَكَانَ يُذَكرُ اللهُ فِي كُلِّ أَحْيَانِهِ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ نَصِيبَهُ مِنْ نَفْسِهُ، قَدْ وَسِعَ النَّاسِ كُلِّهُمْ بُسْطُهِ وَخُلْقُهُ ؛ ذُو هِمَمٍ عَالِيَةٍ ، وَرحْمَةٍ عظِيمَةٍ، دَائِمُ الفِكْرة، مُتَواصِلُ الأَحْزانِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، لَهُ جُهْدٌ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ رَبِّه بِالعِبَادَةِ ، وَجُهْدٌ على الخَلْقِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَتَعْلِيمِ شَرْعِ اللهِ،

وَالإِحْسَانُ إِلَى خَلْقِ الله، طَوِيلُ السُّكُوتِ، مَشْغُولٌ بِالذِّكْرِ وَالفِكْرِ، أَحْسَنُ النَّاسِ طَبْعًا، يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ وإنَ دَقَّتْ، لمْ يَعِبْ طَعَامًا قطّ، إن اِشْتَهَاهُ أكله، وإن عافته نفسه تَركَهُ.

وكان ﷺ أَحْسَنُ النَّاسِ خُلُقًا، لَا يَقُومُ لِغَضَبِهِ أَحدٌ، إِذَا تُعُرِّضَ لِلحَقِّ بِشَيْءٍ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، لِا يَغْضَبُ لِنَفْسِهُ، وَلَا يَنْتَصِرُ لهَا، وإذا غضب أعرض وأشاح بِوَجْهِهِ، رجل ضَحِكُهُ التَّبَسُّمَ.

وَكَانَ ﷺ يُؤْثِرُ أَهْلَ الفَضْلِ، والمروءة، وَالمكَارِمُ، يُكَرِّمُ كَرِيمُ كُلَّ قَوْمٍ، وَيُوَلَّيه عَلَيْهُمْ، وَيتَفَقَّدُ أَصْحَابه، ويسأل عَنْهُمْ، الَّذِينَ يلونه مِنْ النَّاسِ فِي مجْلِسِهِ خِيَارُهُمْ، وأفضلهم عِنْدَهِ أَعَمُّهُمْ نَصِيحَة، وأعظمهم عِنْدَهِ مَنْزِلَة أَحْسَنهم مؤاساة ومؤازرة، منْ سَأَلَه حَاجَة لمْ يرده إِلَّا بِهَا، أَوْ بميسور مِنْ القَوْلِ، مجلسه مجْلِسُ عِلْم، وأدب، ورحمة، وحلم، وَحَيَاء، وَصَبْر، وَأَمَانَة، مجلسه لَا تُرْفَعُ فِيهِ الأَصْوَاتَ، وَلَا تؤنب فِيهِ الحرم، أَحْسَنُ النَّاسِ خلقاً، وَأجملُهُمْ أَدَبًا، وَأصْدقُهُمْ حَدِيثًا، وَأكرمُهُمْ تَقْوَى، وَأفْضلُهُمْ عِبَادَة، وأحسنهم مُعَامَلَة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

فَاللَّهُمَّ اجمْعَنَا بِهِ عِيَانًا كَمَا عَرَفْنَاهُ عِلَمًا ووصفا.

## ٩ - دعوة النبي ﷺ

أرسل الله عزَّ وجلَّ رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وفي القرآن والسنة جميع المناهج الشرعية للأفراد، والجماعات، و الشعوب، والدول، وهي صالحة،لكل زمان ومكان، في جميع شعب الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية : ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣﴾ [المائدة:٣].

فالقرآن العظيم مَنهج حياة ، وداخله مناهج : ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٦٤﴾[النحل:٦٤].

وقال عز وجل : ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل:٨٩].

والسنة النبوية ذاتها منهج حياة البشرية إلى يوم القيامة ، وداخلها مناهج : ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾ [الجمعة:٢].

والسيرة النبوية منهج حياة، وداخلها مناهج من أحسن المناهج : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

ونشر الحق كنشر الباطل كلاهما يحتاج إلى جهود وتضحيات ، وإلى بذل وترك، وإلى تخطيط وتدبير ، وكما أنه لابد للمباني والمدن من تخطيط وتنفيذ، كذلك لابد للبشرية من تدبير، وتنفيذ، وشورى ، لكيفية دعوتهم إلى الله، وصبغهم بصبغة الله ، لتكون حياتهم في الدنيا والآخرة أحسن حياة بالتوحيد ، والإيمان،

وعبادة الله وحده لا شريك له ، والفوز برضوانه وجنته: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة:١٣٨].

وأحسن التدبير، المقرون بالتنفيذ، تدبير رب العالمين، لرسوله الكريم ﷺ.

والتوجيه الرباني الكريم لصاحب الدعوة الأسوة ﷺ يبدأ بقوله : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ١-٥].

ثم بعدها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ [المزمل:١-٢].

ثم بعدها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ [المدثر: ١-٢].

ثم بعدها : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

ثم بعدها : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [السجدة:٣].

ثم بعدها : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٢].

ثم بعدها : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ثم بعدها : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ثم بعدها من أصر على كفره، وآذى المسلمين وقاتلهم يُقاتل: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

هذا هو التخطيط، وهذا هو التدبير ، وهذا هو التوجيه للنبي ﷺ ولأمته .

والدعوة إلى الله، وإبلاغ هذا الدين، أعظم فريضة في الإسلام بعد التوحيد : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة:٦٧].

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف:١٠٨].

وعقوبة ترك الدعوة إلى الله أعظم عقوبة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

وقد أفلح النبي ﷺ في دعوته، فدعا الناس إلى الله ، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ثم قبضه الله عز وجل كما قال سبحانه : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣ ﴾ [النصر:١-٣].

فكما نقتدي به ﷺ في عبادتنا ومعاملاتنا، يجب أن نقتدي به ﷺ في دعوته إلى الله، كي يدخل الناس في دين الله أفواجا: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ ﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٥].

## ١٠ - عبادة النبي ﷺ

كان ﷺ يعبد الله ويذكره في جميع أحواله، في ليله ونهاره ، في حضره وسفره، وفي أقواله وأفعاله، وفي أخلاقه وآدابه، وفي بيته وسوقه، وفي مسجده، ويذكر الله على كل أحيانه، ويدعو الله في جميع أوقاته، ويحقق العبودية لله في كل حال من أحواله، تحقيقا لقول ربه له : ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر:١١-١٢].

وشكرًا لله عز وجل على نعمة الهداية والرسالة، وتنفيذاً لأمر ربه: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣].

وكان ﷺ يتوضأ لكل صلاة ، وربما صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد ، كما فعل يوم الفتح، وكان يتوضأ بِالمدِّ تارة، وَبِأَزْيَدَ مِنْهُ تارة، وكان يغتسل بالصاع تارة، وتارة بأزيد منه .

وكان ﷺ أَكْمَلُ الخَلْقِ ذكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ ، وكانت حياته كلها ذكرً لله عَزَّ وَجَلَّ.

فقد كان كَلامُهُ كُلُّهُ فِي ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، وكان أَمرُهُ وَنهيُهُ وَتَشْرِيعهُ لِلأُمَّةِ ذِكرَا مِنْهُ لِرَبُّهْ سُبْحَانَهُ ، وَ كَانَ إِخباره ﷺ عَن أَسماءِ رَبِّهِ وَ صِفاتُه وَ أَفعالهُ وَأَحكامهُ وَوعده وَ وعيده ذِكراً مِنه للهَّ عَزَّ وجَلَ، وَكَانَ تمَجيدُه لِرَبِّه ،وَثناؤهُ عَلَيْهِ ، وَحمدُهُ وَ شُكرُهُ ، وَتَسْبِيحُهُ لِرَبِّه ؛ ذِكراً مِنه للهَّ عَزَّ وجَلَّ، وَ كَانَ سُؤالهُ وَ دُعاؤه لله ، وَرَغبتُهُ وَ رهبتُهُ ؛ ذِكراً مِنه لله عَزَّ وجَلَّ .

وَكَان سُكوتُه ﷺ وَصمتُه ؛ذِكراً مِنْه لله بِقَلْبه، فَكَان ﷺ يَذكُرالله في كُل أَحْيَانهِ وَعَلى جَمِيع أَحوالِهِ، كَمَا أَمرَهُ رَبُّه بِقولَهِ: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل:٨].

وَكَان ﷺ يَذكُرُ الله قَائِماً وقَاعداً وَ عَلَى جنبه ،وَ في مَشْيهِ وَ رُكُوبهِ ، وَ في مَسيرهِ وَ نُزولِهِ ، وَكَان ذِكرَهُ ﷺ يجري مَع أنفاسِهِ، وَمَواطنُ أَذكارهِ وَدعيتهِ مَبسوطَةٌ في كُتبِ الفِقهِ وَ الحَدْيثِ فصلَّواتُ اللهَّ وَ سَلامُهُ عَلَيْه .

# ١١- معاملات النبي ﷺ

كَانَ ﷺ أَحْسَنَ الناسِ مُعاملةً، وَكَانَ إذا استلفَ سَلَفاً قَضَى خَيْراً مِنْه، وَدَعَا لِصاحبِهِ، وَ بَاعَ ﷺ وَاشترى ،وَكَانَ شِراؤهُ بَعْدَ الرِّسالةِ أَكْثَرَ مِنْ بيعهِ ، وَبَعْد الهجرةِ إِلى المدينة لا يَكَادُ يُحفَظُ عَنْه البيعُ إلاَّ فِي أحوال يُسيّره أَكْثَرها لِغَيْره ، وَأما شِراؤه فَكثير ، وَأَجْرَ ﷺ وَاسْتأجرَ ، وَوكَّل ﷺ وَتَوكل ، وَكَان توكيله أَكْثَر مِن تَوكُله، وَأهدى ﷺ، وَ قَبْل الهَدية ، وَ أَثاب عَلى الهدية ، وَ وهبَ وَ اتَّهبَ ، وَكَانَتْ هِباتُهُ أَكْثَرَ مِن اتهابهِ، وَاستدانَ ﷺ بِرهنٍ ، وَاستدانَ بِغَيْر رهنٍ ، وَاستعارَ، وَاشترى بِثمنِ حالٍ ومؤجلٍ ، وَشَفعَ ﷺ، وَشُفعَ إليه .

وَكَانَ ﷺ يُمازحُ وَلا يَقُولُ في مِزاحِهِ إلاَّ الحقَّ ، وَيُوريّ وَلا يَقُول بِتوريتهِ إلاَّ الحقَّ، وَكَانَ الرَّسولُ ﷺ يَشيرُ وَيَستشيرُ ، وشَاورَ أَصْحَابَهُ في جِهادِهِ وَغزواتِهِ مراتٍ كثيرةٍ.

وَكَانَ ﷺ يجُيبُ الدَّعوة، وَيمشي مَع الأرملةِ وَالمسكينِ وَالضعيفِ في حوائجِهم، وَيعُودُ المَريضَ، وَيَشْهَدُ الجنازةَ، وَيُقري الضَيفَ.

وَكَانَ ﷺ يَصِلُ مَن قَطعَهُ، وَيُعطي مَن حَرمَهُ، وَيعفو عمَّن ظلمَهُ، وَيحُسنُ إلى منْ أَسَاءَ إِلَيْه، وَسَمِعَ ﷺ مَدِيحَ الشَّعرِ، وَأثابَ عليهِ ، وَسَابقَ ﷺ عَلى الأقدامِ ، وَ قعَ ثوبَه بيدِهِ ، وَخَصفَ نعلَهُ، وَغسلَ ثوبَهُ، وَحَلَبَ شاتَهُ ، وَخَدَّم نَفْسَه وَأَهْلَهُ ، وَأَعانَ أَصْحَابَهُ في بِناء المسجدِ وَحفرَ الخَندقَ وَغيرهما ، وَربط ﷺ الحَجَرَ عَلى بَطْنِه مَن الجوعِ تارةً، وَشَبّعَ تارةً ، وَأَضَافَ وَأُضِيفُ ، وَتداوى ﷺ مِن المرضِ، وَأَمَرَ بِالتداوي، وَرقى وَلم يَسترقْ ، وَاحتَجَمَ في وَسطِ رأسِهِ، وَعلى ظهرِ قَدمِهِ، فصلَّوات الله وسَلامُهُ عليهِ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤].

فعلى جميع من آمن به الاقتداء به في عبادته ومعاملاته وأخلاقه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١].

# ١٢- اتباعُ النَّبي ﷺ

**أولاً فِقه اتباع الرَّسُول ﷺ :**

اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قرنَ طاعةَ الرَّسُولِ ﷺ بطاعتِهِ فقَال : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران:٣٢].

وَقرنَ الإيمانَ بِالرَّسُول ﷺ بالإِيمان بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ فقَال : ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

وَبَيْن سُبْحَانهُ أَنَّ مَن أطاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أطاعَ اللهَ فَقَال : ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء:٨٠].

وَحَكَم الله سُبْحَانه أنَّ من أطاعَ اللهَ وَالرّسُولَ، فَاز بِخَيْريّ الدُّنْيَا والآخرة فقَال : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

وقَال الله عَزّ وَجَلّ : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧١].

**وَلكي نُحقِقَ الاتباعَ الكاملَ للرّسُول ﷺ، يَجِبُ علينا العلم بِأُمور :**

**الأول:** كَمَا يَجِب عَلينا أَن نُؤمن بالله رباً وَمَلكاً وَخالِقا وَإِلها كَمَا قَال سُبْحَانه : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

فَكذلك يجِبُ علينا أَن نُؤمنَ بالرّسُول ﷺ نَبياً وَرسُولاً، وَداعياً، وَمُعلماً، كَما قَال سُبْحَانه : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨].

وقَال عَزَّ وَجَلّ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥-٤٦].

**الثاني** : كَمَا يجَبُ علينا جَميعا أَنْ نُوحدَ اللهَ بذاتهِ وَأسمائِهِ وَصِفاتِهِ وَأَفعالِهِ وَنُوْحَدَهُ سُبْحَانهُ بِعبادتهِ وحده لا شريكَ له ، كَمَا قَال سُبْحَانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[البقرة:٢١].

فَكذلك يجبُّ علينا توحيدُ الرَّسُول ﷺ بالاتباعِ في كُلِّ حالٍ .

**و توحيد النبي ﷺ في الاتباع يكُون بِسبعة أُمور :**

**الأول**: نتبعه ﷺ في نيته، وفكره، وتوحيده، وَ إيمانه ، وَ في أقواله الحسنة، وَفي أَعْمَاله الصالحة ، وفِي أخلاقه العظيمة ، فنوحده ﷺ في هذه الأمور، ونقتدي به في كُل مَا جَاءَ عنهُ ، ونتبعَهُ في كُلِّ مَا أُرسلَ بهِ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١].

وَمنْ آمنَ بِاللهّ وَ اتبعَ غَيْرَ رَسُولِ الله، فقدْ ضَلَّ سواءَ السَّبيلِ وباء بالعذاب الأليم: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء:١١٥].

وقَال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣].

وعن عائشةَ ، رَضِي اللهُ عَنْهَا قالَتْ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنا

هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه [1].

**الثالث:** كَمَا يَجِبُ أَن نَعلمَ أنَّ اللهَ لَهُ الأَسماءُ الحُسنى، وَالصِفاتُ العُلى، وَالأفعالُ الحميدةُ ، وَالمثَلُ الأَعْلَى كَمَا قَال سبْحانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

فكذلك يَجِبُّ عَلينا مَعرفةُ سِيرةِ الرَّسُول ﷺ، وَمَعرفةُ أَقوالِهِ، وَأفعالِهِ، وَأخلاقِهِ؛ لِنقتديَ بهِ في كُلِّ ذلك ، فقد جمَعَ اللهُ لَهُ محَاسنَ الأقوالِ وَ الأعمالِ وَ الأخلاقِ كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].

وقال عز وجل: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨].

**الرابع:** كَمَا أَنّ تَوحيد الله عَزَّ وَجَلَّ رُكنان :توحيد الله بِأسمائه وَصِفاته وَأَفعاله، وَتوحيده بِالعبادة: كَمَا قَال سُبْحَانه : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص:١-٤].

وَقَال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء:٣٦].

فَكَذلك يَجِبُّ تَوحيدُ الرَّسُولِ ﷺ بِالاتباعِ ؛ فَهُو أُسوةٌ واحدةٌ لِكُل مُسلمٍ وَمُسلمةٍ ، وَهُو كذلك مُبلغُ رِسالة عَن رَبِّهِ وَحَامِلُ مَنهجٍ للبشرية كُلِّها إلى يومِ القيامةِ ، فَنوحدَّه بالاتباع في كُلِّ مَاجَاءَ بِهِ، من عِباداتٍ وَمُعاملاتٍ، وأخلاق آداب وغيرها: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، وأخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

وَقَال عزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وَ نتبعَهُ وَ نُوحِدَّهُ في إبلاغِ رسالتِهِ لِلنَّاسِ كافةً : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وَقَال عَزَّ وجَلَّ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

وَقَال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

**الخامس**: كَمَا يَجِبُ عَلينا أنْ نعرفَ اللهَ بِأسمائِهِ وَ صِفاتِهِ وَ أَفعالِهِ ؛ لِنعبُدَهُ وَحدَهُ لا شريكَ لهُ، كذلك يجبُ علينا أنْ نعرفَ الرَّسُولَ ﷺ بأسمائِهِ وَ صِفاتِهِ وَ أخلاقِهِ، وأقواله وَأَفعالِهِ ؛ لِنقتديَ به وحده فقط : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

**السادس**: كما يجبُ علينا معرفةُ أنَّ اللهَ هو الرَّحمنُ الرَّحيمُ ، فكذلك يجبُ علينا أنْ نعلمَ أنَّ أرحمَ الخلقِ بالخلقِ كُلِّهم هُم الأنبياءُ ، والرُّسلُ ، وأعظمَهُم رحمةً ، وأشدَّهُم رأفةً، إمامُهم وسيدُهم ﷺ الَّذي أرسلَهُ اللهُ رحمةً للعالمين كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧].

ووصفَهُ ربُّهُ بكمالِ الرَّحمةِ والرَّأفةِ . فقال : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

فنعرفُ كمالَ رحمتِهِ ورأفتهِ ﷺ بالخلقِ ؛ لنقتديَ بهِ في عظيمِ أخلاقِهِ .

**السابع**: من سألَ ربَّهُ الهدايةَ صادقاً، فتحَ لهُ أبوابَ معرفتِهِ بأسمائِهِ ، وصفاتِهِ ، وأفعالِهِ، وعبدَ ربَّهُ حقاً كما أمرَّهُ ، وفتحَ لهُ كذلك أبوابَ معرفةِ حياةِ الرَّسولِ ﷺ العلميةِ ، والعمليةِ ، والأخلاقيةِ ، وتمَكَّنَ من خلال تلك المعارف أنْ يقتديَ به ﷺ في جميع أحوالِهِ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

**الثامن**: كَمَا أنَّ مَعْرفةَ الله عزَّ وجلَّ بأسمائِه، وصِفَاتِهِ ،وَأَفْعالِه؛ تُثمرُ للعبدِ تكبيرَ الله ،وتعظيمَهُ، وحمدَّهُ ،وَشكرَّه ، ومحبتَهُ، وطاعتَهُ، وعبادتَهُ وحده لا شريكَ له، وتَصديقَ أخبارِه ،وامتثالَ أوامرِهِ، واجتنابِ نواهيِهِ، وتثمرُ توحيدَهُ، والإيمانَ به. وكذلك معرفةُ الرَّسولِ ﷺ تثمرُ للعبدِ الإيمانَ بهِ ، وتوحيدَهُ بالاتباعِ، ومحبتِهِ ، وتوقيرِه، وتصديقِه فيما أخبرَ ،وطاعتَه فيما أمرَّ، واجتنابَ ما نهى عنه وزجرَ ، وأن لا يُعْبَدُ اللهُ إلا بما شرعَ : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾[الحشر:٧].

وقال عز وجل : ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٥٧﴾[الأعراف:١٥٧].

## ثانيًا فقه الاتباع:

الاتباع : هو الاقتداء والتأسي، والاقتفاء والائتمام، بالرسول ﷺ.

واتّباعُ النبي ﷺ ، والشهادةُ لهُ بالرِّسالةِ، هو الرُّكنُ الثاني من أركانِ التوحيدِ، فالتوحيدُ كُلُّهُ في أمرين :شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمداً رسول الله.

والاتباعُ في الشَّريعة هو الاقتداءُ والتأسي بالنَّبي ﷺ في سبعةِ أمورٍ :

في توحيده، وإيمانه .. وفي نيته، وفكره .. وفي أقواله الحسنة .. وفي أعماله الصالحة .. وفي أخلاقه الكريمة : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾[الأحزاب: ٢١].

فنوحدَّ اللهَ كتوحيدِ النَّبي ﷺ لربِّه، ونؤمنُ باللهِ كإيمانِهِ ،ونذكرُ اللهَ كذكرِه ،

وندعو اللهَ كدعائِه ، ونستغفرُ اللهَ كاستغفارهِ ، ونعبدُ اللهَ كعبادتِه، وندعو الله كدعوته، ونعلم شرع الله كتعليمه، وهكذا...

لهذا يجبُ أنْ نفعلَ ما فعلَهُ النَّبي ﷺ من جميعِ الأوامرِ ، والطاعات ،ونتركَ ما تركَهُ من جميع المعاصي، والمحرماتِ، ونفعلَ الأوامرَ حسبَ الاستطاعةِ : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن:١٦].

ونجتنبُ ما نهى اللهُ ورسولُه عنهُ مطلقاً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**دعوني ما تركتكم ؛ إنما أهلك من كان قبلكم كثرةُ سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**» متفق عليه(١)

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

**ثالثًا حكم اتباع النبي ﷺ:**

يجبُ على كُلِّ مُسلِّمٍ ومُسلِمة اتباعُ الرَّسول ﷺ، والتأسي به في كُلِّ ما جاءَ به من ربِّه ؛ لينالَ رضَا ربِّهُ، ويفوزَ بِجنتهِ، وينجو منْ عذابِهِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

وقال الله عزَّ وجلّ : ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

فقدْ أقسمَ اللهُ عزَّ وجلَّ بنفسهِ الكريمةِ أنَّه لا يؤمنُ أحدٌ، حتَّى يحُكِمَ الرَّسولَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨)، وأخرجه مسلم برقم (١٣٣٧).

ﷺ في جميعِ الأمورِ ، فما حكم به هو الحقُّ الَّذي يجبُ الانقيادُ لهُ ظاهراً وباطناً، وما نهى عنهُ فهو الباطلُ المحرمُ الَّذي يجبُ اجتنابُه ظاهرا وباطنا .

فيجب علينا الانقيادُ لكُلِّ ما جاءَ به الرَّسولُ ﷺ فيما أمره الله به:

عن الْعِرْبَاضِ بْنَ سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هالك» أخرجه أبو داود والترمذي (١).

ومنْ تركَ سنتَه ﷺ وطَريقَتهُ فقدْ تبرأ منهُ ﷺ : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

وقالَ الله عزَّ وجلَّ : ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور:٦٣].

وعَنْ أَنَسٍ فِي قِصَةِ الرَّهط الثَّلَاثِةِ، وَفِيْهِ ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «فمنْ رَغبَ عَنْ سُنَتِي فَليسَ مِنِي» متفق عليه (٢).

وكل عمل يخالف ما جاء به الرسول ﷺ فهو مردود غير مقبول.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه (٣) .

**رابعاً : الوسائلُ المُعِيْنَةُ عَلَى اِتباعِ الرَّسُولِ ﷺ**

**الوسَائلُ المعِينةُ على اتباعِ النَّبِي ﷺ كثيرةٌ وأهمها :**

**الأول:** تَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : فَمَنْ اتقى اللهَ وخافَهُ ؛ جعلَ لهُ فرقاناً يميزُ بهِ بينَ

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٧) والترمذي برقم (٢٦٧٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣)، وأخرجه مسلم برقم (١٤٠١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٧١٨).

الحقِّ والبَاطِلِ ، وبينَ النُّورِ والظَّلام ، وبينَ ما ينفعهُ وما يضرهُ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد:٢٨].

وقالَ تَعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال:٢٩].

**الثاني**: إخلاصُ العملِ لله عزَّ وجلَّ : فمعرفةُ الحقِّ لا تكفِي للعبدِ ، بلْ لا بُدَّ منْ التجردِ لله فِي طلبِهِ، وشكرِهِ علَى معرفتِهِ، وطلبِ عونهِ على أدائِهِ وإبلاغِهِ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

قالَ الله تَعالَى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

**الثالث**: إِظْهَارُ الْافْتِقَارِ إلى الله، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، وَاللَّجوءِ إليهِ، وطلب عونه، منْ أعظمِ الأسبابِ المُعينةِ علَى الاتباعِ لمَا جاءَ بِهِ النَّبي ﷺ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

ومِنْ دُعاء النَّبي ﷺ : «**اللَّهُم ربَّ جِبْرِيْلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ، فاطرُ السَّماواتِ والأرضِ ،عالمُ الغيبِ والشَّهادةِ ، أنْتَ تحكُمْ بينَ عِبادِكَ فِيمَا كانُوا فِيهِ يختلفون اِهْدِني لمِا اُخْتُلفَ فِيهِ مِنَ الحُقِّ بِإِذْنِكَ ،إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشاءُ إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيم**» أخرجه مسلم (١).

**الرابع**: تَعلُّمُ الْأحكامِ الشَّرعِيةِ مِنْ القرآنِ والسُّنْةِ

فالعملُ بِأَحْكَامِ الإِسْلَامِ، فَرْعَ عَنْ العِلْمِ بِهَا ، فَلا بُدَّ مِنْ العِلْم قَبلَ القَوْلِ والْعَمَلِ : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠).

يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وقَالَ الله عزَّ وَجلَّ : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وقَالَ عزَّ وجلَّ : ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

وقَالَ النَّبي ﷺ : «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه (١).

**وقَالَ النَّبي ﷺ : «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعلَمَ القرآنَ وَعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري** (٢).

**الخامس:** تَدَّبُرُ نُصُوصِ الْقُرْآنِ والسُّنْةِ وَفِهْم مَعَانِيْها، فَهُمَا مَصْدَّرُ تَلَقِي الحَقَّ وَالهُدّى ، وَالسُّنْةِ والأَحْكَام: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء:٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤].

وقال الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

**السادس:** اِتبَاعُ طَرِيقةِ السَّلَفِ فِيْ فَهْمِ النصُوصِ، وفِي العِلْمْ وَالعملِ.

وأصحاب النبي ﷺ خيرُ قرونِ هذهِ الأُمَّةُ، وَأَفْضَلُها، وَأَقْرَبُها إِلَيهِ ﷺ ، فَهُمْ أَبَرُّ هذِه الأُمَّةِ قُلوباً، وأَعْمقِها عِلماً، وَأَقلَّها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه .

**عنْ عُمْرانَ بن الحُصيْن رضِي اللهُ عنْهُما عنْ النَّبي ﷺ أنَّهُ قالَ : «خَيْرُكُمْ قَرني، ثُمَّ الَّذينَ يَلونَهُم، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُم» متفق عليه** (٣).

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧١)، وأخرجه مسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٦٩٥)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٣٥).

**السابع : الصُّحْبَةُ الصَّالحَِةُ**

فصُحْبَةُ الصَّالحِين والأخيارِ، من أَهْلِ الإيمانِ والتَّقْوى، مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبابِ التِي تعينُ المُسلِم عَلى الإتْبَاعِ والتَّمسُكِ والعَمَلِ بِمَا جاءَ بِه الرَّسُولُ ﷺ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة:١١٩].

وقَالَ الله تَعالَى : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨].

وعنْ أَبي مُوسَى الْأَشْعَرِي رضِيَ اللهُ عنْهُ، أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ : «إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيْسِ الصَّالِحُ وَالجَلِيْسِ السُّوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يحْذِيَكَ، وإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تجِدَ مِنْهُ رِيحَاً طَيِّبة، ونافخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يحُرِّقَ ثِيَابَكَ، وإِمَّا أَنْ تجِدَ مِنْهُ رِيحَاً خَبِيْثَةً» متفق عليه(١).

فالصَّاحِبُ سَاحِبٌ ، إِمَّا إِلى خَيْرٍ ،أو إلى شَرِ ، وَإِمَّا إلى سُنَّةٍ أَوْ بِدْعَةٍ ، وَّإِما إِلَى تقوى أَو إِلى فُجُورٍ ، وإِمَّا إِلى جَنَّةٍ أَو نَارٍ .

قال رسول الله ﷺ: «المَرْءُ عَلَىٰ دِيْنِ خَلِيْلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يخَالِلُ» أخرجه أبو داود والترمذي(٢).

اللَّهُمْ ارزقْنا حُسْنُ اِتبَاعِ نَبِيكَ محُمَّدٌ ﷺ على الْوَجِهِ الَّذِي يُرْضِيكَ حَتَّى نَلْقَاكَ.

اللَّهُمْ اِعْطِنَا وَلاَ تحَرْمِنَا، وَ زِدْنَا وَلَا تُنْقِصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وّلَا تهِنَّا ، وَارْفَعْنَا وَلَا تَضَعْنَا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾

[آل عمران:٨].

اللَّهُم يَا مُقلبُ الْقُلُوبِ ثَبِتْ قُلُوْبَنَا عَلَى دِّيْنِكَ، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢١٠١)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٢٨).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم(٤٨٣٣) والترمذي برقم (٢٣٧٨).

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة السادسة

## الإنسان بين التكريم والتكليف والتشريف

**وتشتمل هذه البصيرة العظيمة علي المباحث الآتية :**

الأول : عظمة خلق الإنسان.

الثاني : حكمة خلق الإنسان.

الثالث : مراحل حياة الإنسان.

الرابع : فضل الله على الإنسان.

الخامس : مكانة الإنسان عند الله.

السادس : مراد الله من الإنسان.

السابع: فقه ابتلاء الإنسان.

الثامن :الإنسان بين النعم والمصائب.

التاسع : عظمة حسن الإسلام.

العاشر : صفات المسلم التي يحبها الله.

الحادي عشر : فقه الاستقامة.

الثاني عشر : كرامات المؤمن في الدنيا والآخرة.

# البصيرة السادسة

# الإنسان بين التكريم والتكليف والتشريف

## ١ - عظمة خلق الإنسان

الله عزَّ وجلَّ هو الخلاق العليم، الخالق لكل شيء : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢ -٦٣].

والإنسان مخلوق عظيم ، خلقه الله العظيم؛ لمقصد عظيم، وهو أن يكون هذا الإنسان في الدنيا خليفة؛ يعبد ربَّه، وفي الآخرة يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ -٥٥].

وفي خلق هذا الإنسان عجائب تبهر العقول ،ومن أعظم ذلك؛ أن الله عزَّ وجلَّ صبَّ هذا الإنسان صبَّة واحدة ، فجعل الرأس في الأعلى، والقدمين في الأسفل، واليدين في الوسط ،وجعل الأنف هنا ، والفم هنا ، والعينين هنا، والأذنين هنا، ولم يتفقْ في الشكل منَّا اثنان، ولو جاءت الملايين مضروبة في الملايين، فلكل واحد صورة وهيئة مخالفة لصورة الآخر، في الحجم، واللون والطول، والصوت، وآثار الأقدام، وبصمات الأصابع : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤].

وفى خلق كل عضو من أعضاء الإنسان أعظم العجائب ، والغرائب ؛ مما يبهر العقول؛ فالعين خلقها الله شحمة ؛ لئلا يجففها الهواء، وجعل ماء العين مالحاً ؛ لئلا تُنتن الشحمة، وأخرج منها النُّور الذي يشع ؛ فيبصر به الإنسان الألوان ، والأحجام ، والأجناس : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر:٨٦].

وفتح الله للإنسان الفم ، وجعل فيه عينا عذبة من الرِّيق ؛ ليسهل بها أكل الطعام، فلو جفَّ ريقه لما قدر أن يبلع شيئًا، يجم ريقه عند الأكل ، ويجف إذا فرغ ، لئلا

يتعبه التفل، وخلق سبحانه اللسان في الفم ، يتكلم به الإنسان ، ويقلب به الطعام : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات:٢١].

ولو جعل الله العينين في القدمين ؛ لما رأى الإنسان شيئا، ولو جعل الله الأنف في يده ؛ لتعب، ولو جعل الفم في رجله ؛ لشق عليه الأكل، ولو جعل أصابعه ملتصقة كالبعير ؛ لما استطاع أن يأخذ و يعطي ،ويرفع و يضع: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[آل عمران:٦].

وخلق سبحانه الأنف، و جعله مجرى للنفس ، وجعل فيه حاسة الشم، وخلق اللسان، وجعل فيه حاسة الذوق، وخلق العينين، و جعل فيهما حاسة البصر، وخلق الأذنين، وجعل فيهما حاسة السمع، وخلق الأصابع، و جعل فيها حاسة اللمس : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٤].

فسبحان ربك الخلَّاق الحكيم العليم، الذي خلق القلب في محله، واليد في محلها، والكبد في محلها، والكلية في محلها، والمعدة في محلها، والمخ في محله، وفتح الشرايين ؛ ليدور الدم في البدن، وفتح مجاري البول والغائط، وفتح منافذ السمع، و البصر، والأكل، والكلام ؛ والكل يقوم بوظيفته في تدبير هذا الجسم العظيم : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾[لقمان: ١١] .

وكل واحد منَّا دخل رحم أمه نطفة ،ليس فيه يد ، ولا رجل، ولا رأس ، ولا عين، ولا قلب ، ولا كبد، ثم صوره الله إنساناً ، وخلقه في ظلمات ثلاث ، وتجري في خلقه آلاف العمليات، وأمه تسرح وتمرح لاهية عنه ، تقوم بأمور معاشها ،لا تدري عما يُفْعَلُ في بطنها من عجائب صنع الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[المؤمنون: ١٢ – ١٦].

# ٢- حكمة خلق الإنسان

الحكمة التي خلق الله السَّموات والأرض والخلائق من أجلها، هي أن يبتلي خلقه في شيء واحد، هو إحسان العمل لله، لا كثرة العمل، و قد بيَّن الله ذلك في القران و السُّنة ، كما قال سبحانه : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك:١-٢].

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾ [الكهف:٧].

وقال عزّ وجلَّ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾ [هود:٧].

فالله عزَّ وجلَّ خلق الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

ولعظم هذه المسألة أرسل الله جبريل ﷺ إلى محمد ﷺ في صورة أعرابي، ليعلم الصحابة هذا العلم العظيم ، وهو إحسان العمل، ومراقبة الله في كل حال وعمل ؛ ليكون ذلك واعظا و دافعا لحسن العمل، فقالَ ﷺ لجِبْرِيلَ حِيْنَ سَأَلَهُ عَنْ الْإِحْسَانِ : «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» متفق عليه [(١)].

ولا تكاد تقلب ورقةٌ في المصحف ، أو تقرأ آية منه ، إلا وجدت فيها هذا الزاجر العظيم ، والواعظ الأكبر؛ لأجل إحضاره في ذهن كل مسلم ؛ ليكون مستعدا لكل طاعة ، مجتنبا لكل معصية، إذا علم أنَّ ربه عليمٌ، سميعٌ، بصيرٌ، قريبٌ، خبير؛ ولهذا كثُر هذا الواعظ في القرآن بعد كل أمرٍ، أو نهيٍ، أو خبر كما

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٧)، وأخرجه مسلم برقم (٩).

قال سبحانه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١ - ١٠٢].

والله عزَّ وجلَّ خلق هذا الكون العظيم للدلالة على ذاته ،وعلى كمال أسمائه وصفاته وأفعاله ، وعظمة ملكه وسلطانه ،وكمال قدرته وعلمه؛ وعظمة نعمه وإحسانه، فيرى القلب كل شيء في الكون يسبح بحمد ربه ،ويشهد بوحدانيته ، وينطق بعظمته ، ويخضع لأمره ويسرع إلى إرادته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرف هذا الإنسان ذلك أقبل على عبادة ربه بالحب ،والتعظيم ،والذل لله، وكبَّر الكبير ،وعظَّم العظيم ،وشكر المنعم ، وحقق مراد الله منه ، وشارك باقي المخلوقات في عبادة الله الواحد القهار: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾[الحج: ١٨].

وقد خلق الله الجنَّ والإنس لعبادته وحده لا شريك له ، وتكفل بجميع حاجاتهم وأرزاقهم : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

# ٣- مراحل حياة الإنسان

الله عز وجل خلق هذا الإنسان ، يركب طبقا بعد طبق ، وينتقل من محل إلى محل، ومن دار إلى دار، ومن حياة إلى حياة .

فأول ابتدائه خلقه من التراب، ثم انتقل من أصل التراب إلي أصل النطفة، ثم إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم إلى العظام، ثم كسا الله العظام لحماً، ثم أنشأه الله خلقاً آخر، ثم أخرجه إلى الدنيا، ثم ينتقل بعد الموت إلى القبر، ثم إلى المحشر، ثم إلى دار القرار في الجنة أو النار : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧ ﴾ [الحج: ٥ – ٧].

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦ ﴾ [الروم: ١٤-١٦].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩ ﴾ [الانشقاق: ١٦-١٩].

**المراحل والدور التي يمر بها الإنسان:**

الله عزَّ وجلَّ خلق هذا الإنسان ،وجعله يمرُّ بمراحل، وأزمنة، وأمكنة، وأحوال،

وينتهي بالخلود إمَّا في الجنةِ ،أو النار.

**وهذه المراحل هي:**

**الأولى:** بطن الأم وهي أول مرحلة يمرُّ بها الإنسان ، وأول دار يسكنها ، وإقامته فيها تسعة أشهر ، تزيد أحيانًا أو تنقص .

هيأ الله له في هذه الظلمات برحمته ما يحتاجه من الطعام، والشراب، والهواء، وما يناسبه من السكن والمأوى، وهو في هذه المرحلة غير مكلف.

والحكمة من وجوده هنا أمران:

تكميل الأجهزة الداخلية .. وتكميل الأعضاء الخارجية ، ثم تنفخ الروح فيه، ثم يخرج إلى الدنيا حيا بعد كمال خلقه ظاهرا وباطناً : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤].

**الثانية:** دار الدنيا، وهي أوسع دارًا من بطن الأم ،والإقامة فيها غالبًا أكثر مدة من بطن الأم ،هيأ الله للإنسان في هذه الدار كل ما يحتاجه من الطعام ، والشراب، وزوده بالعقل، والسمع ، والبصر، وأرسل إليه الرسل ،وأنزل عليه الكتب، وأمره بطاعته، ونهاه عن معصيته، ووعده على الطاعة الجنَّة ، وعلى المعصية النار : ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٢ – ٣].

والحكمة من وجوده هنا أمران :

تكميل الإيمان بالله .. وتكميل الأعمال الصالحة التي جعلها الله سببا لدخوله الجَنة، ثم يخرج من هذه الدار ميتا مع عمله ،إلى الدار التي تليها .

**الثالثة:** دار البرزخ في القبر، وهو أول منازل الآخرة، ويبقي فيه الإنسان منعما أو معذباً ، حتى يكتمل موت الخلائق ، وتقوم الساعة، وإقامته فيه غالبًا أكثر من إقامته في دار الدنيا ، والأنس أو البؤس فيه أوسع وأكمل من دار الدنيا ، وهو بحسب العمل، إما أن يكون قبره روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من

حفر النار ، يبدأ فيه الجزاء ، ثم يخرج منه بعد البعث إليّ دار القرار ، إما في الجنة أو النار.

**الرابعة:** الدار الآخرة ، وفيها خلود المؤمنين في الجنَّة ، والنَّعيم المطلق للمؤمنين ، وتكميل شهواتهم ، ورؤية ربهم جل جلاله، وحلول رضوانه عليهم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة: ٧٢].

وفيها كذلك خلود الكفار في النار في العذاب الشديد، وعقوبة كل من عصى الله ورسوله : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾[التوبة: ٦٨].

فمن أكمل في الدنيا ما يحبه الله من الإيمان ، والأخلاق، والأعمال الصالحة ؛ أكمل الله له يوم القيامة ما يحب، مما لم تره عينٌ، ولم تسمعه أذنٌ ، ولم يخطر على قلب بشر ؛ ومن لم يأتِ بالإيمان ، والأعمال الصالحة ، بل جاء بالكفر والمعاصي فجزاءه جهنَّم خالدا فيها : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء: ١٣ – ١٤].

وكلما خرج الإنسان من دار زهد فيما كان عليه أولا ، حتى يستقر المؤمن في الجنة دار النعيم المطلق ، ويستقر الكافر في النار دار العذاب المطلق : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾

[السجدة: ١٨ – ٢٠].

# ٤ - فضل الله على الإنسان

الله عزَّ وجلَّ كرّم هذا الإنسان فخلقه بيديه كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ ﴾ [ص:٧٥].

والله عزَّ وجلَّ بحكمته أخرج الإنسان من بطن أمه جاهلا، وأخرج جميع الخلائق من بطون أمهاتهم علماء بعلم كامل من أول يوم : ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾ [الأعلى:١ -٣].

والإنسان أشرف من هذه المخلوقات ،ولكنه جاهل يتدرج في طلب العلم، فالإنسان يولد، جاهلا، ظلوما، كفورا، عجولا، ضعيفا، قنوطا، قتورا، جذومًا، كنودا، يَؤوسا، هلوعا، فرحا فخورا، ناقصا، ثم الله بفضله ورحمته يهديه، ويعلمه ؛ ليظهر فضل الله عليه، وليعرف نفسه أنه عبد لله عزَّ وجلَّ : ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل:٧٨].

وقال عز وجل : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحجرات:١٧].

فعلم الإنسان قليل، وقدرته محدودة : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء:٨٥].

فالعلم كله من العليم سبحانه : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق:١ -٥].

فلابد لهذا الإنسان أن يرجع إلى من خلقه؛ ليعلمه بمقصد حياته، وماذا يريد الله منه ،وماذا يعطيه ربه إذا أطاعه ؟ وبماذا يعاقبه إذا عصاه.

وأول علم يحتاجه هذا الإنسان : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

والله جل جلاله لا أراه، ولا أسمعه، ولا أعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله، فجعل الله الواسطة بين الإنسان وربه الأنبياء والرسل، يعرفونه بربه، ويعلمونه ما يحبه ويرضاه، وما يأمر به وما ينهى عنه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢].

والإنسان بعلمه الدنيوي لا يعرف من خلقه، ولا لماذا خلقه، ولا الصراط المستقيم الذي يسير عليه، ومن رحمة الخالق سبحانه أن فطره على التوحيد، وأرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب؛ ليعرف ربه، ثم يعبده: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠].

فمن رحمته سبحانه أن اختار من خلقه رسلاً، وأرسلهم إلى هذا الإنسان يعرفونه بربه العظيم، وبالطريق الموصل إليه، ويبشرونه بالثواب العظيم إذا أطاعه، وينذرونه بالعقاب الأليم إذا عصاه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦].

واعلم رحمك الله أن من دخل جنة المعرفة في الدنيا، وهي معرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ومعرفة وعده ووعيده، ومعرفة دينه وشرعه؛ وعمل بموجب هذه المعرفة، أدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة.

ومن بقي في سجن الجهل في الدنيا؛ سجنه الله في النار في الآخرة: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾ [الانفطار: ١٣ – ١٤].

وكما أنَّ هذا الإنسان أفضل المخلوقات ، فكذلك هذه الأمة أفضل الأمم، فقد ختم الله النبوة بنبيه محمد ﷺ ، وختم بكتابه الكتب ، وختم بشريعته الشرائع ، وختم بدينه الأديان، وختم بأمته الأمم : ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

وفضّل الله أمته ﷺ على غيرها بأفضل الصفات، وتوجها بأربعة تيجان ؛ لأن الله جعلها كالأنبياء من بين الأمم .

**التاج الأول:** جعلها الله خير أمة أخرجت للناس كما قال سبحانه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

**الثاني:** جعلها الله أمة وسطاً من بين الأمم ؛ لا غلو ولا تقصير، ولا إفراط ولا تفريط، وسطا بين الله وخلقه، في الدعوة إلى الله، والقيام بدين الله، كالأنبياء والرسل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

**الثالث** : أن الله اجتباها من بين الأمم، كما اجتبى الرسل من البشر : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج:٧٨].

**الرابع**: أنهم عدول يشهدون عند ربهم على الأمم من قبلهم، أن الرسل بلغوهم دين الله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن يملك هذه الصفات العظيمة، ويتحلى بهذا التكريم الإلهي، أهلٌ أن يقوم بالدعوة إلى الله كالأنبياء والرسل ،وهذا كما هو واجب، فهو واقع ولله الحمد.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم من السابقين إلى ذلك تحقيقا لقوله سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

هذه وظيفة الأمة التي شرفها الله بها إلى يوم القيامة: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

# ٥ -مكانة الإنسان عند الله عز وجل

شرف الله الإنسان، وخصَّه بكرامات دون غيره من المخلوقات، والمخلوقات العظيمة ستة أجناس هي:

الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والأنس، والجنُّ، والملائكة .

والإنسان أشرف هذه المخلوقات وقد خصَّه الله بكرامات كثيره منها :

الأولى: أنَّ الله خلق الإنسان بيديه ،وخلق جميع المخلوقات بأمره، كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ ﴾ [ص: ٧٥].

الثانية: أنَّ الله عز وجل نفخ فيه من روحه، كما قال سبحانه للملائكة : ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠ ﴾ [الحجر:٢٨-٣٠].

الثالثة: أن الله عزَّ وجلَّ علم آدم الأسماء كلها كما قال سبحانه : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ٣١ ﴾ [البقرة:٣١].

الرابعة: أنَّ الله لا يرضى أن يسجد أحد لغيره، وأسجد جميع الملائكة الذين هم أشرف المخلوقات لهذا الإنسان تشريفا له : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤ ﴾ [البقرة:٣٤].

الخامسة: أنَّ الله خلق جميع المخلوقات قبل الإنسان، وسخرها لخدمة هذا الإنسان، فكلها خادمة للإنسان ،والإنسان مخدوم : ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠ ﴾ [لقمان:٢٠].

السادسة: أنَّ الله خلق هذا الإنسان ؛ ليكون في الدنيا خليفة ،وليكون جليسه في الجنة في الآخرة إن آمن بربه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة: ٣٠].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[القمر: ٥٤-٥٥].

وفي الجنة نعيم أعظم من الجنة، وهو رؤية الله عزَّ وجلَّ، وسماع كلامه، والقرب منه، ورضوانه : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة:٢٢-٢٣].

فمقصود خلق الإنسان في الدنيا أن يكون خليفة، وأن يكون جليس ربه في الجنة ،ويعطيه الله من صفاته يوم القيامة ، فالله حيٌ لا يموت ،والإنسان يعطى يوم القيامة حياةٌ بلا موت.

والوسيلة لذلك في الدنيا هي عبادة الله وحده لا شريك له، وتحقيق الخلافة في الأرض ،وبسببهما يدخل الإنسان الجنَّة ، وينال رضوان الله ومحبته : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

فالله عزَّ وجلَّ خلق كل شيء بأمره، وخلق آدم بيديه؛ تكريما وتشريفا له، وصوره فأحسن صورته ، ثم نفخ فيه من روحه ، وعلَّمه أسماء كل شيء، ثم أمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا له إلا إبليس امتنع عن السجود له؛ فطرد الله إبليس ولعنه ، وأسكن آدم جنته ،وأتمَّ عليه نعمته : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾[التين: ٤-٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة:٣٥].

ثم أنزل الله آدم من السماء إلى الأرض بحكمته ؛ ليكون في الأرض خليفة كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة:٣٠].

وهيأ له السكن قبل أن ينزل إلى الأرض : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة:٣٨-٣٩].

فجعل سبحانه الأرض وما عليها كلها له، وأمره أن ينتفع بخيراتها ،ويستعين بنعم الله على طاعته وعبادته : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٩].

وفضَّله سبحانه بالعقل والكلام على ما سواه، من الجمادات، والنباتات، والحيوانات : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء:٧٠].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل:٧٨].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن:١-٤].

بيان بلسانه بالكلام، وبيان بيده بالكتابة ، وبيان بالإشارة برأسه أو يده.

وخلق الله الإنسان، وجعله مركباً من بدن، وروح، وفطره وهداه إلى الإيمان، وحب الخير، وبغض الشر: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ

ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

وجعله سبحانه خليفة في الأرض، وسخر له ما في السموات وما في الأرض ؛ليكون ذلك في مصلحته وخدمته، ليتفرغ لعبادة ربه : ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

فهذا العالم كله بأسره كقرية صغيرة فيها جميع المخلوقات ،والمنافع العظيمة ، والإنسان فيها هو الرئيس، وسائر الجمادات، والنباتات والحيوانات بالنسبة إليه كالعبد له، والخادم له، المطيع له : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

وقال عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهذا الإنسان أشرف مخلوقات العالم السفلي ،والعالم العلوي أشرف من العالم السفلي، وروح الإنسان من جنس العالم العلوي، وليس في مخلوقات العالم السفلي منه شيء من العالم العلوي إلا هذا الإنسان، لهذا فهو أشرف، وأكمل من غيره .

لهذا فلا يليق بالإنسان الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وجعله في الأرض خليفة، أن يسكن في ملك الله ، وأن يأكل من رزق الله، أن يعبد غير الله ممن هو دونه ، ويعصي أمر من خلقه وصوره بلا حياء، ولا خوف، ولا خجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ

﴿ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾
[الانفطار:٦-٨].

فاللائق بالإنسان أن يعبد ربه الذي خلقه، ورزقه وأكرمه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٢ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

لهذا لابد أن يعرف هذا الإنسان أن الله فضله على غيره بأمور:

فخلق أباه آدم بيديه، وأسجد له ملائكته، ونفخ فيه من روحه، وعلَّمه أسماء كل شيء، وجعله خليفة في الأرض.

وقد بلغ آدم ﷺ في منصب الخلافة أعلى الدرجات؛ فالدنيا خلقها الله متعة لبقائه ،وإعانة له على طاعته ،والآخرة مملكة لجزائِهِ ، والملائكة في طاعته وإعانته، فبعضهم حافظين له ولذريته ، وبعضهم منزلين لرزقه، وبعضهم مستغفرين لزلاته، وصارت الشياطين ملعونين بسبب التكبر عليه، ومع هذه الكرامات العظيمة، والمناصب العالية، يقول الله له ولأوليائه : ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ۝٣٥ ﴾ [ق: ٣٥].

فالإنسان في الدنيا خليفة، ويوم القيامة إذا آمن جليسه : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وقال عز وجل : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ۝٧٠ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وإذا عرف العبد ذلك آمن بالله العظيم ،واتَّبع كتابه العظيم ،ونال ثوابه العظيم : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩ ﴾ [محمد: ١٩].

# ٦ - مُرادُ اللهِ مِنْ الإنسانِ

مراد الله عزَّ وجلَّ من الإنسان تحصيل صفاته التي يحبها ، وعبادته بموجب ذلك، ولهذا قال سبحانه : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

وهذا هو المقصود من دعوة الأنبياء والرُّسل للأمم : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦].

والله عزَّ وجلَّ ملأ الدنيا بمحبوباته من الإيمان وأنواع العبادات، وملأ الجنة بمحبوبات هذا الإنسان، ومحبوبات الله عزَّ وجلَّ : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢].

ومحبوبات الرب عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

فهذه محبوبات الرب، ولهذا الله عز وجل اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وهم الذين اتصفوا بتلك الصفات .

فالله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب المتقين، ويحب المحسنين، ويحب المؤمنين، فمن أكمل محبوبات الرب في الدنيا، من أنواع الطاعات والقربات والصفات التي يحبها ؛ أكمل الله محبوباته في الجنة .

ومحبوبات الإنسان : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة:١٧].

وقال عز وجل : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة: ٢٥].

فمراد الله عزَّ وجلَّ من خلقه في الدُّنيا تحصيل صفاته التي يحبها، وعبادته بموجب ذلك، ولهذا قال سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

ومراد الخلق من ربهم في الآخرة تكميل شهواتهم ،ورضوان الله عليهم.

فمن أتى بهذه الصفات ؛ فاز يوم القيامة بتكميل الشهوات : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢].

والأنبياء والرُّسل والصحابة لمَّا رضوا بدين الله، وعملوا به؛ أرضاهم الله بعطائه، ولما أكملوا محبوباته في الدُّنيا ؛ أكمل الله محبوباتهم في الآخرة، فالكريم جلَّ جلاله يرضيك ويسترضيك إذا أرضيته واتَّقيته : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

والصحابة رضي الله عنهم لما عرفوا حقيقة الدِّين من أول يوم ؛أزال الله ذلتهم ، وأعطاهم العزة، وأزال فقرهم، وأعطاهم الغنى، وأزال عنهم الخوف، وأكرمهم بالأمن، وأزال عنهم للشرك، وأكرمهم بالتوحيد، وحماهم من الفرقة ،وأعطاهم الوحدة كما قال سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال الله عز وجل : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨].

ونصرة الله عزَّ وجلَّ لا تنزلُ إلا على أهل الصفات التامة التي هي ثمرة الإيمان، والصفات التي يحبها الله مجموعة في سيرة سيد الأنبياء والرُّسل ، فاتبعه في الدنيا ؛ تكن معه في الجنَّة في الآخرة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال الله عزَّ وجلَّ عن الأنبياء والرُّسل : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

لهذا فمراد الله عز وجل من أهل التوحيد والإيمان ، ومن البشرية كافة هو :

**أولًا**: الإيمان بالله ،وملائكته ، وكتبه ،ورسله ،واليوم الآخر، والقدر خيره وشره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ

وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

**ثانيًا**: إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

**ثالثًا**: طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ، وطاعة أولي الأمر في غير معصية الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

وقال النَّبي ﷺ: «علَىَ المَرءِ المُسْلِّمِ السَّمْعُ والطاعةُ فِيمَا أَحْبَّ وكَرِه، إلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ فإذَا أَمَرَ بِمَعْصِيةٍ فَلاَ سَمْعٌ ولا طَاعَةٌ» متفق عليه (١).

**رابعا**: تعلم العلم الشرعي وتعليمه: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

**خامسا**: الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٥٥)، وأخرجه مسلم برقم (١٨٣٩).

**سادسا** :الجهاد في سبيل الله تحت راية إمام المسلمين: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنفال:٣٩].

**سابعا** :الاعتصام بحبل الله، وعدم التفرق : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

**ثامنًا**: الاستقامة على الدين ظاهرا وباطنا : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود:١١٢].

**تاسعا** :حسن الخلق مع الخلق : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

**عاشرا** : لزوم الاستغفار والتوبة في كل حال : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر:١ –٣].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١].

## ٧- فقه ابتلاء الإنسان

الله عزَّ وجلَّ ابتلى هذا الإنسان بحكمته بثلاثة أمور:

ابتلاه بالشهوات الحيوانية .. وابتلاه بالأوامر الشرعية .. وابتلاه بالمصائب القدرية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء:٣٥].

والإنسان من حيث هو إنسان ظلوم جهول كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢].

فهذا الإنسان الجاهل إذا ابتلاه ربُّه فأكرمه اللهُ ونعَّمَهُ، قال: إنني أهلٌ للإكرام، ولذلك أكرمني الله عزَّ وجلَّ، ولا يعترف بفضل الله عليه، وإذا ضيق الله عليه في الرزق قال ظلمني ربي وأهانني، ولم يكرمني كما أكرم فلانا؛ فلا يشكر عند الرَّخاء، ولا يصبر على الشدة والبلاء: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤].

أمَّا المؤمن فإذا أكرمه الله شكر ربه، ورأى ذلك فضل من الله عليه، وإذا ابتلاه بالفقر أو المرض صبر واحتسب وقال هذا بذنبي، وربي لم يظلمني ولم يهني: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر:١٥-٢٠].

فالإنسان من حيث هو إنسان ظلوم جهول؛ لهذا لابدَّ له من التربية.

**والنَّاس** بعد بعثة الأنبياء والرسل أربعة أقسام:

**الأول** : منهم من آمن بالله ، و أقام الدين في حياته، و حياة البشرية .
فهؤلاء بأرفع المنازل في الدُّنيا والآخرة ، و في مقدمتهم الأنبياء و الرُّسل ، و من تبعهم بإحسان، وهؤلاء خير النَّاس للنَّاس: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر:١-٣].
وقال عز وجل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران: ١١٠].
**الثاني** :من أقام الدين في حياته، وترك الدعوة إلى الله.
فهؤلاء سوف يحاسبون على تركهم هذا العمل الاجتماعي ؛ وهو الدعوة إلي الله، وتعليم شرع الله، وهؤلاء لا يُحْفَظُون من أعدائهم، بل يُسلِط اللهُ عليهم الأعداء كما سلط الله فرعون على بني إسرائيل حين تركوا أمر الله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾[القصص:٤].
**الثالث**: من كفر بالله، وصدَّ عن سبيله ، وحارب أولياء الله .
فهؤلاء شرُّ النَّاس كفرعون، وسائرِ الطغاة الذين كفروا، وَصَدُّوا عن سبيل الله : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾[النحل:٨٨].
**الرابع**: من كفر بالله، وعاش حسب هواه وشهواته، ولم يؤذِ أحدا كحال غالب الكفار، فهؤلاء في النَّار، ولكن عذابهم أخف من عذاب من كفر، وصدَّعن سبيل الله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾[محمد:١٢].
وهؤلاء، وهؤلاء، إن لم يؤمنوا يدمرهم الله، وينصر عليهم رسُلَه وأولياءه : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ

ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾[غافر:٥١-٥٢].

والمنافقون هم أخطر الأعداء على الإسلام وأهله؛ فالمنافق يظهر الإسلام؛ ليعيش آمنا بين المسلمين، ويبطن الكفر ليكيد للإسلام وأهله من الدَّاخل، فهو يهدم بنيان الدِّين من الداخل، وينقل أسرار المسلمين إلى أعدائهم في الخارج؛ لذلك المنافقون في الدرك الأسفل من النَّار؛ لعظيم خطرهم وضررهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾[النساء:١٤٥-١٤٧].

والله عزَّ وجلَّ خلق جميع المخلوقات؛ لتدل على عظمته، وعظمة أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وجعلها جميعا مفتقرة إليه في وجودها، وبقائها، ونفعها، وضرها: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر:٢٤].

وخلق الله الإنسان ضعيفاً ، عاجزاً ، فقيرا محتاجاً ؛ ليعلم أنَّ له ربّاً قوياً، قادراً، غنياً، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة ،والمثل الأعلى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢].

فإذا عرف العبد ذلك آمن بالله وحده، وعبده وحده، وصدَّق أخباره ، و امتثل أوامره، واجتنب نواهيه.

فالعبد إذا عرف ربَّه القوي توجَّه إلى القوي ليحميه، وتوجه إلى الغني ليغنيه، وإلى الرازق ليرزقه، وإلى الكريم ليعطيه، وإلى الشَّافي ليشفيه، وإلى المؤمن ليُؤَمنه، وإلى الرحمن ليرحمه، وإلى التواب ليتوب عليه، وإلى القادر ليعينه : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ

مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

وخلق الله هذا الإنسان مضطرا إلى غيره ، فإن توجَّه إلى ربه العزيز أعزه ، وإن توجَّه إلى المخلوق الذليل أذله الله به.

فالإنسان إمَّا أن يسأل حاجاته من الله ؛ فيكون عبدا لله، وإمَّا أن يسألها من غيره؛ فيكون عبدا لعبد الله من بشراً وحجراً وصنم.

هذا الإنسان يتوهم أن ما سوى الله قوياً ؛ فيخضع له، ويتوهمه قادرًا، فيسأله ما يريد، ويتوهمه إلهاً فيسأله كشف الضُّر ،وجلب النفع، وهذا هو الشِّرك بالله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

**و المؤمن يمرُّ بأطوار ثلاثة :**

**الأول:** طور يُؤَدِبه ربُّه فيه على تقصيره، وبعض أخطائه؛ كما ربَّى الله آدم في الجنَّة، ثم تاب عليه وهداه : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه: ١٢٠ – ١٢٢].

**الثاني:** طور يُبتلى الإنسان فيه، ويمتحن بالسراء والضراء، والأمن والخوف، فإن صبر وتوكل على الله، كفاه من كل شيء : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن:١٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق:٢-٣].

**الثالث**: إذا نجح الإنسان في هذين الطورين، بلغ طور التكميل الخاص، وأصبحت حياته سلسلة إكرامات في الدُّنيا والآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧].

والله عزَّ وجلَّ امتَّن على كل مخلوق بقوت الأبدان من الطعام بأنواعه، والشراب بأنواعه : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود:٦].

وامتَّن على الإنسان خاصة بقوت القلوب، وهو معرفة علَّام الغيوب، والإيمان به، والعمل بشرعه وهذا القوت يملأ القلب بالإيمان والتوحيد، ويمد النفس بالسكينة والطمأنينة، ويشغل الجوارح بالطاعات و العبادة لله عزَّ وجلَّ.

وإشباع الجسد لا يغني الرُّوح شيئا، فالروح لها قوت خاص بها، وهو الإيمان بالله وتقواه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

وكلما كبُر الإنسان كانت حاجته إلى قوت القلوب أشد، فعندما يزيد إيمانه لا يرى سعادته إلا في مناجاة ربِّه، وحينما يفتقر القلب إلى هذا القوت الإلهي يتضجر ؛ لأنَّ الطمأنينة منعدمة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وقال عز وجل : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

والله سبحانه هو المقيت الحفيظ لجميع الأقوال و الأعمال، فمن دلَّ غيره على خير؛ فله منه نصيب ، ومن دلّه على شر؛ فله منه كفل ، فالله حافظٌ وحفيظ ، وشاهدٌ و شهيد ،رقيب على كل من في ملكه العظيم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ [النساء: ١].

والنَّاس في القوت مختلفون، فمنهم من جعل قوته في المطعومات، والمشروبات؛ فهذا يعيش ليأكل : ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ [مريم:٥٩].

وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ [محمد:١٢].

ومنهم من جعل الله قوته في طاعة الله، فهذا يأكل ليعيش لله، و قوته أحسن الأقوات وأكملها : ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣].

وقال عز وجل عن الأنبياء والرسل : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠].

وقَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَقْعُدُ قَومٌ يَذكُرُونَ اللهَ عز وجل إِلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ؛ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» أخرجه مسلم [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والوصال مرتين، قيل إنك تواصل قال: إنِّيْ أَبِيْتُ يُطْعِمُنِيْ رَبِيْ وَيَسْقِيْنِ فاكلفوا من العمل ما تطيقون**» أخرجه مسلم [2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٦٦)، وأخرجه مسلم برقم (١١٠٣).

# ٨- الإنسان بين النِّعم و المصائب

الله عز وجل يقلب أحوال الإنسان فيما يصلحه و يسعده في الدنيا والآخرة ، ومقصود الله عزَّ وجلَّ من النِّعم والمصائب أن تتوجه القلوب إليه وحده في السَّراء والضراء، ولا تلتفت لأحدٍ سواه .

فإذا حلت بالمسلم مصيبة أو محنة ،ثم دعا ربه فأجابه؛ زاد حبه لربه، وزاد تعظيمه له، وزاد إيمانه به، وزاد حمده له، زاد ذكره له، وزاد استغفاره له.

فهذه عبادات عظيمة، يفتحها الله على الإنسان ؛ ليرده إليه، و هذه هي الحكمة العظمى في سوق المصائب للنَّاس : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ ﴾ [التغابن: ١١].

فإذا أراد الله أن يرفع درجاتك، ويزيد إيمانك، ويردك إليه، أرسل إليك مصيبة ؛ لتدعوه وتسأله، فإذا دعوته وكشفها ازددت حبا له ، و تعظيما له ، وشكراً له، وطاعةً له : ﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨ ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

فكل محنة وراءها منحة من الله عز وجل، ووراء كل مصيبة توبة جديدة ، ومعرفة جديدة ، ومحبة جديدة ، و إيمان جديد ، و عمل جديد : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾[البقرة: ٢١٦] .

والعبد إذا احتاج إلى نعمة سأل ربه فأجابه؛ فيزيد حبه لربه، وتعظيمه له، وطاعته له، وإيمانه به، وحمده له : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فسبحان من يبتلي بالنعم والمصائب، و يقلب أحوال عباده كما يقلب الليل و النهار؛ يقلبها من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام،ومن درجة إلي درجة ؛ ليدعوه، ويتقربوا إليه، ويصلوا إليه : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة:٥١].

وكما أن النعم أنواع ينعم بها الله على العباد؛ ليشكروه، ويذكروه، فكذلك المصائب أنواع يصيب بها من يشاء من عباده، ليذكروه، و يتوجهوا إليه، و يتوبوا إليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٤٣].

والمصائب التي ذكرها الله في القرآن خمسة أنواع :

مصائب القصم .. ومصائب الردع .. ومصائب الدفع .. ومصائب الرفع .. ومصائب الكشف.

فمصائب الكشف للأنبياء، ومصائب الدفع والرفع للمؤمنين، ومصائب القصم والردع للكفار .

فالأنبياء إذا ساق الله إليهم المصائب؛ فلكشف ما عندهم من الصِّفات الحسنة؛ ليزيد إيمانهم ،و إيمان غيرهم بهم، وأشدَّ النَّاس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه .

والمؤمنون إذا ساق الله لهم المصائب؛ فلدفعهم إلى بابه، وتكفير سيئاتهم، ورفعة درجاتهم : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر: ١٠].

وقال الله عز وجل : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة: ٥١].

وقال النبي ﷺ قال : «ما يصيبُ المسلمَ من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ، ولا حُزنٍ، ولا أذىً، ولا غمٍّ، حتّى الشوكةِ يُشاكُها إلا كفَّرَ اللهُ بها من خطاياه». متفق عليه[١].

إمَّا الكفار إذا ساق الله لهم المصائب فإمَّا قصما وإنهاءً لحياتهم؛ إذا علم الله أن ليس فيهم بقية خير، وإمَّا ردعا و زجرا لهم ؛ إن كان فيهم بقية خير، لعلهم يتوبون إليه : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون:٧٦].

وقال عز وجل عن الكفار الذين أعرضوا عن الحق: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[هود:١٠٢].

وقال عز وجل : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٠].

فمصائب الكشف للأنبياء ؛ ليظهر الله بها صفاتهم وأخلاقهم العظيمة.

ومصائب الدفع والرفع للمؤمنين؛ يدفعهم الله بها إلى التوبة، ويرفع درجاتهم، و يكفر سيئاتهم .

ومصائب الردع، والقصم للكفار، فلكل مصيبة حكمة، و في كل مصيبة منفعة : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة: ٥١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٤١)، ومسلم برقم (٢٥٧٣).

ونعم الله على العباد لا تعد ولا تحصى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقال عز وجل: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:١٨].

و أعظم نعم الله على عبادة ثلاث:

نعمة الخلق و الإيجاد .. ونعمة القوت و الإمداد .. ونعمة الهداية و الإسعاد، وهذه أعظمها: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

وقال عز وجل عن الكفار الذين أعرضوا عن الحق: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣].

والواجب على العبد أن يشكر ربه على هذه النعم العظيمة.

**و شكر الله عز وجل يكون بأربعة أمور هي:**

الاعتراف بالنعمة، والتحدث بها، والاستعانة بها على طاعة الله، وفعل جميع الأسباب المعينة على الشكر: ﴿ٱعْمَلُوٓا ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

والشكر لله على نعمه الظاهرة والباطنة هو رأس العبادة ،و أصل كل خير وأوجبه على العباد: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة:١٥٢].

والله سبحانه وحده هو الذي أنعم على العباد بجميع النعم الظاهرة والباطنة، وهو وحده الذي يأتي بالخير والحسنات ويدفع السوء والسيئات: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

وهو سبحانه الكريم الذي يوالي نعمه على خلقه في كل مكان وزمان وحال:

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

لهذا فالله عز وجل هو الرب الذي يستحق أن يبذل له العباد من الشكر ما تصل إليه قواهم في كل حين ، فكما ملأ الله الكون لنا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى ؛ فيجب علينا أن نملأه لربنا بحمده وشكره : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الجاثية: ٣٦].

ومن أعظم أصول شكر النعم، شكر المنعم بها قولا وفعلا : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١].

وقال عز وجل : ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

والعارف حقا بعظيم نعم الله هو من نظر في كل وقت إلى من هو دونه في العقل، والعلم، والمال، والنسب، وغيرها من أصناف النعم .

فمتى استدام هذا النظر اضطره إلى كثرة شكره لربه ،والثناء عليه ،وحمده على جزيل نعمه وعطائه، فهو لا يزال كل وقت يرى خلقا كثيراً من الناس دونه بدرجات في تلك الأوصاف، فيحمد الله الذي أنعم عليه، و فضَّله على كثير ممن خلق تفضيلا : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

فينظر المؤمن دائما إلى من هو دونه في النعم ؛فيشكر ربه ، ولا ينظر إلى من هو فوقه فيشقى، ويتحسر، ويتألم.

قال النبي ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوقَكَمْ،**

فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ» أخرجه مسلم [1].

وقال ﷺ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ والخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ» متفق عليه[2].

فإذا نظرَ الإنسان إلى خلق كثير مِمَّن سلبوا عقولهم، فيحمد الله على نعمة العقل، ويرى خلقا كثيرا ليس لهم قوت ولا مدخر، ولا مساكن يأوون إليها، وهو مطمئن في مسكنه، موسع عليه في رزقه، ويشاهد خلقا كثيرا ممن ابتلوا بأنواع الأمراض، والأسقام، والأوجاع، وهو معافى من كل ذلك، متسربل بنعمة الصحة والعافية، فيحمد الله على ما خصه الله به من النعم .

ويرى خلقا كثيرا من الناس قد ابتلوا بانحراف الدين، والوقوع في أنواع المعاصي والكبائر، والله سبحانه قد حفظه منها، أو من كثير منها، وأكرمه بحسن الاستقامة، ويشاهد كثيراً من الناس قد ملكهم الحزن، واستولى عليهم الهم، وضاق عليهم الصدر، وملأ قلوبهم الغم، وهو معافى من هذه الأدواء، قد منَّ الله عليه براحة القلب، وربما كان فقيرا يفوق بهذه النعمة الكبراء و الأغنياء : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد:٢٨].

ومن ابتلي بشيء من هذه الأمور المكدرة يجد خلقا كثيرا أعظم منه بلاء، وأشد مصيبة ؛فيحمد الله على وجود العافية له ، وخفة البلاء عليه، فما من مكروه إلا وبجواره مكروه أعظم منه ،ومن وفقه الله للاهتداء بهذا الهدي، لم يزل شكره في قوة ونمو وزيادة ،ولم تزل نعم الله تتوالى عليه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٦٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٩٠)، وأخرجه مسلم برقم (٢٩٦٣).

وأمَّا من عكس الأمر فصار ينظر إلى من هو فوقه في العافية، والغنى، والرزق والمال، والعلم، ونحو ذلك من النعم، فإنه لا بد أن يزدري نعمة الله عليه، ويفقد شكره، ومتى فقد شكر ربه ترحلت عنه النعم، وتسابقت إليه النقم، ولصق به الغم الملازم، والحزن الدائم، والتسخط لما هو فيه من الخير، وعدم الرضا بالرب إلها ومدبرا، وذلك هو الخسران المبين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج:١١].

ومن تفكر في عظيم نعم الله على خلقه أحب ربه، وأثنى عليه، واستحيا من ربه أن يعصيه بنعمه وهو في ملكه، أو أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره.

فالشكر أصل الدين، ومدار الخير وعنوانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة:١٧٢].

وقال ﷺ لمعاذ: «**إِنِّي أُحِبُّك فلا تدَعَنَّ أَنْ تَقُولَ دبرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَة، اللهم اعِنِي عَلَى ذِكْرِك، وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبَادَتك**» أخرجه أبو داود [1].

**وقد اعترف أعظم الشاكرين بالعجز عن شكر النعم بقوله ﷺ «لا أُحْصِيْ ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» أخرجه مسلم [2].

فسبحان ربنا الكريم الذي أنعم على عباده بنعم لا تعد ولا تحصى، ورضي منهم بالقليل من الشكر عليها.

والله سبحانه خلق هذا الكون العظيم، وسخره للإنسان تسخيرين:

تسخير تعريف لنؤمن به، وتسخير تكريم لنحمده ونشكره.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٥٢٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

فالمخلوقات كلها خلقها الله، لنعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله من خلالها: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس:١٠١].

والماء، والهواء، والطعام وسائر النعم، خلقها الله؛ لنعرفه من خلالها؛ فالإنسان قد يشرب الماء فيروي عطشه، ويأكل الطعام فيزول عنه الجوع، هذا هو الهدف الصغير، أما الهدف الأكبر فهو أن نعرف من خلال هذه المخلوقات عظمة خالقها، ونتجاوز الصور إلى المصور، ونتجاوز الخلق إلى الخالق، فنؤمن به، ونشكره، ونعبده.

فمن أكل الطعام، وشرب الماء، ولم يفكر في هذه المخلوقات التي أكرمه الله بها؛ فقد عطل الهدف الأكبر، واستفاد من الهدف الأصغر: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠].

ومقتضى تسخير التعريف أن تؤمن بالله، ومقتضى تسخير التكريم أن تشكر الله: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء:١٤٧].

فلله الحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة:٢-٧].

## ٩ - عظمة حُسن الإسلام

ما أحسن هذا الدين العظيم الذي كرّم الله به هذا الإنسان ، فالإسلام هو دين الله للبشرية جمعاء، أرسل الله به رسُلَه ،وأنزل به كتبه : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾[آل عمران:١٩].

أرسل الله به خاتم رسله للبشرية إلى يوم القيامة، وكان ما قبله من الرسل والأنبياء والكتب إعداد له، وتمهيد له ، وبه ختم الله خطاباته إلى أهل الأرض، وأنزل الله الكتب السابقة كالتوراة، والإنجيل، والزبور، تناسب أطوار خلق الناس، ولم يشاء الله أن ينزلها كاملة خالدة ،وإنما أنزلها الله حسب أطوار البشرية ،كلما مات نبِّي خلفه آخر، حتَّى إذا تجاوزت البشرية تلك الأطوار، نسخها الله بالدين الكامل، وختم الله شرائعه إلى أهل الأرض بهذه الشريعة العظيمة الكاملة كما قال سبحانه : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾﴾[المائدة:٣].

وبعد كماله لا يقبل الله بعده سواه إلى يوم القيامة كما قال سبحانه : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

وهذا الإسلام بصورته النهائية الكاملة الخاتمة، شرع الله فيه للعباد كل ما رضيه وأحبه لهم من العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والقيم؛ ليكون نظاما وشرعا شاملا لشؤون الحياة كلها إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

فقد بين الله عز وجل في شريعة محمد ﷺ كل شيء بالتفصيل إلى يوم القيامة، أما بوحى مُنزَّل وهو القرآن والسنة، وأما بفهم مستنبط من نصوص الوحى كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣].

وكل ما شرعه الله عزَّ وجلَّ في هذا الدين كله لمصالح العباد، وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

فإذا أوجب الله شيئا، فهذا دليل على أن مصلحته متمحضة في كل زمان ومكان.

وإذا حرم شيئا، فهذا دليل على أن مفسدته متمحضة في كل زمان ومكان .

وإذا ندب إلى شيء، فهذا دليل على أن مصلحته راجحة، وإذا كره شيئاً، فهذا دليل على أنه مفسدته راجحة.

واذا أباح شيأ فجعله مستوي الطرفين، فهذا دليل على أنه تعتريه العوارض، فتارة تكون مصلحته راجحة ، وتارة تكون مفسدته راجحة، فيوزن حينئذ بميزان العقل والشرع : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال عز وجل : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

والله حكيم عليم في خلقه وأمره، جعل خطابات الشرع أربعة أقسام :-

**الأول:** خطاب مُوَجَّهٌ إلى الفرد :

يستطيع الإنسان إقامته بنفسه، كالأمر بالتوحيد، والإيمان،والطهارة، والوضوء، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج ونحوها من الأدعية والأذكار والأحكام والأخلاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

وقال عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وهذا هو ربع الفقه الإسلامي .

الثاني :خطاب مُوَجَّةٌ إلى الأسرة:

لا يستطيع الفرد إقامته وحده، بل في أسرة يتراضا طرفاها على تحكيم شرع الله فيها، بدء بالنكاح، وتوابعه، ثم تربية الأولاد، وفق الشريعة، وختاما بقسمة المواريث : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤].

وهذا هو الربع الثاني من الفقه الإسلامي .

**الثالث: خطاب مُوَجَّهٌ إلى الأمة كلها:**

كالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والنصح للمسلمين، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله، وآداب الضيافة ،وحسن الجوار، ونحو ذلك كما قال سبحانه : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

وقال عز وجل : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران: ١٠٤].

وهذا الربع الثالث من الفقه الإسلامي .

**الرابع: خطاب مُوّجَّهٌ إلى السلطان وذي القوة :**

كجهاد العدو، واستخراج خيرات الأرض، وتنفيذ أوامر الله في خلق الله، وإقامة الحدود، وصد العدوان عن المسلمين ،وتوزيع الأموال بين الناس بالعدل كما قال سبحانه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص:٢٦].

وقال عز وجل : ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢].

وهذا هو الربع الأخير من الفقه الإسلامي .

وبهذه الأمور الأربعة تصلح أحوال الأمة إذا استقامت على أوامر الله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

## ١٠- صفات المسلم التي يحبها الله

كمال سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، أن يتصف بخمس صفات هي: الإسلام، والإيمان، والإحسان، والهجرة، والجهاد .

فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده:

قال النبي ﷺ: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُوْنَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهَ عَنْهُ**» متفق عليه (١).

الإسلام الحقيقي هو الاستسلام لله، وتكميل عبوديته، والقيام بحقوقه، وحقوق عباده : ﴿ **بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة:١١٢].

ولا يكمل الإسلام إلا بأن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، ولا يتحقق ذلك إلا بسلامة المسلمين من شر لسانه ويده ؛ فسلامتهم من شر قوله وفعله، دليل على كمال إسلامه.

والمؤمن حقا من آمن بالله، وأمِنَه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فإن الإيمان إذا وقر في القلب أوجب لصاحبه القيام بحقوق الإيمان، التي من أهمها بعد أداء حقوق الله ، رعاية الأمانات، والصدق في المعاملات، والكف عن ظلم الناس.

قال ﷺ : «**لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، ولا دين لمن لا عهد له**» أخرجه أحمد (٢).

ومن عرف الناس عنه ذلك أحبوه، وأمنوه على أنفسهم وأموالهم.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠)، وأخرجه مسلم برقم (٤٠).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد برقم (١٢٥٦٧).

قال النبي ﷺ : «**الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسَ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**» أخرجه أحمد الترمذي (١).

والدين كله أمانات بين العبد وربه ،وأمانات بين العبد والخلق : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا** (٥٨) ﴾ [النساء:٥٨].

فمن أدى الأمانة كما أمر الله فاز وأفلح، ومن خان الأمانة خاب وخسر : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا (٧٣) ﴾ [الأحزاب: ٧٢–٧٣].

والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وتحسن إلى خلقه بما تقدر عليه من أنواع الإحسان : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** (١٢) ﴾ [الملك: ١٢].

والهجرة: هي هجر الذنوب والمعاصي، وهى فرض عين على كل مسلم ومسلمة في كل حال : ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** (٧) ﴾ [الحشر: ٧].

أمَّا الهجرة الخاصة فهي الانتقال من بلد الكفر أو البدع، إلى بلد الإسلام والسنة ، وتجوز هذه الهجرة، وهى جزء من تلك الهجرة ، وليست واجبة على كل أحد ، وإنما تجب بوجود أسبابها، حسب الاستطاعة : ﴿ **فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟** ﴾ [التغابن: ١٦].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم(٢٣٩٦٧)، وأخرجه الترمذي برقم (١٦٢١).

أمَّا المجاهد، فهو الذي جاهد نفسه على طاعة الله ورسوله، فالنفوس ميالة إلى الكسل عن الخيرات والطاعات ، أمارة بالسوء ، ميالة للشهوات والمحرمات ، سريعة التسخط عند المصائب : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف: ٥٣].

فمن جاهد نفسه، لتفعل المأمورات، وتجتنب المنهيات، وتصبر على الكريهات، وقتال الأعداء، وتجاهد الكفار بالقول والفعل، والعمل بالشرع، وتعليمه للناس ؛فقد بلغ ذروة سنام الإسلام، وفاز بأعلى الدرجات : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال النبي ﷺ: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِيْ طَاعَةِ اللهِ» أخرجه أحمد (١).

وبضد ذلك المنافق، فهو أخسر الناس في الدنيا والآخرة، والإسلام هو العدل، وكل ما سواه ظلم : ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

والشريعة الإسلامية كلها عدل ؛فهي آمرة بالعدل، ناهية عن الظلم : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

فالدين أصوله وفروعه، وشعبه وأركانه، ظاهره وباطنه، كله عدل ،وحق، ورحمة، وحكمة .

فالتوحيد والإيمان أعدل العدل، والشرك والكفر أعظم الظلم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٩٥٨).

**والعدل:** هو وضع الشيء في موضعه، والقيام بالحقوق الواجبة التي تثمر السعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢].

**والحقوق قسمان:** حق الله ، وحقوق العباد : ﴿ **وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء:٣٦].

وأعظم الحقوق وأوجبها حق الله على عباده ؛ وهو أن يعرفوه، ويؤمنوا به ربا ، وإلها، وملكا ، ويعبدوه وحده لا شريك له، ثم القيام بأصول الإيمان، وشرائع الإسلام، من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج بيت الله الحرام، والجهاد في سبيل الله، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر : ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴿٢﴾ **ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ** ﴿٣﴾ **أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ **وَٱلْعَصْرِ** ﴿١﴾ **إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ** ﴿٢﴾ **إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ** ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ١ –٣].

ومن العدل القيام بحقوق النبي محمد ﷺ من الإيمان به ، ومحبته ،وطاعته وتوقيره: ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر:٧].

ومن العدل القيام بحقوق الخلق من بر الوالدين، وصلة الأرحام، وأداء الحقوق التي تكون بين الناس، من الأقارب والجيران، والأزواج والأولاد، ومن أخلَّ بشيء من ذلك فهو ظالم استوجب عقوبة الله له: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان: ١٩].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: «**يَا عِبَادِي إِنِّيْ حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِيْ، وجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ محُرَمًا فَلَا تَظَالمُوْا**» أخرجه مسلم(١).

والله عز وجل على صراط مستقيم في خلقه وأمره، وفي أقواله وأفعاله، وفي ثوابه وعقابه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

وقد نصب لعباده الصراط المستقيم الذي كله عدل، ورحمة، وإحسان، ودعاهم إلى سلوكه بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ومن سار على هذا الصراط المستقيم في الدنيا، سار على الصراط المستقيم في الآخرة إلى الجنة، ومن عدل عنه إلى الصراط المعوج في الدنيا فقد عدل ومال إلى الظلم و الجور الموصل إلى جهنم: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٢-١١٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

# ١١ - فقه الاستقامة

القلب محل التوحيد، والإيمان، واليقين؛ واللسان والجوارح محل الأقوال، والأفعال الظاهرة؛ والقلب المادي ينقل الدم إلى سائر أجزاء الجسم؛ فتبقى حية،فإذا امتلأ القلب بالتوحيد، والإيمان أشاع ذلك في كل ذرة من ذرات الجسم : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام:١٢٢].

والقلب يستقبل العقائد كالتوحيد، والإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

والاستقامة، هي الاستقامة على التوحيد والإيمان واليقين، مقرونًا بامتثال أوامر الله في كل حال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

فالرب سبحانه خلقنا و أمدنا بالنعم، لنسعد ونعيش، ولا يمكن أن يمدنا بالنعم المادية، ويتركنا بلا قيم إيمانية و أخلاقية نتعبد لله بها : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

والله حكيم عليم، قدم لعباده النعم المادية بالربوبية، ويسرها للإنسان من هواء، و طعام ،وشراب وعافية، ثم أتبع ذلك بعطاء الألوهية ؛ لتستمر سعادة الإنسان

في الدنيا والآخرة.

فبالربوبية أعطى الله كل خير مادي، وبالألوهية كلفنا بالدين، وشرفنا به؛ لكي نسعد به في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ [المائدة:٣].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس:٥٨].

فكما قبلت أيُّها الإنسان نعمة الله عليك بالتربية ،و الإمداد بالنعم، فاقبل نعمة الله عليك في التكليف و التشريف بهذا الدين العظيم الذي يسعدك في الدنيا والآخرة.

والصراط المستقيم هو الطريق الموصل للغاية بأقصر مسافة، والصراط المستقيم في الدنيا هو الدين، والصراط المستقيم في الآخرة هو المنصوب على ظهر جهنم، يعبره المؤمنون إلى الجنة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والاستقامة تتطلب سيرًا على الصراط المستقيم في الدنيا؛ لتصل إلى الغاية، فإذا كانت الغاية هي الفوز برضوان الله والجنة، وذلك خير من الدنيا وما فيها؛ فيجب أن تسارع ونتسابق إليها، ونفر إلى من دعانا إليها: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله عز وجل : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

واعلم رحمك الله أن مقادير الأعمار والأرزاق بيد الله وحده، و لا يعلمها إلا هو، فالعمر لكل إنسان مقدر محدد، لا يعلمه إلا الله وحده، ولا يستطيع أحد أن يزيده أو ينقصه، أو يطوله أو يقصره : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك: ٢].

وقال عز وجل: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون: ١١].

فأخذ الله بُعْد الطول والقصر عنده، وترك للإنسان أن يأخذ عرض عمره، وعمق عمره، وأعطى الله المسلم الخيار بأن يوسع عرض عمره بالطاعات و القربات التي يحبها الله ،كما وصف سبحانه الأنبياء بقوله : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقد يكون العرض أكبر من الطول؛ فيعمل الإنسان أعمالاً صالحة كبيرة في عمر قصير، ومن رحمة الله بالعبد أن يهديه لأعمال صالحة عظيمة، فيفعلها في عمر قصير : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١﴾ [الواقعة: ١٠-١١].

فإذا مات هذا المسلم انقطع عمله ،ولكن الله أكرمه بجريان الأجر له بعد موته .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ، قال : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» .أخرجه مسلم [1].

فالمؤمن حقا، والعارف حقا ،من استغل عرض عمره ووسعه بأنواع الأعمال الصالحة، واستغل عمق عمره فترك في حياته من الأعمال ما يجري عليه أجرها

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٣١).

بعد مماته إلى يوم القيامة : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس:١٢].

وأركان الاستقامة هي أركان الإسلام الخمسة، وهي أن تشهد أن لا إله الا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة ،وتؤتي الزكاة ،وتصوم رمضان ،وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود:١١٢].

والفقه في الدين علامة على سعادة العبد، وأن الله أراد به خيرا .

قال النبي ﷺ : «**مَنْ يُرِّدْ اللهُ بِهِ خَيْرا يُفَقِّهْهُ فِيْ الدِّيْنِ**» متفق عليه (١).

**و الفقه في الدين يشتمل على ثلاثة أمور:**

الأول: الفقه في أصول الإيمان ، وأركانه .

الثاني: الفقه في شرائع الإسلام ،وأحكامه .

الثالث: الفقه في حقائق الإحسان ، وأركانه .

كما في حديث جبريل أنه سأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، ففسر الإسلام بأركانه الخمسة، وفسر الإيمان بأركانه الستة ، وفسر الإحسان بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بَيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَومٍ، إذْ طَلَعَ عَلَينَا رَجُلٌ شَدِيدُ بيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخبِرْني عَنِ الإسْلامِ؟ فَقَالَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، وأخرجه مسلم برقم (١٠٣٧).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيهِ سَبِيلاً». قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». أخرجه مسلم(١).

فدخل في ذلك علم التوحيد والإيمان ،وعلم الفقه بأصوله وفروعه، وأحكام العبادات والمعاملات ،والعلم بحقائق الإحسان.

فمن أراد الله به خيرا فقهه في هذه الأمور، ووفقه للعمل بها، والدعوة إليها .

ومن أعرض عن هذه العلوم بالكلية، فإن الله لم يرد به خيرا، لحرمانه نفسه الأسباب التي تنال بها تلك الخيرات: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤].

وقال عز وجل: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩].

ومجامع العلوم والخيرات التي تنال بها السعادات في الدنيا والآخرة، موجودة في القرآن والسنة : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

و أعلم رحمك الله أنَّه إذا كان حجم الإيمان أكبر من حجم الشهوات ؛حصلت الاستقامة ، وحصلت النجاة ،وحصل الفوز والفلاح .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨).

أما إذا كان حجم الشهوات أكبر من حجم الإيمان، أو كان حجم الإيمان مساويا لحجم الشهوات ؛فهنا يحصل الانحراف، فلابد من تقوية الإيمان الذي يقمع الشهوات المحرمة، ويحمل على طاعة الله في كل حال .

وعلامة الإيمان الواجب أن يحملك على طاعة الله، و عبادته ،والاستقامة على دينه، أما إذا لم يحملك على طاعة الله ،فهو غير كافٍ ،بل هو الخسران المبين كإيمان إبليس والكفار : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥)﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾ [البقرة:٢٦٩].

وقد أودع الله في كل إنسان عقلاً يعرف به ربه ،وما ينفعه وما يضره، وأودع فيه شهوات لحفظه وبقاء نسله ،لحكمة الابتلاء، فالعقل له نداء، والشهوات لها نداء، فإذا غلب نداء العقل أفلح الإنسان : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾ [المؤمنون:١ –٢].

وإذا غلب نداء الشهوة خسر هذا الإنسان : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥)﴾ [التوبة: ٥٥].

وقال عز وجل : ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾ [مريم: ٥٩].

فمن غلب عقله شهواته نجا ، ومن غلبت شهواته عقله هلك : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ

﴿كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾[محمد: ١٢].

وكل إنسان مبتلى بنداء العقل، ونداء الشهوة، ممتحن بين أن ينام، وأن يصلي؛ فالعقل المنقاد للشرع يقول قم فصل، والعقل المنقاد للشهوة، يقول اقعد في الفراش، فإنَّك متعب .

وكل إنسان مبتلى بالطاعات والمعاصي، وبالأوامر والشهوات، وبالأموال والأعمال الصالحة : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الأنبياء:٣٥].

فمن خضع عقله لشرع ربه نجا، ومن خضع عقله لشهوات نفسه و هواه هلك : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم:٥٩].

وقد رُكِب المَلَك على عقل بلا شهوة ، ورُكِب الحيوان على شهوة بلا عقل، ورُكِب الإنسان على شهوة وعقل، فمن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، ومن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان كما قال الله عن الكفار :﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[الفرقان:٤٤].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾[محمد:١٢].

وقال عز وجل : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف: ١٧٩].

# ١٢ - كرامات المؤمن في الدنيا والآخرة

الله عز وجل يكرم المؤمن في الدنيا بأكثر من ثلاثين كرامة، ويكرمه في الآخرة بأكثر من ثلاثين كرامة، وكلها مذكورة في القران والسنة.

فكرامات المؤمنين في الدنيا كثيرة ومنها:

الأولى: **الحياة الطيبة**: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

الثانية: **معية الله**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة:١٥٣].

**الثالثة: محبة الله**: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

الرابعة: **النصرة من الله**: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١ – ٥٢].

الخامسة: **الخلافة في الأرض**: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

السادسة: **ولاية الله لهم**: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

السابعة: **الطمأنينة** : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨].

الثامنة: **حصول الهداية** : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

التاسعة: **عدم الضلالة** : ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه:١٢٣].

العاشرة: **مغفرة الذنوب** : ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

الحادية عشرة: **قبول التوبة** : ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة:٣٩].

الثانية عشرة: **النجاة من الهلاك** : ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس:١٠٣].

الثالثة عشرة: **الفوز بكل خير** : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

الرابعة عشرة: **الفلاح في الدنيا والآخرة** : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ٢].

الخامسة عشرة: **حصول الرزق بيسر وسهولة**: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣].

السادسة عشرة: **التيسير في الأمور** : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق:٤].

السابعة عشرة: **العزة** : ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨].

الثامنة عشرة: **الدفاع عن المؤمنين** : ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج:٣٨].

التاسعة عشرة: **عدم تسليط الكفار والمنافقين عليهم** : ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء:١٤١].

العشرون: **حصول البركات** : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦].

الحادية والعشرون: **مضاعفة الثواب علي الطاعات** : ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

الثانية والعشرون: **تثبيت الله و ملائكته للمؤمنين** : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال:١٢].

الثالثة والعشرون: **استجابة الدعاء** : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

الرابعة والعشرون: **رضا الله عن المؤمنين** : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

الخامسة والعشرون: **الأمن و الطمأنينة عند الموت** : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

السادسة والعشرون: **حصول الأمن والهداية** : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

السابعة والعشرون: **تأليف القلوب** : ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

الثامنة والعشرون: **حصول الأخوة بين المؤمنين** : ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة: ٧].

التاسعة والعشرون: **فوز المؤمنين بأعظم تجارة** : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٠-١١].

الثلاثون: **الفوز برضوان الله عليهم** : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

فهذه بعض كرامات المؤمنين في الدنيا : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

**أما كرامة المؤمنين في الآخرة** ، فقد أعد الله لكل مؤمن من النعيم المقيم،

والملك الكبير، ما لم تره عين، و لم تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٧].

**ومن تلك الكرامات العظيمة الأبدية ما يلي :**

**الأولى: دخول الجنة :** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾[الحج:١٤].

**الثانية: الخلود في نعيم الجنة :** ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥].

**الثالثة : رضوان الرب :** ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢].

**الرابعة: رؤية الرب جل جلاله :** ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

**الخامسة : القرب من الرب جل جلاله :** ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥].

**السادسة : سماع كلام وسلام الربّ جل جلاله :** ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾[يس:٥٥-٥٨].

**السابعة : النجاة من النار :** ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[مريم:٧١-٧٢].

**الثامنة : الخلود الأبدي في نعيم الجنة :** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة:٧-٨].

وغير ذلك من الكرامات العظيمة التي يكرم الله بها أولياءه في الآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

والصفات الموعودة في الدنيا غير موجودة في حياة كثير من المسلمين الْيَوْمَ؛ مما يدل على ضعف إيمانهم، ولا سبيل للحصول عليها، أو رؤيتها، إلا بتقوية الإيمان الموجود، بالإيمان المفقود، لنصل إلى الإيمان المطلوب، لنحصل على موعود الله المذكور في الدنيا، بأن يكون إيماننا وأعمالنا كالأنبياء والصحابة : ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾ [البقرة:١٣٧-١٣٨].

وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء:١٣٦].

اللهم أرنا الحق حقا ، و ارزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلا ، و ارزقنا اجتنابه.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

# الباب الثاني

ويشتمل هذا الباب على البصائر الآتية :

٧- الشيطانُ عدو مبين لكل إنسان.

٨- الدنيا دارُ الإيمانِ، والعملِ، والابتلاء.

٩- الآخرة دار القرار، والثواب، والعقاب.

١٠- فاستقمْ كمَا أُمرّتَ.

١١- فقه القضاء والقدر.

١٢- واجبات الإسلام الكبرى.

١٣- صفات المؤمنين.

١٤- فاستقمْ كمَا أُمرّتَ.

١٥- صفات أولي الألباب.

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة السابعة

## الشيطانُ عدو مبين لكل إنسان

**وتشتمل هذه البصيرة العظيمة علي المباحث الآتية :**

الأول : حكمة خلق الجنّ.

الثاني : حكمة خلق الشيطان.

الثالث : فقه عداوة الشيطان للإنسان.

الرابع : فقه خطوات الشيطان.

الخامس : مفتاح الخير، ومفتاح الشر.

السادس : سبل الشيطان ومداخله.

السابع : إفساد الشيطان لأهل الإيمان.

الثامن : جنود الرحمن، وجنود الشيطان.

التاسع : بيئة الذكر، وبيئة الغفلة.

العاشر : فقه الربح والخسران.

الحادي عشر : علاج وسوسه الشيطان.

الثاني عشر : ما يعتصم به العبد من الشيطان.

# البصيرة السابعة

# الشيطانُ عدو مبين لكل إنسان

## ١ - حكمة خلق الجِنّ

الله جلَّ جلاله هو العظيم ،وكتابه عظيم ، وثوابه عظيم ، وعقابه عظيم ، وملكه عظيم ، وخلقه عظيم ، وأمره عظيم، وعطاؤه عظيم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

هو سبحانه وتعالى العظيم المحمود بكل لسان ، الذي يسبح بحمده المكان والزمان وما فيهما : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤].

هو سبحانه العظيم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ،والمثل الأعلى ،هو المحيط بكل محيط ،هو القاهر لكل قاهر ، هو العليم بكل شيء ، هو القادر على كل شيء ، هو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، ووسع ملكه كل شيء : ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨] .

هو الواحد الأحد ، القادر على كل أحد ، الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

وقال سبحانه : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

هو العظيم الذي كل شيء خلقه، وكل شيء ملكه ،وكل شيء عبده ،وكل شيء خاضع لأمره ، وشاهد بوحدانيته ، ومسبح بحمده، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

هو العظيم الذي في قبضته الملك والملكوت، وفي قبضته التصريف والتدبير، وفي قبضته الخلق والتصوير، وفي قبضته العطاء والمنع، والحياة والموت : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

فمن لم يعرف الله حقا، لم يعبده حقا ، ومن لم يعرف الله كما أمره ، لم يعبده كما أمره : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

فسبحان العظيم في ذاته وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ،الذي عظمته لا بداية لها ولا نهاية، ولا أول ولا آخر : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

هو سبحانه الخلّاق العليم ، خلق في ملكه العظيم ستة مخلوقات عظيمة وهي: عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وعالم الجن ، وعالم الملائكة .

خلق سبحانه العالم العلوي والعالم السفلي ، وخلق سبحانه عالم الغيب وعالم والشهادة ، وخلق سبحانه الدنيا وما فيها، والآخرة وما فيها.

ومن هذه العوالم الستة عالمان غيبيان هما: عالم الجن، وعالم الملائكة، ولكل واحد من هذه المخلوقات العظيمة صفات تميزه عن غيره ،ووظائف يؤديها ،

وأعمال يقوم بها: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان:١١].

والكل في كل آن يسبح بحمد ربه ، ويشهد بوحدانيته ، ويسجد لعظمته ، وجلاله، وجماله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج:١٨].

والكل من مخلوقاته خاضع لعظمه خالقه ، ومستجيب لمشيئته ،ومسرع إلى إرادته ، واقف في محرابه، ساجد لمن خلقه وصوره، ناطق بتكبيره وحمده وشكره ومحبته : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل:٤٩-٥٠].

والله عزَّ وجل هو الخلَّاق العليم الذي خلق الملائكة من نور ،وخلق الجن من نار ، وخلق البشر من تراب كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحجر:٢٦-٢٧].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خُلِقَتْ المَلَائِكَةُ مِنْ نُوْرٍ ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» أخرجه مسلم (١).

والجان: هو أبو الجن، و فيهم المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والبر والفاجر.

وإبليس: هو أبو الشياطين ، وله ذرية لا يموتون إلا معه ، وهو من الجن، ولكنه تمحض للشر، وذريته مثله .

وآدم: هو أبوالإنس، وفيهم المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والبروالفاجر.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٦).

والملائكة: خلقهم الله من نور ، وهم مجبولون على الطاعة : ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

فالملائكة تمحضوا للخير ، والشياطين تمحضوا للشر، والجن والإنس قابلون للإيمان والكفر ، مستعدون للهدى والضلال، ولا سبيل إلى معرفة الملائكة والجن إلا عن طريق الوحي، وإبليس هو الشيطان ، وهو من الجن ، وله ذرية مثله كما قال سبحانه : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾ [الكهف: ٥٠].

والجن من خلق الله ولهذا الجنس من الخلق خصائص:

منها خلقهم من نار، ومنها أنهم يرون الناس، ولا يراهم الناس كما قال الله عن الشيطان : ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٧﴾ [الأعراف:٢٧].

وللجن تجمعات معينة، تشبه تجمعات البشر في قبائل وأجناس، ولهم قدرة على الحياة في هذه الأرض مع البشر كما قال الله عن آدم وإبليس : ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٢٤﴾ [الأعراف:٢٤].

وللجن كذلك قدرة على الحياة خارج الأرض ، والصعود إلى السماء كما قال سبحانه عن الجن : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجن:٨-٩].

والجن يستطيعون أن يسمعوا صوت الإنسان ، ويفهمون لغته ، ويتأثرون بكلامه كما قال سبحانه عنهم : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٠].

وإبليس وذريته يملكون التأثير على البشر وإغوائهم إلا عباد الله المخلصين فلا سلطان لهم عليهم كما قال سبحانه عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص:٨٢-٨٣].

والجن كالإنس يعرفون الحق من الباطل، والرشد من الغي، والخير من الشر.

وقد شاء الله عزَّ وجل أن تعرف الجن نبأ الرسالة الأخيرة، التي جاء بها محمد ﷺ وأن يؤمن فريق منهم لمَّا سمعوا القرآن، ثم دعوا قومهم إليه كما قال سبحانه عن الجن: ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف:٣٠-٣٢].

وهؤلاء الجن الذين سمعوا القرآن من النبي محمد صلى الله عليه وسلم شعروا أن عليهم واجبا في الإنذار لابد أن يؤدوه، واعتبروا نزول هذا الكتاب إلى الأرض دعوة من الله لكل من بلغته من إنس وجن، فنادوا قومهم بقولهم: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف:٣١].

والله تبارك وتعالى خلق الجن والإنس ليعبدوه كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

وللجن طبيعة مزدوجة كطبيعة الإنسان في الاستعداد للهدى والضلال كما قال الله عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن:١١-١٢].

وهذا الإقرار من الجن يفيد ازدواجية طبيعة الجن، واستعدادهم للخير والشر،

والطاعة والمعصية، كبني آدم إلا من تمحض للشر منهم ، وهو إبليس وقبيله، فليس كل الجن يمثلون الشر ،بل فيهم المؤمن و الكافر و المطيع والعاصي ،ولكن تمحض من الجن للشر إبليس وذريته كما قال سبحانه : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

والمؤمنون من الجن يعرفون عظمة الله وقدرته ، ويدركون أنهم لا يستطيعون الهرب من سلطانه ، كما قال سبحانه عن الجن : ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن: ١٢].

وهم يتأثرون بسماع الهدى كالإنس فيؤمنون ، وهم مطمئنون إلى عدل الله وقدرته، والجن كالإنس في الهدى والضلال ، والجزاء على الهدى أو الضلال : كما قال سبحانه : ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٤-١٥].

فالجن كالإنس يعذبون بالنار، وينعمون بالجنة، حسب إيمانهم ، وأعمالهم، وكل ميسر لما خلق له : ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأنعام: ١٣٢].

والله عز وجل أمر الإنس والجن بعبادته ، وأعطاهم القدرة على امتثال الأوامر، واجتناب النواهي ، والعمل بالشرع ، وأعطى كل جنس من الطاقات والقدرات، ما يناسب حاله : ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠].

# ٢ - حكمة خلق الشيطان

الله عز وجل هو الخلاق العليم، الذي خلق كل شيء لحكمة كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾ [الزمر:٦٢].

وأفعال الله جل جلاله كلها في غاية الحكمة، والرحمة، والعدل، و الإحسان: كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٨﴾ [القصص:٦٨].

فما خلق الله شيئاً إلا لحكمة ، وما أمر بشيء إلا لحكمة ، وما نهى عن شيء إلا لحكمة ،وما أحل شيئاً إلا لحكمة ،وما حرم شيئاً إلا لحكمة .

فهو العزيز الحكيم كما قال سبحانه وتعالى : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران:١٨].

وهذه الحكمة ظاهرة جلية لكل عاقل ، ولكنها قد تخفى على بعض الناس، ومن ذلك خلق إبليس وذريته، الذين هم أصل الشر والفساد والضلال في العالم.

وقد خلق الله الشيطان لحكم عظيمة ،وقد ذكر بعض العلماء أكثر من مائة وخمسين حكمة في خلق الشيطان.

فسبحان الخلاق العليم، الذي ما خلق شيئاً إلا لحكمة .

والله حكيم عليم في خلقه وأمره ، خلق الشيطان كغيره لحكم عظيمة : ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ۝٢١﴾ [سبأ: ٢٠-٢١].

هو سبحانه الخلاق العليم الذي خلق الشيطان ، وأعطاه الطول في أجله إلى يوم البعث : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ ﴾[ص:٧٩-٨١].

ولو أراد الله ألا يعصى لما خلق إبليس ، وقد خلق الله الإنسان ،وخلق الشيطان، وحذر الإنسان من الشيطان من أول يوم : ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾[طه:١١٧].

ليكون الإنسان من الشيطان على حذر ومجاهدة ؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيي عن بينة، فالشيطان بعيد من كل خير ، وإبليس مبلس من كل خير، فارغ من كل خير .

والشيطان ،وإبليس، اسمان لمسمى واحد : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يس:٦٠-٦٢].

وخلق إبليس ليس مراداً لذاته ، وإنما ليعلم الله الطيب من الخبيث ، والمطيع من العاصي ، ومن اتقى ممن فجر ، ومن آمن ممن كفر : ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[الأنفال: ٤٢].

فالإنسان خلقه الله ليعيش بين مخلوقين عظيمين هما عالم الملائكة ، والآخر عالم الشياطين ، ولكل واحد منهما أثر على حياة الإنسان .

فالملائكة تحضر مجالس الإيمان مع الإنسان وتستغفر له : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر:٧].

والشياطين تحضر مع الإنسان مجالس الغفلة، وتضله عن الهدى، وتؤزه إلى المعاصي أزا : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٧﴾ [الزخرف:٣٦-٣٧].

وقال سبحانه عن الشياطين : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝٨٣﴾ [مريم:٨٣].

وكذا خلق الله عز وجل الإنسان بين مخلوقين عظيمين:

مخلوق أعلى منه، وهم عالم الملائكة: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠].

ومخلوق أدنى من الإنسان وهم عالم البهائم ؛ ليكشف للإنسان أهل الطاعة والنور والإيمان ، وعالم البهائم والأنعام ، وحياة الهدى ،وحياة الهوى .

فإن أطاع العبد ربه الرحمن كان أفضل من الملائكة ، وإن أطاع إبليس صار أدنى من الحيوان : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقال عز وجل : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفرقان:٤٤].

والله سبحانه خلق الملائكة أولا ، ثم خلق الجن وأسكنهم الأرض ؛ ليعبدوه، ثم خلق آدم بعدهم : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة:٣٠].

فلما أفسد الجن في الأرض ، وسفكوا الدماء بينهم ؛ أرسل الله إليهم جنداً من

الملائكة ؛ لوقف هذا القتل بينهم ، وما بقي منهم طردتهم الملائكة إلى الجزر والبحار ، وعرش إبليس على البحر .

قال النبي ﷺ : « إنَّ إبْلِيسَ يَضعُ عَرْشَهُ على الماءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَراياهُ، فأدْناهُمْ منه مَنْزِلَةً أعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: فَعَلْتُ كَذا وكَذا، فيَقولُ: ما صَنَعْتَ شيئًا، قالَ ثُمَّ يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: ما تَرَكْتُهُ حتَّى فَرَّقْتُ بيْنَهُ وبيْنَ امْرَأَتِهِ، قالَ: فيُدْنِيهِ منه ويقولُ: نِعْمَ أنْتَ » أخرجه مسلم (١).

ثم خلق الله آدم ؛ ليكون خليفة في الأرض، ويعمرها وأولاده بالتوحيد والإيمان والتقوى والأعمال الصالحة، وحذّره من عدوه الشيطان كما قال سبحانه : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾[الأعراف:٢٧].

فكل ما خلقه الله عز وجل خلقه لحكمة تعود إليه يحبها ، وخلقها رحمة بالعباد ينتفعون بها: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ﴾[المؤمنون:١٤].

ومن أعظم حكمة الرب خلق الضدين، إذ بذلك تُعرَّف ربوبيته، وقدرته، وألوهيته، وملكه، كما خلق الليل والنهار، وكما خلق جبريل وإبليس .

فخلق أطيب الأرواح وأزكاها، وأطهرها وأفضلها ، وأجرى على يديه كل خير، وخلق أخبث الأرواح، وأنجسها وأرداها، وأجرى على يديه كل شر، وكفر، وفسوق، وعصيان، وجعل سبحانه الطيب منحازا إلى تلك الروح الطيبة ، والخبيث منحازا إلى هذه الروح الخبيثة، فتلك تجلب كل طيب، وهذه تجذب كل خبيث، ولكل منهما عمل ودار، وثواب وعقاب : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٣).

بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٦٢ –١٦٣].

وأي حكمة وأي قدرة أبلغ من هذا ؟ ! .

وقد خلق الله الإنسان من الأرض، وهي مشتملة على الطيب والخبيث ، والله عز وجل يريد تخليص الطيب من الخبيث بالوحي الذي أنزله ؛ ليجعل الطيب مجاوراً له في دار كرامته ،مختصا برؤيته، والقرب منه : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر: ٥٤ –٥٥].

ويجعل الخبيث في دار الخبث ، حظه البعد منه، والهوان عليه، والطرد والإبعاد من رحمته، إذ لا يليق بحكمته وقدره وجلاله أن يكون مجاوراً له في داره مع الطيبين ، وهو خبيث فاسد ، فاسق، فللطيب دار، وللخبيث دار : ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الأنفال: ٣٧].

فسبحان الحكيم العليم، الذي خلق من المادة النارية، من جعله محركا للنفوس الخبيثة ، داعيا لها إلى محل الخبث ، والإحراق، وهو الشيطان ؛ لتنجذب إليه النفوس الخبيثة بالطبع ، وتميل إليه بالمناسبة، وتنحاز إلى ما يناسبها؛ عدلا وحكمة ، لا يظلمها في ذلك ربها و خالقها ، بل أقام بحكمته وعدله داعيا، يظهر بدعوته إياها، واستجابتها له، ما كان معلوما لخالقها وبارئها من أحوالها، وكان خفيا على العباد، فلما استجابت لأمره، وآثرت طاعته على طاعة ربها الذي تتقلب في نعمه، ظهر حينئذ لملائكته ، ورسله ، وأوليائه حكمة الرب وعدله في تعذيب هذه النفوس الخبيثة، وطردها عنه، وإبعادها عن رحمته .

وأقام سبحانه في النفوس الطيبة داعيا يدعوها إليه، وإلى كرامته ، فلبت دعوته، واستجابت لأمره، من الأنبياء والمرسلين، وإتباعهم من المؤمنين ،فعلم عباده حكمته في تخصيص مثوبته وكرامته بهؤلاء الطيبين.

فظهر للعباد حمده التام ، وحكمته البالغة، في أمره وعدله، في أن خلق ولي الله وعبده جبريل وحزبه ، وخلق عدو الله إبليس وجنوده وحزبه، هو عين الحكمة والمصلحة، وأن تعطيل ذلك منافٍ لمقتضى حكمته وحمده .

فسبحان من هذا خلقه، وهذا أمره، وهذه حكمته : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[غافر:٦٥].

فإبليس مبغوض للرب، مسخوط له ، لعنه الله ومقته، وغضب عليه، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه، ووجودها أحب إليه من عدمها .

ومن ذلك ظهور قدرة الرب للعباد في خلق المتضادات، فخلق هذه الذات التي هي أخبث الذوات، وسبب كل شر ، في مقابلة جبريل التي هي أشرف الذوات، وسبب كل خير .

وخلق الله الليل والنهار، والحياة والموت، والذكر والأنثى، والماء والنار، والخير والشر، كل ذلك ليدل على كمال قدرة الله وعزته، وعظمة ملكه وسلطانه، فإنه سبحانه خلقها وجعلها محل تصرفه وتدبيره ،فتبارك الله خالق هذا وهذا وهو، الحكيم العليم : ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩﴾ [الذاريات: ٤٩].

ومنها ظهور أثار أسمائه وصفاته القهرية كالقهار وشديد العقاب، الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء؛ فإن هذه الأسماء والأفعال من كمال ذاته، فلا بد من وجود متعلقها، ولو كان الخلق كلهم على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء والأفعال : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤﴾[غافر: ٦٤].

ومنها ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه، وعفوه، ومغفرته، وستره ،فلو لا خلق ما يُكره من الأسباب المفضية إلى ظهور أثار هذه الأسماء، لتعطلت هذه

الحكم والفوائد.
ومنها ظهور أثار الأسماء المتضمنة للحكمة والخبرة فإنه سبحانه الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه.
فلا يضع سبحانه الحرمان والمنع موضع العطاء والفضل ، و لا الفضل والعطاء موضع الحرمان و المنع ، ولا الثواب موضع العقاب.
فهو سبحانه الحكيم العليم الذي يعلم أين يجعل رسالته ، وأعلم بمن يصلح لقبولها، ويشكره على وصولها، وأعلم بمن لا يصلح لذلك .
وهو أحكم من أن يمنعها أهلها، وأن يضعها عند غير أهلها، فلو قدَّر سبحانه عدم الأسباب المكروهة البغيضة له؛ لتعطلت هذه الآثار ولم تظهر لخلقه ،و لتعطلت تلك الحكم والمصالح المترتبة عليها، وفواتها شر من حصول تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح والمنافع، ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر والضرر : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية: ٣٦ –٣٧].
ومنها حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت.
فالله عز وجل يحب عبودية الجهاد في سبيل الله ، ولو كان الناس كلهم مؤمنين ؛ لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة في الله، والمعاداة فيه.
فسبحان من بهرت حكمته وتدبيره العقول والألباب ، وهو الحكيم الخبير.
ومنها عبودية التوبة والاستغفار، فهو سبحانه يحب التوابين، ولو عطلت الأسباب التي يتاب منها ؛لتعطلت عبودية التوبة والاستغفار .
ومنها عبودية مجاهدة عدو الله، ومراغمته في الله، ومخالفته في كل ميدان،

وذلك من أحب العبودية إليه.

ومنها أن يتعبد الإنسان لربه بالاستعاذة من عدوه، وسؤاله أن يجيره منه، ويعصمه من كيده ومكره وشره .

ومنها أن عبيده يشتد خوفهم وحذرهم إذا رأوا ما حل بعدو الله من الطرد واللعن بسبب معصيته ؛ فيحذرون معصية ربهم، ويبادرون إلى طاعته

ومنها أنهم ينالون ثواب مخالفة الشيطان ومعاداته .

ومنها أن اتخاذ الشيطان عدوا من أكبر أنواع العبودية وأجلها، وهو محبوب للرب عز وجل

ومنها أن الله جعل الطبيعة البشرية مشتملة على الخير والشر، والطيب والخبيث وذلك كامن فيها كمون النار في الزناد.

فخلق الله الشيطان مُستخرِّج لما في طبائع أهل الشر من القوة إلى الفعل ، وأرسل الرسل تستخرج ما في طبيعة أهل الخير من القوة إلى الفعل

ومنها أن ظهور كثير من آيات الله، وعجائب صنعه، إنما حصل بسبب وقوع الكفر والشرك والشر، من النفوس الكافرة الظالمة، كآية الطوفان في قوم نوح، وآية الريح في قوم عاد، وآية إهلاك ثمود، وقوم لوط، وآية انقلاب النار بردا وسلاما على إبراهيم، وآية موسى مع فرعون وبني إسرائيل بانفلاق البحر، وخروج الماء من الحجر ونحو ذلك من الآيات .

فلولا كفر الكافرين، و عناد الجاهلين ،لما ظهرت هذه الآيات العظيمة الباهرة كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الشعراء:٨-٩].

والله حكيم عليم قد جعل في خلق من يكفر به، ويشرك به، ويعاديه، من الحكم الباهرة ،والآيات الظاهرة ما لم يكن يحصل بدونه .

فلولا كفر قوم نوح؛ لما ظهرت آيات الطوفان التي أغرق الله بها الكفار والظالمين، ولولا كفر عاد؛ لما ظهر آيات الريح العقيم التي دمرت ما مرت عليه، ولولا كفر قوم صالح؛ لما ظهرت آيات إهلاكهم بالصيحة، ولولا كفر فرعون وقومه؛ لما ظهرت تلك الآيات والعجائب، التي تتحدث فيها الأمم أمة بعد أمة، واهتدى بها من شاء الله من عباده، وهلك بها من هلك عن بينه وحيي بها من حيي عن بينه، وظهر بها فضل الله وحكمته، وعدله، وقدرته، وآياته ورسله، ولولا مجيء المشركين يوم بدر بقوه السلاح، وكثرة الرجال، والكبر والبطر؛ لما حصلت تلك الآيات العظيمة من النصر، ونزول الملائكة، والتي ترتب عليها من الإيمان، والهدى، والخير، ما لم يكن حاصلًا مع عدمها.

## ٣- فقه عداوة الشيطان للإنسان

الشيطان عدو مبين لكل إنسان، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر:٦].

وقد لعن الله الشيطان وطرده ؛ بسبب أنه عصى أمر ربه، بعدم السجود لآدم، فأبى واستكبر، وكان من الكافرين، فحقت عليه لعنة الله إلى يوم القيامة كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨ ﴾ [الأعراف:١٨].

وقال سبحانه : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ ﴾ [ص: ٧٥-٧٨].

وقد وعد الله الشيطان وذريته وأتباعه بنار جهنم يوم القيامة كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٣ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ٤٤ ﴾ [الحجر:٤٣-٤٤].

ولما علم الشيطان أن ما حصل له من الطرد، واللعن، والعذاب في جهنم، كله بسبب آدم؛ أعلنها حربا صريحة على آدم وذريته من جميع الجبهات، وفي جميع الأوقات، وفي جميع الأماكن، وبشتى الوسائل ، مصرا على ملاحقة الإنسان ذكرا كان أو أنثى في كل لحظة : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

واختار هذا اللعين أن يزاول هذا الكيد للإنسان على المدى الطويل، واختار هذا على أن يضرع إلى الله أن يغفر له خطيئته في معصيته لربه عيانا، وقد سمع

أمره مواجهة: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٢ – ٨٥].

فما أعظم عداوة الشيطان للإنسان، وأصالتها، وضراوتها، واستمرارها! .

إن الشيطان سيقعد للبشرية على صراط الله المستقيم ، لا يمكنهم من سلوكه، وسيأتيهم من كل جهة؛ ليصرفهم عن هداه ، وهو إنما يأتيهم من ناحية نقاط الضعف فيهم ، ومداخل الشهوة الجاذبة ، كما قال إبليس لآدم عليه السلام من قبل: ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه:١٢٠-١٢١].

فالشيطان عدو للإنسان ، أما وقد نزل الإنسان والشيطان إلى الأرض ، فالحرب بينهما قائمة ، والمعركة مع الشيطان هي المعركة الدائمة الكبرى.

إنها المعركة مع الهوى باتباع الهدى، والمعركة مع الشهوات باستعلاء إرادة الإنسان، والمعركة مع الشر والفساد في الأرض الذي يقود الشيطان أولياءه إليه، باتباع شريعة الله المصلحة للأرض ومن فيها : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦].

والطواغيت التي تقوم في الأرض ؛ لتخضع الناس لحاكميتها وشرعها ونظمها، وتستبعد حاكمية الله وشرعه ، إنما هي شياطين الأنس التي توحي لها شياطين الجن ، والمعركة معها هي المعركة مع الشيطان نفسه، كما قال سبحانه : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام:١١٢].

فالمعركة الكبرى الضارية تتركز مع الشيطان ذاته، ومع ذريته ، ومع أوليائه، وهي حرب طويلة المدى، لابد أن يخوضها الإنسان مع الشيطان، وقد استعد لها الشيطان بخيله ورجله كما قال سبحانه للشيطان: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾[الإسراء:٦٤].

والله حافظ عباده وأولياءه من كيد الشيطان كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾[الإسراء:٦٥].

فالشيطان مصر، وماض في طريقه ؛ لإغواء هذا الإنسان، والجهاد معه ماض إلى يوم القيامة في كل صوره ومجالاته، جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، فمكرم ومهان ، ورابح وخسران ، ومنتصر ومهزوم ، فلا يقعد المسلم عن جهاد عدوه ،فالشيطان ماض في إغوائه ، وإضلاله ، وساع في جر الناس إلى جهنم بكل ما يغضب الله من كفر ، وشرك ، وبدعة ، ومعصية : ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾[النساء:١١٨-١٢١].

فالمشركون إنما يعبدون صورة الأوثان و الأصنام ،وهم في الحقيقة إنما يعبدون الشيطان الذي زينها لهم، وغرّهم بها : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾[يس:٦٠].

وكما أبعد الله الشيطان من رحمته ، ولعنه بسبب كفره واستكباره ، فهو يسعى في إبعاد العبد من رحمة الله ،وجر الناس إلى عقوبة الله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر:٦].

وقد وقع ما ظنه الشيطان بالناس فتبعوه كلهم إلا القليل كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ:٢٠].

فأضلهم إبليس عن العلم الإلهي، والعمل الصالح ، وزين لهم ما هم فيه من الضلال، ومنَّاهم أن ينالوا ما ناله المهتدون ، وهذا هو الغرور بعينه ، وهذه زيادة شر إلى شر ؛ حيث زين لهم ما هم فيه من الضلال، فعملوا أعمال أهل النار الموجبة للعقوبة ،وحسبوا أنها موجبة للجنة ، كما غر اليهود والنصارى حتى أعرضوا عن دينهم : ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة:١١١].

وكما غرَّ الكفار فكفروا : ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ:٣٥].

فما أخسر هؤلاء وهؤلاء حين أطاعوا الشيطان ، وعصوا الرحمن : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٦].

ومن الإضلال ما زينه الشيطان لبعض الناس، حتى حرموا ما أحل الله ،و أحلوا ما حرم الله، ومن ذلك ما أغواهم بهم الشيطان من تغيير خلقة الرحمن بالوشم

والوشر والنمص ونحو ذلك ؛ وذلك يتضمن التسخط من خلق الرحمن، والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحمن، وعدم الرضا بتقديره وتصويره.

وكذلك أمرتهم الشياطين بتغيير الخُلق الباطن فالله تعالى خلق عباده حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل، وهذه الفطرة العظيمة، وزينت لهم الشرك والكفر، والشر والبدع، والإثم والفسوق والعصيان كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝١٦٨ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝١٦٩﴾ [البقرة:١٦٨-١٦٩].

والشيطان يعد أولياءه الفقر إذا أنفقوا في سبيل الله، ويخوفهم إذا جاهدوا بالقتل و غيره، ويخوفهم من طاعة الله بحصول الأذى لهم ؛ ليكسلوا عن فعل الخير، ويمنيهم الأماني الباطلة: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾ [النساء:١٢٠].

وما أكثر من غرهم الشيطان، وصاروا من اتباع إبليس وحزبه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ۝١٢١﴾ [النساء:١٢١].

وقد حذر الله عز وجل بني آدم عامة، أن يستسلموا للشيطان فيما يتخذونه لأنفسهم من مناهج وشرائع فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٧﴾ [الأعراف:٢٧].

فالشيطان عدو مبين للإنسان، فلا يقترف الإنسان الشر إلا وعليه مسحة من الشيطان تزينه وتجمله، وتظهره في غير حقيقته، وتغري بارتكابه.

فليفطن المسلمون إلى عُدة الشيطان الهائلة ، وليحذروا كل ما وجدوا في أمر تزييناً، وكلما وجدوا في نفوسهم اشتهاء ،وشرط الشيطان أن يغوي الناس أجمعين : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص: ٨٢ – ٨٣].

وقد شرط هذا الشرط، لأنَّه يدرك أن لا سبيل إلى ما سواه ؛ لأن سُنة الله أن يستخلص لنفسه من يخلص له نفسه، وأن يحميه ويرعاه، ومن ثم كان الجواب: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر: ٤١ -٤٢].

إن حسد إبليس لأدم يجعله يذكر الطين ، ويغفل عن نفخة الله في هذا الطين ، كما قال سبحانه : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الإسراء: ٦١].

ويُعَرِّض إبليس بضعف هذا المخلوق، واستعداده لإغوائه بلا حياء فيقول : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٢].

فما أعظم عداوة الشيطان لبني أدم !،والشيطان لا يبذل جهده لمن باع نفسه للمعاصي، وانطلق يخالف كل ما أمر الله به ، ويتمرغ في الكفر والظلم ، والفواحش والمحرمات، فالنفس الأمارة بالسوء ليست محتاجة إلى إغواء ؛ لأنها تأمر صاحبها بالسوء : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف: ٥٣].

لذلك فإن إبليس لا يذهب إلى الحانات ، و أماكن اللهو والفجور و الفساد، ومستنقعات الرذيلة، والزنا والخنا ؛ فهذه الأماكن كل من يذهب إليها ذاهب

إلى معصية الله، وليس في حاجة إلى الإغواء ؛ لأنه قد اختار هذا الطريق العفن، ولكن إبليس يذهب إلى بيوت الإيمان، وبيوت الطاعة، وأماكن العبادة، وساحات الفضيلة، ومن سار على الصراط المستقيم عابداً ،وداعياً ،و معلما، ومربياً، ومحُسناً ،ومُتصدقاً، وناصحاً، ومُرشداً

هؤلاء الذين يبذل معهم إبليس كل جهده ، وكل حيله، وكل مكره ، وكل كيده ؛ ليصرفهم عن عبادة الله ،وطاعة الله ورسوله : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٦ -١٧].

والله عز وجل إنما يسلط الشيطان على الذين يتولونه ، وعلى الذين هم به مشركون، فلما تولاهم من دون الله، وأشركوا به، عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النحل:٩٨ -١٠٠].

والشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير، أو يدخل فيه، فهو يشتد عليه حينئذ ؛ ليقطعه منه ، ويحرمه من ثوابه، وكلَّما كان الفعل أنفع للعبد، وأحب إلى الله، كان ابتلاء الشيطان له أكثر ، فالشيطان بالرصيد للإنسان على طريق كل خير ،ولاسيما عند قراءة القرآن، ومناجاة الله ،والقيام بين يديه، فكلَّما كان الفعل أنفع للعبد، وأحب إلى الله تعالى ؛ كان اعتراض الشيطان له أكثر، وكيده له أعظم .

وقد اختص الله عز وجل المخلوقات المكلفة، وهي الإنس والجن، بثلاث نِعم أساسية وهي ، العقل .. والدين .. وحُرية الاختيار .

وإبليس أول من أساء استخدام هذه النعم بتمرده على أوامر ربه ، بل أصر على العصيان، وطلب الإمهال إلى يوم البعث ؛ لاستغلال هذه النعم أسوء استغلال، بإغواء بني أدم، و تزيين المعاصي لهم ؛ ليعصوا ربهم ، ويتبعوا الشيطان إلى النار : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر:٦].

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ الله ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ، فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**» أخرجه مسلم [1].

ومظاهر عداوة الشيطان للإنسان كثيرة يعرضها على بني آدم بصور مختلفة

فمنها إغواء بني آدم، وتزيين الشرور والآثام لهم، ثم يتبرأ منهم .

ومنها إغواء بني آدم بالوسوسة في النية، والقول، والعمل .

ومنها أنه يضل بني آدم، ويعدهم ،ويمنيهم، وينزغ بينهم .

ومنها أنه يؤزهم إلى المعاصي ،و سائر المحرمات أزا

ومنها أنه قعد لابن آدم في طرق الخير كلها ؛ يمنعه منها، ويثبطه، ويعوقه، ويخوفه .

ومنها أنه يسعى في التحريش بين الناس، وإثارة العداوة والبغضاء بينهم

ومنها إثارة الحسد والغل في قلوبهم، لكي لا يجتمعوا على طاعة .

ومنها إيذاؤهم بأنواع الشرور والأسقام، وصدهم عن سبيل الله بكل ما يقدر عليه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٣).

ومنها أنه يبول في أذن العبد، حتى ينام للصباح، فيعقد على رأسه عقدا تمنعه من اليقظة : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦].

قَالَ النَّبِيَّ الله ﷺ: « **يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ على قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذَا هو نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وإلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**» متفق عليه [(١)].

فمن سمع بالشيطان، وأطاعه، وانقاد له ؛ صار من حزبه، وحشر معه في النار، ومن أطاع ربه، وعصى الشيطان؛ حفظه الله منه، وأدخله الجنة : ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة:١٩].

وقال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة:٢٥٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٢)، وأخرجه مسلم برقم (٧٧٦).

## ٤ - فقه خطوات الشيطان

خطوات الشيطان وطرقه يدخل فيها سائر الكبائر والفواحش والمعاصي المتعلقة بالقلب، واللسان، والجوارح .

فالشيطان يأمر بكل ما تستفحشه العقول والشرائع، من الذنوب العظيمة، والكبائر المهلكة، وكل ما تنكره العقول و لا تعرفه من المعاصي والفواحش، ولولا فضل الله ورحمته على العباد، ما تطهر أحد من اتباع خطوات الشيطان؛ لأن الشيطان يسعى هو وجنده في الدعوة إليها، وتحسينها للناس .

والنفس ميالة إلى السوء، أمارة به ، والنقص مستول على العبد من جميع جهاته، فلو خلي الإنسان، وهذه الدواعي، ما زكى أحد من التطهر من الذنوب والسيئات ،ولكن الله بفضله ورحمته يُزكي من يعلمه أنه يتزكى بالتزكية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور:٢١].

وقد أمر الله المؤمنين أن يدخلوا في السلم كافة، وأن يعملوا بجميع شرائع الإسلام ولا يتركوا منها شيئا ، فيفعل المسلم كل ما يقدر عليه من الأعمال الصالحة ، وما يعجز عنه ينويه ، فيدركه بنيته

ولا يمكن الدخول في السلم كافة إلا باتباع شريعة الرحمن ،ومخالفة طرق الشيطان في العمل بمعاصي الله ، فالشيطان يأمر بكل سوء وفاحشة ،وبكل منكر وضرر، وبكل محرم وقبيح .

والسبل التي يسلكها الشيطان أربعة، اليمين .. والشمال .. والأمام .. والخلف.

وأي سبيل سلكها الإنسان من هذه وجد الشيطان عليها راصدا له .

فإن سلكها العبد في طاعة وجد الشيطان عليها يثبطه عنها ، و يبطئه ويعوقه.

وإن سلكها في معصية، وجده عليها، حاملا له، وخادما، ومعينا، ومزيناً كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الأعراف:١٦-١٧].

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة:٢٠٨].

وخطوات الشيطان في إفساد الدين، والأخلاق، والعباد، كثيرة جداً، وأشدها وأخطرها، ما كان مُزينا للناس بصورة الحق .

ومن ذلك أن الله عزّ جل أمر بإخلاص الدين لله وحده لا شريك له ،ونهى عن الشرك بالله، ثم أظهر الشيطان للمسلمين الإخلاص في صورة تنقص الصالحين، والتقصير في حقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وإتباعهم .

ومنها أن الله سبحانه أمر بالاجتماع في الدين، ونهى عن التفرق فيه ، ثم أظهر الشيطان للأمة أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين؛ وتحول العلم الشرعي إلى خلاف وجدل، وفرَّق الأمة إلى شيع وأحزاب، ومذاهب متناحرة، وصار الأمر بالاجتماع في الدين مستحيلاً ولا يقوله إلا أحمق أو مجنون .

ومنها أن الله سبحانه أمر بالسمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبدا حبشيا إلا في معصية الله ،ثم صار هذا الأصل بسبب كيد الشيطان لا يُعرف عند كثير ممن يدعي العلم، فكيف العمل به .

ومنها أن العلم الشرعي هو ما جاء عن الله ورسوله ، ثم أظهر الشيطان للأمة أن العلم والفقه في الدين هو البدع، و معرفة الخلاف، وأصول الجدل .

ومنها أن الله عز وجل ذكر أنه أنزل القرآن ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فزين لهم الشيطان أن الأمر ضد ذلك، وأنهم ما تأخروا إلا بسبب

التمسك بالقرآن : ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾[النساء: ٣٨].
وذكر سبحانه أن الإيمان سبب للعلو والعز في الدنيا و الآخرة ، فأظهر الشيطان للناس أن العلو والرفعة والشرف، بتعلم علم اليهود والنصارى والكفار، فأقبلوا على ذلك ، وجفا أكثرهم كتاب ربهم، وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .
والمداخل التي يأتي الشيطان من قبلها إلى الإنسان ثلاثة:
الشهوة .. والغضب .. والهوى .
فالشهوة بهيمية، وبها يصير الإنسان ظالماً لنفسه، ومن نتائجه الحرص والبخل.
والغضب سبعية، وهو آفة أعظم من الشهوة، وأشد خطرا ،وبالغضب يصير الإنسان ظالماً لنفسه، وظالماً لغيره، ومن نتائجه العجب والكبر.
والهوى شيطانيه ، وهو آفة أعظم من الشهوة، وأعظم من الغضب وبالهوى يكون الإنسان ظالماً لنفسه، وظالماً لغيره من المخلوقات ، ويتعدى ظلمه إلى خالقه بجحد حقه بالكفر والشرك، والمعاصي والبدع ، ومن نتائجه الكفر والبدعة: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠].
وجميع الشرور في العالم إنما سببها الشيطان ؛ فهو يجتهد على بني آدم بكل ما يستطيع من وسائل ؛ ليخرجهم من الحق إلى الباطل ، ومن الإيمان إلى الكفر، ومن التوحيد إلى الشرك، ومن السنة إلى البدعة ، ومن الطاعات إلى المعاصي، ومن النور إلى الظلمات : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾[البقرة: ٢٥٧] .
وللشيطان خطوات، وطرق، ووسائل، يسلكها لإضلال الناس عن الهدى.
وللشيطان شرور كثيرة ، ولكن ينحصر شره في سبع خطوات ، ولا يزال بابن

آدم حتى يوقعه في واحدة أو أكثر ،وهي كما يلي :
الشر الأول: شر الكفر والشرك ومعادة الله ورسوله .
فلا يزال الشيطان بالإنسان، حتى يخرجه من الإيمان إلى الكفر ، ومن التوحيد إلى الشرك ،وهذه أعظم شروره وأكبرها ، وأخطر ها ،فإن عجز عنه نقله إلى ما بعده وهو .
الشر الثاني: شر البدعة ، التي هي باب الكفر والشرك ،فإن يئس منه نقله إلى ما بعده وهو .
الشر الثالث: شر الكبائر، على اختلاف أنواعها ، فإن عجز عنه نقله إلى ما دونها وهو .
الشر الرابع : شر الصغائر من الذنوب، التي ربما اجتمعت عليه فأهلكته ،فإن عجز عنه نقله إلى ما هو دونها وهو .
الشر الخامس: إشغاله بالمباحات، التي لا ثواب فيها ولا عقاب، عن الطاعات والواجبات والمستحبات، فإن عجز عنه نقله إلى دون ذلك وهو .
الشر السادس : إشغاله بالعمل المفضول عن العمل الفاضل، كإشغاله بالنوافل، حتى تفوت الفرائض ، وبتوزيع المال، حتى تفوته صلاة الجماعة ، فإن أعجزه العبد في كل ما سبق، نقله إلى آخر ما يقدر عليه وهو .
الشر السابع : بأن يسلط عليه حزبه من شياطين الإنس والجن بأنواع الأذى ، والتكفير، والتضليل، والتبديع ، والتفسيق ،والتحذير منه ، وقصد إخماله ؛ ليشوش عليه قلبه، ويشغله بحربه ، وليمنع الناس من الانتفاع به ،فحينئذ يلزم المسلم أن يلبس لأمة الحرب ،ولا يضعها عنه إلى الموت ؛ ومتى وضعها أُسِر أو أصيب، فلا يزال في جهاد حتى يلقى الله بثواب المجاهدين : ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة: ٤].
والشيطان للإنسان عدو مبين، وهو الآن يُسَيِّر الأمة، ويخطو بها، للتوسع في

الحلال و المباحات والشهوات.

والحرام حد المباحات، فلا يزال الشيطان بالإنسان حتى ينقله من المباحات إلى المحرمات ؛ لتكميل شهواته .

و الكفر حد المحرمات، فلا يزال الشيطان بالإنسان حتى ينقله من المحرمات إلى الكفر ، لتكميل شهواته، وإضاعة أوامر الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾[البقرة: ٢٠٨].

فهذه خطوات الشيطان التي جربها بني آدم إلى النار.

التوسع في المباحات ، ثم الدخول في المحرمات ، ثم الكفر وترك أوامر الله من أجل الشهوات ، ثم الدعوة إلى الكفر والمعاصي كما يفعل الشيطان .

فليحذر العبد من كيد الشيطان ومكره : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ ﴾[البقرة:١٦٨-١٦٩].

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾[فاطر: ٦].

## ٥ - مفتاح الخير ومفتاح الشر في العالم

في الحياة سبيلان:

الأول: سبيل الله، وسبيل رسوله الله ﷺ، وهما سبيل واحد يؤدي إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، وهذه السبيل هي الطريق التي سلكها رسول الله ﷺ ، وهي سبيل الرشد والهداية المؤدية إلى مرضاة الله سبحانه : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣].

الثاني: سبيل الغي والضلال، وهي سبيل الشياطين، والمجرمين، والظالمين، المؤدي إلى الطاغوت والنار: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

وسبيل الحق واحد هو الإيمان بالله وتقواه، وسبل الباطل كثيرة، فكل ما سوى الحق فهو باطل ، ومن استكبر عن سلوك سبيل المؤمنين ، ومال إلى سبيل المجرمين، صرفه الله إلى ما اختار : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف:١٤٦].

وكما أن طريق تصنيع الآلات، والأجهزة كالسيارات والطائرات والثلاجات وغيرها، لها طريق واحد، له شروطه وضوابطه، فكذلك طريق تصنيع الرجال هو الدين الحق فقط: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه:٤١].

وقال الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٩].

فالسبيل الوحيد لتربية الأمة، واستخراج الصفات التي يحبها الله ، هو الدعوة

إلى التوحيد والإيمان: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

والسبيل المضاد لذلك هي سبيل الشيطان، الذي يصنع الكفار والمشركين، والمجرمين والظالمين، والأشرار والفجار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة:٢٠٨].

فمن عرف سبيل المؤمنين، وسار فيه، وعرف سبيل المجرمين، وابتعد عنه؛ فهذا نائب النبي الله ﷺ في أمته: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

وهذه الدنيا جنة المعارف الحقة، وأول المعارف الإلهية الحقة وأعظمها وأعلاها، معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة خزائنه، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة وعده ووعيده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وجهد الحق تمثَّل في آدم عليه السلام، وجهد الباطل تمثَّل في إبليس، من أول يوم.

فتعرف على الحق، حتى تعمل به، وتدعو إليه، وتعرف على الباطل، حتى لا تقع فيه، وتعرف على عدوك، حتى لا تكن من جنوده: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام:٥٥].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان الناس يسألون الرسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني» متفق عليه [١].

فمجامع الخير كلها في الحق وحده، فالحق بناء وإعمار، وسعادة، وأمن في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٠٨٤)، وأخرجه مسلم برقم (٣٦٠٦).

وقال عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

ومجامع الشر كلها في الباطل وحده ، فالباطل هدم وتخريب، وخوف وشقاء، وعذاب وعناء: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وقال عز وجل : ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء:٢٢].

وأكبر مفتاح للخير والحق في العالم هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وما من مفتاح إلا وله أسنان .

وأسنان الحق التي تفتح القلوب بالتوحيد والإيمان والتقوى خمسة :

الأول: تعظيم الرب : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

وقال سبحانه : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

وقال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران:٢].

وحمد الله وتمجيده على عظيم نعمه وإحسانه : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة:٢].

وقال عز وجل : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف:١].

وقال عز وجل : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر:١].

وتسبيح الرب وتقديسه : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى:١].

وقال سبحانه : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١﴾ [الجمعة: ١].

الثاني: إكرام الخلق من ذرية آدم ؛ لأن الله خلق أباهم بيده ، ونفخ فيه من روحه، وعلَّمه أسماء كل شيء ،وأسجد له ملائكته : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٣١﴾ [البقرة:٣١].

وقال عز وجل : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين:٤].

الثالث: اتهام النفس، فآدم اتهم نفسه حين أكل من الشجرة فقال : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف:٢٣].

فالنفوس محل الجهل، والمعصية، والتقصير، والغفلة، والنسيان ، فاتهم آدم نفسه، وأقر بذنبه، فتاب فتاب الله عليه : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة:٣٧].

الرابع: عاطفة الرحمة للخلق : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

الخامس: حسن الظن بالله، ثم حسن الظن بالخلق.

وحسن الظن بالله يحصل بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، ومعرفة عظمة دينه وشرعه ، ومعرفة عظمة وعده ووعيده : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۝١٩﴾ [محمد:١٩].

فمن عرف الله أحبه، وأطاعه، وعبده، وعظمه، وكبره، وشكره : ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

ومن أحسن الظن بالله؛ أحسن الظن بخلق الله، فرحمهم، وأشفق عليهم، وتولاهم بالإحسان، والدعوة، والتعليم : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ

وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال عز وجل : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

أمَّا أكبر مفتاح للباطل في العالم فهو الشيطان ،وما من مفتاح إلا وله أسنان، وأسنان مفتاح الباطل والشر والظلم، التي تفتح القلوب بالكفر، والشرك، والبدع، والمعاصي، والباطل خمسة:

الأول: تعظيم النفس، فإبليس استكبر على آدم : ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص:٧٦].

وتعظيم النفس وتمجيدها، يحصل بأربع صفات مهلكات (أنا .. ولي .. وبيدي .. وعندي).

فأنا إبليسية : ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص:٧٦].

ولي فرعونية : ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف:٥١].

وعندي قارونية : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص:٧٨].

وكل هذه الأربعة لله وحده لا شريك له : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة:١٢٠].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه:١٤].

وقال عز وجل : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك:١].

وقال عز وجل : ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام:٥٩].
وقال عز وجل : ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر:٢١].
فمن رأى في نفسه إحدى هذه الصفات المهلكة فهو هالك ،وإمامه إبليس، وفيه من صفات إبليس، وفرعون، وقارون ، والتي بسببها لعن الله إبليس، وأغرق فرعون، وخسف بقارون وبداره الأرض
الثانية: احتقار الخلق، فمن عظَّم نفسه احتقر غيره ،فإبليس عظَّم نفسه، واستكبر عن السجود لآدم : ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١﴾ [الإسراء: ٦١].
وقال الله عن ابليس أنه قال: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١﴾ [الإسراء: ٦١].
فمن احتقر غيره ففيه من صفات إبليس التي لعنه الله وطرده من الجنة بسببها
الثالث: عاطفة الحسد، فإبليس حسد آدم عليه السلام على هذا التكريم من ربه؛ فامتنع عن السجود له، مع أن إبليس كان من أعظم العباد، وفي مجتمع نوراني كله طاعات : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾ [ص:٨٢-٨٣].
الرابع: عاطفة الانتقام، فإبليس أقسم بعزة الله على جرِّ ذرية آدم معه إلى النار : ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾ [الإسراء: ٦٢].
والاحتناك أن يضع الحبال في أعناقهم، حتى يجرَّهم بها إلى جهنم ،وقد قال وفعل : ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠﴾ [سبأ: ٢٠].
وإبليس عنده تحليل لكل إنسان ، ويعرف المفتاح الذي يصلح لكل إنسان ، حتى يجعله من أهل الباطل ،ويدعو إلى الباطل : ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ

أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

الخامس: سوء الظن بالله، ومن أساء الظن بالله، أساء الظن بخلقه: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٦].

والله عز وجل يأمر بالعدل والإحسان، والخير والحق ،ولا يأمر بالسوء والفحشاء: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

والله لم يأمر إبليس بما فعل، ولم يكلفه، ولكنه هو الذي غوى اختار المعصية والاستكبار والكفر.

فما هو الحل ؟ الحل: هو استعمال مفتاح الخير والحق ؛ ليزول الشر و البطل من العالم : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١].

وقال عز وجل : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وكان كل نبيّ يُبعث إلى أسرة ، أو قبيلة ، أو قوم ، أو بلد، ثم بعث الله محمداً الله ﷺ كافة للناس.

وإبليس عنده جهد عالمي لنشر الباطل في العالم ليلا ونهارا ، فاقتضت رحمة الله، وحكمة الله، أن يبعث محمداً الله ﷺ ، بالرحمة العالمية ،وكذا حمّل أمته القيام بجهده من بعده : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقال عن أمته : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠].

فالشر العالمي الذي يقوم به الشيطان وجنوده، يقابله خير عالمي يقوم به الأنبياء والرسل ، وأتباعهم من المؤمنين ،وخاصة هذه الأمة التي فضلها الله من بين

الأمم بأن أعطاها وظيفة الرسل والأنبياء، وهي الدعوة لله ،وعبادة الله : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨].

والحق العالمي يقابله باطل عالمي ،والله مع الحق وأهله يؤيدهم وينصرهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل:١٢٨].

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر: ٥١ –٥٢].

والله سبحانه له صفات الجلال، وله صفات الجمال، وقد أمر الله سبحانه عباده أن يتصفوا بصفات الجمال مثل :الغفور، الرحيم، الكريم ، العفو، الحليم، التواب، الودود ، اللطيف، ونهاهم أن يتصفوا بصفات الجلال وهي مثل، الجبار، القهار، المتكبر.

فمن اتصف من العباد بصفات الجمال ؛ أعملها الله فيه.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهُ**» أخرجه ابوداود والترمذي [(١)].

فمن عفا عفا الله عنه، ومن غفر غفر الله له : ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور:٢٢].

ومن اتصف بصفات الجلال ؛ أعملها الله فيه .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله الله ﷺ: قال الله عز وجل: «**الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**» أخرجه أبوداود [(٢)].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبوداود برقم(٤٩٤١)، وأخرجه الترمذي برقم (١٩٢٤).

(٢) صحيح/ أخرجه أبوداود برقم(٤٠٩٠) وأصله في مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فآدم عليه الصلاة والسلام اتصف بصفات الجمال ؛ فأعملها الله فيه ؛فتاب إلى ربه، فتاب الله عليه : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

وقال عز وجل : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة:٣٧].

أما إبليس فاتصف بصفات الجلال ؛ فأعملها الله فيه : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤].

ولما امتنع عن السجود قال الله له : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢ –١٨].

وسبب الإباء، والاستكبار، و التعالي، أنا خير منه، فإبليس لعنه الله هو زعيم جهد الباطل والشر في العالم ، لأنه عظم نفسه، واحتقر آدم، وحسده، ثم جاءت عنده عاطفة الانتقام من آدم وذريته، حيث قال : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص:٨٢-٨٣].

والمؤمن يستعمل صفات الجمال مع المؤمنين، ويستعمل صفات الجلال مع الكافرين المستكبرين: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [الفتح:٢٩].

# ٦ - سُبل الشيطان ومداخله

سبل الشيطان ومداخله التي يدخل من خلالها للإنسان ثلاثة، الشهوة، الغضب، والهوى ، فيدخل الشيطان على ابن آدم ليضله من أحد ثلاثة أبواب :

الباب الأول : باب حبُّ التملك، وطول الأمل كما قال لآدم : ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠﴾ [طه: ١٢٠].

فغر إبليس آدم ؛ ليعصي ربه بقوله : كُل من هذه الشجرة ،لتكون مَلكا خالدا في الحياة لا تموت أبدا .

فإذا يئس الشيطان من الإنسان من باب حب الدنيا والتملك ، جاءه من باب العبادة والطاعة .

الباب الثاني: باب العبادة والطاعة، وطول الأمل.

فقال الشيطان لآدم وزوجه، كُلا من هذه الشجرة، لتكون عبادتكما كاملة، وتكون طاعتكما كاملة كالملائكة المخلدين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون : ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠﴾ [الأعراف: ٢٠].

الباب الثالث: القَسَمُ للإنسان أنه ناصح له، وهذه أخطر الأنواع الثلاثة كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾ [الأعراف: ٢١].

فيقسم بالله أن هذا الأمر فيه نجاتك، وحياتك، وسعادتك ،فغرَّ إبليس آدم و زوجه فأكلا من الشجرة : ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ٢٥﴾ [الأعراف: ٢٢-٢٥].

## ٧- إفساد الشيطان لأهل الإيمان

الشيطان عدو مبين لجميع بني آدم، فهو يُغريهم ، ويزين لهم كل ما يضلهم، و يُشقيهم، في دنياهم وأُخراهم، ومن حسده لهم أنه يريد أن يجرهم جميعا معه إلى النار، على مستوى الأفراد، والأسر، والمجتمعات، والشعوب، والأمم، والقرون: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص:٨٢-٨٣].

وقد حذر الله بني آدم من اتباعه و طاعته ،ولكن أكثرهم اتبعوه وأطاعوه فيما زين لهم من سبل الباطل ،ومراكب الشهوات و الشبهات، وأضل منهم جبلا كثيرا ،و أرداهم إلى النار كفارا فجارا : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ: ٢٠].

فما أعظم خسارة البشرية بمعصية الرحمن، وطاعة الشيطان.

وما أعظم غفلتهم حيث لا يتعظ اللاحق بالسابق ، ولا الحاضر بالماضي، ولا الحي بالميت! : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس:٦٠-٦٢].

فلابد للإنسان من معرفة كيد الشيطان ، ومكره ؛ ليتقي شره، ويسلم من مكره .

فمن مكر الشيطان وكيده، ما زينه للمشركين من عبادة الأنوار، والنيران ، التي يوقدونها ويعبدونها من دون الله، وهم المجوس .

ومن مكره وكيده تلاعبه بالصابئة ، وهم أمة كبيرة من الأمم الكبار، وهؤلاء كانوا قوم إبراهيم الخليل ﷺ، وأهل دعوته، وهم قسمان :

صابئة حنفاء، وصابئة مشركون .

فالمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة ، زين لهم الشيطان عبادتها، فبنوا لها هياكل مخصوصة ، وهي المتعبدات الكبار كالكنائس للنصارى ، والبيع لليهود، فلهم هيكل للشمس ، وهيكل للقمر ، وهيكل للزهرة، ونحو ذلك، صوروها ، واتخذوا لها أصناماً تخصها ، يعبدونها، ويقربون لها القرابين، والصابئة الحنفاء يعبدون الله وحده : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢].

ومن مكر الشيطان وكيده تلاعبه بالدهرية ، الذين زين لهم الشيطان فقالوا : إن العالم دائم لم يزل، ولا يزال، لا يتغير : ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤].

ومن مكر الشيطان وكيده تلاعبه باليهود ،حيث دعاهم إلى الشرك في حياة نبيهم موسى ﷺ، حيث قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة : ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف:١٣٨].

فأي جهل فوق هذا الجهل ! لذا قال لهم : ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف:١٣٩-١٤٠].

ومن تلاعبه باليهود أن زين لهم عبادة العجل من دون الله تعالى؛ فتعلقوا به وأحبوه أشد الحب، وأشربوا في قلوبهم العجل : ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [طه: ٩٠-٩١].

ومن تلاعب الشيطان باليهود أن زين لهم حتى قالوا لنبيهم موسى ﷺ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة:٥٥].

ومن تلاعب الشيطان بأهل الكتاب، أنهم يزعمون أن الأحبار، والرهبان، إذا أحلوا لهم الشيء صار حلال ،وإذا حرموا شيئا صار حراما ، وإن كان نص التوراة بخلافه : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة:٣١].

وتلاعب الشيطان باليهود بيّنه الله تعالى في القرآن وبيّنه الرسول ﷺ في السنة .

وتلاعب الشيطان كذلك بالنصارى حتى قالوا : إن الله ثالث ثلاثة، وقالوا إن الله هو المسيح ابن مريم : ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة:٧٣-٧٣].

فانظر كيف أوصل الشيطان هذه الأمة الضالة إلي الكفر، والشرك ، والضلال، والكذب : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٤-٧٥].

فتلاعب الشيطان بالنصارى في أمر المسيح ، وتلاعب بهم في أمه مريم ، وتلاعب بهم في شأن الصليب وعبادته، وتلاعب بهم في تصوير الصور في الكنائس وعبادتها، فلا تكاد تجد كنيسة من الكنائس إلا وفيها صورة مريم ،

وصورة المسيح مصلوبا، وصورة جرجس وبطرس ونحوهم، وأكثرهم يسجدون للصور ، ويدعونها من دون الله تعالى .

ولما حصل هذا التلاعب العظيم من الشيطان بأمَّة اليهود والنصارى ؛ ضلَّ الناس عن طريق الهدى، وعاشوا في شقاء وعناء، وضلال وعماء .

فبعث الله العزيز الرحيم محمداً ﷺ رسولاً للعالمين، ورحمة للبشرية أجمعين ، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، و أكمل الله به للبشرية دينها، وأتم نعمته عليها، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة:٣].

وقال الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥-١٦].

## ٨ - جنود الرحمن، وجنود الشيطان

كل الناس في الدنيا جنود ، وهؤلاء الجنود قسمان:

جنود الرحمن .. جنود الشيطان.

وكل الناس جنود الشيطان إلا جنود الرحمن : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠].

فجنود الرحمن صفاتهم أربع كما قال سبحانه : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

وجنود الشيطان صفاتهم أربع كما قال سبحانه : ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧].

فمجالس التوحيد والإيمان تحضرها الملائكة، ومجالس الغفلة والكفر تحضرها الشياطين، وجميع أهل الغفلة أسرى للشياطين، يتحكمون في أفكارهم، وأوقاتهم، وأموالهم، وأعمالهم، وأنفسهم؛ لأنهم سلموا أنفسهم لهم، فأوقعوهم في الخسران : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٥].

وقد كتب الله الذلّة والصغار والهوان على كل من خرج من جُند الرحمن إلى جُند الشيطان : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

وكل من بخل بوقته وماله عن نصرة الحق أنفق أضعافه في الباطل ، و دفعتهُ الشياطين إلى كل شر : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣].

فالمؤمن حقا من فعل الخير، واجتنب الشر، ولزم أهل الذكر ، وابتعد عن أهل الغفلة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦].

فالإيمان يزيد مع أهل الإيمان ؛ لأن مجالس الإيمان سوق الطاعات، والإيمان ينقص في جو الغفلة ؛ لأنها سوق المعاصي ،وكل شيء في سوقه سهل جدا ، وكل شيء في غير سوقه صعب جدا .

فالطاعات سهلة في الجو الإيماني، والجو الذاكر، والمعاصي صعبة جداً في الجو الإيماني، والمعاصي سهلة جدا في الجو الغافل ، والطاعات صعبة جدا في الجو الغافل، فلينتبه العبد لنفسه: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[الأنعام:٦٨].

ولهذا أمرنا الله عزَّ وجلَّ بلزوم سوق الإيمان و الطاعات كما قال سبحانه : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨].

ولابد من التعاون على إقامة سوق الإيمان و الطاعات؛ لتسهل علينا الطاعات، و تكره نفوسنا المعاصي، وتحصل الهداية لنا و لغيرنا، و في الجو الإيماني لن يفلس المرء أبدا ، وفي الحديث القدسي «هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» متفق عليه (١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٨)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٨٩).

وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة:١١٩].

وقال الله تعالى : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران:١٠٤].

والشيطان عدو مبين، لا ينقلك من الإيمان إلى الكفر مباشرة ، ولكن يخطو بك خطوات من جو الذكر، إلى جو الغفلة ، و من سوق الطاعات ، إلى سوق المعاصي ، و من سوق المباحات ، إلى سوق الصغائر : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة:٢٠٨].

فالشياطين يكثرون مع أهل الغفلة، والملائكة يكثرون مع أهل الذكر، والشيطان يشغلك بالتفكر في الأشياء الصغيرة ؛ ليحرمك من التفكر في الأشياء الكبيرة التي تزيد الإيمان، من التفكر في مخلوقات الله، وعظمة أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعظمة ملكه، وسلطانه، وعظمة خزائنه ، وعظمة وعده و وعيده : ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر:٦].

والشيطان لا يبالي بصلاتنا ما دام فكرنا فيما سوى الله و دينه، فلا يبالي بحركة الجسد، ما دام الفكر و الهوي مع الشيطان : ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾ [الماعون:٤-٧].

## ٩ - بيئة الذكر، وبيئة الغفلة

لابد للإنسان في هذه الدنيا من أحد مجلسين، إما مجلس الذكر، أو مجلس الغفلة .

فكما أن مكان الصلاة المسجد ، و مكان الصوم رمضان ، و مكان الحج مكة، فكذلك أعظم الأمور صناعة أجواء الإيمان، وأجواء الهداية ؛ لأن التوحيد أعظم من الصلاة و الصوم و الحج، لأنها لا تصح إلا به : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

وبيئة التوحيد كل الزمان، وكل المكان ، وهي دعوة الناس إلى لا إله إلا الله : ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

فمجالس الخير مجالس التوحيد ، ومجالس الشر مجالس الشياطين .

مجالس التوحيد، يقوم الناس منها بالخير ، و العلم ، و التوحيد ، و الإيمان ، و التقوى، ومجالس الشر ، يقوم الناس منها عن مثل جيفة حمار .

وفي الجو الإيماني نستفيد من الله زيادة الإيمان والتقوى، فوق أجنحة الملائكة.

وفي جو الغفلة يكون الإنسان تلميذاً للشيطان ، يربيه تحت أجنحة الشياطين ويعلم أتباعه الكذب والحسد ، و يجرهم إلى الكفر والشرك، والمعاصي والمحرمات ، ويخرج منهم شِيباً حسدة ، وشباباً فسقة : ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨].

فالمؤمن يزداد إيمانه، وتصلح أعماله، وتحسن أخلاقه، في الجو الإيماني، جو

الإيمان والدعوة والذكر، الجو الذي يعنى بالخالق ، وبمعرفة أسمائه و صفاته ، ويعنى بالآخرة بذكر الجنة والنار .

وينقص إيمان المسلم، وتفسد أعماله ، و تسوء أخلاقه ، في جو الغفلة الذي يُعنى بالمخلوق، وزينة الدنيا وشهواتها .

ومواطن الغفلة التي يجر الشيطان الإنسان إليها هي مجامع الناس، والشيطان يربي الناس على ما يريد في الأجواء الغافلة .

فكل من وقع في المعاصي والقبائح إنما وقع فيها بسبب مجالس الغفلة ، مع أهله وأقاربه، وجيرانه وأصدقائه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف: ٢٨] .

فليس الشأن أن تحب الخير وأهله ، ولكن الشأن كل الشأن أن تحذر الشر وأهله، ولا بد للإنسان من هذا الجو الغافل إلا إذا صنع البديل، وهو جو الإيمان، والتوحيد، والتقوى، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، فهو الذي يقلب مجالس الغفلة إلى مجالس ذكر، الذي ينشأ عنه محبة الله، ومحبة إخوانه المؤمنين، ومحبة إسلامية عالمية، ومجتمع إسلامي فيه كل الطبقات، من عرب وعجم ، وأسود وأبيض ، وكبير وصغير ، وغني وفقير : ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾[التوبة: ٧١] .

واجتماع العلماء مع العلماء يسبب الحسد غالباً، ويورث الجدل والفرقة، والغيبة والنميمة، والقيل والقال، واجتماع العلماء مع العامة يولد الرحمة والشفقة ، ويشغل العالم بتعليم الجاهل ، ويدفع الجاهل للتعلم من العالم .

والأغنياء مع الأغنياء يتكلمون في الدنيا والشهوات، واجتماع الأغنياء مع الفقراء

يبعث على الرحمة، وتذكر الفقر الحقيقي إلى هداية الله ورحمته .
فسنن الدين وأحكامه سلع عالمية، يجب إبلاغها للناس في أنحاء الأرض؛ لتستقيم حياتهم، و يسعدون في أخراهم .
ولما خزنها العلماء والعباد، وحرموا الناس منها، فسد الناس من حولهم، لهذا لابد من إبلاغ الدين، والحرص على تكوين مجالس الإيمان، والبيئات الإيمانية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة:١١٩].
وقال الله عز وجل : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

فالبيئة الإيمانية كلها خير و بركة ورحمة للعباد ، يتربى فيها المؤمن على معاني التوحيد والإيمان ، فيسمع أن الذي يعطي هو الله، والذي يمنع هو الله ، والقادر هو الله ، والكبير هو الله، والشافي هو الله ، والرحمن هو الله، والعزيز هو الله ؛ و بهذا يحصل اليقين، ويهتم العبد بأعماله لا بأحواله ، فيعبد ربه كما أمره، وهو يرزقه كما وعده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد: ١٩].
ومحبوبات الله عندنا ، و محبوباتنا عنده، فإذا أكملنا محبوباته في الدنيا، أكمل محبوباتنا في الآخرة .
ومحبوبات الرب : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة:١١٢].
ومحبوبات الخلق : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢].

و إذا حققنا مراد الله منا بالإيمان، و الأعمال الصالحة ؛حقق الله مرادنا منه بالأمن، و الخلافة في الأرض، و الجنة في الآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت: ٣٠-٣٢].

وأجهل الناس من يطلب مراده من الله، دون أن يحقق مراد الله منه : ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩].

وقد أرشدنا الله عز وجل إلى ثلاث بيئات تنور القلب بالإيمان ، وتزين الجوارح بالأعمال الصالحة كما قال سبحانه : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[النور:٣٦-٣٧].

فالبيئات ثلاث : بيئة مكانيه .. وبيئة أعمال صالحة .. وبيئة اجتماعية .

الأولى: بيئة المكان كما قال سبحانه : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[النور:٣٦-٣٧].

ليس في شوارع، ليس في ملاعب ، ليس في مقاهي ، بل في بيوت المسلمين ومساجدهم، وكان آخر دعاء نوح ﷺ : ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾ ﴾[نوح:٢٨].

فأول مراكز الدعوة إلى الله هي بيوت المسلمين ، و لهذا قال أهل الجنة: ﴿إِنَّا

﴿كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطور:٢٦].
فالصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كونوا بيئة الإيمان في بيوتهم ، الصحابي يذكر أهله، و أهله يذكرونه ، فامتلأت بيوتهم بالإيمان ، و الأعمال الصالحة ، و خلت من كثرة الأموال و الأشياء : ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[الأحزاب: ٣٤].
وقال الله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب: ٣٣].
ونحن حُرم أكثرنا بيئة الإيمان في بيته؛ فهو مع أهله غالباً إما ضاحك أو مازح أو غافل ، فامتلأت بيوت كثير من المسلمين بالأموال والأشياء، والقيل والقال، وخلت من بيئة الإيمان ، والأعمال الصالحة ، و التواصي بالحق، إلا ما رحم ربُك، فلو وضعنا جهاز مسّجل في بيوت الأنبياء و الصحابة ، لوجدنا أن كل ما يُقال فيها يصلح للنشر، ولو وضعنا في بيوتنا ذلك، لوجدنا أن أكثر ما نقول لا يصلح للنشر : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء:٣٦].
وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].
فكان في القرن الأول أكثر من مئة و أربعة و عشرين ألف بيت ، كلها مدارس مع المسجد ، فأعمال البيت، وأعمال المسجد متطابقة، في الدعوة إلى التوحيد، والإيمان والأعمال الصالحة، وتعليم شرع الله، فهذه بيئة المكان .
الثانية : بيئة الأعمال الصالحة من عبادة ، ودعوة ، و تعليم ، و ذكر ، و زيارات ، فتتكون في بيوت المسلمين و مساجدهم.
قال النبي ﷺ: « **قالَ اللهُ تعالى، وَجَبَتْ مَحبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فيَّ ، والمُتَجالِسِينَ فيَّ ،**

**وَالمتَزَاوِرِينَ فيَّ ، وَالمتَبَاذِلِينَ فيَّ** » أخرجه أحمد ومالك [(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال : «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا : قَالُوا : وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ ؟ قَالَ : حِلَقُ الذِّكْرِ أو قال مجالس الذكر**» أخرجه أحمد والترمذي [(٢)].

أما الثالثة: فهي بيئة الأشخاص، وهي البيئة الاجتماعية، فيه رجال اتقياء في المسجد أو البيت .

فبيئة المسجد كمستشفى عام ، فيه كل التخصصات، وفيه كل الأعمال .

وبيئة البيت كمستشفى خاص، فينقل المسلم ما في المسجد إلى من في البيت، لتتطابق أعمال المسجد، مع أعمال البيت: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[النور: ٣٦ – ٣٨].

ولا بد للمسلم من بيئتين ، يحفظ بهما إيمانه وأعماله الصالحة ، و يحفظ نفسه من الشر ، فلا يدخل الشر بيتك، ولا يدخل مسجدك .

فمن حافظ على هاتين البيئتين ؛ حفظه الله من الشر ، و إذا ذهب إلى الناس يؤثر فيهم، ولا يتأثر بدنياهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر: ١٧ – ١٨].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم(٢٢٠٣٠)، وأخرجه مالك برقم (٢/ ٩٥٣).

(٢) حسن / أخرجه أحمد برقم(١٢٥٤٥)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥١٠).

# ١٠ - فقه الربح والخسران

الخسران في الشرع : هو غبن الإنسان في حظوظه من ربه.

وهذا هو الخسران المبين، فمن خسر ربه، وخسر دينه ، وخسر الجنة ،و سار إلى النار؛ فلا أحد أشد خسارة منه : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر:١٥].

وكل إنسان خاسر ، إلا من اتصف بأربع صفات هي :

الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر:١-٣].

فكل إنسان أعطاه الله في الدنيا رأس مال عظيم ، هو أعظم من كل الجواهر، ولا يماثله في الدنيا شيء أبدا، ورأس المال هذا هو عمر الإنسان بساعاته، وأيامه، ولياليه، وشهوره، وأعوامه : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام: ١٦٢ -١٦٣].

وقد أمر الله الإنسان بالاتجار معه في رأس هذا المال، ليسعده في دنياه وأخرته.

والناس في تحريك رأس هذا المال صنفان :

الأول: رابح وهو العاقل الذي يحرك رأس ماله ، ويتجر به مع خير من يتجر معه وهو رب العالمين، الرحمن الرحيم، العفو الكريم، الذي يعفو ويصفح ، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى ،وأن جئته بحسنة أعطاك مقابلها عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلى ما لا يعلمه إلا الله، وإن جاءه عبده يمشي إليه أتاه ربه هرولة ، وإن تقرب إليه ذراعا تقرب إليه باعا :

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ

إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فهذا هو الفقيه العاقل الذي صرف أوقاته فيما يرضي ربه، بفعل الواجبات والمستحبات، واجتناب المحرمات و المكروهات فيكون عمله إما خير يستجلبه، أو شر يحذره :

فهذا الرابح حقا، يربح من هذه التجارة العظيمة رضوان ربه، ورؤيته في الجنة، والقرب منه، وسماع كلامه، ودخول جنته، والخلود فيها : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وقد سمى الله تحريك رأس هذا المال معه تجارة ، وبيعاً، وشراءً، وقرضاً : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠-١٣].

وقال عزَّ وجل : ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

أما الصنف الثاني: فهو الأحمق السفيه : ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٣٠].

فهذا الأحمق يلعب برأس هذا المال، بإنفاق أوقاته وأمواله في مساخط الله، بترك الواجبات، والوقوع في المحرمات ، والتمرد على أوامر الله، باتباع كل ناعق من شياطين الإنس والجن، ثم يموت ويلقى الله مفلسا.

والآخرة ليس فيها إلا قصر من قصور الجنة لمن أمن، وسجن من سجون النار لمن عصى وكفر : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾[محمد: ١٢].

وقد أعد الله لكل إنسان منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، وأدخل أهل النار النار ، ورث أهل الجنة منازل أهل النار في الجنة ، وورث أهل النار منازل أهل الجنة في النار .

وهذا أعظم الربح لأهل الجنة وأعظم الخسار لأهل النار : ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾ [مريم:٦٣].

## ١١- علاج وسوسة الشيطان للإنسان

الشيطان يوسوس للإنسان؛ ليخرجه من التوحيد إلى الشرك، ومن النور إلى الظلمات ،ومن الإيمان إلى الكفر : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾[البقرة:٢٥٧].

وأعظم وسوسة الشيطان في الإيمان بالله عز وجل .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذا مَنْ خَلَقَ كَذا حَتَّى يَقُولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله وَلْيَنْتَهِ» .

وفي لفظ: «فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِالله» متفق عليه (١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ الله، فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِالله» أخرجه مسلم (٢).

فإبليس عدو لآدم وذريته، ومن أعظم عداوته أنه يلقي هذا السؤال الباطل في قلوب بني أدم، إما بوسوسة محضة مباشرة ،وإما على لسان شياطين الإنس ومنافقيهم وملاحدتهم، وهذا السؤال الباطل يدفع بأمور ثلاثة :

الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان.

والثاني: الانتهاء من هذا القول.

والثالث: تقوية الإيمان بالله عز وجل.

أما الاستعاذة، فالشيطان عدو مبين للإنسان، يوسوس في قلوب الناس ؛ ليشككهم بربهم والإيمان به، فمن وجد ذلك في قلبه ، فليستعذ بالله من

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٧٦)، وأخرجه مسلم برقم (١٣٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٣٤).

الشيطان الرجيم : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف:٢٠٠].

وقال عز وجل : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس:١-٦].

فمن تعوذ بالله من الشيطان بصدق أعاذه الله منه ، وطرده عنه.

وبعد الاستعاذة بالله من الشيطان ينتهي العبد ويقف، فإن الله جعل للعقول و الأفكار حداً تنتهي إليه ، كما جعل للسمع والبصر والقدرة عند الإنسان حدوداً تنتهي إليها، وتقف عندها ، فجميع المخلوقات تنتهي إلى الله الخالق الذي أوجدها، وجميع النعم تنتهي إلى الله الذي أنعم الله : ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم:٤٢].

وقال عز وجل : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣].

فإذا وصلت العقول إلى الله جل جلاله وقفت وانتهت، وأذعنت للخالق الذي خلقها ، إذ لا يمكن وجود هذه المخلوقات بدون خالق خلقها : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

فالله هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس فوقه شيء ،والباطن الذي ليس دونه شيء.

فأوليته سبحانه لا أول لها ولا آخر، ولا بداية لها ولا نهاية ،هو الذي خلق الأزمنة والأمكنة والعقول، وجعل لها حدوداً تقف عندها : ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

فليقف العقل عند حده، كما وقف البصر عند حده ، وكما وقف السمع عند

حده ؛ فإنَّه مخلوق لا قدرة له على ما حجب عنه : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥].

أما الأمر الثالث في دفع وسوسة الشيطان، فهو أن يدفعه بما يضاده من الإيمان بالله ورسوله ، وذلك بالنظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية، الذي يثمر قوة الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١].

وقال عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنبياء:٣٠].

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد:٢٤].

وهذا الإيمان الصادق اليقيني يدفع جميع الشُبه التي تضاده ،الحق يدفع الباطل ،والتوحيد يدفع الشرك ، والإيمان يدفع الكفر ، واليقين يدفع الشك : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[الإسراء:٨١].

فهذه الأمور الثلاثة التي بينها النبي ﷺ تبطل هذه الشبهة التي يوسوس بها الشيطان وجنوده للناس.

فأمر أولاً بالاستعاذة من الشيطان الملقي بهذه الوسوسة، ثم أمر بالانتهاء والكف الذي ينهي التسلسل الباطل، ثم أمر بالإيمان الذي يدفع كل ما يضاده من الباطل والشك .

فبالاستعاذة قطع السبب الداعي للشر، وبالانتهاء قطع الشر، وإخماد ناره ، وبالإيمان الصحيح القوي دفع كل ما يوسوس به الشيطان من فتن الشبهات، وفتن الشهوات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة:٢٠٨].

فإذا قامت شهادة التوحيد والإيمان بالقلب ،أنارت كل ظلمة، وأحرقت كل شبهة ؛ لأنها كالشجرة الطيبة، أصولها شهادة التوحيد والإيمان ، وفروعها

القيام بشرائع الدين كلها من حقوق الله، وحقوق عباده ،وثمارها الثواب العاجل والآجل، وحسن الخلق : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

**أما دفع شرور شياطين الإنس والجن فيكون بما يلي :**

الأول: أمر الله عز وجل بمصانعة العدو الإنسي وملاطفته والإحسان إليه، ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى المحبة والموالاة، وكريم الأخلاق كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

الثاني: أمر الله عز وجل بالاستعاذة بالله من العدو الشيطاني، الذي لا يقبل مصانعة و لا إحساناً، بل طبعه إغواء بني أدم وعداوتهم فقال سبحانه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٦].

والملك والشيطان يتعاقبان على قلب بن آدم تعاقب الليل والنهار، فللملك في قلب ابن آدم لمة، و للشيطان لمة .

وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: فإما إلى غلو ومجاوزة، وإما إلى تفريط وتقصير .

والفلاح في طاعة الرحمن، ومعصية الشيطان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

# ١٢ - ما يعتصم به العبد من الشيطان

يتحصن العبد من الشيطان، ويتحرز من شره، بما ورد في القرآن الكريم، وثبت في السنة النبوية الصحيحة، من الأدعية والأذكار، وفيهما الشفاء والرحمة، والهدى والعصمة، من جميع شروره في الدنيا والآخرة ومن ذلك :

الحرز الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت:٣٦].

وقال عز وجل : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل:٩٨-٩٩].

الحرز الثاني: التسمية، فالتسمية حرز من الشيطان.

قال النَّبِيّ ﷺ : «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَّ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَّ عِنْدَ دُخُولِهِ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ ، وَإِذَا لمَ يَذْكُرِ اللهَّ عِنْدَ طَعَامِهِ ، قَالَ : أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**» أخرجه مسلم (١).

الحرز الثالث: قراءة المعوذتين، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق:١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ [الناس:١].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنهما قَالَ : «**بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ بَيْنَ الجُحْفَةِ، وَالأَبْوَاءِ، إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ ، وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِأَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، وَأَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، وَيَقُولُ: يَا عُقْبَةُ ، تَعَوَّذْ بِهِمَا فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَؤُمُّنَا بِهِمَا فِي الصَّلَاةِ**» أخرجه أبو داود (٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٠١٨).

(٢) صحيح/ أخرجه أبوداود برقم (١٤٦٣).

الحرز الرابع: قراءة آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾[البقرة:٢٥٥].

الحرز الخامس: قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**» متفق عليه (١).

والآمنان هما: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾[البقرة:٢٨٥-٢٨٦].

الحرز السادس: قراءة سورة البقرة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**» أخرجه مسلم (٢).

الحرز السابع: كثرة ذكر الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٠٠٨)، وأخرجه مسلم برقم (٨٠٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٨٠).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ**» متفق عليه (١).

الحرز الثامن: الدعاء إذا نزل منزلا

قال رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلا، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ**» أخرجه مسلم (٢).

الحرز التاسع: كظم التثاؤب، ووضع اليد على الفم

عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ**» أخرجه مسلم (٣).

الحرز العاشر: الأذان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاَةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لاَ يَدْرِي كَمْ صَلَّى**» متفق عليه (٤).

الحرز الحادي عشر: دعاء دخول المسجد

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٩٣)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٩١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٨)، وأخرجه مسلم برقم (٣٨٩).

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «**أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، قَالَ: أَعُوذُ بِاللهَّ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، قَالَ: أَقَطُّ ؟ قُلْتُ: نعَمْ ، قَالَ : فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ**» أخرجه أبو داود (١).

الحرز الثاني عشر: الوضوء والصلاة، ولاسيما عند الغضب والشهوة : ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣**﴾ [البقرة:١٥٣].

الحرز الثالث عشر: طاعة الله ورسوله، واجتناب المعاصي، واجتناب فضول الكلام، وفضول المباحات، وفضول المخالطة : ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١**﴾ [المائدة:٩٠-٩١].

الحرز الرابع عشر: تطهير البيت من الصور والتماثيل، والكلاب و الأجراس، لتدخل الملائكة، وتخرج الشياطين .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةُ تَمَاثِيلَ**» أخرجه مسلم (٢) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ : «**لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ**» أخرجه مسلم (٣).

الحرز الخامس عشر: اجتناب مساكن الجن والشياطين كالأماكن الخربة، و الأماكن النجسة كالحشوش والمزابل، والأماكن الخالية، ونحو ذلك : ﴿رَبِّ

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١٠٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢١١٣).

أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل: ١٩].

﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨﴾ [المؤمنون: ٩٧ – ٩٨].

اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي.

اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ.

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الثامنة

## الدنيا دارُ الإيمانِ، والعملِ، والابتلاء

**وتشتمل هذه البصيرة العظيمة علي المباحث الآتية :**

**الأول** : فقه حقيقة الدنيا .

**الثاني** : قيمة الدنيا بالنسبة للآخرة.

**الثالث** : فقه الدنيا والآخرة.

**الرابع** : فقه فتن الدنيا .

**الخامس** : فقه فتنة الأموال والشهوات.

**السادس** : فقه فتنة الأهل والأولاد.

**السابع** : فقه الابتلاء في الدنيا.

**الثامن** : أقسام النَّاس في الدنيا .

**التاسع** : الفائزون والخاسرون في الدنيا.

# البصيرة الثامنة

# الدنيا دارُ الإيمانِ، والعملِ، والابتلاء

## ١ - فقه حقيقة الدنيا

الله تبارك وتعالى هو الخلّاق العليم الذي خلق كل شيء ،فخلق الدنيا والآخرة، وجعل الأولى دار الإيمان والعمل والابتلاء ، وجعل الآخرة دار الثواب والعقاب: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

والدنيا المذمومة هي كل ما أشغل عن طاعة الله ورسوله ، وقد عرَّف الله عز وجل أولياءه بغوائل الدنيا وآفاتها ، وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها ؛ ليحذروها ولا يركنوا إليها ،ولا يغتروا بزينتها : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾[العنكبوت:٦٤].

وقد خلق الله الدنيا في صورة جميلة مليحة، تستميل النَّاس بجمالها ، وتغرهم بزينتها ، وتخدعهم بشهواتها ؛ امتحانا وابتلاء ؛ ليعلم الله من يقدم أوامر الله على شهوات نفسه كما قال إلى سبحانه : ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾[الكهف:٧].

والدنيا شحيحة بإقبالها ، وإذا أقبلت لم يُؤْمَن شرها ووبالها ، وآفاتها على التوالي راشقة ، وكل مغرور بها إلى الذل مصيره ، لا يخلو صفوها عن شوائب الكدر ، ولا ينفك سرورها عن المنغصات : ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾[الحديد:٢٠].

فهذه الدنيا سلامتها تُعْقِبُ السقم ، ونعيمها لا يثمر غالبا إلا الحسرة والندم ، فهي خداعة مكارة ، بينما أصحابها منها في نعيم وسرور، إذ ولَّتْ عنهم فصاروا كأنهم أضغاث أحلام ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس:٢٤].

**فالدنيا عدوة لله، وعدوة لأولياء الله، وعدوة لأعداء الله .**

**أمَّا عداوتها لله**، فإنَّها قطعت الطريق على عبادة الله ، ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها ، ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء

**وأمَّا عداوتها لأولياء الله سبحانه**، فإنها تزينت لهم بزينتها ، وغرَّتهم بزهرتها ونضارتها ، وملكت قلوبهم بجمالها وشهواتها ؛ حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها.

**وأمَّا عداوتها لأعداء الله** ؛ فإنَّها استدرجتهم بمكرها وكيدها ، وصادتهم بشبكتها حتى وثقوا بها ، فاجتنوا منها حسرة تُقَطِّعُ الأكباد ، ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد ، فهم على فراقها يتحسرون، ومن مكايدها يستغيثون : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة:٨٦].

ومن هوان الدنيا على الله أنَّه لا يُعْصَى إلا فيها ، ولا يُنَال ما عنده إلا بتركها.

**وما في هذه الحياة الدُّنيا ثلاثة أقسام :**

**الأول :ما يصحب العبد في الآخرة ، وتبقى معه ثمرته بعد الموت .**

**وهو شيئان:** الإيمان، والعلم والعمل الصالح .

**فالعلم هو العلم بالله**، وأسمائه ، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده ، والعلم بشريعته.

**والعمل هو امتثال أوامر الله في جميع الأحوال** ، وعبادة الله وحده لا شريك له.

**الثاني :كل ما فيه حظ عاجل ، ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً .**

كالتلذذ بأنواع المعاصي ، والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجة ، والتنعم والترفه بالقناطير المقنطرة من والذهب والفضة ونحوها، كما قال سبحانه : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾[آل عمران:١٤].

وحظ العبد من هذا كله هي الدُّنيا المذمومة ، باستثناء ما يحتاجه من المباح

**الثالث :كل حظ في العاجل معين** على أعمال الآخرة، كقدر القوت من الطعام ، والحاجة من اللباس والسكن والمركب، وكل ما لا بد منه؛ ليتأتى للإنسان البقاء والصحة ، التي يتوصل بها إلى العلم ، والعمل الصالح .

فهذا ليس من الدنيا ، فهو كالقسم الأول، لأنه معين على القسم الأول، ووسيلة إليه، فمهما تناوله العبد بقصد الاستعانة به على العلم والعمل، لم يكن به متناولاً لدنيا ،ولم يكن به من أبناء الدنيا .

وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة به على العلم والعمل، التحق بالقسم الثاني، وصار من جملة الدنيا.

**فالأول محمود ، والثاني مذموم ، والثالث حسب نية صاحبه.**

**وكل شيء في الدنيا يزول، ولا يبقى مع العبد عند الموت، إلا أربع صفات،** إيمان القلب، وأنسه بذكر الله ، وحبه لربه، وعمله الصالح .

وهذه الصفات هي المنجيات، المسعدات، بعد الموت : ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[الكهف:٤٦].

فقوة الإيمان تفطم العبد عن شهوات الدنيا ، وتنشطه للعمل الصالح الذي ينال به شهوات الآخرة، وتملأ قلبه بالأنس بالله، ولذة مناجاته ومحبته ، ونسيان ما سواه .

وليس الموت عدما ؛ و إنَّما هو فراق لمحاب الدنيا ، وقدوم على الله تعالى.

فالقدر الذي لابد منه للحياة إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة ؛ لم يكن من أبناء الدنيا ، وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧ –١٠٨].

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [القبرة: ١٧٢].

وإن أخذه الإنسان لحظ النفس ،وعلى قصد التنعم، صار من أبناء الدنيا، الراغبين في حظوظها .

**والرغبة في حظوظ الدنيا قسمان:**

**الأول** :ما يُعَرِّضُ صاحبه لعذاب الآخرة ، **ويُسَمى ذلك الحرام.**

**الثاني** :ما يحول بين العبد وبين الدرجات العلى ، ويعرضه لطول الحساب ، **ويسمى ذلك الحلال .**

**فالدنيا حلالها حساب ... وحرامها عذاب ... ومن نوقش الحساب هلك .**

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : «**لَيْسَ أَحَدٌ يحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلَيْسَ الله يَقُولُ : حِسَابًا يَسِيرًا ؟ قَالَ : ذَاكِ الْعَرْضُ ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ**» متفق عليه [1].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٩٣٩)، وأخرجه مسلم برقم (٢٨٧٦).

والدنيا كلها قليلها وكثيرها ، و حلالها وحرامها ، كل ذلك مذموم إلا ما أعان على تقوى الله وطاعته، مما أمر الله و رسوله به : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾ [فاطر: ٥].

وكل من كانت معرفته بالله أقوى ؛ كان حذره من نعيم الدنيا أشد، ولهذا زوى الله الدنيا ، و كل ما يشغل عن الآخرة من الملذات والشهوات، عن الأنبياء ، والمرسلين ، والأولياء ، والمتقين ؛ ليتفرغوا للأعمال الصالحة . وسلط عليهم البلاء والمحن، كل ذلك امتنانا عليهم ،ليتوفر من الأخرة حظهم ، ويعظم أجرهم، كما يمنع الوالد ولده من لذة الفواكه ، ويلزمه الدواء الكريه المذاق ؛ شفقة عليه، وحبا له، لا بخلا عليه : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «**سئل الرسول ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**» أخرجه الترمذي (١).

فالدنيا مركب الآخرة .. وبها تُقْطَع المسافةُ إلى الآخرة ... والبدن مركب النفس .. وبه تُقْطَع مسافةُ العمر .

وحقيقة الدنيا في نفسها أنَّها عبارة عن أعيان موجودة ، وللإنسان فيها حظ ،وله في إصلاحها شغل ، وقد جمع الله الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا في قوله سبحانه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ ﴾ [آل عمران: ١٤].

---

(١) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٨).

**فهذه هي أعيان الدنيا السبعة، ولها مع العبد علاقتان :**

**الأولى** :علاقة الأعيان مع القلب ، وهو حبُّه لها ، وحظه منها ، وانصراف همه إليها ، حتى يصير قلبه كالعبد لها ، ويدخل في هذا جميع صفات القلب الباطنة، كالكبر ، والرياء ، والعجب ، وحبُّ الثناء ، وحبُّ التكاثر ، وحبُّ التفاخر، وهذه هي الدنيا الباطنة ، وأما الدنيا الظاهرة فهي الأعيان المذكورة.

**الثانية** : علاقة الأعيان مع البدن ، وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان ؛ لتصلح حظوظه وحظوظ غيره ، وهي جملة الصناعات والحرف التي يشتغل بها الخلق، والخلق إنما نسُوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين، علاقة القلب بحب الدنيا، وعلاقة البدن بالشغل فيها، والتمتع بشهواتها .

ولو عرف العبد نفسه، وعرف ربه، وعرف حكمة الدنيا وسرها ؛ علم أن هذه الأعيان التي تُسمى دنيا لم تخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾[البقرة: ١٧٢].

والدَّابة البدن، فإنَّه لا يبقى ليعمل إلا بمطعم ومشرب، وملبس ومسكن ، كما لا يبقى ولا يسير الجمل إلا بعلف وماء .

والحاج البصير لا يهمه من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه معلق بالكعبة ، والحج .

**فكذلك البصير في السفر إلى الآخرة، لا يشتغل بتعهد البدن ، بل يشتغل بالعمل** الصالح المُوصِل إلى الله ، مع العناية بالبدن الذي لا يتم العمل إلا بسلامته .

**وطلب الدنيا كظل الإنسان** ؛ لا يمكن أن يدركه ولو مشى الدهر كله، **فالعاقل إنما يأخذ منها بقدر الحاجة** ، فإن ابتلي بسعة المال أنفقه فيما يرضي الله، وأخذ منه بقدر حاجته ، واستعان به على طاعة ربه : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ

ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧].

**والدنيا في الحقيقة وما فيها ليست دارا للعباد** ، وإنما أسكنهم الله فيها، واستخلفهم فيها، إلى أجل مسمى ؛ لينظر كيف يعملون ، وابتلاهم بما فيها من الشهوات ؛ ليعلم من يقدم أوامر ربه على شهوات نفسه ، ومن يطيع الرحمن ممن يطيع الشيطان ، ومن يشتغل بجمع الحسنات ممن يشتغل بالاستكثار من الأموال والشهوات، ومن يعمر أخراه ممن يعمر دنياه ، ومن يتبع الهدى ممن يتبع الهوى كما قال سبحانه : ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧].

**فالدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر والفاجر**، وهي سوق اكتظ ثم انفضّ ، وخرج الناس منه ما بين رابح وخاسر : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة:١٨-٢٠].

والدنيا دار مشحونة بالهموم والآلام والأحزان ، أولها عناء وشقاء، وآخرها زوال وفناء : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر:٥].

من استغنى في الدنيا فُتِن ، ومن افتقر إليها حزن : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [العلق:٦-٨].

**والعاقل يعمرها بالإيمان والأعمال الصالحة ، ويعبرها إلى الدار الآخرة الباقية** : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت:٣٠].

والسفيه يتمرغ في شهواتها ، ويتقلب في ملذاتها، حتى تأتيه منيته : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

**فالدنيا مزرعة إبليس، والناس فيها حراث ، وإبليس يجرهم فيها من التوحيد إلى الشرك** ، ومن الطاعات إلى المعاصي ، ومن المباحات إلى الصغائر، ومن الصغائر إلى الكبائر ، ومن الكبائر إلى الردة : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور:٢١].

**والدنيا بحر عظيم مظلم هلك فيه أكثر الخلق ؛ فاجعل سفينتك فيه تقوى الله عز وجل، وعدتك التوكل عليه ، وزادك في ليلك ونهارك الأعمال الصالحة ، فإن نجوت فبرحمة الله ، وإن هلكت فبذنوبك** : ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف:٤٦].

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣].

**والدنيا أملٌ بين يديك ،وأجلٌ مطلٌ عليك ، تدعوك في كل يوم فتستجيب ، وترجوها فتخيب** : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٥].

**الدنيا ميدان العقلاء، يتزودن منها للآخرة بالإيمان والأعمال الصالحة، وهي ميدان السفهاء، يتزودن منها إلى جهنم بالكفر والأعمال السيئة** : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد:١٢].

الدنيا دار الفتن والبلاء، من ظفر بها تعب ، ومن فاتته نصب ، فاقطع الرجاء منها، ورزقك المقسوم منها سيصلك ؛ بكميته ، ونوعيته ، في أي مكان، و في أي زمان : ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف:٣٢].

فابذل المجهود ، وارضَ بالمقسوم ، وسارع إلى مرضاة ربك، بفعل ما يحبه ويرضاه : ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والدنيا مهما تعب الإنسان منها، واجتهد للحصول عليها ، ونال منها كل شيء، هي مجموعة في كلمتين : ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [النساء:٧٧].

وقد ورد لفظ الدنيا في القرآن الكريم مئة وخمس عشرة مرة، ولفظ الدنيا يدور حول شيء واحد، **هو ما أودعه الله في هذه الدنيا من أنواع المغريات والمسرات والمحبوبات والمفاتن**، ابتلاء من الله لعباده ، واختباراً لهم ؛ ليعلم الله من يقدم محبوبات الرب على محبوبات النفس، ويستبين الصالح من الطالح ، وطالب الدنيا من طالب الآخرة : ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾ [الكهف:٧].

**وباستقراء لفظ الدنيا في القرآن الكريم، تبين أنه جاء ؛ ليوضح أمورا ثلاثة :**

**الأول: التحذير من الدنيا** ، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [فاطر:٥].

**الثاني: تفضيل الآخرة على الدنيا** ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤].

وقال عز وجل : ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الرعد:٢٦].

**الثالث: الأخذ بنصيب من الدنيا مع جعل الآخرة هي المقصود الأول والأهم والأعظم** ، كما قال سبحانه : ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧].

وقد حذرنا الله عز وجل من الانجرار وراء مفاتن الدنيا ،والانكباب على شهواتها، وزينتها ، وزخارفها ، وتوعد من فعل ذلك بقوله : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود:١٥-١٦].

وقد ذمَّ الله عز وجل كل من آثر الدنيا الفانية العارضة على الآخرة الباقية الخالدة بقوله سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [يونس:٧-٩].

**فالخير الحقيقي الكامل الدائم** هو **الجنة في الآخرة**، وما سوى ذلك من خيرات الدنيا فسرعان ما يزول، أو يموت صاحبه، كما قال سبحانه : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ

ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ [القصص: ٦٠-٦١].

فالله العليم الخبير أمر الإنسان أن يعمل للآخرة بقدر طاقته: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج: ٧٨].

وأن يعمل في الدنيا بقدر حاجته: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ [الملك: ١٥].

وأمره الله أن يجعل الدنيا بيديه، والآخرة بقلبه.

فنأخذ من الدنيا بقدر ما يُعِفُّ النفس، ويخدم الدِّين ويصلح الآخرة، والدنيا دار عمل وتكليف، والآخرة دار ثواب أو عقاب، والدنيا مطية الآخرة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ [طه: ٧٤-٧٥].

وقد نهى الله عزَّ وجل رسوله محمداً ﷺ عن تعلق قلبه بدار الغرور وزينتها وملذتها بقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ [طه: ١٣١-١٣٢].

وكل ما خلق الله عز وجل في هذه الدنيا خلقه الله مسخراً للإنسان ؛ليستعين به على طاعة مولاه وخالقه: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

**والدنيا هي حياتنا هذه التي نعيش فيها ،وسميت الدنيا لأمرين:**

**الأول:** أنها أدنى من الآخرة ؛ لأنها قبلها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَلْأَخِرَةُ خَيْرٌ

لَكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الضحى: ٤].

**الثاني**: أنها دنيئة ليست بشيء بالنسبة للآخرة كما قال سبحانه: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، فأفضل شراب الدنيا العسل، وهو مذقة حشرة، وأفضل لباس الدنيا الحرير، وهو نتاج دودة، وأفضل شراب الدنيا الماء، وفيه تشاركنا البهائم، وأفضل متع الدنيا نكاح المرأة وفيه يلتقي مبال مع مبال، وأفضل مراكب الدنيا الخيل أو السيارات أو الطائرات، وعليها يصرع الرجال، والسيارات أكثر موت الناس بسببها، وأفضل أموال الدنيا الذهب و الفضة والدراهم، وكلها همٌّ في تحصيلها، وهمٌّ في حفظها، وخوف من زوالها، أو موت صاحبها، وأفضل مساكن الدنيا بيت أو قصر تسكنه، وأنت على وجل وخوف؛ لأنك ستموت وتتركه.

هذه هي الحياة الدنيا، وهي سجن المؤمن، وجنة الكافر، كما قال النبي ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**» أخرجه مسلم (١).

وأنت غريب فيها، أنت ضيف فيها، والضيف والغريب لابد أن يرتحل منها: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أنت عابر سبيل إلى غيرها، يكفيك منها ما تعفُّ به نفسك من مال أو طعام.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٦).

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**» أخرجه البخاري (١).

ومن رحمة الله عز وجل أن قلَّب أحوال الدنيا على الناس ؛ تذكيرا لهم بالدار الآخرة التي أحوالها ثابتة ؛ فهي حياة بلا موت ، ونعيم بلا بؤس .

**قال النبي** ﷺ : «يُنَادِي مُنَادٍ، يعني في أهل الجنة، إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فذلك قوله عز وجل : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف:٤٣]» أخرجه مسلم (٢).

فالدنيا دار الابتلاء والامتحان، ففي الدنيا عز قد يعقبه ذل، وعافية قد يعقبها مرض ، ورفعة قد يعقبها خفض ، وغنىً قد يأتي من بعده فقر ، وأمن قد يأتي من بعده خوف، وراحة قد يعقبها شقاء : ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف:٤٥-٤٦].

وأن لم يحصل للعبد في الدنيا تلك الهموم والأحزان ، فيكفي أن نهايتها موت، ثم قبر، ثم حساب ، ثم ثواب أو عقاب ، فحلالها حساب، وحرامها عقاب: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤١٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٧).

## ٢ - قيمة الدنيا بالنسبة للآخرة

الدنيا المذمومة هي كل ما ألهى الإنسان عن عبادة ربه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢٠-٢١].

**وقد بين الله ورسوله قيمة الدنيا بالنسبة للآخرة بيانا شافيا كافيا كما يلي :**

**أولاً: قيمة الدنيا الذاتية** ، ليست بشيء بالنسبة للآخرة : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

**ثانياً: قيمة الدنيا الزمنية**، ليست بشيء بالنسبة لدوام الآخرة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨].

وقال عز وجل : ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشورى: ٣٦].

**ثالثاً :قيمة الدنيا بالوزن** ، ليست بشيء بالنسبة للآخرة .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**» أخرجه الترمذي [(١)].

**رابعاً: قيمة الدنيا بالكيل**، ليست الدنيا بشيء بالنسبة للآخرة .

عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**والله مَا الدُّنْيَا فِيْ الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ وَأَشَارَ يَحْيى بِالْسَّبَابَةِ فِي اليَمِ ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا تَرجِعُ**» أخرجه مسلم [(٢)].

خامسا: قيمة الدنيا بالمساحة ، **ليست بشيءٍ بالنسبة للآخرة .**

قال الله تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾** ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وعن سهل بن سعد رضي الله قال: قال الرسول ﷺ: «**مَوْضِعُ سَوْطٍ فِيْ الجُنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الْدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا**» أخرجه البخاري [(٣)].

**سادسا: قيمة الدنيا بالدراهم** ، فالدنيا ليست بشيءٍ بالنسبة للآخرة .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «**أن رسول الله ﷺ مر بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِإِذْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لهُ بِدِرْهَم ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيءٍ ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قال: أَتحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ ؟ قَالُوا: وَاللهِ !لُو كَانَ حَيّاً كَانَ عَيْباً فِيْه ؛ لأَنَّه أَسَكُّ ،فَكَيْفَ وَهُوَ مَيتٌ ؟ فقال:وَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**» أخرجه مسلم [(٤)].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٢٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٥٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٨٩٢).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٧).

## ٣- فقه الدنيا والآخرة

الله عز وجل هو الخلاق العليم الذي جعل لكل شيء زينة ومقصداً .

فالنباتات لها زينة وهي الأغصان، والأوراق، والأزهار، ولكن المقصد الحبوب والثمار، والثياب لها زينة ، والمقصد ستر العورة، وكذلك الدنيا زينة ، وكل ما عليها زينة، والمقصد الإيمان بالله، والأعمال الصالحة، والدار الآخرة: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ [الكهف:٧-٨].

فالدنيا زينة، والمقصد الآخرة ، وكل من نسي المقصد وهو الدين ؛تعلق بالزينة وهي الدنيا، فخسر دنياه وأخراه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾[يونس:٧ -٨].

**والأنبياء والرسل وأتباعهم يشتغلون بالمقاصد ، وهى عبادة الله وحده لا شريك له، والدعوة إليه، وأهل الدنيا يشتغلون بالزينات واللهو واللعب :** ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٦٢ -١٦٣].

وقد أمرنا الله عزَّ وجلَّ أن نأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، و نعمل للآخرة بقدر الطاقة، وإذا تعارضت في حياتنا الأشياء والزينات المباحة مع المقصد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، وطاعته وطاعة رسوله ﷺ؛ قدمنا ما يحب الله وهو عبادته وطاعته ، وطاعة رسوله ، والجهاد في سبيله، ونشر دينه، على كل ما سوى ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ

مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

وكلُّ ما على الأرض زينة لها، خلقه الله شاهداً بوحدانيته، ومسبحاً بحمده، وابتلاءً للعباد، **وزينة الإنسان بالإيمان، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة** :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ [الكهف: ٧-٨].

وقال عز وجل : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجرات: ٧-٨].

فخذ من الدنيا بقدر الحاجة، وأعط للدين بقدر الطاقة، ولا تغرنك الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢٠-٢١].

## ٤ - فقه فتن الدنيا

الفتنة في كتاب الله عزّ وجلَّ تطلق ويراد بها الامتحان والابتلاء ،سواء خَلُص صاحبه من الافتتان، أو حصل له افتتان كما قال الله سبحانه : ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ ﴾ [الأعراف:١٥٥].

وقال الله عز وجل : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾ [العنكبوت:٢ -٣].

وتطلق الفتنة على ما هو أعم من ذلك كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾ [التغابن:١٥].

ففي الأموال والأولاد شغل عن الآخرة ، فلا نطيعهم في معصية الله ، فالإنسان مفتون بولده ؛ لأنَّه ربما عصى الله بسببه ، وربما تناول الحرام لأجله إلّا من عصمه الله، والقصد من الفتنة امتحان العباد، هل يصبرون فيقومون بما أمرهم الله به فيثيبهم مولاهم ، أم لا يصبرون فيستحقون العقوبة : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠ ﴾ [الفرقان:٢٠].

والله سبحانه فتن العباد فتنة عامة ، و امتحن بعضهم ببعض؛ فامتحن الله الرسل بالمرسل إليهم، ودعوتهم إلى الحق، والصبر على أذاهم، وامتحن المرسل إليهم بالرسل، هل يطيعونهم، وينصرونهم، ويصدقونهم، أم يكفرون بهم، ويكذبونهم، ويقاتلونهم ؟.

وامتحن العلماء بالجهال، هل يعلمونهم، وينصحونهم، ويصبرون على تعليمهم، وإرشادهم ، أم يضجرون منهم، ويتركونهم في غيهم وضلالهم ؟.

وامتحن الجهال بالعلماء، هل يطيعونهم، ويهتدون بعلمهم ، أم يعرضون عنهم، ويتركون مجالسهم ؟.

وامتحن الملوك بالرعية، وامتحن الرعية بالملوك، وامتحن الأغنياء بالفقراء، وامتحن الفقراء بالأغنياء، وامتحن الأقوياء بالضعفاء، وامتحن الضعفاء بالأقوياء.

وامتحن الرجل بزوجته، وامتحن الزوجة بزوجها، وامتحن الرجل بأولاده، وامتحن الأولاد بأبيهم، وامتحن الرجال بالنساء، وامتحن النساء بالرجال، وامتحن المؤمنين بالكفار، وامتحن الكفار بالمؤمنين، وامتحن الآمرين بالمعروف بمن يأمرونهم... وامتحن المأمورين بمن يأمرهم : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[العنكبوت: ٢ –٣].

ولذلك كان فقراء المسلمين وضعفاؤهم من أتباع الرسل فتنة لأغنياء الكفار ورؤسائهم ؛ امتنعوا عن الإيمان بسببهم، مع معرفتهم بصدق الرسل فتنة ، كما قال سبحانه : ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾[الأنعام:٥٣].

فالفتنة كير القلوب، ومحك الإيمان، وبها يتبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، والطيب من الخبيث، فمن صبر عليها كانت رحمة في حقه ، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[العنكبوت:٣].

فالفتنة لابدَّ منها في الدنيا ؛ ليعلم الله الصادق من الكاذب، وكذلك لابدَّ منها في الآخرة لِكُل من سقط في الفتنة في الدنيا كما قال سبحانه عن الكفار

والعصاة : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الذاريات:١٣-١٤].

والكافر مفتون بالمؤمن في الدنيا ، كما أن المؤمن مفتون بالكافر ؛ ولذلك سأل المؤمنون ربهم ألا يجعلهم فتنة للذين كفروا، كما قال سبحانه عن المؤمنين : ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة:٤-٥].

وقال الله عز وجل : ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس:٨٥-٨٦].

أي لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا: لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم بهذا ، ولا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق؛ فيفتنوا بذلك فيهلكوا، ولا تقتِّر علينا الرزق ، وتبسطه عليهم، فيكون ذلك فتنة لهم .

والإنسان في هذه الحياة الدنيا محل الفتنة ،فهو مفتون لا محالة إما بالخير وإما بالشر ،فهو مفتون بشهواته ، ونفسه الأمارة بالسوء ، وشيطانه المغوي والمزين له، وقرناء السوء ،وما يراه وما يشاهده وما يسمعه ،وغير ذلك مما يعجز صبره عنه من الأموال والأولاد والشهوات كما قال سبحانه : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء:٣٥].

**والفتنة نوعان ، فتنة الشهوات .. وفتنة الشبهات**

وقد جمع الله الفتنتين في قوله سبحانه : ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة:٦٩].

وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع ،وتقديم الهوى على العقل.

**فالأول** : أصل فتنة الشبهات

**والثاني** :أصل فتنة الشهوات
وفتنة الشبهات تُدفع باليقين: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].
وفتنة الشهوات تُدفَع بالصبر كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة:٢٤].
وجمع الله بينها سبحانه في قوله : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:١-٣].
أي تواصوا بالحق الذي يدفع الشبهات، وبالصبر الذي يكفُّ عن الشهوات، فبكمال العقل والصبر تُدْفَع فتنة الشهوات ، وبكمال البصيرة واليقين؛ تدفع فتنة الشبهات.
فاللهم اهدنا فيمن هديت ،وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت.
**والفتن أنواع :**
**الأولى**: فتنة الرجل في نفسه، بأن يقسو قلبه ، فلا يجد حلاوة الطاعة ،ولا لذة المناجاة، بل يستعجل كل معصية : ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [المائدة:٤١].
**الثانية**: فتنة الرجل في أهله، وهي فساد تدبير المنزل ، وقد تولى ذلك الشيطان وَذُرِّيَّتِهِ كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمَهُمْ فِتْنَةً ،يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُوْلُ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُوْلُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَال ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُوْلُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ فَيُدْنِيه مِنْهُ وَيَقُوْلُ : نِعْمَ أَنْتَ**» أخرجه مسلم [1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٣).

**الثالثة**: فتنة تموج كموج البحر، وهي فساد تدبير المدينة ،وطمع النَّاس في الخلافة والولايات من غير حق كما قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَهُ الْمُصَلُّونَ فِيْ جَزِيْرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيْشِ بَيْنَهُمْ**» أخرجه مسلم (١).

**الرابعة**: فتنة ملية بأن يموت الصالحون ، ويُسند الأمر إلى غير أهله ونحو ذلك ، قال النبي ﷺ: «**ستَكُوْنُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيْهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيْهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي والمَاشِيْ فِيْهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لها تَسْتَشْرِفْه، ومَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً فَلْيَعُذْ بِهِ**» متفق عليه (٢).

والفتن إذا جاءت كان ضررها على أهل الإيمان أكثر من غيرهم ، كاللصوص إذا دخلوا بلدا ، فأول من يخاف منهم أصحاب الأموال ، فيتسلحون للدفاع عن أموالهم وأنفسهم ، أما غيرهم فلا يهتمون ؛ لأنهم ليس عندهم ما يخافون عليه.

وكذلك أهل الإيمان والأعمال الصالحة، إذا جاءت الفتن تسلحوا ،وتحصنوا بالإيمان والأذكار والدعاء والعبادة ؛ فذلك حصنهم من أعدائهم : ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣**﴾ [الطلاق: ٢ –٣].

أما من ليس عنده إيمان وأعمال فلا يبالي؛ لأن حياته لم تكن على الإيمان والأعمال الصالحة ، فليس عنده ما يخاف عليه ، كالفقير الذي ليس عنده مال يخاف عليه من اللصوص.

**الخامسة**: والفتنة تطلق على العذاب وسببه ، ولهذا سمى الله الكفر فتنة، كما قال سبحانه: ﴿**فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣**﴾ [النور:٦٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٠١)، وأخرجه مسلم برقم (٢٨٨٦).

ألا ما أعظم الفتن ..! وما أشد خطرها على الأمَّة..! .

قال النبي ﷺ: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ ، وَيُلْقَى الشُّحُ، وَتَظْهَرُ الفتن، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ قالوا: يا رسول الله أَيُّمَا هو ؟ قَالَ :الْقَتْلُ الْقَتْلُ**» متفق عليه [(١)].

ومكان ظهور الفتن من المشرق .

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع الرسول ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «**ألا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**» متفق عليه [(٢)].

وعلى الإنسان ليحمي نفسه من عظيم ضرر هذه الفتن، أن يبادر إلى الإيمان و الأعمال الصالحة ؛ ليحفظ نفسه، ودينه منها .

قال النبي ﷺ: «**بَادِروا بِالأعمالِ فتنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجلُ مُؤْمِنًا ويُمْسِي كَافِراً، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا، ويُصْبِحُ كَافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بِعرضٍ مِنْ الدُّنْيَا**» أخرجه مسلم [(٣)].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٠٦١)، وأخرجه مسلم برقم (١٥٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١٠٤)، وأخرجه مسلم برقم (٢٩٠٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١١٨).

## ٥ – فقه فتنة الأموال والشهوات

الله عز وجل خلق هذا الإنسان مركبا من ثلاث أشياء :

جسد مادي .. ونفس حيواني .. وروح ملكي .

فجسد الإنسان يخلقه الله في بطن الأم ، ثم يخرج إلى الدنيا ، وفي نفس الإنسان بحار الشهوات ، وفي روح الإنسان بحار الطاعات ، والجسد للغالب منهما .

والشهوات والطاعات ليس لها حد ، والنفس تريد تكميل الشهوات كلها في الدنيا ، والله عز وجل جعل الدنيا محل تكميل الأوامر الإلهية والطاعات ، وجعل الآخرة محل تكميل الشهوات، فمن أكمل طاعة الله في الدنيا ؛ أكمل الله شهواته في الآخرة : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧ – ١٠] .

**ومحبوبات الرب** : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٢﴾ [التوبة:١١٢].

**ومحبوبات النفس**: المطعومات، والمشروبات، والمأكولات، والمركوبات، والمنكوحات، والمسكونات: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝١٤ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝١٥﴾ [آل عمران:١٤ – ١٥]. .

فالذي يريد تكميل الشهوات في الدنيا إنما يطلب المحال ؛ لأن الله جعل الدنيا

ليست محلا لتكميل الشهوات، وإنما هي محل لتكميل الإيمان والأعمال الصالحة .

وفي الدنيا طريقان : طريق إلى الجنة .. وطريق إلى النار .

فالإيمان والأعمال الصالحة الطريق الوحيد إلى الجنة ، والكفر والمعاصي الطريق الوحيد إلى النار ؛ فالذي يريد تكميل الشهوات في الآخرة عليه أن يبحث عن طريق الجنة، وهو الدين ، ولا يضع قدمه في طريق النار : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧ – ٤١].

وأوامر الله عز وجل كلها في مقابل شهوات النفس ، فالإنسان إما أن يترك الشهوات بسبب الطاعات ، أو يترك الطاعات بسبب الشهوات، ولا يمكن الجمع بينها ، كما لا يمكن الجمع بين الماء والنار، لكن يفعل الأوامر بقدر الطاقة، ويأخذ من الشهوات بقدر الحاجة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

فالطاعات من الرب : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣.

والشهوات من النفس : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: ٥٣].

فالإنسان إما أن يكون عبدا للرب، أو يكون عبدا للنفس ، والشيطان زين للناس أن الشهوات ضرورة ؛ فاتَّبع أكثر الناس الشهوات ، وتركوا أوامر الله : ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

والله تبارك وتعالى خلق الخلق، وأنعم على العالمين بأنواع الأرزاق ، وأصناف الأموال، وابتلاهم فيها بتقلب الأحوال، فهم بين اليسر والعسر، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والطمع واليأس، والقناعة والحرص، والبخل والجود،

والتبذير والتقتير، كل ذلك ليبلوهم أيُّهم أحسن عملا ، وينظر من يؤثر الإيمان والأعمال الصالحة، على الأموال والشهوات ، ويرى من يُؤثر الآخرة على الدنيا كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ [الكهف:٧-٨].

وفتن الدنيا كثيرة الأنواع ، واسعة الأرجاء ، ويجمعها كل ما كان للإنسان فيه حظ عاجل أشغل عن طاعة الله ورسوله ﷺ، والأموال أعظمها فتنة ، وأطمها محنة ، وأعظم فتنة فيها أنَّه لا غنى لأحد عنها، و إذا وُجدت فلا سلامة منها ، وإذا فُقِد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً، وإذا وجد حصل فيه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسراً كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق:٦ -٧].

والأموال بوجه عام لا تخلو من الفوائد والآفات ، وفوائدها من المنجيات، وآفاتها من المهلكات، وتمييز خيرها من شرها لا يدركه إلا ذو البصائر في الدين من العلماء الأبرار : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فالدنيا فتنها كثيرة ، والمال بعض أجزاء الدنيا ، والجاه بعضها ، واتباع الشهوات كشهوة البطن والفرج بعض فتنها ،والغنى والفقر حالتان يبتلى بهما العباد في الدنيا، لأن الدنيا محل الابتلاء : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢ –٣] .

وقد خلق الله سبحانه الأموال لمصالح العباد ، والمال لا يذم لذاته، بل يقع الذم لمعنى من الآدمي ، وذلك المعنى إما لشدة حرصه ، أو أخذه من غيره حله ، أو حبسه عن حقه . ، أو إخراجه في غير وجهه، أو المفاخرة به ، أو التكبر على الخلق بسببه : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ [العلق: ٦ – ٨].

فالمال لا يذم لذاته، بل ينبغي أن يمدح ؛ لأنه سبب للتوصل إلى مصالح الدين والدنيا وقد سماه الله تعالى خيراً، ورزقاً، ونعمه وهو قوام الآدمي ، لكن الواجب فيه أخذه من حله، ووضعه في حقه، بلا إسراف ولا تبذير ولا تقتير كما وصف الله أولياءه بقوله : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾[الفرقان: ٦٧].

**أما فوائد المال فتنقسم إلى قسمين** : فوائد دنيوية .. وفوائد دينية

والفوائد الدنيوية : الخلق يعرفونها ، ولذلك تهالكوا في طلبها، وتحاسدوا عليها، وتنافسوا في الاستكثار منها.

أما الفوائد الدينية فتنحصر في ثلاثة أنواع :

**الأول**: أن ينفق العبد المال على نفسه وأهله، إما في عبادة كالحج والعمرة والجهاد في سبيل الله ، وإما في الاستعانة به على العبادة ، كالمطعم والملبس والمسكن ونحو ذلك من ضرورات المعيشة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾[البقرة: ١٧٢].

**الثاني**: ما يصرفه الغني للنَّاس من الأموال كالصدقات و الزكوات، للفقراء والمساكين وذوي الحاجات : ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ [البقرة: ٢٧٤].

**الثالث**: ما لا يصرفه الإنسان إلى معين، ولكن يحصل به خير عام، كبناء المساجد، و الأوقاف، والوصايا، والإنفاق في سبيل الله على الدعاة، والمجاهدين في سبيل الله، ونحو ذلك :﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾[البقرة: ٢٦١].

وأما غوائل المال و آفاته فهي آفات دينية ، وآفات دنيوية :

**أمَّا الآفات الدينية، فأعظمها ثلاث آفات:**

**الأولى**: أن المال يجر إلى المعاصي غالبا ؛ لأن من استشعر القدرة على المعصية انبعثت دواعيه إليها ، والمال نوع من القدرة، يحرك داعية الإنسان إلى المعاصي ،فصاحب القدرة إن اقتحم ما يشتهي هلك ، وإن صبر لقي شدة في معاناة الصبر مع القدرة ، وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء، ومِنَ الْعِصْمَةِ أَنْ لَا تَجِد : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾[العلق: ٦ -٧].

**الثانية**: أن المال يحرك الإنسان للتنعم في المباحات، حتى تصبح له عادة ، وتشغله عن الطاعات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[المنافقون: ٩].

**الثالثة**: أن يلهيه ماله عن ذكر الله عزَّ وجل، وعبادته ، وهذا هو الداء العضال الذي لا ينفك عنه أحد ؛ فإن أصل العبادات ذكر الله، والتفكر في جلاله وعظمته، ومن ذكر الله أطاعه ولم يعصه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢].

وغير ذلك من الآفات، التي تقعد العبد عن الطاعات، وتشغله بالتوسع في الشهوات .

والمال لا ينفع صاحبه إلا إذا توفرت فيه ثلاث شروط :

**الأول**: أن يكون حلالا .

**الثاني**: أن لا يشغل عن ذكر الله، وطاعته، وطاعة رسوله .

**الثالث**: أن يؤدي حق الله فيه .

فالتاجر في امتحان في تجارته دائما، هل يلتزم بأوامر الله ورسوله في تجارته ؟، هل ينفذ أوامر الله في أمواله كسبا و إنفاقا ؟، هل يميز بين الحلال والحرام في تجارته ؟، هل يغش في تجارته ؟ هل يأكل الحرام ؟ وهكذا : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العنكبوت: ٢ -٣] .

والله عزَّ وجل هو الرزاق وحده؛ وبنو آدم يحصلون على أرزاقهم من خمسة أبواب :

**الباب الأول:** باب المجاهدة و الكد والتعب، وذلك بالبيع والشراء ، والتجارة والصناعة والزراعة ونحو ذلك، وهذا الباب مباح لعموم الناس : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾[الملك: ١٥].

**الباب الثاني:** باب الحقوق والواجبات، فيصل المال للإنسان عن طريق الوصية، أو الميراث، أو الزكاة، أو الصدقة، أو الهبة، أو الهدية، أو الأوقاف، ونحو ذلك : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾[التوبة: ٦٠].

**الباب الثالث:** باب الذل والهوان ، كمن يسأل الناس ويتذلل لهم ليعطوه .

**الباب الرابع:** باب المعاصي والمحرمات كمن يأكل الربا ، ويسرق الأموال ، و يقطع الطريق ، ويغصب الأموال ، أو يغش في المعاملات ، أو يأكل أموال الناس بالباطل ،أو يأخذها بطرق الميسر ، أو القمار ، أو يحتكر المال ، أو يأخذ الرشوة ونحو ذلك من وسائل المحرمات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[النساء: ٢٩].

فهذا وما قبله قد كتب الله له رزقه، ولكنَّه لم يصبر، و استعجل وأخذه بطريق الذل أو الحرام : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود: ٦].

**الباب الخامس:** باب التقوى والصلاح ،وهذا يحصل على رزقه بالإيمان و الأعمال الصالحة ،كالاستغفار، وصلة الرحم، وحسن الخلق، والتقوى، والتوكل على الله، والإنفاق في سبيل الله، والإحسان إلى الخلق، والهجرة في سبيل الله ونحو ذلك: كما قال سبحانه : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا

عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف:٩٦].

**وهذا الباب خاص بالمؤمنين من الأنبياء والرسل وأتباعهم المتقين.**

**فالأول** : مباح مأمور به .

**والثاني**: من الإحسان والحقوق فهو مشروع ومأمور به .

**والثالث**: أخس الأبواب وأدناها:

قال النبي ﷺ : «**فَمَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا فإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**» أخرجه مسلم (١).

**والرابع**: أخطرها وأعظمها وأشدها جرما، وأعظمها عقوبة .

**والخامس**: مأمور به، وهو طريق الأنبياء واتباعهم، وهو أعلاها و أشرفها، وأزكاها وأعظمها بركة .

وكسب المال مباح ، بل مأمور به ، وإنما المذموم كسبه من غير وجهه ،وصرفه في غير وجهه ، ومنع الحق الواجب فيه ؛ لهذا يجب على المسلم ألا تشغله أمواله وشهواته عن طاعة ربه .

والأصل في المال انفاقه في الواجبات والمستحبات ، والاستعانة به على طاعة الله، و في كل ما يرضي الله ؛ طلبا للأجر ، وتخلصا من كل شاغل عن الله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون:٩-١١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٤١).

## ٦ – فقه فتنة الأهل والأولاد

النفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد ، وقد نصح الله عباده المؤمنين أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد، التي فيها محظور شرعي، ورغبهم في امتثال أوامر الله، وتقديم مرضاته، لما عنده من الأجر العظيم، وأن يؤثروا الآخرة الباقية على الدنيا الفانية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون:٩].

ورغبهم بالعفو والصفح والمغفرة ، وتجنب الغلظة والقسوة في معاملتهم ؛ ففي ذلك من المصالح ما لا يمكن حصره ، فمن عفا ؛ عفا الله عنه، ومن صفح؛ صفح الله عنه، ومن غفر؛ غفر الله له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن:١٤].

فمن الأزواج و الأولاد ما يكون صديقا معينا على طاعة الله ، ومنهم من يكون عدوا معينا على المعصية : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التغابن:١٥].

فالأزواج والأولاد قد يكونون مشغلة و ملهاة عن ذكر الله ، كما أنهم قد يكونون دافعا للتقصير في تبعات الإيمان ؛ اتقاء للمتاعب التي تحيط بهم .

فلو قام المؤمن بواجبه فلقي ما يلقاه المجاهد في سبيل الله ، والمجاهد في سبيل الله يتعرض لألام كثيرة كما يتعرض هو و أهله للعنت ،وقد يحتمل العنت في نفسه، ولا يحتمله في زوجته وأولاده ، فيبخل ويجبن ؛ ليوفر لهم الأمن و القرار و المتاع والمال ؛ فيكونون عدوا له ،لأنهم صدوه عن الخير ، و عوقوه

عن تحقيق غاية وجوده الإنساني ، كما أنهم قد يقفون له في الطريق ؛ ليمنعوه من النهوض بواجبه، اتقاء لما يصيبهم من جرائه ، أو أنهم يكونون في طريق غير طريقه، ويعجز هو عن المفاصلة بينه وبينهم، والتجرد لله؛ فيفتنوه ونحو ذلك .

والله يريد من عبده أن يكون له ، والأزواج و الأولاد يريدونه لهم ، والله عزَّ وجل يوقظ قلوب المؤمنين ويحذرهم من تسلسل هذه المشاعر ، وضغط هذه المؤثرات ، فالأموال والأولاد فتنة ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾ [التغابن:١٥].

**والفتنة هاهنا لها معنيان :**

**الأول:** أن الله يفتنكم بالأموال والأولاد ويختبركم ، كما يفتن الصانع الذهب بالنار؛ ليخلصه من الشوائب .

**الثاني:** أن هذه الأموال والأولاد فتنة لكم، توقعكم بفتنتها في المخالفة والمعصية، فاحذروا هذه الفتنة ؛ لئلا تجرفكم وتبعدكم عن الله .

ثم يبشر الله عباده المؤمنين بعد هذا التحذير من فتنة الأموال والأولاد بالأجر العظيم، ويأمر الذين آمنوا بتقوى الله في حدود الطاقة والاستطاعة، و بالسمع والطاعة، والإنفاق من الخير الذي أعطاهم بقوله سبحانه : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾ [التغابن:١٦].

إن الأموال و الأولاد قد تكون نعمة يسبغها الله على عبد من عباده، حين يوفقه إلى الشكر على النعمة، والإصلاح بها في الأرض ،وبذلها في سبيل الله ومرضاته ،والإحسان بها إلى خلقه : ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ

سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وقد تكون هذه الأموال والأولاد نقمة يصيب الله بها عبداً من عباده ؛لأنه يعلم من أمره فسادا وبخلاً؛ فإذا القلق على الأموال والأولاد يحول حياة هذا الإنسان جحيما ، وإذ الحرص عليها يؤرقه ويتلف أعصابه ، فإذا هو ينفق المال حين ينفقه فيما يتلفه ويعود عليه بالأذى والشر ، وإذا هو يشقى كذلك بأبنائه إذا مرضوا، ويشقى بهم إذا صحوا ،وكم من الناس يعذبون بأولادهم لسبب من الأسباب : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥)﴾ [التوبة: ٥٥].

وكثرة الأموال والأولاد لا تقرب من الله زلفى، ولا تدني إليه ،وإنما الذي يقرب منه زلفى الإيمان بما جاءت به الرسل ، والعمل الصالح الذي هو من لوازم الإيمان : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧)﴾ [سبأ:٣٧].

والكفار يستحقون النار بكفرهم، ولن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠)﴾ [آل عمران: ١٠].

وقد ابتلى الله عز وجل بنى آدم بالشهوات ، وزين لهم حب الشهوات الدنيوية فتعلقت بها نفوسهم، و مالت إليها قلوبهم ، وانقسموا فيها إلى قسمين:

**القسم الأول:** قسم جعلوها مقصد الحياة، وصارت أفكارهم وأعمالهم لها ؛ فشغلتهم عمَّا خلقوا لأجله، كما قال سبحانه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران: ١٤].

**القسم ثاني**: من عرف المقصود منها، وأن الله جعلها ابتلاءً وامتحاناً لعباده ؛ ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته و شهواته.

فهؤلاء صارت لهم زادا إلى ربهم، ووسيلة إلى رضوانه والفوز بجنته، كما قال سبحانه : ﴿۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران: ١٥].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وجميع فتن الأموال والشهوات وغيرها، تعرض على القلوب ، فمنها ما يقبله القلب، ومنها ما يرده .

قال النبي ﷺ: «**تُعرَضُ الفتن على القلوب؛ كالحصير عودًا عودًا، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبها نُكِتَ فيه نكتةٌ سوداء، وأيُّ قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنةٌ ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مُرْبادًّا؛ كالكوز مجُخِّيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلا ما أُشْرِبَ من هواه**» أخرجه مسلم [1].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٤).

# ٧- فقه الابتلاء في الدنيا

الله عز وجل خلق كل شيء، وهو غني عنه، و لو شاء لم يخلقنا، وربك يخلق ما يشاء ويختار ،والله خالق كل شيء ، وقد شاء أن يخلق أبانا أدم خلقاً مميزاً عن غيره ؛ فخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلَّمه أسماء كل شيء ،وأسجد له ملائكته ،وجعله في الدنيا خليفة ،وهو في الآخرة جليسه ؛ إن جاء بالإيمان و الأعمال الصالحة: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ٥٥﴾[القمر:٥٤-٥٥].

فالله سبحانه خلق آدم بيده، وخلق جميع المخلوقات بأمره؛ تكريما وتشريفا له: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾[النحل:٤٠].

وقال عز وجل : ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾[ص:٧٥].

فميز الله سبحانه آدم بخلقه بيده؛ تشريفا له ، وتكريما لذريته، حيث جعل فيهم ومنهم الأنبياء والرسل، وجعل ذريته خلفاء الأرض : ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة:٣٠].

وقال عز وجل : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ١٦٥﴾ [الأنعام:١٦٥].

**وهذا الاستخلاف يقتضى أمرين :**

**الأول:** امتثال جميع أوامر المُسْتَخْلِف : ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [آل عمران:٣٢].

وقال عز وجل : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور:٥٦].

**الثاني**: أن جميع ما خلق الله في السماوات والأرض خلقه الله لمصلحة بنى أدم ،إما اعتبارا يعتبرون به، وإمّا انتفاعا ينتفعون به، وأما ابتلاء : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال عز وجل : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧].

فعلى الإنسان أن يعبد الله عز وجل، ويحقق الخلافة في الأرض ، بالدعوة الى الله ،و الأمر بالمعروف ،و النهي عن المنكر : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقد خلق الله آدم ﷺ محفوفا بجنسين:

جنس أعلى منه، وهم الملائكة الذين محضهم الله لطاعته وخلصهم لعبادته فهم : ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠].

وقال عز وجل عن الملائكة : ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم:٦].

فخلص الله الملائكة لامتثال الأوامر، وعبادة الله ، ولم يسلط عليهم الشهوات التي تشغلهم عن عبادة الله .

**والجنس الثاني: أدنى منه،** وهم البهائم الذين خلقهم الله للشهوات ، و لم يخلقهم للطاعة الاختيارية، بل هم مسخرون في عبادة الله، وامتثال أمره

كغيرهم كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾[الحج:١٨].

فكل الحيوانات البهيمية لم تخلق للطاعة والعبادة الاختيارية ، و لم تُركب فيها أهلية ذلك كالجن والإنس ، وإنما خلقت للشهوات، فلا هم لها إلا تكميل شهواتها ، فحياتها من أجل شهواتها، ونفع غيرها فقط، وحياة جميع الحيوانات و البهائم ليس لها معنى إلا التمتع و الأكل والشرب ؛ولذلك تبعث يوم القيامة للقصاص بعضها من بعض ممن أذاها، ثم يُقال كوني تُرابا .

فالإنسان وسط بين الملائكة، والبهائم ، فهو أدنى من الملائكة في الطاعة ؛ لأنه سُلطت عليه الشهوات ، وهو أعلى من البهائم ؛ لأن الله ميزه بالعقل، فإن آمن الإنسان و أطاع ربه بامتثاله أوامر الله واجتناب نواهيه ؛ صار أعلى من الملائكة، وإن كفر وعصى ربه ؛ صار أضل بل أقل من الحيوان : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩].

وكل الإنسان مبتلى بالشهوات الحيوانية، وبالأوامر الشرعية، وبالمصائب القدرية؛ فهذه ثلاثة ابتلاءات لكل إنسان في هذه الدنيا، فاقتضى ذلك أن يجعل الله له داراً للجزاء في الآخرة، غير دار العمل، غير هذه الدار المبتلى فيها الإنسان: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾

[آل عمران:١٨٥].

فهذه الحياة الدنيا دار الابتلاء و الامتحان، و الابتلاء منه الخير الشر : ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[الأعراف:١٦٨].

وقال عز وجل : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وخلق الله الدنيا وجعل فيها الخير والشر، و كل خير في الدنيا فمصدره من السماء من الجنة : ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢].

وكل شر في الدنيا من الآلام، و الأمراض، فمصدره نار جهنم .

والخير أنواع مختلفة، والشر أنواع مختلفة، والإنسان مبتلى في هذه الدنيا بذلك، فكل خير مصدره من السماء من الجنة، وكل شر من الأمراض و الآلام، فمصدره من النار.

والعافية امتحان كبيرٍ يمتحن الله بها الناس،والناس في العافية والنعمة أربعة أقسام:

**الأول:** من لا يحس بالعافية والنعمة إلا عند زوالها .

وهذا النوع من الناس لا يمكن أن يشكر الله على هذه النعمة ؛لأنه لم يحس بوجودها إلا عند زوالها، وبعد مفارقتها، فحظهم منها الندم بعد زوالها.

فإذا أخذ الله سمع أحدهم أو بصره أو قدمه، أو حيل بينه وبين طعامه وشرابه أو ماله ؛ تحسر وتندم حيث لا تنفع الحسرة والندم، و تذكر النعمة ،حيث لا ينفع التذكر : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

**الثاني:** الذين يعرفون النعمة بوجودها .

فيعرفون أن الله أكرمهم بالعافية والمال، والأمن والولد ،ولكن لا يعرفون من أين آتاهم ذلك؛ فيظنون أنها جاءت بجدهم وذكائهم وكسبهم، وميراثهم من آبائهم، وقدرتهم، وعلمهم .

فهؤلاء راسبون في هذا الامتحان ،و هؤلاء لا يمكن أن يشكروا الله ؛ لأنهم يظنون أن النعمة والكسب من عند أنفسهم ، ومن هؤلاء قارون: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ

كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: ٧٦ – ٧٨].

فكانت عقوبته الخسف : ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص:٨١].

**الثالث**: الذين يعرفون النعمة بوجودها ، و يعرفون أنها من عند الله ،ولكنهم منشغلون بنعمة الله عن شكر المنعم بها ، فيأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام، كما قال الله تعالى عنهم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾﴾ [محمد:١٢].

وقال عز وجل : ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

فهؤلاء مشتغلون بالنعم عن شكرها ،وحالهم حال الأعراب الذين قال الله فيهم: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ﴿١١﴾﴾ [الفتح: ١١].

فهؤلاء مشغولون بأموالهم و أولادهم عن شكر المنعم بها جل جلاله ،فهمهم بالليل و النهار القيام على أموالهم وتنميتها ،والغفلة عن الله و شكرها ، قد شغلتهم دنياهم عن دينهم .

وما أعطى الله هؤلاء من الدنيا كان وبالا عليهم ؛ لأنهم فقدوا الراحة من أجلها

فهم يركضون من أجل الدنيا ركض الوحش : ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [التوبة:٥٥].

فهؤلاء هم عبيد الدنيا، فهي التي تحكمهم و تصرفهم، و تأمرهم بالأسفار والمخاطر، وتأمر الواحد منهم بقطع العلاقة بأهله، وتقطع عليه عبادته مع ربه وعلاقته بأسرته، وإذا خسر منها شيئاً حزن حزنا شديدا .

فالدنيا في قلبه لا في يده، تمنعه نومه وراحته وعبادته، فهو مأسور للدنيا، تتحكم فيه وفي أوقاته ، وهذه الدنيا التي حذر منها الله سبحانه وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾ [المنافقون:٩].

**الرابع: الذين يعرفون النعمة**، بوجودها لا بزوالها، و يعلمون أنها من عند الله لا من عند أنفسهم، ولا ينشغلون بها عن شكرها ، بل يبحثون عما جاء معها من الأوامر الشرعية فيصرفونها فيه، لا يأخذون الدنيا إلا من حلها، ولا يصرفونها إلا فيما أمروا به، فهم الذين يديرون دنياهم، وليست هي التي تديرهم .

وكل نعمة جاءت من عند الله فلها أمر من عند الله ورسوله، يبين كيفية استعمالها وصرفها وشكرها .

فإذا أنعم الله عليهم بالوقت، بحثوا في هذا الوقت، هل فيه فريضة من فرائض الله فيؤدونها ؟، وإن لم تكن فيه فريضة بحثوا ، هل فيه سنة راتبة فيؤدونها ؟، وإن لم تكن فيه فريضة ولا سنة راتبة قاسوه بالمصالح، هل فيه مصلحة دنيوية لمصلحة المعاش ؟ أو فيه مصلحة حسنة أخروية لمصلحة المعاد، يمكن أن يؤدوها فيه؟ : ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وهكذا إذا أنعم الله عليهم بعلم أو مال، أو قدرة أو صحة، يصرفون أوقاتهم مع

كل نعمة حسب الأمر الوارد فيها، وما من وقت يمر على الإنسان إلا و لله فيه حق يتعبد المسلم لله فيه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

والحقوق قسمان :حقوق للأوقات، وحقوق في الأوقات

فالحقوق التي في الأوقات هي الفرائض التي حددها الله في الأوقات، من الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والبر، والدعوة والتعلم والتعليم ونحو ذلك من الفرائض .

فلكل عبادة وقت يجب أن تؤديها فيه : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء:١٠٣].

**أما حقوق الأوقات،** فالوقت من خلق الله ، وما من وقت إلا و فيه حقوق ، ولك فيه خطاب جديد، وأمر جديد ، فالوقت إناء للأعمال ، والمكان إناء للأشياء.

وما من وقت إلا وقد طلب الله منك فيه عملا يقربك إليه، وتؤجر عليه .

فهؤلاء هم الموفقون الذين عرفوا نعمة الله قبل زوالها ،وعرفوا أنها من عند الله، لا من عند أنفسهم ،ولم تشغلهم النعم عن شكر من أنعم بها .

وكل أمر من عند الله ورسوله فهو مُعظم ،وكل أمر جاء من عند الله ورسوله ، فهو مُنظِم لكيفية استعمال تلك النعمة المادية و المعنوية : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل:٥٣].

فهذا هو الابتلاء بالخير والنعم، والناس فيه إما فائز أو خاسر: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾[العنكبوت:٢-٣].

وفي مقابل ذلك ابتلاء أخر ،وهو الابتلاء بالشر، فإذا أصيب الإنسان بمصيبة،أو طامة في بدنه أو ماله أو أهله أو خلقه أو عقله ، فذلك ابتلاء من الله، هل يرجع إلى الله، ويتوب إليه ، ويفر اليه، فينجيه من أثار ذلك : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

وقال عز وجل : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ ﴾ [التغابن: ١١].

وأشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ يبتلي الله الأنبياء؛ ليعلم الناس صدقهم ،وليخرج ما في قلوبهم من محاسن الأخلاق ، وصدق الإيمان والتوحيد، وكمال التوكل واليقين .

فأيوب ﷺ مكث في المرض سبعة عشر عاما، ابتلاه الله في جسمه وأهله وأولاده ؛ فلما جاءت فيه صفة الصبر التي يريد الله ويحبها شفاه الله كما قال سبحانه عنه : ﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤ ﴾ [ص: ٤٤].

ومن شدة حيائه ﷺ من الله، أنه لم يسأل الله أن يرفع عنه المرض، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤ ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

والأنبياء أعظم من عرف الله ؛ فلهذا يرضون بقضاء الله وقدره ،ويحمدونه على نعمة السراء والضراء ،ويصبرون على بلائه .

فمن عرف الله حقا أحسن الظن به ، وأحسن معاملته، وتأدب معه بالأدب الذي يستحقه : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

ولهذا استجاب الله دعاء الأنبياء ،واستجاب دعاء أيوب وشفاه كما قال سبحانه: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾ [ص:٤٢].

فذهبت كل آفة في جسمه، وعاد إليه شبابه، وعافيته، وقوته وأتاه الله أهله، ومثلهم معهم، كما قال تعالى : ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾ [ص:٤١-٤٤].

وكذا يونس ، وإبراهيم ،ويعقوب ،وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ ، وغيرهم من الأنبياء ابتلاهم الله؛ ليزيد إيمانهم ، ويظهر محاسن أخلاقهم ، وجمال صبرهم ، وصدق توكلهم : ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

**والنَّاس في الابتلاء قسمان:**

**الأول**: المؤمنون الصادقون الذين عرفوا ربهم، وعرفوا أن مقاليد الأمور كلها بيده، فيدعونه فيكشف ضرهم : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة:١٨٦].

**الثاني**: من يبتليهم الله بالبلاء والمرض، فيشكون أحوالهم إلى من لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا، فكيف يملكون ذلك لغيرهم، فيلجئون إلي تأليه المخلوق ، و التعلق به في جلب المنافع ، و دفع

المضار، وقد بين الله بطلان ذلك بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وقال عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر:١٣-١٤].

فالأولون هم الفائزون ، والآخرون هم الخاسرون : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ –٣].

والله سبحانه يبتلي عباده بالنعم و المصائب، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط ، فالابتلاء بالنعم يذكر العبد بربه ، ليحمده ويشكره ، و الابتلاء بالمصائب يذكر العبد بذنوبه ، فيسارع إلى التوبة : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ –١٥٧].

وقال عز وجل : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

فكل مصيبة في النفس، والمال، والأهل ،مقرونة بمخالفة أمر الله ؛لتنبيه الإنسان ليتوب من ذنبه، ويتوكل علي ربه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١].

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

وأعظم الابتلاء الابتلاء في الدين ؛ فالبلاء في البدن مخلوف، و البلاء في العقل

تسقط به التكاليف ، والبلاء في المال والأهل معوض؛ أما البلاء في الدين فهو شر البلية ، فالله يبتلي العبد في دينه ؛ ليعلم الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

فالله عزَّ وجل يبتلي العبد في دينه ، ليعلم هل هو حريص علي دينه ،أم يتركه من أجل حطام الدنيا .

فتُعرض أحيانا على الإنسان المناصب ،أو الأرباح الطائلة الهائلة ،لكنها بالربا فإذا أقبل على المحرمات بعُد عن الله وهلك، ويعرض عليه الشيطان ما فيه لذة و شهوة من الكلام في أعراض إخوانه المسلمين بالغيبة و النميمة ، فإذا بادر إلى إشباع غريزته و شهوته وقع في ذلك فخسر ورسب في الامتحان، وازداد من الله بعُدا ، وإن أعرض عن ذلك، وحفظ لسانه بذكر الله و حمده، و الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر ؛فقد فاز وأفلح : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ۝٢٠١ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ۝٢٠٢ ﴾ [الأعراف:٢٠١-٢٠٢].

وكذلك إذا عُرضت على الإنسان أنواع الشهوات و المحرمات من شهوات البطن و الفرج و السمع و البصر و غيرها، فإذا نظر إلي تلك الشهوات ولم ينظر إلى نعمة الله عليه بالبصر، و لم يتذكر حال العُمِي الذين منعهم الله النظر ، وأطلق بصره فيما حرم الله ؛ فقد رسب في الامتحان ؛لأنه نظر إلى ما حرم الله النظر إليه وهكذا : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ۝٣٦ ﴾ [الإسراء:٣٦].

والنظر قسمان:

**القسم الأول : نظر إلى الحرام** ، كالنظر إلى النساء المتبرجات، و النظر إلى أهل الفسوق و المعاصي وهم يرتكبون المحرمات و نحو ذلك.

**والثاني : نظر إلى ما هو وسيلة إلى الحرام** ؛ كالنظر إلى حياة الأغنياء المترفين، والنظر إلى زخارف الدنيا و زينتها ؛ لأن ذلك يؤدي إلى الطمع في الدنيا، و التمرغ في شهواتها، و إهمال أوامر الله : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

وقال عز وجل : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه:١٣١-١٣٢].

**والنظر نوعان:**

**الأول:** ما تقدم وهو النظر إلى المحرمات ووسائلها **فهذا مذموم**.

**الثاني: نظر محمود، وهو النظر في الآيات الكونية** التي تثمر قوة التوحيد، والإيمان بالله، وعبادته، وطاعته ، **والنظر في الآيات القرآنية** التي تثمر معرفة الأخبار، والأوامر، والمناهي و عبادة الله بموجب ذلك : ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس:١٠١].

وقال عز وجل : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

وكذا النظر إلى النعم التي خلقها الله لك ،والنظر في وجوه الصالحين، و النظر في كتب السنة : ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت:٢٠].

وكذا السمع ابتلى الله به كل إنسان، فان سمع به الغناء، والغيبة والنميمة، وما يحرك الشهوات، وما يجر للمحرمات ؛ فقد رسب في الامتحان وأبعده ذلك عن الله ، و إن فرَّ من ذلك إلى الله، وسمع الخير والقرآن، والعلم والمواعظ؛ فقد فاز برضوان الله والجنة : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ

ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وكذلك يبتلي الله عباده بالشبهات ، كما يبتليهم بالشهوات ، والشبهات أنواع : منها شبهات تتعلق بالقلوب ؛ فالشيطان يوسوس للإنسان في عقيدته، كما قَالَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ: « **يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فيقولُ : مَن خَلَقَ كَذَا؟ مَن خلقَ كَذَا؟ حتَّى يَقُولَ :مَن خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ باللهَّ ولْيَنْتَهِ** » متفق عليه [(١)].

ومنها شبهات تتعلق بالأعمال كالوسوسة في الطَهارة والصلاة وإشغال الإنسان عن الصلاة بالوسوسة له في أمور دينه و دنياه : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون:٤-٥].

وقال عز وجل : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس:١-٦].

ومثل ذلك الزكاة والصدقات، فالزكاة و الصدقة عبادتان عظيمتان يجب إخلاصهما لله ، فيأتي الشيطان للغني و يقول أعطها فلاناً، لأنه قريبك، أو أعطها فلانا، فإن له لساناً يمدحك به في المجالس ،أو يقول له أعطه قيمتها، و لا تعطه أصلها ،فإنك محتاج إلى الأصل ، أو يقول له أظهرها بين الناس حتى يمدحوك؛ فالشيطان بهذه الوسوسة ؛ يفسد على الإنسان نيته في تلك العبادة المالية : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

وهكذا في بقية العبادات، فهذا ابتلاء في العبادات .

وهناك ابتلاء آخر، وهو نصرة هذا الدين العظيم ،و إعلاء كلمة الله، فإن كثيراً من الناس ابتلوا بموت قلوبهم، والاشتغال بقضاء شهواتهم، والغفلة عن نصرة دين

---

(١) أ متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٧٦)، وأخرجه مسلم برقم (١٣٤).

الله، ونشره و تعليمه للناس، فلا ينفقون عليه ؛ لينتشر و يعم أرجاء الأرض ، وهؤلاء أصلحوا ما بينهم و بين الله من العبادات ، وغفلوا عن دعوة الناس إلى الله، وأنفقوا أوقاتهم وأموالهم علي شهواتهم ،ولم تطب نفوسهم بإنفاقها على دينهم، فنقضوا العهد : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ١١١﴾ [التوبة: ١١١].

فالصادق المفلح من سعى في إصلاح نفسه، وإصلاح غيره ، وبذل كل ما يملك في سبيل تحقيق ذلك : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾[العصر: ١-٣].

والله سبحانه حكيم عليم بأحوال عباده ، يبتلي من يشاء بما شاء، فيبتلي بعضهم بالسراء، والآخر بالضراء ؛ لينظر كيف يعملون، وإلى أين يفزعون، فلا بد من البلاء، وبعد البلاء تظهر الثمرات : ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾[الفرقان: ٢٠] .

فأنبياء الله أحب الخلق إلى الله ،وأعلمهم بالله، وأعبدهم لله، وكلهم ابتلوا في سبيل إبلاغ الحق : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾ [الفرقان: ٣١].

فمن سلك طريقهم لا بد أن يناله بعض ما نالهم ،ويجري عليه بعض ما جري عليهم، والإنسان مأجور على شكر النعم ،وكذا هو مأجور على الصبر على البلاء والمكاره، فأمره كله خير، والله يحب الشاكرين، ويحب الصابرين .

قال النبي ﷺ: «**عَجبًا لأمرِ المؤمنِ، إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خيرٌ، وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمنِ، إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خيرًا له، وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خيرًا لهُ**» أخرجه مسلم (١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

والله رءوف بالعباد خلق المصائب و المكروهات، والأمراض والآلام ؛ لتذكير الناس بنعم الله ، و تذكيرهم بمن خلقهم ،وبما في جهنم من ذلك ؛ ليقبل الناس على الإيمان، وعبادة الله وحده والتوبة إليه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦].

وكذلك خلق الله عزَّ وجل الأمور المكروهة؛ لجر الأشرار إلى أعمال الأبرار ، وجذب النفوس إلى الملك القدوس ،وجر الناس من دار الغرور إلى دار السرور، ومن دار الفناء إلى دار البقاء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وكل ما سوى الله لا يستحق أن يُخاف منه ، وكل ما سوى الله لا يستحق أن يطمع فيه : ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

والخوف من كل ما سوى الله نقص عقل وتدبير، والشيطان يخوف الناس من كل ما سوى الله : ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران:١٧٥].

وهذا الخوف خمسة أنواع:

فالله حي قيوم قائم على كل نفس ، وبيده مَقَالِيدُ الأمور، وعنده خزائن كل شيء، فهذا فقط هو الذي يستحق أن يخاف ، ويرجى، ويعبد، ويطاع : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

فهذا الخوف الأول يخوف الشيطان به من يقومون بالدعوة إلى الله، ونصرة الدين .

**الخوف الثاني**: الخوف على المصالح ، فبعض الناس له مصالح واقعة أو متوقعة ، فيخاف عليها إذا قام بنصرة الدين ؛ وهذا الخوف وهمي ، جرَّبه الشيطان أكثر الناس إلى ترك ما أمرهم الله به ،وهذا الوهم أبطله الله بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) ﴾ [التوبة:٢٨].

فمن خاف على مصالحه يجب أن يتذكر أن الله الذي أعطاه هذه المصالح، هو القادر وحده على سلبها منه : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ﴾ [النحل:٥٣].

وقال عز وجل : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) ﴾ [الملك:١].

فالله سبحانه وتعالى لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) ﴾ [الزمر:٣٨].

وقال عز وجل : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) ﴾ [فاطر: ٢].

**الثالث**: الخوف من التشويه لسمعتهم، فكثير من الناس يتركون الدعوة إلى الله ونصرة الدين، خوفا من كلام الناس فيهم بأنهم مغرضون، وهذا التشويه لا يضر الداعي إلى الله ، فكم أرسل الله من الرسل الذين قال عنهم الناس ما قالوا ، خاصة محمد ﷺ الذي قيل فيه وعنه ساحر، وكذاب ، مجنون ، وشاعر وغيرها من الألقاب السيئة؛ ولكن الله خذل من عاده، ونصره عليهم، وأبقى دينه : ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) ﴾ [المائدة:٦٧].

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف: ٩].

**الرابع**: الخوف من التكاليف، فكثير ممن يترك نصرة الدين يعلمون أن من قام بذلك يناله الأذى من الناس، وأنواع الاتهام، وسوء الظن.

فلابد للداعي أن يتسع صدره لكل ما قالوا فيه، ويصبر، وينتظر نصر الله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [يوسف: ١١٠].

وعلاج هذا الخوف أن يتذكر الداعي بيعته مع الله الذي خلقه وهداه ،وهو الذي يتولى نصره وحفظه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة: ١١١].

والتكاليف لا تكون إلا في النفس والمال، وقد اشتراها الله منك، وعوضك عنها الجنة .

**الخامس**: الخوف من المجهول، فبعض الناس يُبتلى بالخوف من المجهول فالشيء الذي لا يعرفونه يظنونه منكراً من القول: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٢ -١١٣].

فنسأل الله عز وجل أن يرينا الحق حقا، ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا، ويرزقنا اجتنابه.

# ٨ - أقسام الناس في الدنيا

**الناس في الدنيا أربعة أقسام :**

**الأول:** من آمن بالله، وأقام الدين في حياته ،وفي حياة البشرية .

فهؤلاء بأرفع المنازل في الدنيا والآخرة ، وفى مقدمتهم الأنبياء والرسل ومن تبعهم بإحسان ،وهؤلاء خير الناس للناس : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣].

وقال عز وجل : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١١٠﴾[آل عمران: ١١٠].

**الثاني:** من أقام الدين في حياته، وترك الدعوة إلى الله .

فهؤلاء سوف يحاسبون على ترك العمل الاجتماعي وهو الدعوة إلى الله، وهؤلاء لا يحفظون من أعدائهم ، بل يتسلط عليهم الأعداء كما سلط الله فرعون على بني إسرائيل، لما تركوا الدعوة إلى الله : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾[القصص: ٤].

**الثالث** : من كفر بالله، وصدَّ عن سبيل الله ، وحارب أولياء الله .

فهؤلاء شر الناس كفرعون وسائر الطغاة : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ۝٨٨﴾[النحل:٨٨].

**الرابع:** من كفر بالله، وعاش حسب هواه وشهواته ، ولم يؤذِ أحدا كحال غالب الكفار، فهؤلاء في النار، لكن عذابهم أخف من عذاب من كفر وصد عن سبيل الله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝١٢﴾ [محمد:١٢].

فهؤلاء وهؤلاء أن لم يؤمنوا يدمرهم الله، وينصر عليهم رسله وأولياءه : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾[غافر:٥١].

والمنافقون هم أخطر الناس على الإسلام وأهله ؛ فالمنافق يُظْهِر الإسلام ؛ ليعيش آمناً بين المسلمين ، ويبطن الكفر ؛ ليكيد الإسلام وأهله من داخله ،فهو يهدم بنيان الدين من داخله ، وينقل أسرار المسلمين إلى أعدائهم في الخارج ؛ لذلك المنافقون في الدرك الأسفل من النار؛ لعظيم خطرهم وضررهم : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾[النساء:١٤٥].

فهذه الدنيا دار الإيمان، والعمل، والابتلاء والمجاهدة، والله عز وجل يربى عباده أحسن تربية تسعدهم في الدنيا والآخرة ، وأنواع هذه التربية خمسة :

**الأول: تربية :** ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

وهذه التربية تنشئ جيلاً مؤمناً يكبر الله، ويعظمه، ويحبه، ويثنى عليه، ويحمده، ويشكره، ويطيعه، ويعبده وحده لا شريك له .

**الثانية: تربية :** ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف:١٠٨].

وهذه التربية تنشئ جيلا مؤمنا يدعو إلى الله، ويستفيد من خزائن الله، وينشر الحق والأمن والسلام في أقطار الأرض .

**الثالثة: تربية :** ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وهذه التربية تنشئ جيلاً مؤمناً ، يتعلم الدين ، ويعمل بالدين ، ويثبت على الدين، ويترقى في الدين، ويعلم الدين .

**الرابعة : تربية هذا حلال وهذا حرام .**

وهذه التربية تنشئ جيلاً مؤمناً ، يراقب الله في أقواله وأفعاله وأخلاقه، وسائر تصرفاته : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧].

**الخامسة: تربية هذا عيب .**

وهذه التربية تنشئ جيلاً مؤمناً ، يراقب الناس ،ويستحى منهم، فضلا عن مراقبة الله، والاستحياء منه، ومن ملائكته .

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». أخرجه البخاري[1].

اللهم ارزقنا هذه الثمرات، وأجمل الصفات، يا رب العالمين .

ورب العالمين افتتح كتابه العزيز بفاتحة الكتاب ، وجعلها أم القرآن : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر:٨٧].

فكل ما فصَّله الله في القرآن مجمل في فاتحة الكتاب : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٢-٧].

والمقصود حمد الله لذاته، وكمال أسمائه وصفاته ،وعظيم كرمه وإحسانه، وعظيم جلاله وكبريائه، حمدا يليق بجلاله في كل حين، ليس فقط في الصلاة، بل داخل الصلاة وخارج الصلاة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

فإذا خرجت من الصلاة انتقلت من عبادة الصلاة إلى عبادة الشورى، والتعلم، والتعليم، والدعوة، والإحسان إلى الخلق ،وغير ذلك من الأعمال الصالحة : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

والله سبحانه محمود على كمال ذاته وأسمائه وصفاته، ومحمود على إنعامه

---

[1] أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٤).

وإحسانه، فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فهو محمود على قضائه، وإذا أدخل أهل النار النار فهو محمود على عدله، وإذا أدخل أهل الجنة الجنة فهو محمود على فضله : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الجاثية:٣٦].

وسر القرآن كله في قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة:٥].

هذا منهاج حياة البشرية كلها إلى يوم القيامة، فمنا العبادة، ومنك العون ، ولا نعبدك إلا بعونك ، و إذا قلّت العبادة، وكثُرت الاستعانة ، لا يُستجاب الدعاء ، وإذا كثُرت العبادة، ثم حصلت الاستعانة ؛ استجاب الله الدعاء : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].

وما أكثر الطاعة، وما أقل العبادة ، وهنالك فرق بين الطاعة والعبادة

فالطاعة أن تصلي وتصوم وتحج بالجسد ، وليس في القلب خشوع ولا خضوع، والطاعة يشترك فيها المؤمن والمنافق

أما العبودية فهي خاصة بالمؤمن ، فالصحابة كل أعمالهم طاعات وعبادات ، عبدوا الله بقلوبهم وجوارحهم ، يعملون بالجسد، ويخافون بالقلب : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

فإِيَّاكَ نَعْبُدُ، منهج جماعي لهذه الأمة، وإياك أعبد منهج العُبّاد من الأمم السابقة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران:١١٠].

فطاقات هذه الأمة كالبنيان المرصوص ، حجر مع حجر يكون بنياناً، ويكون بيتا، وهكذا المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ،هذا يصلي ، وهذا يعلم ، وهذا يتعلم ، وهذا يدعوا ، وهذا ينفق ، وهذا يقضي بما أنزل الله ،

وهكذا : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

والأنبياء والرسل هم أول وأعظم سبب لهدايتنا بعد الله؛ فيجب النظر في حياتهم، للاقتداء بهم في إيمانهم، وتوحيدهم، وتضحياتهم ، من أجل هداية الخلق : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم: ٥٤].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ [مريم: ٥١].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم: ٤١].

فكم تضحيات إبراهيم عليه السلام من أجل الهداية، ودعوة التوحيد .

وإذا رأيت مالك ينقص ، ومال الكفار يزيد، فلا تحزن، وإذا رأيت تجارتك تنقص ، وتجارتهم تزيد فلا تحزن؛ لأن معك فاتحة الكتاب في صدرك : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: ٨٧].

و قال تعالى : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر: ٨٨].

وإذا كنت تطلب الهداية بلسانك، وقلبك لا يطلبها، فالهداية لا تأتي ؛ لأن اللسان كذاب ، فلا يستجاب دعاؤه : ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [غافر: ١٤].

ومطلوب الإنسان محبوبه ، فإذا كان مطلوبك بلسانك الهداية ، و محبوبك الذهب والدنيا والشهوات ؛ فالله لا يستجيب دعاءك .

ونحن نطلب الهداية في الصلاة أكثر من أربعين مرة في اليوم : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة: ٦].

ولم يعطنا الهداية ؛ لأن أغلبنا ليس عنده صدق القلب ، فاللسان يسأل ويطلب الهداية ، والقلب راتعٌ في الشهوات ، ويتمنى زيادة الأموال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢ – ٣].

واليهود والنصارى أهل الشهوات،واليهودية هي يهودية الصفات،لا يهودية الذات.

والرسول ﷺ ما كان يهجو يهودية الذات؛ لأن الذوات ليس نجسة، فكان يصافح اليهود ، ودعتهُ يهودية لطعام فاستجاب، وفي المعاملة استلف منهم، فما تقزز من ذواتهم، أما كثير منا فينفر من ذواتهم، ويتحلى بصفاتهم .

فالإسلام صفات ، واليهودية صفات، و إذا حللّنا الصفات عرفنا أننا مسلمين أو نتصف بصفات اليهود ؛ فالإنسان يُعْرَف إسلامه أو يهوديته بصفاته لا بذاته .

فصفات اليهود في كثير منا ، الكذب ، وحب الدنيا، وأكل الحرام، والفساد والإفساد: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ۝١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ۝١٦١ ﴾ [النساء: ١٦٠ -١٦١].

وقال الله عن اليهود: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝١٥٥ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ۝١٥٦ ﴾ [النساء: ١٥٥ -١٥٦].

وغير ذلك من صفات اليهود التي بينها الله في القرآن، وحذرنا منها .

## ٩ - الفائزون والخاسرون في الدنيا

الفائزون هم أولياء الرحمن الذين يعبدون ربهم وحده لا شريك له: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

والخاسرون هم أولياء الشيطان الذين يطيعونه فيما أمرهم و نهاهم : ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس:٦٠-٦٢].

والله سبحانه أمر الملائكة بالسجود لآدم ، و إبليس كان معهم حين ذاك، فإن كان إبليس سبقهم بالعبادة فيجب أن يسجد معهم، لأنه أفضل منهم، وإن كانت الملائكة أرفع منه بمحض الخلقة ؛ فيجب أن يسجد، لأن الأمر إذا توجه للأعلى، فيجب أن يسجد الأدنى من باب أولى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤].

والذي منع إبليس من السجود هو الكبر و الحسد لآدم ، لأنه يرى أنه خير منه: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١٢].

فالأعلى لا يسجد للأدنى ، هكذا رأى إبليس، وهكذا زينت له نفسه .

وبعد جريمة الكفر، والكبر، والحسد، والفخر من إبليس ، لعنه الله وأهبطه إلى الأرض التي فيها أهل الطاعة ، وأهل المعصية ، و أخرجه من السماء التي كلها

طاعات و نور : ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥﴾ [الحجر:٣٤-٣٥].

وقال تعالى : ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝١٣﴾ [الأعراف:١٣].

وجريمة إبليس من أعظم الجرائم ، لأنه أعلن بالمعصية لربه أمام من لا يعرفون إلا طاعة من خلقهم، وهم الملائكة كما قال الله عنهم : ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم:٦].

فعمل إبليس الأول أهّلَهُ ليكون في العلو، في السماء، لقوة عبادته لله، وعمله الأخير أهّلَهُ ليكون في أسفل سافلين في النار، فالذي رفع إبليس مع الملائكة في السماء هو إيمانه و عمله الصالح، والذي أهبطه إلى الأرض كفره و عمله السيئ، كما أهبطت آدم إلى الأرض معصيته ؛ لأن السماء والجنان محل أهل الطاعات، أما الأرض ففيها من يطيع الله و يعصيه : ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة:٣٨-٣٩].

ومعصية إبليس عن كفر وكبر، وحسد وبغي ، و معصية آدم عن ضعف وشهوة ونسيان؛ ولهذا تاب آدم فتاب الله عليه ،واستكبر إبليس؛ فلعنه الله : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝١١٥﴾ [طه:١١٥].

وقال عز وجل : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة:٣٧].

فالأنبياء والرسل أئمة الحق والهدى ، و إبليس و ذريته أئمة الباطل والضلال : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴿١٤٨﴾ ﴾ [البقرة:١٤٨].

ولعظيم كفر و كبر وحسد إبليس طلب من ربه إمهاله إلى يوم يبعثون ، فأمهله الله حياً إلى يوم الوقت المعلوم : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحجر:٣٦-٣٨].

فماذا قال إبليس: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

والله سبحانه يهدي ولا يغوي ، ولكن إبليس كذب على ربه.

فالإغواء إغراء بالمعصية ، والله يأمر بالعدل والإحسان والطاعات ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والمعاصي : ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

فالإغواء و الإضلال من صفات المكلفين ، كالهداية إلى الحق والخير : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه:١٢١-١٢٢].

فالله خلق إبليس مختاراً كما خلق آدم مختاراً : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان:٢-٣].

والله سبحانه أرسل الأنبياء ؛ ليأمروا الناس بالإيمان و الطاعات ، و أرسل الشياطين ؛ ليأمروا الناس بالكفر و المعاصي، ابتلاء من الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦].

وقال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم:٨٣].

فالإنسان مبتلى بين هؤلاء وهؤلاء : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت:٢-٣].

وقال تعالى : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء:٣٥].

فالرابحون في هذه الحياة الدنيا هم المؤمنون الذين امتثلوا أوامر الله ، واجتنبوا نواهيه ، وصدّقوا أخبار القرآن وطبقوها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف:١٠-١٣].

أما الخاسرون فهم كل من كفر بالله ، واستكبر عن دين الله : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر:١٥].

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٦].

# ١٠ - أهل الدنيا بين السؤال، والجواب، والجزاء

الله عز وجل خلق الدنيا والآخرة ، وخلق العالم العلوي والعالم السفلي، وخلق عالم الغيب و عالم الشهادة، والدنيا بالنسبة للآخرة صورة محروقة، والعارف حقاً من جعلها مطية للآخرة بالإيمان والأعمال الصالحة : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

والدنيا دار الغرور، والآخرة دار السرور أو الثبور، والدنيا ذات عمر قصير، ومتاع قليل: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖ ٥٥﴾ [الروم:٥٥].

وقال الله تعالى : ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [النساء:٧٧].

والدنيا دار لهو ولعب وزينة وتفاخر، كما قال سبحانه : ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد:٢٠].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت:٦٤].

ويوم القيامة سيعرض عليك جميع ما قلت وفعلت من خير أو شر.
هذه طاعة، هذه نصيحة، هذا بر، هذا إحسان ، هذا ذكر، هذا دعاء، هذه دعوة.
وهذه فاحشة، وهذه جريمة، وهذه خيانة، وهذه سرقة، هذا كذب، هذا ظلم، هذا نفاق، هذا حسد، هذا رياء، هذا فجور، هذا استهزاء، هذه غيبة، وهذه نميمة، وهذه خديعة، وهذه سخرية : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء:١٣-١٥].
وقال الله عز وجل : ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الجاثية:٢٩].
وقال سبحانه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٦ -٨].
في اختبارات الدنيا يسأل الطالب عن بعض المقرر، لا عن كل المقرر، لكن السؤال يوم القيامة عن كل شيء فعلته في هذه الحياة ، أسئلة عن التوحيد، وأسئلة عن الإيمان، وأسئلة عن الأقوال، وأسئلة عن الأفعال، وأسئلة عن الأخلاق، وأسئلة عن النيات، وأسئلة عن الأوقات ، وأسئلة عن الأموال ، وأسئلة عن الأمانات : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].
وقال الله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصافات:٢٤].
وقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لنْ تزُولَ قَدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسْأَلَ عن أَرْبَعِ خِصالٍ عن عُمُرِهِ فيمَ أَفْناهُ ؟ وعَنْ شَبابِه فيمَ أَبْلاهُ ؟ وعَنْ مالِهِ من أين اكْتَسَبَهُ وفيمَ أَنْفَقَهُ ؟**

**وعَنْ علمِهِ ماذا عمِلَ فيهِ»** أخرجه ابن حبان و الترمذي (١).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» متفق عليه (٢).

فكل حياة الإنسان امتحان وابتلاء، والناس في ذلك بين رابح وخاسر، فكل إنسان يمتحن كل يوم مئات المرات، فهو ممتحن في سمعه، وبصره، وفي أقواله، وأفعاله، وفي نياته، وأفكاره، وفي عطائه، ومنعه، وفي تقديمه، وتأخيره: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾**﴾ [الأنبياء:٣٥].

وأنت ممتحن في عباداتك، وممتحن في معاملاتك، وممتحن في معاشراتك، وممتحن في أخلاقك، وممتحن في أخذك وعطائك؛ لينظر الله هل تطيعه في كل حال، أم تطيع هواك وشهواتك: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾**﴾ [محمد:٣١].

وقال الله تعالى: ﴿**أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾**﴾ [العنكبوت:٢-٣].

قد تظلم عمداً، امتحنت فخسرت، قد تدوس عمداً على نملة فتقتلها، امتحنت فرسبت، قد تشهد شهادة زور، امتحنت فخسرت، قد تنظر إلى صورة محرمة عمدا، امتحنت فخسرت، قد تكذب في بيعك وشرائك، امتحنت فخسرت، قد تسمع ما حرّم الله، امتحنت فرسبت: ﴿**وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾**﴾ [الأنبياء:٤٧].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٠٩)، وأخرجه مسلم برقم (١٨٢٩).

قد تستهزئ بأحد، قد تسخر من أحد ، قد تستصغر أحدا ، قد تقول ، أو تسكت، قد تفعل ،أو تترك ، في كل ذلك أنت ممتحن ، وسوف تحاسب على اختيارك: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الحجر:٩٢-٩٣].

أنت في الآخرة محاسب على كل شيء ، من صغير وكبير ، ومن قليل وكثير ، ومن خير وشر ، ومن صدق أو كذب : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[الكهف:٤٩].

فسبحان من أحصى الأقوال، وأحاط بالأفعال، الذي يراقب النيات، والخطرات، والحركات، والسكنات : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢].

وقال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾[الأحزاب:٥٢].

وقال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾[المجادلة:٦].

الامتحان في الدنيا في مكان مريح ، وجو هادئ، ومكان آمن ، أما امتحان الآخرة، ففي جو مخيف، وفي مكان عظيم، ويوم عصيب، ترتعد فيه الفرائص ، وتشيب فيه الولدان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾[الحج:١-٢].

وقال الله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾[المزمل:١٧-١٨].

ويحشر الناس يوم القيامة للحساب حفاة، عراة، غرلا : ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ويوم القيامة كل شيء مكتوب ، وكل عمل مقروء : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

فامتحان الدنيا إن طال زمانه بثلاث أو خمس ساعات، أما امتحان الآخرة ففي يومٌ كان مقداره خمسين ألف سنة : ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ١-٧].

ومقدار اليوم الواحد يوم القيامة ألف سنة : ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧].

ففي الدنيا زمان قصير، وعمر قليل، ثم بعده في اليوم الآخر حساب عسير، ثم إما قصر ملكي ، أو سجنٌ من سجون جهنم : ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٤].

قال تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦].

وقال عز وجل : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٤ -١٦].

فالمؤمن يعلم أن بعد الحياة موت ، وبعد الموت بعث ، و بعد البعث حساب ، وبعد الحساب خلود في جنة أو نار : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى

﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة:٦-١١].

والرقيب في امتحان أهل الدنيا عبد مخلوقٌ ضعيف ، محدود القدرة ، محدود السمع والبصر ، محدود العلم ، يسهو و يغفل، أما الرقيب على امتحان أعمال الآخرة فهو ملكٌ عظيم ، سميعٌ بصير، عليم خبير، قريب شهيد : ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۝٣﴾ [سبأ:٣].

وقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال الله تعالى : ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ۝٢٨﴾ [الجن:٢٨].

وبعد الاختبار تظهر النتائج ، ويكون النجاح أو الرسوب ، والفوز أو الخسران، فالنجاح في أمور الدنيا أن ينال العبد بعد الاختبار والنجاح رئاسة، أو مكانة، أو وظيفة، أو غيرها.

ونعيم الدنيا كله لا يساوي قطرة من بحر نعيم الآخرة : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة:١٧].

والإنسان في الدنيا لابد أن يبتلى و يفتن ، إما بفتنة الشهوات ، أو فتنة الشبهات، أو فتنة المصائب والمكروهات، ولا ينجو من جميع فتن الدنيا إلا من سلّم قلبه وجوارحه لله ، وأطاع الله ورسوله في كل أمر : ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٢٢ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٣ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان:٢٢-٢٤].

فالله عز وجل خلق الإنسان من أجل عبادة الله وحده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

وخلق الكون من أجل الإنسان ؛ ليعرف من يعبد الله بأسمائه و صفاته ، و يشكر من أنعم عليه، فجاء الشيطان ، وغرَّ الإنسان، وأشغله بما قُسِم له ، عما فُرِض عليه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر:٥-٦].

واعلم أن في هذا الكون اثنان :

**الأول :خالق،** له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣].

**الثاني: حادث، وهو نوعان :**

**الأول: حادث له أبد،** كالعرش والكرسي، والآخرة، والجن والإنس .

**الثاني :حادث ليس له أبد، وهو الدنيا :** ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤].

والمؤمن يحب لقاء الله ، لأنه آمن به وأطاعه ،والكافر يكره لقاء الله ، لأنه كفر به وعصاه : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦].

فالذي يكره الموت من عمَّر دنياه ، وخرَّب أخراه ؛ فهذا يحزنه أن ينتقل مما عمّره إلى ما خرَّبه : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: ٥] .

وعلامات حب الآخرة، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله ، بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه .

فالذي يحب الله والدار الآخرة، و يتقي ربه و يخشاه ؛ عند الموت تبرق أسارير وجهه نوراً وفرحاً بلقاء ربه؛ لأنه يستعرض حين ذاك أعماله الصالحة، فتسُره، وينعكس ذلك على وجهه بياضاً ونوراً و سرورا، هذه حال المؤمن التقي .

أمَّا الفاجر الشقي فيستعرض أعماله السيئة ،فيزداد حسرةً وخوفاً وندماً، ويسود وجهه عند الموت : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٦ -١٠٧].

وقال عز وجل : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ -٢٥].

فالذهن عند الموت وفي الآخرة يخلو منه أي خاطر إلا أعماله، فإن كانت صالحة سُر ، وإن كانت سيئة حزن : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [عبس: ٣٨ – ٤٢].

والإنسان ينتقل من الدنيا إلى الآخرة إذا خرجت روحه من جسده بالموت أو القتل ، فيفقد السيطرة على بدنه وعلى غيره ، وأصبح يتحكم فيه غيره، ممن قد يكون مسيطرا عليه في حياته ، فيكشفه، ويغسله، ويكفنه و يدفنه : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٣ – ٩٦] .

اللهم فقهْنا في الدِّين، و اجعلْنا هداة مهتدين، يا رب العالمين : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣].

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة التاسعة

## الآخرة دار القرار، والثواب، والعقاب

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول : الإيمان باليوم الآخر .

الثاني : أشراط الساعة الصغرى .

الثالث : أشراط الساعة الكبرى .

الرابع : متى تقوم الساعة ؟

الخامس : بعث الخلق وحشرهم .

السادس : عظمة اليوم الآخر .

السابع : فصل القضاء .

الثامن : ما يجري للنَّاس في عرصات يوم القيامة .

التاسع : دار القرار .

العاشر : صفة الجنة .

الحادي عشر : صفة النار.

# البصيرة التاسعة

# الآخرة دار القرار، والثواب، والعقاب

## ١ - الإيمانُ بِاليومِ الآخِـر

اليوم الآخر هو يوم القيامة الذي يبعث الله فيه الخلائق للحساب والجزاء .

سُمِي بذلك ؛ لأنَّه لا يوم بعده ؛حيث يستقر أهل الجنَّة في الجنة أبدا ، ويستقر أهل النار في النار أبدا.

أما أشهر أسماء اليوم الآخر، فاليوم الآخر له أسماء كثيرة منها :

يوم القيامة ، يوم البعث ، يوم الفصل ، يوم الخروج ، يوم الدين ، يوم الخلود ، يوم الحساب ، يوم الوعيد ، يوم الجمع ، يوم التغابن ، يوم التلاق ، يوم التناد ، يوم الحسرة ، الصاخة، الطامة الكبرى، الغاشية ، الواقعة ، الحاقة ، القارعة.

وغير ذلك مما ذكر الله من أسماء اليوم الآخر في القران الكريم.

وكثرة الأسماء لشيء تدل على عظمة المسمى، و شدة هوله.

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بكل ما أخبر الله ورسوله به مما يكون في ذلك اليوم العظيم، من البعث، والحشر، والحساب، والصراط، والميزان، والجنَّة، والنَّار، وغير ذلك مما يجري في عرصات يوم القيامة.

ويُلحق بذلك ما يكون قبل الموت، من علامات الساعة وأشراطها ، وما يكون بعد الموت من فتنة القبر ، وعذاب القبر ونعيمه.

والإيمان بالله ، و اليوم الآخر، أعظم أركان الإيمان ، وعليهما مع بقية أركان الإيمان مدار استقامة الإنسان و فلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة.

ولأهمية هذين الركنين العظيمين يقرن الله بينهما كثيراً في القرآن الكريم.

قال الله سبحانه:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ ﴿٨٧﴾ ﴾[النساء:٨٧].

وقال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[النساء:٥٩].

## ٢ - أشراط الساعة الصغرى

العلم بوقت قيام الساعة لا يعلمه إلا الله وحده، كما قال سبحانه : ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب:٦٣].

وقد أخبر النبي الله ﷺ بأمارات وعلامات وأشراط، تدل على قرب قيام الساعة ، وهي علامات صغرى ، وعلامات كبرى .

**القسم الأول: أشراط الساعة الصغرى .**

علامات الساعة الصغرى ثلاثة أقسام :

الأول: علامات وقعت وانتهت ، ومنها بعثة النبي ﷺ، وموته، وانشقاق القمر آية له، وفتح بيت المقدس، وخروج نارٍ من أرض الحجاز كما قال سبحانه: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر:١].

وعنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا» أخرجه البخاري [1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٧٦).

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى**». متفق عليه[1].

**الثاني: علامات ظهرت، وما زالت مستمرة في الظهور ومنها .**

ظهور الفتن، ظهور مدعي النبوة، انتشار الأمن، قبض علم الشرع، ظهور الجهل، كثرة الشُرط وأعوان الظلمة، ظهور المعازف واستحلالها، ظهور الزنى، كثرة شرب الخمر واستحلالها، تطاول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنيان، تباهي الناس في المساجد وزخرفتها، كثرة الهرج وهو القتل، تقارب الزمان، إسناد الأمر إلى غير أهله، رفع الأشرار، ووضع الأخيار، و يُفتح القول، ويخُزن العمل، وتقارب الاسواق، وظهور الشرك في هذه الأمة، وكثرة الشح، وكثرة الكذب، وكثرة المال، وفشو التجارة، وكثرة الزلازل، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن، وظهور الفحش، وقطيعة الرحم، و سوء الجوار، وارتفاع الأسافل، وبيع الحكم، وتسليم الخاصة، والتماس العلم عند الأصاغر، وظهور القلم، وظهور الكاسيات العاريات، وكثرة شهادة الزور، وكثرة موت الفجأة، وعدم تحري الرزق الحلال، وعود أرض العرب مروجاً وانهارا، وتكليم السباع للإنس، وتكليم الرجل عذبة سوطه ، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده، وأن تحُاصر العراق ويمنع عنها الطعام والدرهم، ثم تحاصر الشام ويمنع عنها الطعام والدينار، ثم تكون هدنة بين المسلمين والروم ، ثم يغدر الروم بالمسلمين.

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١١٨)، ومسلم برقم (٢٩٠٢).

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسولَ الله ﷺ وهو مستقبلُ المشرقِ يقولُ: «**أَلا إِنَّ الفِتْنَةَ هَاهُنَا، أَلا إِنَّ الفِتْنَةَ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**». متفق عليه[١].

الثالث : علامات لم تظهر ، وستقع بلا شك كما أخبر النبي ﷺ ومنها: انحسار نهر الفرات عن جبل من ذهب، وفتح القسطنطينية بدون سلاح وقتال الترك، وقتال اليهود ونصر المسلمين عليهم، وخروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه و يدينون له بالطاعة، وقلة الرجال، وكثرة النساء حتى يكون لخمسين امرأة قَيّم واحد، ونفي المدينة لشرارها ثم خرابها، وهدم الكعبة على يد رجل من الحبشة يُقال له ذو السويقتين ، ثم لا تُعمر بعده وذلك آخر الزمان .

وجميع ما ذكرنا من هذه العلامات الصغرى السابقة ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٠٩٣)، ومسلم برقم (٢٩٠٥)، واللفظ له.

## ٣- أشراط الساعة الكبرى

علامات الساعة الكبرى عشر علامات .

عن حذيفة بن أَسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطَّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «مَا تَذَاكَرُوْنَ؟» قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنَّهَا لَنْ تَقُوْمَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آياتٍ» فذكر الدخانَ، والدجالَ، والدابةَ، وطلوعَ الشمس من مغربها، ونزولَ عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوجَ ومأجوج، وثلاثةَ خسوفٍ، خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم. أخرجه مسلم[١].

**العلامة الأولى: خروج الدجال .**

والدجال رجل من بنى آدم، يظهر في آخر الزمان، ويدعى الربوبية ، يخرج من المشرق من خُراسان، ثم يسير في الأرض، فلا يترك بلد إلا دخله إلا مسجد المقدس، والطور، ومكة، والمدينة ، فلا يستطع دخول المدينة ؛لأن الملائكة تحرسها ، ينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات ، يخرج إليه منها كل كافر و منافق.

وخروج الدجال فتنة عظيمة، بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول ، فقد ثبت أن معه جنة وناراً، ناره جنة، وجنته نار ، وأن معه جبال الخبز ، و أنهار الماء ، يأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت ، وتتبعه كنوز الأرض ، ويقطع الأرض بسرعة عظيمة كالغيث إذا استدبرته الريح .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٠١).

يمكث في الأرض أربعين يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائرُ أيامِه كأيامنا، ثم يقتله عسى ابن مريم ﷺ عند باب لدٌّ بفلسطين.

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجالَ – وفيه –: «**إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ فَعَاثَ يميناً وَعَاثَ شِمَالاً**». أخرجه مسلم[١].

أما أكثر أتباع الدجال فهم من اليهود، والعجم، وأخلاط من الناس، غالبهم من الأعراب والنساء.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفاً عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ». أخرجه مسلم[٢].

**العلامة الثانية : نزول عيسى ابن مريم ﷺ إلى الأرض :**

بعد خروج الدجال، وإفساده في الأرض ، يبعث الله عز وجل عيسى ابن مريم ﷺ فينزل من السماء إلى الأرض، عند المنارةِ البيضاء شرقي دمشق ، واضعاً كفَّيه على أجنحةِ ملَكَينِ، فيقتل الدجال ، ويحكم بالإسلام ، و يكسر الصليب ، و يقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال ، وتذهب الشحناء بين الناس .

يمكث سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قِبَل الشام، فلا يبقى على وجه الأرضِ أحدٌ في قلبِهِ مثقالُ ذرَّةٍ من خيرٍ أو إيمانٍ إلا قبضتْه ، ويبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع ، يتهارجون تهارج الحمر، ثم يأمرهم الشيطان بعبادة الأوثان، وعليهم تقوم الساعة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٤٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِيْ نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوْشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْراً مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا».

ثمّ يقولُ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[النساء:١٥٩]. متفق عليه[1].

**العلامة الثالثة: خروج يأجوج ومأجوج.**

يأجوج ومأجوج، أمتانِ عظيمتانِ من بنى آدم، وهم رجال أقوياء، لا طاقة لأحد بقتالهم، و خروجهم من أشراط الساعة الكبرى، يفسدون في الأرض، ثم يدعو عليهم عيسى ابن مريم ﷺ وأصحابه فيمتون.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[الأنبياء:٩٦-٩٧].

وبعد نزول عيسى بن مريم ﷺ وأصحابه من الجبل إلى الأرض يدعو الله، فيرسل الله عز وجل على يأجوج ومأجوج طيوراً تحملُ يأجوج ومأجوج، وتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً يغسلُ الأرض، ثم تنزل البركة في الأرض، وتظهر البقول والثمار، وتحل البركة في النبات والحيوان.

**العلامة الرابعة، والخامسة، والسادسة: الخسوفات الثلاثة.**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٥٥).

الخسوفات الثلاثة من أشراط الساعة الكبرى، وهي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وهى لم تقع بعد .

**العلامة السابعة : الدخان .**

ظهور الدخان في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى.

قال الله تعالى : ﴿ **فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾** ﴾ [الدخان: ١٠-١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتاً: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَو الدُّخَانَ، أَو الدَّجَّالَ، أَوالدَّابَّةَ، أَوْخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ العَامَّةِ». أخرجه مسلم(١).

**العلامة الثامنة : طلوع الشمس من مغربها .**

طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى ، وهى أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوى ، ومن أدلة خروجها : ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾** ﴾ [الأنعام:١٥٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، فيومئذ: ﴿ **لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا** ﴾». متفق عليه(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٤٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٦٣٥)، ومسلم برقم (١٥٧)، واللفظ له.

**العلامة التاسعة: خروج الدابة.**

خروج دابة الأرض في آخر الزمان علامة على قرب قيام الساعة.

فتخرج هذه الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم، تخطم أنف الكافر، وتجلو وجه المؤمن.

ومن أدلة خروجها قوله عز وجل: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيراً، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ». أخرجه مسلم[1].

**العلامة العاشرة: خروج النار التي تحشر الناس إلى المحشر .**

وهي نار عظيمة تخرج من المشرق من اليمن من قعر عدن، وهي آخر أشراط الساعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة، فتخرج من اليمن، ثم تنتشر في الأرض، وتسوق الناس إلى أرض المحشر في الشام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ، وَرَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، ثَلاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، أَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، عَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، يَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا». متفق عليه[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٥٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٦١).

وعن أنس رضي الله عنه أن عبدالله بن سلام لما أسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل، ومنها: ما أول أشراط الساعة؟ فقال النبي ﷺ : «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِق إلَى المَغْرِبِ». أخرجه البخاري(١).

وإذا ظهرت أول أشراط الساعة الصغرى، ثم ظهرت أول أشراط الساعة الكبرى، تتابعت بعدها الآيات، يتلو بعضها بعضاً كما قال النبي ﷺ : «الأَمَارَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ بِسِلْكٍ، فَإذا انْقَطَعَ السِّلْكُ تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضاً». أخرجه الحاكم(٢).

إن جميع أخبار اليوم الآخر تُتَلقَى من الوحي من القرآن والسنة؛ فهي من الأمور الغيبية التي نأخذها فقط عن الله وعن رسوله ﷺ.

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٩).

(٢) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم (٨٦٣٩).

# ٤ – متى تقوم الساعة ؟

الساعة تقوم يوم الجمعة.

قال الله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ [الأحزاب:٦٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَومُ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا في يَومِ الجُمُعَةِ». أخرجه مسلم[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ مُنْذُ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ العَرْشِ، مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ». أخرجه الحاكم[٢].

والصور قرن كالبوق، يأمر الله عز وجل إسرافيل ﷺ أن ينفخ في الصور النفخة الأولى، وهي نفخة الصعق، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يأمره الله، أن ينفخ النفخة الثانية، وهي نفخة البعث، فإذا الخلائق قيام ينظرون : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر:٦٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ٥١ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ٥٢﴾ [يس:٥١-٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ١٩﴾ [النبأ:١٨-١٩].

أما مقدار ما بين النفختين فهو أربعون .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيتُ ». متفق عليه[٣].

ومعنى أبيت : أي لا أعلم

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٥٤).

(٢) صحيح / أخرجه الحاكم برقم (٨٦٧٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٩٣٥)، ومسلم برقم (٢٩٥٥)، واللفظ له.

## ٥ - بعث الخلق وحشرهم

الدور التي يمر بها الإنسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث :

دار الدنيا ، ثم دار البرزخ ، ثم دار القرار في الجنة أو النار .

وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها، وَرَكَّبَ هذا الإنسان من بدن وروح، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، وجعل أحكام يوم القيامة من النعيم والعذاب على الأبدان والأرواح معاً.

و البعث: هو إحياء الموتى حين ينفخ اسرافيل في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين حفاةً عراةً غرلاً غير مختونين ، ويُبعث كل عبد على ما مات عليه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس:٥١-٥٤].

صفة البعث :

يُنزل الله من السماء ماءً ؛ فينبت الناس كما يَنبت البقل.

قال الله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف:٥٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ، «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا

يَنبُتُ البَقْلُ، وَلَيْسَ مِنَ الإنْسَانِ شَيْءٌ إلَّا يَبْلَى إلَّا عَظْماً وَاحِداً وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ القِيَامَةِ». متفق عليه(١).

**أول مَنْ ينشق عنه القبر:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ يَومَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». أخرجه مسلم(٢).

**مَنْ يُحشر يوم القيامة؟**

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة:٤٩-٥٠].

وقال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم:٩٣-٩٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف:٤٧].

**صفة أرض المحشر:**

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم:٤٨].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ عَلى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيْهَا عَلَمٌ لأَحَدٍ». متفق عليه(٣).

**صفة حشر الخلق يوم القيامة:**

للحشر حالتان:

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٩٣٥)، ومسلم برقم (٢٩٥٥)، واللفظ له.

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٢٧٨).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢١)، ومسلم برقم (٢٧٩٠)، واللفظ له.

الأولى: حشر من القبور إلى محل القضاء، وهذا يكون بحشر الناس مشاة حفاة عراة غُرلاً.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً» قلت: يا رسول الله، النساء والرجال جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ». متفق عليه(١).

الثانية: حشر المؤمنين والكفار من محل القضاء إلى الجنة أو النار كما يلي:

أولاً: يُحشر المؤمنون وفداً مكرمين إلى ربهم إلى الجنة: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾ [مريم:٨٥].

وقال عز وجل: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر:٧٣].

ثانياً: يُحشر الكافرون على وجوههم عمياً، وبكماً، وصماً، عطاشاً، زرقاً، مقرنين في الأصفاد، يحبس أولهم على آخرهم، فيساقون إلى النار مجتمعين.

قال الله تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٩٨﴾ [الإسراء:٩٧-٩٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦﴾ [مريم:٨٦].

وقال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ١٠٢﴾ [طه:١٠٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩﴾ [فصلت:١٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٧)، ومسلم برقم (٢٨٥٩)، واللفظ له.

وقال الله تعالى : ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

وقال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥١].

وعن أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ! كَيْفَ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَليسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيهِ في الدُّنْيَا، قَادِراً عَلى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟». متفق عليه[١].

ثالثاً: يحَشرُ الله يوم القيامة الدواب، والبهائم، والوحوش، والطيور، ثم يحصل القصاص بين الدواب، فيقتص للشاة الجمَّاء من القرناء؛ نطحتها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها: كوني تراباً.

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٦٠)، ومسلم برقم (٢٨٠٦) واللفظ له.

## ٦- عظمة اليوم الآخر

يوم القيامة يوم عظيم أمره، شديد هَوْلُه، يُصَابُ فيه العباد بالرعب والفزع، والخوف والذهول، وتشخص فيه أبصار الظلمة، جعله الله عز وجل على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر، وعلى الكافرين مقدار خمسين ألف سنة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾ [الحج: ١-٢].

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦)﴾ [الحاقة: ١٣-١٦].

وقال الله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦)﴾ [التكوير: ١-٦].

وقال الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤)﴾ [الانفطار: ١-٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥)﴾ [الانشقاق: ١-٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (٦)﴾ [الواقعة: ١-٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١)﴾ [التكوير: ١] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١)﴾ [الانفطار: ١] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١)﴾ [الانشقاق: ١]» أخرجه أحمد والترمذي(١).

---

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٤٨٠٦)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٣٣٣).

وفي يوم القيامة تبدل الأرض غير الأرض والسموات: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٨-٥١].

وقال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

وإعادة الله للخلق مرة ثانية؛ إظهارا لقدرته، وتنبيها لبريته، وإظهارا لعظمته، وكمال قوته وقدرته: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم: ٢٧].

أين يكون الناس يوم تبدل الأرض والسموات؟

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَوْلَى رسولِ الله ﷺ قَالَ كُنْتُ قَائِماً عِنْدَ رسُولِ الله ﷺ، فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهودِ، وَفِيْهِ فَقَالَ اليهودِي: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يومَ تبْدَلُ الأرضُ غَيْرَ الأَرضِ والسَّمواتِ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**هُمْ فِيْ الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ**» وفي رواية «**عَلَى الصِّراطِ**» أخرجه مسلم(١).

شدة الحرارة في الموقف وهوله.

يجمع الله الخلائق بعد بعثهم في ساحة واحدة في عرصات القيامة؛ وذلك لفصل القضاء بينهم، حفاة عراة غرلا، فتدنو الشمس في ذلك اليوم، ويذهب العرق سبعين ذراعا، ويعرق الناس على قدر أعمالهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقْبِضُ اللهُ الأرضَ يَومَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنا المَلِكُ، أَينَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟». متفق عليه(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣١٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٢)، ومسلم برقم (٢٧٨٧).

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَومَ القِيامَةِ مِنَ الخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنهُمْ كَمِقْدارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ في العَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلْجاماً» قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه. أخرجه مسلم(١).

من يظلهم الله في الموقف يوم القيامة .

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ؛ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ». متفق عليه(٢).

وإذا كانت الدنيا دار الإيمان والعمل والابتلاء ، فإن الآخرة دار الحساب، والجزاء، والقرار، والثواب، والعقاب .

فيوم القيامة يوم عظيم فيه يلتقي الناس برب الناس، وفيه يلتقي الظالم بالمظلوم ،وفيه يلتقي السارق بالمسروق منه ،وفيه يلتقي القاتل بالمقتول ،وفيه يلتقي آدم بذريته : ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[الكهف:٤٨ -٤٩].

يوم القيامة يوم عظيم، تفزع فيه الخلائق والأنبياء كل يقول نفسي ، نفسي،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣١).

والنبي ﷺ يقول: «أمتي، أمتي».
فكيف بنا ونحن مقيمون على المعاصي في كل يوم وليله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١-٢].

يوم القيامة يوم عظيم شديد هوله، تزفر فيه جهنم زفرة، فيجثوا العباد على ركبهم من شدة الرعب: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨].

يوم القيامة يوم عظيم، على الكافرين غير يسير، يشتد غضب الله فيه على كل جبار عنيد، وعلى كل مجرم وكافر ومشرك قل حياؤه من ربه حيث يقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩].
والنتيجة والنهاية: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٧].
فما أعظم ذلك اليوم: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود: ١٠٣].

يوم القيامة يوم عظيم تبيض فيه وجوه المؤمنين، وتسود وجوه الكافرين: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧].
والدنيا جعلها الله دار عمل وابتلاء وفناء، والآخرة دار جزاء وبقاء.

فجاء الشيطان ،وغر أكثر الخلق ،وزين لهم أن الدنيا دار تمتع وشهوات، والآخرة دار عفو ورحمة : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ: ٢٠].

وقال سبحانه : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٥-٦].

فالدنيا دار عمل وابتلاء والآخرة دار حساب وجزاء، فمن أحسن العمل فاز بأحسن الثواب : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ [الكهف: ٧-٨].

وقال عز وجل : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يونس: ٢٦-٢٧].

وقد خلق الله عز وجل للإنسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث دور .

دار الدنيا ، وبعد الموت الجنة للمؤمن والمطيع ، والنار للكافر والعاصي .

فدار الدنيا ملأها الله ابتلاءً . والجنة ملأها الله سعادة ، والنار ملأها الله شقاء .

فكل دار ملئت بمقصدها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢].

فكل أحوال الإنسان في الدنيا ابتلاء . الغنى ابتلاء، والفقر ابتلاء ،والصحة ابتلاء والمرض ابتلاء ، وهكذا : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء:٣٥].

فالدنيا كلها مشحونة بأنواع الابتلاء والمصائب والأمراض، لئلا يركن الناس إليها، وليعلم الله الصادق من الكاذب: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت:٢-٣].

والنار مملوءة بأنواع العذاب الأليم ،والعذاب العظيم ، والعذاب الكبير، والعذاب الشديد ، والعذاب المهين ،والعذاب المقيم : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤].

وقال سبحانه : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان:١٩].

والجنة ملأها الله بأنواع السعادات والملذات والشهوات والنعيم المقيم : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

وأهل النار مخلدون فيها أبدا الآباد : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة:٦].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبأ:٢١-٢٣].

وقال عز وجل عن أهل النار : ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ:٣٠].

وأما أهل الجنة فهم مخلدون فيها أبدا الآباد : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

ففي الجنة نعيم متواصل ، وأنس متواصل، وفرح مستمر، وصحة دائمة ، وأنواع الطعام اللذيذ متوفر، وأنواع الشراب متوفر ، وأصناف الفواكه واللحوم والأطعمة والأشربة كلها موجودة في الجنة بأحسن حلاوة ولذة وطعم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

وقال عز وجل : ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٦٨-٧٣].

أما النار ففيها هم متواصل ، وعذاب متواصل، وحزن متواصل ،وخوف متواصل وألم متواصل ،وشدة متواصلة ، وحسرة متواصلة : ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٨].

وفي النار جوع مستمر ،وعطش مستمر ، وبكاء متواصل ،وصراخ متواصل، وحرق متواصل ، وألم متواصل ، وإهانة متواصلة ، وبؤس متواصل : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأعراف:٤١].

وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف:٢٩].

وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر:٣٧].

والذي يسعد العبد في الدنيا ويشقيه هو أعماله : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم:٣٩-٤١].

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥].

ويوم القيامة يذكر العبد أعماله لا أحواله : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات: ٣٤ – ٤٦].

## ٧- فصل القضاء بين الخلائق

يجئ الله جل جلاله يوم القيامة لفصل القضاء ، فتشرق الأرض بنوره، وتؤجل الخلائق لهيبته وعظمته وجلاله كما قال سبحانه : ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣﴾ [الفجر:٢١-٢٣].

وقال الله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾ [الحاقة:١٣-١٨].

فإذا حشر الناس إلى ربهم يوم القيامة، وبلغ العناء منهم مبلغا عظيما ؛لشدة الهول والرعب، وصعوبة الموقف ، يرغب الناس إلى ربهم في أن يحكم فيهم ، ويفصل بينهم، فإذا طال موقفهم، وعظم كربهم ،ذهبوا إلى الأنبياء ؛ليشفعوا لهم عند ربهم، ليفصل بينهم : ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩﴾ [المرسلات:٣٥-٣٩].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ .

فَيأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.

فَيأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ. إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ. فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الحَدِيثِ. نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى.

فَيأْتُونَ، مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

فَيأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ

وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ .

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى». متفق عليه(١).

ثم يفصل الله بين النَّاس، فتعطى الكتب، وتوضع الموازين ،ويحاسب النَّاس، فآخذٌ كتابه بيمينه إلى الجنة ، وآخذٌ كتابه بشماله إلى النار : ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر:٧٥].

وقال الله عز وجل : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤)، واللفظ له.

## ٨- ما يجري للنَّاس في عرصات يوم القيامة

يمر الناس يوم القيامة بمواقف وأهوال عظيمة ؛ حيث يحاسبون على أعمالهم، وتوزن أعمالهم ، ويمرون بالحوض ، ويمرون على الصراط ، وتحصل الشفاعة وغير ذلك مما يجري في عرصات القيامة : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:٦-٨].

كيفية الحساب يوم القيامة .

الحساب هو أن يُوقِف الله عباده بين يديه ، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها ، ثم يجازيهم حسب أعمالهم، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيره والسيئة بمثلها : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

وقال عز وجل : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠].

كيفية أخذ الكتب يوم القيامة .

يُعْطَى كل واحد من النَّاس من أهل الموقف كتابا مكتوب فيه ما عمل من خير أو شر، فمنهم من يُعْطَى كتابه بيمينه، وهم السعداء ، ومنهم من يُعطَى كتابه بشماله من وراء ظهره، وهم الأشقياء : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق:٦-١٢].

وقال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧].

ما يُسْأَلُ عنه الناس يوم القيامة

سوف يسأل كل إنسان يوم القيامة عن أقواله ، وأعماله ، وجوارحه وأمواله ، وعن جميع أحواله، ثم يجازى بحسب ذلك : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: ٦٢].

وقال الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥].

وقال الله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وقال الله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال الله تعالى : ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٦-٧].

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاهُ». أخرجه الترمذي والدارمي[1].

وسوف يسأل كل إنسان في قبره من ربُّك ؟ ،وما دينك ؟ ،ومن نبيك ؟ فمن عرف ذلك أجاب، ومن لم يعرف ذلك لم يجب.

---

(1) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٧)، وهذا لفظه، وأخرجه الدارمي برقم (٥٤٣).

أما كيفية الحساب ، فالمحاسبون يوم القيامة صنفان :

الأول: المؤمن، يحُاسَبُ يوم القيامة حسابا يسيرا وهو العرض ؛ ليعرفَ فضل الله عليه في العفو والمغفرة .

عنْ عَائِشَةِ رضِي اللهُ عنْهَا أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ : «لَيْسَ أَحَدٌ يحُاسَبُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِلَّا هَلَكَ» فَقُلْتُ يَا رسُولَ الله أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق:٧-٨]؟ فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ : «إِنَّمَا ذَلِكَ العَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الحِسابَ يَومَ القِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ». متفق عليه[1].

وقال النبي ﷺ: «يُدْنَى المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ:أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ اليَومَ، فَيُعْطَى صَحِيْفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكُفَّارُ وَالمنَافِقُونَ فَيُنَادِي بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ». متفق عليه[2].

الثاني: الكافر يحُاسَب حسابا عسيرا ،ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة ،فإن صدق حوسب بما أقر به ،وإن حاول الكذب والكتمان ؛ فإنه يختم على فمه وتستنطق جوارحه كما قال سبحانه : ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾ [يس:٦٥].

أما المحاسبون من الأمم يوم القيامة

فأولاً: الحساب يوم القيامة عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي ﷺ وهم سبعون ألفا من هذه الأمة، يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٧٦).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١)، ومسلم برقم (٢٧٦٨)، واللفظ له.

ثانيا: الكفار يحاسبون، وتعرض عليهم أعمالهم يوم القيامة ؛توبيخا لهم ،وهم متفاوتون في العذاب ؛ فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن له حسنات يطعم بها في الدنيا عافية أو مالا أو رخاءً أو ولدا ،ويوم القيامة يدخل النار : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ثالثا: أول من يحاسب من الأمم يوم القيامة أمة محمد ﷺ وأول ما يحاسب عليه المسلم يوم القيامة من الأعمال الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله ،وأول ما يقضى بين الناس في الدماء .

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا في الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا في الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ في الدُّنْيَا، حَتَّى إذَا أَفْضَى إلَى الآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» . أخرجه مسلم[1].

فلا حظ لكافر في الآخرة : ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣].

وقال الله عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور:٣٩].

نصب الموازين يوم القيامة :

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٨).

توضع الموازين يوم القيامة لحساب الخلائق ، ويتقدم الناس واحدا واحدا للحساب، فيحاسبهم ربهم، ويسألهم عن أعمالهم ،فإذا تم الحساب كان بعده وزن الأعمال بالميزان، وهو ميزان حقيقي له كفتان : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقال الله تعالى : ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف:٨-٩].

وقال الله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة:٦-١١].

كيفية الوزن يوم القيامة

توزن أعمال العباد يوم القيامة من حسنات وسيئات، فمن رجحت حسناته فاز، ومن رجحت سيئاته هلك .

يوزن العامل ، وعمله ، وصحيفة عمله ؛ إظهاراً لعدل الله سبحانه بين جميع عباده، وأثقل شيء يوضع في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق : ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف:٨-٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيَأْتي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» وقال: «اقْرَؤُوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾». متفق عليه[1].

ويوم القيامة كُلٌ يرى عمله، فتُعْرض أعمال العبد عليه يوم القيامة، ويرى المرء عمله وهو يباشره، صغيرا كان أو كبيرا، خيرا كان أو شرا، ظاهرا كان أو باطنا، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٦-٨].

حكم الأطفال يوم القيامة:

أطفال المؤمنين يدخلون الجنَّة كما يدخلها الكبار، على صورة أبيهم آدم ﷺ، وكذلك أطفال المشركين، ويتزوجون كما يتزوج الكبار؛ فضلا من الله ورحمة، فليس في الجنة أعزب، ومن لم يتزوج من النساء والرجال، فإنه يتزوج في الآخرة: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس:٥٥-٥٦].

الشفاعة يوم القيامة:

الشفاعة هي طلب العون والخير للغير، والشفاعة يوم القيامة قسمان

الأول: شفاعة خاصة بالنبي ﷺ وهي ست شفاعات:

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٢٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٨٥).

الأولى: شفاعته ﷺ العظمى في أهل الموقف ؛ليقضي الله بينهم، فيشفع فيهم ويقضي الله بينهم، وهي المقام المحمود له كما قال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء:٧٩].

الثانية: شفاعته ﷺ في أناس من أمته ،فيدخلون الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفا ، حيث يقول الله له، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن كما سبق .

الثالثة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة .

الرابعة: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم .

الخامسة: شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه.

السادسة: شفاعته ﷺ أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة.

الثاني: شفاعة عامه للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين، وهي الشفاعة فيمن استحق النار من المسلمين أن لا يدخلها ،وفي من دخلها أن يخرج منها كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم:٢٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً» . متفق عليه[1].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٤)، ومسلم برقم (١٩٩)، واللفظ له.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُشفَّعُ الشَّهِيْدُ في سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ». أخرجه أبو داود[١].

ويشترط لهذه الشفاعة شرطان:

الأول: إذن الله سبحانه بالشفاعة كما قال الله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۝٢٥٥﴾ [البقرة:٢٥٥].

الثاني: رضا الله سبحانه عن الشافع والمشفوع له كما قال سبحانه: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النجم:٢٦].

والكافر لا شفاعة له؛ فهو مخلد في النار، لا يدخل الجنة أبداً، ولو فرض أن أحدا شفع له لم تنفعه الشفاعة كما قال سبحانه عن المجرمين: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر:٤٨].

فمن أراد شفاعة النبي ﷺ فليطلبها من الله عز وجل كأن يقول اللهم أرزقني شفاعة نبيك محمد ﷺ، ويتبع ذلك بالعمل الصالح الموجب لها من إخلاص العبادة لله وحده، والصلاة على النبي ﷺ وسؤال الوسيلة له.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ». أخرجه البخاري[٢].

صفة حوض النبي ﷺ يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر:٣].

---

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٢٥٢٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٩٩).

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «حَوْضِي مَسِيْرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيْحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلا يَظْمَأُ أَبداً» . متفق عليه(١).

وفي لفظ: «عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ». أخرجه مسلم(٢).

وعن أبي حاتم عنه رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ حوضي أبعد من أيلة من عدنٍ، لهو أشدُّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، ولآنيتُهُ أكثر من عدد النجوم، وإنِّي لأصدُّ الناس عنه كما يصدُّ الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا يا رسولَ الله أتعرفنا يومئذٍ. قال: نعم، لكم سيما ليست لأحدٍ من الأمم، تردون عليَّ غُرّاً مَحجَّلين من أثر الوضوء.

وفي لفظ عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل» أخرجه مسلم (٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ قَدْرَ حَوضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ اليَمَنِ، وَإنَّ فيْهِ مِنَ الأَبَارِيق كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ». متفق عليه(٤).

من يطرد عن حوض النبي ﷺ يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « يَرِدُ عَلَيَّ يومَ القِيامَةِ رَهْطٌ مِن أَصْحابِي، فيُحَلَّؤُونَ عَنِ الحَوْضِ، فأَقُولُ: يا رَبِّ، أَصْحابِي! فيَقولُ:

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٩٢).

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٣٠٠) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٤٧).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٨٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٠٣).

إنَّكَ لا عِلْمَ لكَ بما أحْدَثُوا بَعْدَكَ؛ إنَّهُمُ ارْتَدُّوا على أدْبارِهِمُ القَهْقَرَى »
أخرجه البخاري [1].

والرهط من ثلاثة إلى عشرة .

ما يمر الناس عليه يوم القيامة .

يمر الناس يوم القيامة على الصراط ، والصراط هو الجسر المنصوب على ظهر جهنم، يعبر المسلمون عليه إلى الجنة .

والذين يمرون على الصراط هم المسلمون فقط ،أما الكفار والمشركون فتتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا من الأصنام والشياطين ونحوهما من الآلهة الباطلة، فترد النار مع معبودها أولا ، ولا تمر على الصراط ، ثم يبقى بعد ذلك من كان يعبد الله وحده في الظاهر، سواء كان صادقا أو منافقا.

وهؤلاء الذين ينصب لهم الصراط ،ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم عن السجود ،والنور الذي يعم المؤمنين فقط، فيعود المنافقون إلى الوراء إلى النار ،ويعبر المؤمنون الصراط إلى الجنة : ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد:١٢-١٥].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٨٥).

ويكون المرور على الصراط بعد الحساب ، ووزن الأعمال، والفراغ منها ، ثم يضطر الناس إلى المرور على الصراط كما قال سبحانه : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

صفة الصراط والمرور عليه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديث الرؤية وصفة الصراط وفيه .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، في جملة حديث طويل عن النبي ﷺ: «ثُمَّ يُؤْتَى بِالجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قال: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاليبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفة، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً» متفق عليه(١).

أول من يعبر الصراط :

أول من يعبر الصراط محمد ﷺ وأمته، ولا يعبر الصراط إلا المؤمنون ،فيعطون نورهم على قدر إيمانهم وأعمالهم ،ثم يمرون على الصراط بحسب ذلك .

ومن سار على الصراط المستقيم في الدنيا، سار عليه بحسب عمله يوم القيامة ، فتكون سرعته وبطؤه حسب إيمانه وأعماله ، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جَنبَتي الصراط يمينا وشمالا، ودعوة الرسل يومئذ «اللهم سلم سلم ).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حديث الرؤية: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيِ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إلا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». متفق عليه[1].

ماذا يكون للمؤمنين بعد عبورهم الصراط ؟

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْلُصُ المؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فيُقْتَصُّ لبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ في الدُّنْيَا، حَتّى إذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ في دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ في الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ في الدُّنْيا». أخرجه البخاري[2].

---

([1]) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.

([2]) **أخرجه البخاري** برقم (٦٥٣٥).

# ٩ - دار القـرار

**مراحل حياة الإنسان:**

الإنسان يركب طبقاً بعد طبق ، وينتقل من محل إلى محل ،ومن طور إلى طور ، خلقه الله أولا من التراب ،ثم انتقل من أصل التراب إلى أصل النطفة ،ثم إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم إلى العظام ثم كسا الله العظام لحما ،ثم أنشأه الله خلقا آخر، ثم أخرجه إلى الدنيا، ثم ينتقل بالموت إلى القبر، ثم يحييه الله، ويسوقه إلى المحشر، ثم إلى دار القرار، في الجنة أو النار : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[المؤمنون:١٢-١٦].

وقال الله تعالى : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾[الانشقاق:١٩].

فالدنيا دار الإيمان والعمل والابتلاء ،والآخرة دار الجزاء والحساب، والثواب والعقاب: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٩].

لكن لا ينقطع العمل والسؤال يوم القيامة إلا بعد دخول دار القرار، في الجنة أو النار، أما في البرزخ وعرصات القيامة فلا ينقطع ذلك، كسؤال الملكين الميت في قبره، ودعوة الخلائق إلى السجود لله يوم القيامة، وامتحان المجانين،

ومن مات في الفترة، ثم يحكم الله بين العباد حسب إيمانهم وأعمالهم، ثم يصيرون إلى فريقين، فريق في الجنة، وفريق في السعير: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى:٧].

وقال الله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الحج:٥٦-٥٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم:١٤-١٦].

# ١٠ - صِفة الجنّة

الجنة: هي دار السلام التي أعدها الله للمؤمنين والمؤمنات في الآخرة.

وسيكون الحديث عن الجنة إن شاء الله تعالى من كتاب مَنْ خلقها، وخلق نعيمها، وخلق أهلها وهو الله عز وجل، ومن حديث من دخلها، ووطئت أقدامه أرضها وهو محمد ﷺ.

وإليك بيان ذلك بالتفصيل في ضوء القرآن الكريم، والسنة الصحيحة.

**أشهر أسماء الجنة:**

الجنة واحدة في الذات، متعددة الصفات، ومن أشهر أسمائها:

١ - الجنة: قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء/ ١٣].

٢ - جنات الفردوس: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف/ ١٠٧].

٣ - جنات عدن: قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص/ ٤٩-٥٠].

٤ - جنة الخلد: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الفرقان/ ١٥].

٥ - جنات النعيم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [لقمان/ ٨].

٦ - جنات المأوى: قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ

﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [السجدة/ ١٨-١٩].

٧- دار السلام : قال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

**مكان الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات/ ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم/ ١٣-١٥].

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، هَاجَرَ في سَبِيلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ في أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا نُنَبِّئُ النَّاسَ بذَلِكَ؟ قال: «إنَّ في الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنهَارُ الجَنَّةِ». أخرجه البخاري[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ المؤْمِنَ إذَا حَضَرَهُ المَوْتُ حَضَرَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ جُعِلَتْ في حَرِيرَةٍ بَيْضَاء، فَيُنْطَلَقُ بِهَا إلى بَابِ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: مَا وَجَدْنَا رِيحاً أَطْيَبَ مِنْ هَذِهِ..». أخرجه الحاكم وابن حبان[٢].

---

(١) **أخرجه البخاري** برقم (٧٤٢٣).

(٢) **صحيح** / أخرجه الحاكم برقم (١٣٠٤)، وأخرجه ابن حبان برقم (٣٠١٣).

**أسماء أبواب الجنة:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيْلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابَ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ». فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على مَنْ دُعِيَ من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نَعَمْ؛ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ». متفق عليه(١).

**سعة أبواب الجنة:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتيَ رسول الله ﷺ يوماً بلحم... – وفي آخره قال–: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى». متفق عليه(٢).

وعن عتبة بن غزوان رضي الله عنه قال: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيْرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيْظٌ مِنَ الزِّحَامِ. أخرجه مسلم(٣).

**عدد أبواب الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص/ ٤٩–٥٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر/ ٧٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٨٩٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٢٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٩٦٧).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيْهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّان، لا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ». متفق عليه[١].

**الأوقات التي تُفتح فيها أبواب الجنة في الدنيا:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَومَ الإِثْنَيْنِ، ويَومَ الخَمِيْسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، إلا رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا -ثَلاثاً-». أخرجه مسلم[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ». متفق عليه[٣].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ (أَوْ فَيُسْبِغُ) الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، إلا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ». أخرجه مسلم[٤].

**أول من يدخل الجنة:**

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَومَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ». أخرجه مسلم[٥].

**أول أمة تدخل الجنة:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١١٥٢).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٥).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٧٩).
(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٣٤).
(٥) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).

يَومَ القِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ». متفق عليه(١).

**صفات أول زمرة يدخلون الجنة:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ إضَاءَةً، لا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتْفِلُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً في السَّمَاءِ». متفق عليه(٢).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُون أَلْفاً أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ مُتَمَاسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، لا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ». متفق عليه(٣).

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِيْنَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَومَ القِيَامَةِ إلَى الجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً». أخرجه مسلم(٤).

**سن أهل الجنة:**

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْداً مُرْداً مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلاثِينَ، أَوْ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ سَنَةً». أخرجه أحمد والترمذي(٥).

**صفات وجوه أهل الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦)، ومسلم برقم (٨٥٥)، واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٣)، ومسلم برقم (٢١٩)، واللفظ له.

(٤) **أخرجه مسلم** برقم (٢٩٧٩).

(٥) **حسن** / أخرجه أحمد برقم (٧٩٢٠)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٤٥)، وهذا لفظه.

﴿ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين/ ٢٢-٢٤].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ﴿٨﴾ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿١٠﴾﴾ [الغاشية/ ٨-١٠].

وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس/ ٣٨-٣٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٧].

٦ - وقال الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان/ ١١].

٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلا تَحَاسُدَ». متفق عليه(١).

**صفة استقبال أهل الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر/ ٧٣].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد/ ٢٣-٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٣].

**مَنْ يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَجِدُ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

النَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنظَرْتُ فَإذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، هَؤُلاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لا، وَلَكِن انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإذَا سَوادٌ كَثِيرٌ. قَالَ: هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفاً قُدَّامَهُمْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا عَذَابَ. قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لا يَكْتَوونَ، ولا يَسْتَرْقونَ، وَلا يَتَطيَّرون، وَعَلَى رَبِّهِمْ يتوكَّلُونَ». متفق عليه[1].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَعَدَنِي رَبِّي سُبْحَانَهُ أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلفاً، وَثَلاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ». أخرجه الترمذي وابن ماجه[2].

**صفات أرض الجنة وبنائها:**

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما عُرج به إلى السماء قال: «... ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى بِي السِّدْرَةَ المنتهَى، فَغَشِيَهَا أَلوَانٌ لا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإذَا فيْهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإذَا تُرابُها المِسْكُ». متفق عليه[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله... الجنة ما بناؤها؟ قال: «لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِلاطُهَا المِسْكُ الأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَاليَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلا يَبْأَسُ، وَيُخَلَّدُ وَلا يَمُوتُ، لا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلا يَفْنَى شَبَابُهُمْ». أخرجه الترمذي والدارمي[4].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة؟ فقال: «دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ، مِسْكٌ خَالِصٌ». أخرجه مسلم[5].

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٠).

(2) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٤٣٧)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٨٦)، وهذا لفظه.

(3) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٣).

(4) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٥٢٦)، وهذا لفظه، وأخرجه الدارمي برقم (٢٧١٧).

(5) **أخرجه مسلم** برقم (٢٩٢٨).

**صفات خيام أهل الجنة:**

١ - قال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن/ ٧٢].

وعن عبدالله بن قيس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ في الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المؤمِنُ، فَلا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً». متفق عليه(١).

**سوق الجنة:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ في الجَنَّةِ لَسُوقاً يَأْتونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو في وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً». أخرجه مسلم(٢).

**قصور الجنة:**

خلق الله عز وجل داخل مساكن وقصور الجنة كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

**تفاضل أهل الجنة في القصور:**

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان/ ٢٠].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٧٩)، ومسلم برقم (٢٨٣٨)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٣).

لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ المشْرِقِ أَوِ المغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ». متفق عليه(١).

**صفة غرف أهل الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [العنكبوت/ ٥٨].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر/ ٢٠].

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفاً تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا» فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الكَلامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلى للهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ». أخرجه أحمد والترمذي(٢).

**صفة فُرش أهل الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ﴾ [الرحمن/ ٥٤].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الواقعة/ ٣٤].

**صفة البسط والنمارق:**

قال الله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية/ ١٥-١٦].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن/ ٧٦].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٦)، ومسلم برقم (٢٨٣١)، واللفظ له.

(٢) **حسن** / أخرجه أحمد برقم (١٣٣٨)، وأخرجه الترمذي برقم (١٩٨٤).

«النمارق» الوسائد، «الزرابي» البسط.

**أرائك الجنة:**

وهي الأسِرَّة عليها الكُلَل، أو الكراسي ذات الوسائد.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين/ ٢٢-٢٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان/ ١٣].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس/ ٥٥-٥٦].

**صفة سُرر أهل الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر/ ٤٧].

وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الطور/ ٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة/ ١٥-١٦].

وقال الله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الغاشية/ ١٣].

**صفات أواني أهل الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة/ ١٧-١٨].

وقال الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف/ ٧١].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ [الإنسان/ ١٥-١٧].

وعن عبدالله بن قيس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَومِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلا رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ». متفق عليه(١).

## صفات حلي أهل الجنة ولباسهم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣﴾ [الحج/ ٢٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٣١﴾ [الكهف/ ٣١].

٣- وقال الله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢﴾ [الإنسان/ ٢١-٢٢].

## أول من يُكسى في الجنة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «..إِنَّ أَوَّلَ الخَلائِقِ يُكْسَى يَومَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيْمُ الخَلِيْلُ». أخرجه البخاري(٢).

## صفات خدم أهل الجنة:

قال الله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨﴾ [الواقعة/ ١٧-١٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩﴾ [الإنسان/ ١٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤﴾ [الطور/ ٢٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٤)، ومسلم برقم (١٨٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٦).

**أول طعام يأكله أهل الجنة:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عبدالله بن سلام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ ما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ فقال: «زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ». أخرجه البخاري(١).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حَبر من أحبار اليهود... -وفيه-: فقال اليهودي.. فَمَنْ أول الناس إجازة؟ قال: «فُقَرَاءُ المهَاجِرِينَ» قال اليهودي: فما تُحْفَتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ» فقال فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَورُ الجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «مِنْ عَيْنٍ فِيْهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً». أخرجه مسلم(٢).

**صفات طعام أهل الجنة:**

١ - قال الله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١﴾ [الزخرف/ ٧٠-٧١].

وقال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ﴾ [الرعد/ ٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾ [الواقعة/ ٢٠-٢١].

وقال الله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة/ ٢٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تَكُونُ الأَرْضُ يَومَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَؤُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ في السَّفَرِ نُزُلاً لأَهْلِ الجَنَّةِ».

-وفيه- فأتى رجل من اليهود... فقال: أَلا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قال: إِدَامُهُمْ بَالامٌ وَنُونٌ،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣١٥).

قالوا: وما هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفاً. متفق عليه[1].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيْهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفِلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ المسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيْحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ». أخرجه مسلم[2].

وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله، أسمعك تذكر شجرة في الجنة لا أعلم في الدنيا شجرة أكثر شوكاً منها -يعني الطلح-، فقال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ يَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ مِثْلَ خِصْيَةِ التَّيْسِ المَلْبُودِ -يعني المخصي- فِيهَا سَبْعُونَ لَوْناً مِنَ الطَّعَامِ لا يُشْبِهُ لَوْنُهُ لَوْنَ الآخَرِ». أخرجه الطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين[3].

**صفات شراب أهل الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان/ ٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧﴾ [الإنسان/ ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين/ ٢٥-٢٨].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ في الجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ». أخرجه الترمذي وابن ماجه[4].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٩٢).

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٨٣٥).

(٣) **صحيح** / أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ١٣٠) وفي مسند الشاميين (١/ ٢٨٢).

(٤) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٣٣٦١)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٣٤).

**صفات أشجار الجنة وثمارها:**

قال الله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان/ ١٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [المرسلات/ ٤١-٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [ص/ ٥١].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [محمد/ ١٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾﴾ [النبأ/ ٣١-٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن/ ٥٢، ٦٨].

وقال الله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان/ ٥٥].

٨- وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة/ ٢٧-٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة/ ٢٢-٢٤].

وعن مالك بن صعصعة رضي الله عنه في قصة المعراج - وفيه -: أن النبي ﷺ قال: «وَرُفِعَتْ لي سِدْرَةُ المنتهى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنهُ قِلالُ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا كَأَنهُ آذَانُ الفُيُولِ، في أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَفِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالفُرَاتُ». متفق عليه[١].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ في الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٢).

الرَّاكِبُ الجَوادَ أَو المضَمَّرَ السَّرِيعَ مائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا». متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما في الجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ». أخرجه الترمذي[2].

**صفات أنهار الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج/ ١١].

٢ – وقال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمد/ ١٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤ – ٥٥].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنا أَسيرُ في الجَنَّةِ إِذَا أَنا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإذَا طِيبُهُ، أَوْ طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ». أخرجه البخاري[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ، وَالفُرَاتُ وَالنِّيلُ، كُلٌّ مِنْ أَنهارِ الجَنَّةِ». أخرجه مسلم[4].

**صفة عيون الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر/ ٤٥].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٥٣)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٨).
(٢) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٥٢٥).
(٣) أخرجه **البخاري** برقم (٦٥٨١).
(٤) أخرجه **مسلم** برقم (٢٨٣٩).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان/ ٥-٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين/ ٢٧-٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾، ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦﴾ [الرحمن/ ٥٠، ٦٦].

٥ - وقال الله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان/ ١٧-١٨].

## صفات نساء أهل الجنة:

قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝١٥﴾ [آل عمران/ ١٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٠﴾ [الواقعة/ ٣٤-٤٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩﴾ [الصافات/ ٤٨-٤٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ [الواقعة/ ٢٢-٢٤].

٥ - وقال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمن/ ٥٦-٥٨].

٦ - وقال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن/ ٧٠-٧٢].

٧ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَرَوْحَةٌ في سَبِيلِ اللهِ أَوْ

غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قِيْدٍ -يَعْني سَوْطَهُ- خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إلى أَهْلِ الأَرْضِ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلملأَتْهُ رِيحاً، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فيهَا». متفق عليه[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا في الجَنَّةِ أَعْزَبٌ». متفق عليه[٢].

**عطور وروائح الجنة:**

وذلك يختلف باختلاف الأشخاص، وتفاوت منازلهم، ودرجاتهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«إنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لا يَبُولُونَ وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتْفِلُونَ وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ -الأَلَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ- وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعاً في السَّمَاءِ». متفق عليه[٣].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً». أخرجه البخاري[٤].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٨٠).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٦)، ومسلم برقم (٢٨٣٤)، واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٤) **أخرجه البخاري** برقم (٣١٦٦).

وفي لفظٍ: «وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفاً». أخرجه الترمذي وابن ماجه[١].

**غناء أزواج أهل الجنة:**

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطّ، إِنّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ خَيرُ الحِسَانِ، أَزْوَاجُ قَومٍ كِرَامٍ، يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ، وَإِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلا يَمُتْنَهْ، نَحْنُ الآمِنَاتُ فَلا يَخَفْنَهْ، نَحْنُ المقيمَاتُ فَلا يَظْعَنَّهْ». أخرجه الطبراني في الأوسط[٢].

**جماع أهل الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس/ ٥٥-٥٦].

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالشَّهْوَةِ وَالجِمَاعِ»، فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال رسول الله ﷺ: «حَاجَةُ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ، فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمِرَ». أخرجه الطبراني والدارمي[٣].

**دوام نعيم أهل الجنة:**

١ - قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد/ ٣٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أَبداً، وَإِنّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فلا تَمُوتُوا أَبداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أَبداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبداً» فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن

---

(١) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (١٤٠٣)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٢٦٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) **صحيح** / أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٩١٧).
(٣) **صحيح** / أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥/ ١٧٨)، وهذا لفظه، وأخرجه الدارمي برقم (٢٧٢١).

﴿تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾. أخرجه مسلم(1).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: هل ينام أهل الجنة؟ قال: «لا، النَّوْمُ أَخُو المَوْتِ». أخرجه البزار(2).

**درجات الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١﴾ [الإسراء/ ٢١].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه/ ٧٥-٧٦].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٤﴾ [الواقعة/ ١٠-١٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ»، أُراه قال: «وَفَوقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنهارُ الجَنَّةِ». أخرجه البخاري(3).

**رفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل:**

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾ [الطور/ ٢١].

---

(1) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٧).
(2) صحيح / أخرجه البزار -كشف الأستار- برقم (٣٥١٧).
(3) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠).

**صفة ظل الجنة:**

١ - قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ [النساء/ ٥٧].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠﴾ [الواقعة/ ٢٧-٣٠].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ١٤﴾ [الإنسان/ ١٣-١٤].

وقال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾ [الرعد/ ٣٥].

**علو الجنة وسعتها:**

قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ١١﴾ [الغاشية/ ٨-١١].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران/ ١٣٣].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

**أعلى منزلة في الجنة:**

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ المؤذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ، فَإِنها مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لا تَنْبَغِي

إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ». أخرجه مسلم[1].

**أعلى أهل الجنة منزلة، وأدناهم منزلة:**

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، فَقَالَ في الخَامِسَةِ رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ فَأَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُّ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٖ﴾. أخرجه مسلم[2].

وفي لفظ في بيان أدنى أهل الجنة منزلة: «فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا». متفق عليه[3].

**أعظم نعيم أهل الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدْنٖۚ وَرِضْوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة/ ٧٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٨٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧١)، ومسلم برقم (١٨٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟». قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هَلْ تُضَارُّونَ في الشَّمْسِ لَيْسَ دُوْنَهَا سَحَابٌ؟». قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ». متفق عليه[1].

وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيْدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ». أخرجه مسلم[2].

**صفات نعيم الجنة:**

١ - قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف/ ٦٩-٧٣].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان/ ٥١-٥٦].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨١).

بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴿١٨﴾ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان/ ١٢-٢٢].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-٢٦].

٥ - وقال الله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة/ ٢٧-٤٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قَال اللهُ عَزّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُّ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». مصداق ذلك في كتاب الله ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾. متفق عليه[1].

---

([1]) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤)، ومسلم برقم (٢٨٢٤)، واللفظ له.

## ذِكْرُ وكلام أهل الجنة:

١ - قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٧٣-٧٤].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس/ ٩-١٠].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الواقعة/ ٢٥-٢٦].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ : «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ ». أخرجه مسلم[1].

## سلام الرب على أهل الجنة:

١ - قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤٣-٤٤].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس/ ٥٧-٥٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٥).

**أفضل عطاء من الرب في الجنة:**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبداً». متفق عليه[1].

**مقدار أمة محمد ﷺ في الجنة:**

أكرم الله تعالى هذه الأمة بأن جعلها شطر أهل الجنة، ثم تفضل عليهم بالزيادة إلى الثلثين.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في قُبَّةٍ فقال: «أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قلنا نعم قال: «أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قلنا نعم، قال: «أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قلنا: نعم، قال: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّورِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّورِ الأَحْمَرِ». متفق عليه[2].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ». أخرجه الترمذي وابن ماجه[3].

**صفات أهل الجنة:**

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٩)، ومسلم برقم (٢٨٢٩)، واللفظ له.

(2) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢١).

(3) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٥٤٦)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٨٩).

خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ [البقرة/ ٨٢].

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «.. وَأَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ». أخرجه مسلم(١).

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟» قالوا: بَلَى، قال ﷺ: «كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَو أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ». متفق عليه(٢).

**سلامة صدور أهل الجنة:**

١ - قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف/ ٤٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْلُصُ المؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ في الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ في دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ في الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ في الدُّنْيا». أخرجه البخاري(٣).

**أكثر أهل الجنة:**

عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم برقم (٢٨٥٣)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٥).

أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ في النَّارِ فَرَأَيتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ». متفق عليه[1].

**آخر من يدخل الجنة:**

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنَ النَّارِ: رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْواً، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رَبِّ، الجَنَّةُ مَلأى، فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَكُلَّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيهِ: الجَنَّةُ مَلأى، فَيَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مِرَارٍ». متفق عليه[2].

**خلود أهل الجنة في الجنة:**

١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينة/ ٧-٨].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة/ ١٠٠].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالموتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحاً إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إِلَى حُزْنِهِمْ». متفق عليه[3].

اللهم ارض عنا وعن والدينا وأهلينا والمسلمين أجمعين، وأدخلنا برحمتك في جنات النعيم يا أكرم الأكرمين، يا رب العالمين .

---

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٣٧).

(2) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٥١١)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٦).

(3) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٥٠).

# ١١- صفة النَّار

النار: هي دار العذاب التي أعدها الله للكافرين والمشركين والمنافقين والعصاة في الآخرة.

وسيكون الحديث إن شاء الله عن النار على ضوء ما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

**أشهر أسماء النار:**

النار واحدة في الذات، متعددة الصفات، ومن أشهر أسمائها:

١- النار: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٤﴾ [النساء/ ١٤].

٢- جهنم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [النساء/ ١٤٠].

٣- الجحيم: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ١٠﴾ [المائدة/ ١٠].

٤- السعير: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ٦٤﴾ [الأحزاب/ ٦٤].

٥- سقر: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ٤٨﴾ [القمر/ ٤٨].

٦- الحطمة: قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٦﴾ [الهمزة/ ٤-٦].

٧- لظى: قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧﴾ [المعارج/ ١٥-١٧].

٨- دار البوار: قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ

ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم/ ٢٨-٢٩].

**مكان النار:**

١ - قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾﴾ [المطففين/ ٧].

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «... وَأَمَّا الكَافِرُ فَإِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ وَذُهِبَ بِهَا إِلَى بَابِ الأَرْضِ يَقُولُ خَزَنَةُ الأَرْضِ: مَا وَجَدْنَا رِيحاً أَنْتَنَ مِنْ هَذِهِ، فتَبْلُغُ بِهَا إِلى الأَرْضِ السُّفْلَى». أخرجه الحاكم وابن حبان(١).

**صفات وجوه أهل النار:**

١ - قال الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر/ ٦٠].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس/ ٤٠-٤٢].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۢ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة/ ٢٤-٢٥].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ﴿٣﴾ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ﴿٤﴾﴾ [الغاشية/ ٢-٤].

٥ - وقال الله تعالى: ﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون/ ١٠٤].

**عدد أبواب النار:**

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر/ ٤٣-٤٤].

**أبواب النار مغلقة على أهلها:**

---

(١) **صحيح** / أخرجه الحاكم برقم (١٣٠٤)، وأخرجه ابن حبان برقم (٣٠١٣).

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة/ ٤-٩].

**مجيء النار في عرصات القيامة:**

١ - قال الله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء/ ٩١].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر/ ٢١-٢٣].

٣ - وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا». أخرجه مسلم[١].

**ورود النار:**

١ - قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم/ ٧١-٧٢].

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة .. - وفيه - فقال: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ». متفق عليه[٢].

**قعر النار:**

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وَجْبَةً، فقال النبي ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.

بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا». أخرجه مسلم(١).

٢- وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ». أخرجه مسلم(٢).

**صفات أبدان أهل النار:**

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضِرْسُ الكَافِرِ أَوْ نَابُ الكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ». أخرجه مسلم(٣).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَي الكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أَيامٍ لِلرَّاكِبِ المُسْرِعِ». متفق عليه(٤).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ضِرْسُ الكَافِرِ يَومَ القِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً، وَعَضُدُه مِثْلُ البَيْضَاءِ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرِقَانٍ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَا بَيْنِي وَبَينَ الرَّبَذَةِ». أخرجه أحمد والحاكم(٥).

**قوة حرارة النار:**

١- قال الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء/ ٩٧-٩٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٥١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٥١)، ومسلم برقم (٥٢)، واللفظ له.

(٥) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٣٢٧) وأخرجه الحاكم برقم (٨٧٥٩)، وهذا لفظه.

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: «فَإنها فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً كُلُّها مِثْلُ حَرِّهَا». متفق عليه[١].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إلى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَينِ، نَفَسٍ في الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ في الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِير». متفق عليه[٢].

**وقود النار:**

١- قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم/ ٦].

٢- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾ [الأنبياء/ ٩٨].

**دركات النار:**

النار دركات بعضها أسفل من بعض، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار؛ لغلظ كفرهم، وتمكُّنهم من أذى المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء/ ١٤٥].

**صفة ظل النار:**

١- قال الله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤﴾ [الواقعة/ ٤١-٤٤].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥)، ومسلم برقم (٢٨٤٣)، واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٦١٧).

٢- وقال الله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر/ ١٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ [المرسلات/ ٣٠-٣١].

**خزنة النار:**

١- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر/ ٤٩-٥٠].

٢- وقال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر/ ٢٦-٣١].

٣- ومالك خازن النار كما قال سبحانه: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف/ ٧٧-٧٨].

**بعث النار:**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقولُ اللهُ تَعالَى: يا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبيكَ وَسَعْدَيْكَ، والخير في يَدَيْكَ، فيَقُولُ: أَخرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلفٍ تِسْعمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَه يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيُّنا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأجُوجَ أَلفٌ». متفق عليه(١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٢).

**كيفية دخول أهل النار النار:**

١ - قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ (٧١) قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)﴾ [الزمر/ ٧١-٧٢].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ (٤١)﴾ [الرحمن/ ٤١].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا (١٢) وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا (١٣) لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا (١٤)﴾ [الفرقان/ ١١-١٤].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ (٤) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ (٥) نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ (٦)﴾ [الهمزة/ ٤-٦].

٥ - وقال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ (١٥) ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (١٦)﴾ [الطور/ ١٣-١٦].

٦ - وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ (٥٠)﴾ [إبراهيم/ ٤٩-٥٠].

٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يومَ القِيَامَةِ، لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرانِ، وَأُذُنانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يقُولُ: إنِّي وُكِّلْتُ

بِثلاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ، وَبِالمصَوِّرِينَ». أخرجه أحمد والترمذي(1).

**أول مَنْ تُسَعَّر بهم النار:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتيَ بِهِ فَعَرَّفَه نِعمَهُ فَعرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟، قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُّ، قَالَ كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتّى أُلْقِيَ في النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرآنَ، فَأُتيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعمَهُ فَعرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرأتَ القُرآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ، فَأُتيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعمَهُ فَعرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إلا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ». أخرجه مسلم(2).

**صفات أهل النار:**

1 - قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ [البقرة/ 39].

---

(1) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (8411)، وأخرجه الترمذي برقم (2574) وهذا لفظه.

(2) **أخرجه مسلم** برقم (1905).

٢- و قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٦٨].

٣- وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ [ البينة/ ٦] .

٤- وعن عياض رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «..وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعاً لا يَتْبَعُونَ أَهْلاً وَلا مَالاً، وَالخَائِنُ الَّذِي لا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إلا خَانَهُ، وَرَجُل لا يُصْبِحُ وَلا يُمْسِي إلا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ» وذكر البخل أو الكذب «والشِّنْظِيرُ الفَحَّاشُ». أخرجه مسلم(١).

## أكثر أهل النار:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ : « أُرِيتُ النَّارَ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيكفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيئاً، قَالَتْ مَا رَأَيتُ مِنْكَ خَيراً قَطُّ» . متفق عليه(٢).

٢- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الجَنَّةِ النِّسَاءُ » . أخرجه مسلم(٣).

## أشد أهل النار عذاباً:

١- قال الله تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ ق/ ٢٤-٢٦].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٥).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٠٧).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٨).

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر/ ٤٥-٤٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل/ ٨٨].

٤- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء/ ١٤٥-١٤٦].

٥- وقال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ [مريم/ ٦٨-٧٠].

٦- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يومَ القِيامَةِ المصَوِّرُونَ». متفق عليه[١].

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَومَ القِيامَةِ، لَهَا عينَانِ تُبصِرانِ، وَأُذنانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ، وَبِالمصَوِّرِينَ». أخرجه أحمد والترمذي[٢].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم برقم (٢١٠٩)، واللفظ له.

(٢) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٨٤١١)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٧٤)، وهذا لفظه.

٨- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يومَ القِيَامَةِ رَجُلٌ قَتلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيّاً، وَإِمَامُ ضَلالَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ المُمَثِّلِينَ». أخرجه أحمد[١].

## أهون أهل النار عذاباً:

١- عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يومَ القِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ بِالقُمْقُمِ». متفق عليه[٢].

٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ -وَذُكِرَ عنده عمه أبو طالب- فقال: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يومَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ في ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ». متفق عليه[٣].

## توبيخ أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [المائدة/ ٣٦].

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَومَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا في الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُّ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنتَ في صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي». متفق عليه[٤].

---

(١) **جيد**/ أخرجه أحمد برقم (٣٨٦٨).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٣).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٠).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٠٥).

٣- وعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُؤتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا والله يَا رَبِّ.

وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا والله يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ». أخرجه مسلم(١).

## سلاسل جهنم وأغلالها:

١ – قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان/ ٤].

٢ – وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر/ ٧٠-٧٢].

٣– وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل/ ١٢-١٣].

٤ – وقال الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ [ الحاقة/ ٣٠- ٣٤].

## صفات طعام أهل النار:

١ – قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان/ ٤٣-٤٦].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٧).

٢ - وقال الله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ٦٨﴾ [الصافات/ ٦٢-٦٨].

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧﴾ [الغاشية/ ٦-٧].

٤- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧﴾ [الحاقة/ ٣٣-٣٧].

## صفات شراب أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾ [إبراهيم/ ١٥-١٧].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥﴾ [محمد/ ١٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩﴾ [الكهف/ ٢٩].

٤- وقال الله تعالى: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ٥٨﴾ [ص/ ٥٥-٥٨].

## صفات ثياب أهل النار:

١ - قال الله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ ﴾ [الحج/ ١٩-٢٠].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠ ﴾ [إبراهيم/ ٤٩-٥٠].

## فُرش أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١ ﴾ [الأعراف/ ٤٠-٤١].

## حسرة أهل النار:

١ - قال الله تعالى: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١ ﴾ [الأنعام/ ٣١].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧ ﴾ [البقرة/ ١٦٦-١٦٧].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩ ﴾ [الفرقان/ ٢٧-٢٩].

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يَدْخُلُ أَحَدٌ الجَنَّةَ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ؛ لِيَزْدَادَ شُكْراً، وَلا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إلا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ لَو أَحْسَنَ؛ لِيَكُونَ عَلَيهِ حَسْرَةً». أخرجه البخاري(١).

٥ - وعَنْ أنسٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا في الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قال: نَعَمْ، قال: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأنتَ في صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لا تُشْرِكَ بي، فأَبَيتَ إِلَّا الشِّرْكَ». متفق عليه(٢).

**لَعْن أهل النار بعضهم بعضاً:**

١ - قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف/ ٣٨-٣٩].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت/ ٢٥].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٠٥).

هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾
[الفرقان/ ١١-١٤].

**صور من أصناف المعذبين في النار:**

**١- الكفار والمنافقون.**

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة/ ٦٨].

**٢- قاتل النفس المعصومة عمداً.**

١- قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء/ ٩٣].

٢- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ وَإنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعينَ عَاماً». أخرجه البخاري(١).

**٣- الزناة والزواني.**

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ من رُؤْيَا؟» -وفيه- أنه قال ذات غداة: «إِنَّهُ أَتانِي اللَّيْلَةَ آتيَانِ، وإنهما ابتَعَثَانِي وإنهما قَالا لِي انْطَلِقْ... فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ، فَإذَا فِيْهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيْهِ، فَإِذَا فيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتاهُمْ ذَلِكُ اللهَبُ ضَوْضَوْا، قَالَ قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلاءِ؟... -وَفِيهِ- فَقَالا: وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ في مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَاني». أخرجه البخاري(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠٤٧).

٤ - آكلو الربا.

في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه السابق قال النبي ﷺ: «فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلى نَهَرٍ مِنْ دَم فيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ على وَسَطِ النَّهْر، وعلى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذي في النَّهْرِ، فَإذَا أَرادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ في فيْهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى في فيهِ بِحَجَرٍ فيرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟... قَالَ والَّذِي رَأَيتَهُ في النَّهَرِ آكِلُو الرِّبَا». أخرجه البخاري(١).

٥ - المصورون.

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ مُصَوِّرٍ في النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفساً فتُعَذِّبُهُ في جَهَنَّمَ». أخرجه مسلم(٢).

٢ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد سَتَرْتُ سَهْوَةً لي بِقِرَام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه وتلوَّن وجهه وقال: «يَا عَائِشَةُ، أَشدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ» قالت عائشة: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين. متفق عليه(٣).

٣ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً في الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فيهَا الرُّوحَ يَومَ القِيَامَةِ وَلَيسَ بِنَافِخٍ». متفق عليه(٤).

٦ - آكل مال اليتيم.

---

(١) **أخرجه البخاري** برقم (١٣٨٦).

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢١١٠).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٤)، ومسلم برقم (٢١٠٧)، واللفظ له.

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٠٤٢)، ومسلم برقم (٢١١٠)، واللفظ له.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء/ ١٠].

٧- أهل الكذب والغيبة والنميمة.

١ - قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤﴾ [الواقعة/ ٩٢-٩٤].

٢- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر -وفيه- فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلى مَنَاخِرِهِمْ إلَّا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ». أخرجه الترمذي وابن ماجه(١).

٨- الذين يكتمون ما أنزل الله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ [البقرة/ ١٧٤].

**تخاصم أهل النار:**

١ - مخاصمة العابدين لمعبوديهم: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ٩٥ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٩٩﴾ [الشعراء/ ٩٤-٩٩].

٢- مخاصمة الضعفاء للسادة المستكبرين: ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٦١٦)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٩٧٣).

﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر/ ٤٧-٤٨].

٣- تخاصم الأتباع مع قادة الضلال: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات/ ٢٧-٣٥].

٤- تخاصم الكافر وقرينه الشيطان: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق/ ٢٧-٢٩].

٥- ويبلغ الأمر أشده عندما يخاصم الإنسان أعضاءه: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت/ ١٩-٢١].

**طلب أهل النار من ربهم رؤية مَنْ أضلوهم وتضعيف العذاب عليهم:**

١- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت/ ٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب/ ٦٦-٦٨].

**خطبة إبليس في أهل النار:**

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٢٢].

**طلب النار المزيد:**

١ - قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ق/ ٣٠].

٢ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلا يَزَالُ فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقاً، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ». متفق عليه(١).

**صور من عذاب أهل النار:**

١ - قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء/ ٥٦].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الزخرف/ ٧٤-٧٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٦٤- ٦٦].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فاطر/ ٣٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٤٨)، ومسلم برقم (٢٨٤٨)، واللفظ له.

٥ - وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود/ ١٠٦-١٠٧].

٦ - وقال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ [مريم/ ٦٨-٧٠].

٧ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ / ٢١-٢٦].

٨ - وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك/ ٦-٩].

٩ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر/ ٤٧-٤٨].

١٠ - وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة/ ٤-٩].

١١ - وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجاءُ بِالرَّجُلِ يومَ القِيامَةِ فَيُلْقَى في النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ في النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وَأَنهَاكُمْ عَنِ المنْكَرِ وآتِيهِ». متفق عليه(١).

## بكاء أهل النار وصراخهم:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٨٩).

١ - قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾ [التوبة/ ٨١-٨٢].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ [فاطر/ ٣٧].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾ [الأنبياء/ ١٠٠].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ١٢ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ١٤﴾ [الفرقان/ ١٢-١٤].

٥ - وقال الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨﴾ [الفرقان/ ٢٧-٢٨].

٦ - وقال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة/ ١٦٧].

**استغاثة أهل النار بمن ينجيهم:**

١ - قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾ [الأعراف/ ٥٠].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠﴾ [غافر/ ٤٩-٥٠].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٨﴾ [الزخرف/ ٧٧-٧٨].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١٠٦ -١٠٨].

٥ - وقال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود/ ١٠٦ -١٠٧].

**ميراث أهل الجنة منازل أهل النار:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلانِ: مَنْزِلٌ في الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ في النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُه تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾». أخرجه ابن ماجه[1].

**خروج عصاة الموحدين من النار:**

١ - قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء/ ٤٨].

٢ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخير مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يُخرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخير مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخير مَا يَزِنُ ذَرَّةً». متفق عليه[2].

٣- وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوحِيدِ في النَّارِ حَتّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَماً، ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ، فَيُخْرَجُونَ

---

(١) صحيح / أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٤١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٤)، ومسلم برقم (١٩٣)، واللفظ له.

وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبوابِ الجَنّةِ» قال: «فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ المَاءَ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الغُثَاءُ في حِمَالَةِ السَّيْلِ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ». أخرجه أحمد والترمذي[1].

**أعظم عذاب أهل النار:**

أعظم عذاب أهل النار حجابهم عن رؤية ربهم جل وعلا.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين/ ١٥-١٦].

**خلود أهل النار في النار:**

الكفار والمشركون والمنافقون مخلدون في النار، وأما عصاة الموحدين فهم تحت مشيئة الله عز وجل، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم في النار بقدر ذنوبهم ثم أخرجهم.

١ - قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة/ ٦٨].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء/ ٤٨].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة/ ٣٦-٣٧].

٤ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالموتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ

---

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٥٢٦٨)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٩٧)، وهذا لفظه.

يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحاً إِلى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إِلى حُزْنِهِمْ». متفق عليه[1].

**حجاب الجنة والنار:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ ». متفق عليه[2].

**قرب الجنة والنار:**

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ». أخرجه البخاري[3].

**احتجاج الجنة والنار وحكم الله بينهما:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالمتكَبِّرِينَ وَالمتجَبِّرِينَ،وَقَالَتِ الجَنَّةُ:فَمَالِي لا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: أَنتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مِلْؤُهَا». متفق عليه[4].

**اتقاء النار وطلب الجنة:**

١ - قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾ [آل عمران/ ١٣٠ - ١٣٢].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٥٠).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٣).

(٣) **أخرجه البخاري** برقم (٦٤٨٨).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٨٥٠)، ومسلم برقم (٢٨٤٦)، واللفظ له.

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلونَ الجَنَّة إِلَّامَنْ أَبى». قَالُوا يَا رَسُولَ الله وَمَنْ يَأْبى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَني دَخَلَ الجَنَّة،وَمَنْ عَصَاني فَقَدْ أَبى». متفق عليه(١).

٣- وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فتعَوَّذ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فتعَوَّذ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». متفق عليه(٢).

**سعة رحمة الله:**

١ - قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨﴾ [غافر/ ٧-٨].

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ المُؤمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنَ العُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ». أخرجه مسلم(٣).

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٣٥).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠١٦).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٥).

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة العاشرة

## فـاستقـمْ كمَا أُمـرتَ

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية:

الأول : فضل الفقه في الدِّين

الثاني : فضل تعلم العلم وتعليمه

الثالث : فضل الإحسان في عبادة الله

الرابع: فضل الإحسان إلى الخلق

الخامس : فضل النصيحة، والتعاون على الخير

السادس : فضل الدعوة إلى الله، وبيان أحكامها وآثارها

السابع : فضل العبادة، وبيان أركانها وأقسامها

الثامن : النفوس بين الاستقامة والانحراف

التاسع : فاستقم كما أمرت

العاشر : كيف تكون الأول عند الأول.

# البصيرة العاشرة

# فـاستقمْ كمَا أُمـرتَ

## ١ - فـضل الفقه في الدِّين

أمهات العلم الإلهي ،وبصائر الإسلام الكبرى، ومفاتيح أبواب التوحيد والإيمان والهدى سبع وهي :

معرفة الرب الذي نعبد.

ومعرفه القرآن الذي نهتدي به .

و معرفة الرسول الذي نقتدي به .

ومعرفة النفس ماذا تريد من الله ؟ وماذا يريد الله منها ؟.

ومعرفة الشيطان الذي هو عدو الإنسان.

ومعرفة الدنيا التي نعيش فيها.

ومعرفة الآخرة التي سوف نصير إليها.

وهذه البصائر العظيمة إذا قامت في القلب آمن بالله ، ووحدَّه ،وعظَّم الله ، وكبَّره ، وحمده ، وشكره ، وأحبَّه ، وعبَّده ، وامتثل أمره ، واجتنب نهيه ، وخافه ورجاه، بكمال الحب له ، وكمال التعظيم له ، وكمال الذل له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

فمن عرف ربَّه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ آمن بالله العظيم ،واتبع كتابه العظيم ، وأطاع رسوله الكريم ، وعمل بدينه العظيم ، ونال ثوابه العظيم .

فنسأل الله عزَّ وجلَّ أن يرزقنا ويرزق كل إنسان هذا العلم النافع العظيم المقرون بالاستقامة على العمل الصالح ، والإخلاص لله عز وجل : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

**إن الفقه في الدين علامة على سعادة العبد، وأنَّ الله عز وجل قد أراد به خيرا قال النَّبِيَّ ﷺ «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»** متفق عليه (١).

**والفقه في الدين يشتمل على ثلاثة أمور:**

الفقه في أصول الإيمان وأركانه، والفقه في شرائع الإسلام وأحكامه، والفقه في حقائق الإحسان وأركانه : ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [التوبة:١٢٢].

وكما في حديث جبريل أنَّه سأل النبي ﷺ عن الإسلام ،وعن الإيمان ،وعن الإحسان. ففسَّر ﷺ الإسلام بأركانه الخمسة ، وفسَّر الإيمان بأركانه الستة ، وفسَّر الإحسان بأن تعبد الله كأنَّك تراه ،فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فدخل في هذا العلم العظيم، علم التوحيد والإيمان، وعلم الفقه بأصوله وفروعه، وأحكام العبادات ، والمعاملات، والعلم بحقائق الإحسان.

فمن أراد الله به خيرا فقهه في هذا الأمور العظيمة ،ووفقه للعمل بها ، والدعوة إليها ، ومن أعرض عن هذه العلوم بالكلية ؛ فإنَّ الله لم يرد به خيرا ؛ لحرمانه نفسه الأسباب التي تُنال بها الخيرات : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، وأخرجه مسلم برقم (١٠٣٧).

وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤].

وقال الله عز وجل: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ومجامع العلوم الإلهية والخيرات التي تُنَال بها السعادات في الدُّنيا والآخرة، موجودة في القرآن والسنة: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرآنَ وَعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري [1].

والمؤمنون قسمان: مؤمن قوي، ومؤمن ضعيف

ومحبَّة الله للمؤمن القوي أعظم من محبَّته للمؤمن الضعيف، ومحبَّة الله عزَّ وجلَّ متعلقة بمحبوباته؛ فمن أحبَّ الله أحبَّ ما يحبُّ الله، وأحبَّ من قام بها، ودعا إليها: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِي خَيْرٌ وَأَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الْضعِيفِ، وَفِي كُلٍ خَيْر، اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعكَ،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَو أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، ولكنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» أخرجه مسلم [(١)].

**والإيمان يشتمل على ثلاث مراتب هي :**

العقائد القلبية .. والأقوال اللسانية .. والأفعال البدنية .

قال رسول الله ﷺ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ» متفق عليه [(٢)].

فهذه الشعب كلُّها من الإيمان ، فمن قام بها حق القيام ظاهرا وباطنا ، وكمَّل نفسه بالعلم النافع، والعمل الصالح ، وكمَّل غيره بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر؛ فهو المؤمن القوي الذي فاز بأعلى مراتب الإيمان : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال الله عز وجل : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر :١-٣].

وكل من لم يصل إلى هذه المرتبة العالية فهو المؤمن الضعيف ،وفي كل من المؤمن القوي والضعيف خير، لكن الذرة ليست كالجبل ،والقطرة ليست كالبحر ، والمؤمنون متفاوتون في الخيرية ، وفي محبة الله ، وفي معرفة الله ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٩)، وأخرجه مسلم برقم (٣٥).

وفي القيام بالدين ؛ فهم درجات بعضها أعلى من بعض : ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣)﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١)﴾ [الواقعة:١٠-١١].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩)﴾ [الأحقاف:١٩].

**والمؤمنون ثلاثة أقسام:**

ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، وكلها في الجنة كما قال سبحانه : ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣)﴾ [فاطر:٣١-٣٣].

فأعلى المؤمنين السابقون بالخيرات؛ الذين قاموا بأداء الواجبات، والمستحبات، وتركوا المحرمات ، والمكروهات ، وفضول المباحات ، وكمَّلُوا ما باشروه من الأعمال، وكمَّلُوا به غيرهم : ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر:١-٣].

ثم يليهم المقتصدون ؛ الذين اقتصروا على فعل الوجبات ،وترك المحرمات، ثم يليهم الظالمون لأنفسهم ؛ الذين خلطوا عملا صالحاً و آخر سيئا :

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ [التوبة:١٠٢].

فهذا الذي ينبغي للعبد، أن يحرص على ما ينفعه ،ويباشر العمل الصالح ، ويستعين بربَّه كما قال سبحانه : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[الفاتحة:٥].

وقال الله عز وجل : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾[الحج:٤٠-٤١].

والأمور النافعة للأمَّة ولكل فرد نوعان: أمور دينية، وأمور دنيوية .

وكل عبد محتاج إلى هذه وهذه ؛لتستقيم له أمور دينه ودنياه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة:٩-١٠].

ومدار سعادة العبد قائم على حرصه على الأمور النافعة ، وبذل جهد ه في الحصول عليها، مع استعانته بربِّه للحصول عليها وتكميلها.

قال النبي ﷺ «اِحرِصْ على مَا يَنْفعُكَ واسْتعِنْ بِاللهِّ وَلَا تَعْجز» أخرجه مسلم [1].

فهذه ثلاثة أمور ، ومتى فات العبد واحدا من هذه الأمور الثلاثة ؛ فاته من الخير بحسبها : ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

والكسل هو أصل الخيبة والفشل ؛ فالكسلان لا يدرك خيرا ، ولا ينال مكرمة ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

ولا يحظى بدين ولا دنيا.

ومتى كان العبد حريصا ، ولكن على أمور ضارة غير نافعة ؛كانت ثمرة حرصه الخيبة، وفوات الخير، وحصول الشر والتعب والشقاء : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٥].

والأمور النافعة التي ينبغي للعبد الحرص عليها ،و الجد في طلبها ؛ تحصل للعبد وتكمل إذا استعان بربِّه في تحصيلها ، ولم يتكلْ على نفسه وحوله وقوته، بل يكون اعتماده التامِ في ظاهره وباطنه على من بيده مقاليد الأمور : ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود:٥٦].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣].

والأمور النافعة في الدين تقوم على أصلين: علم نافع، وعمل صالح .

فالعلم النافع ،هو العلم الإلهي الذي تزكو به القلوب والأرواح ، ويثمر سعادة الدارين ، وهو كل ما جاء عن الله ورسوله من الأخبار الصادقة والأحكام العادلة : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣].

فمن سلك هذا الطريق المستقيم، واستعان بالله ؛ أعانه الله ،وبارك في علمه وعمله، ومن سلك غيره فاتت عليه أوقاته، وزادت حسراته، وكثرت أتعابه وخسراته : ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ

ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر:١٥].

أما العمل الصالح فهو كل عمل جمع أمرين : الإخلاص لله عز وجل ،والمتابعة لرسول الله ﷺ : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

فيتقرب العبد إلى ربَّه بكل ما يحبُّه الله ويرضاه ، ويسعى في أداء ما فرضه الله على عباده من حقوق الله ، و حقوق خلقه ، ويُكمِّل ذلك بأنواع النوافل والتطوعات والقربات ، مستعينا بالله وحده على فعلها ،وتحقيقها ، وتكميلها، وفعلها على وجه الإخلاص لله، وحسن المتابعة لرسول الله ﷺ : ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٤].

وكما يتقرب العبد إلى الله بفعل المأمورات ، فكذلك يتقرب إليه بترك المنهيات و المحرمات التي تميل إليها النفوس : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

فهذه أعظم الأمور النافعة في الدين.

وأما الأمور النافعة في الدنيا، فينبغي للعبد أن يسلك أنفع الأسباب الدنيوية التي يستجلب بها مصالحه ومنافعه ، وذلك يختلف باختلاف الأشخاص، والأحوال، والمهن، والقدرات .

وعلى العبد أن يقصد بسعيه وكسبه القيام بواجب نفسه ، وواجب من يعوله، وواجب من يقوم بمؤنته ، وينوي كذلك اعفاف نفسه عن سؤال الخلق وتحصيل ما تقوم به العبوديات المالية من الزكاة والصدقة، والنفقات الخيرية، والهدايا، وغيرها مما يتوقف التعبد لله به على المال .

ويقصد كذلك المكاسب الطيبة، وتجنب المكاسب الخبيثة والمحرمة، وأن

يتوكل على الله في حصول هذه المكاسب، ويستعين به وحده في تحصيل مراده، ولا يتكل العبد على نفسه وحوله وقوته، ومعرفته وذكائه، بل يستعين بربه، راجيا منه أن ييسره لأيسر الأمور، ويسأله أن يبارك له في كسبه ورزقه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن:١٣].

وقال عز وجل : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر:٢].

ومن أعظم بركة الرزق أن يكون حلالاً ، مؤسساً على التقوى ، والنية الصالحة . وأن يوفقه ربه لصرفه في مصارفه الشرعية الواجبة و المستحبة ،وألا ينسى الفضل والإحسان في المعاملة بالتيسير على الموسرين، وإنظار المعسرين، والسماحة، والوضع عند البيع والشراء بما تيسر من قليل أو كثير كما قال سبحانه : ﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٣٧].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَال «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى» أخرجه البخاري [١].

وقال ﷺ : «احرِص على ما ينفعُكَ، واستعِن باللَّهِ، ولا تعجِزْ» أخرجه مسلم [٢].

ومتى كان طلب العبد وسعيه في الدنيا لهذه المقاصد العظيمة ، وسلك أنفع طريق يراه مناسبا لحاله وقدرته ؛ كان طلبه وسعيه عبادة من العبادات ،وقربة من القربات، يتقرب بها إلى ربه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٦) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

﴿قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة:٩-١٠].

ثم إن النبي ﷺ حضَّ على الرضا بقضاء الله وقدره بعد بذل الجهد، واستفراغ الوسع، في الحرص على الأمر النافع، فإذا أصاب العبد ما يكرهه فلا ينسب ذلك إلى ترك بعض الأسباب التي يظن فعلها لو فعلها ، بل يسكن إلى ما قضاه الله وقدَّره ؛ ليزداد إيمانه، ويسكن قلبه ، فإن لو في هذه الحال تفتح عمل الشيطان، بنقص إيمانه بالقدر ،واعتراضه عليه، وفتح أبواب الهم والحزن المُضعِف للقلب: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:٥١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «الْمُؤْمِنُ الْقَوِي خَيْرٌ وَأَحَبَّ إِلَى الله مِنْ الْمُؤْمِنِ الْضعِيفِ، وَفِي كُلٍ خَيْر، اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعَكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلَا تَقُلْ: لَو أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، ولكنْ قُلْ: قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَان» أخرجه مسلم (١).

واستعمال (لو) في الشريعة له ثلاث حالات :

الأولى: إذا اسُتعملت (لو) في أمر لا يمكن استدراك الفائت منه، فإنها تفتح على العبد عمل الشيطان.

الثانية: إذا اسُتعملت (لو) في تمني الشر والمعاصي ، فهذه مذمومة، وصاحبها آثم، ولو لم يباشر المعصية، لأنه تمنى حصولها.

الثالثة: إذا اسُتعملت (لو) في تمني الخير أو في بيان العلم النافع، فهذه محمودة لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

وهذا الأصل العظيم الذي بينه النَّبِيِّ ﷺ، وهو الأمر بالحرص على الأمور النافعة في الدين والدنيا، هو أعظم الطرق لراحة القلب وسعادته وطمأنينته، وأدعى لحصول القناعة، والحياة الطيبة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

ويتحقق ذلك بما يلي:

بالحرص على الأمور النافعة، والاجتهاد في تحصيلها، والتعبد لله في طلبها، والاستعانة بالله عليها وشكر الله على ما يسر منها، والرضا عنه بما فات منها، وحمده على ما صرف عنه منها: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

وقد جمع النبيَّ اللهَّ ﷺ في هذا الحديث العظيم بين الإيمان بالقضاء والقدر، وفعل الأسباب النافعة؛ فقوله ﷺ «احرص على ما ينفعك» أمر بكل سبب ديني ودنيوي، وقوله ﷺ «واستعن بالله» أمر بالتوكل على الله، والإيمان بالقضاء والقدر، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً.

وعلى هذين الأصلين مدار الدين كله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

# ٢ - فضل تعلم العلم وتعليمه

الله عز وجل ما عُبد بمثل العلم والفقه في الدين، والعمل بموجب ذلك: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [النساء:١١٣].

وحكمة من أخيك خير لك من مال يعطيك ؛ لأنَّ المال يُطغيك، والحكمة تهديك ، ومثل العالم بين الناس كمثل القمر بين الكواكب ، ومثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد تسقي الزروع والأشجار ، والإنسان والحيوان .

والعلم في الصدر كالمصباح في القصر ، ومن عُرف بالحكمة لا حظته العيون بالوقار والهيبة ، ومن اتخذ العلم إماما اتخذه الناس إماما ، ومثل العلماء كمثل الغيث أينما حل نفع : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد: ١٩] .

**والأقوات ثلاثة :**

قوت الأبدان المطاعم والمشارب .. وقوت العقول العلوم والحكم .. وقوت القلوب التذكير والوعظ .

والعلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما ، ويكون بإدخال العلوم من الخارج إلى داخل القلب ، والعمل هو إخراج العلم من الداخل إلى الخارج على شكل قول كالكلام، أو عمل كالوضوء والصلاة، أو خُلِق كالحياء والصبر ونحو ذلك .

والعلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله ،والعلم بدينه وشرعه، أعظم العلوم، وأحسن حلية يتحلى بها العبد في الدنيا والآخرة ، وهو العلم الواجب على المسلم تعلمه ؛ لتستقيمَ له أمور دينه ودنياه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ

مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢].

**فضل العلم :**

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[المجادلة:١١].

وعَنْ عُثْمَانَ رَضِي اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». أخرجه البخاري(١).

فضل طلب العلم وأنه قبل القول والعمل :

قال الله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، واللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ» . أخرجه مسلم(٢).

فضل من دعا إلى الهدى :

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إلَى هُدَىً كَانَ لَهُ مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إلَى ضَلالَةٍ كَانَ عَلَيهِ مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً». أخرجه مسلم[1].

**وجوب إبلاغ العلم :**

قَالَ الله تَعالَى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه -في حجة الوداع - وفيه -أن النبي ﷺ قال : «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ». متفق عليه[2].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ». أخرجه البخاري[3].

**عقوبة من كتم العلم :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يومَ القِيَامَةِ». أخرجه أبو داود والترمذي[4].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٧) واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٧٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

(٤) حسن صحيح / أخرجه أبوداود برقم (٣٦٥٨) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٢٦٤٩).

## فضلُ من علِمَ وعلّمَ :

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر:٢٨].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا، وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». متفق عليه[١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٨٢).

## ٣- فضل الإحسان في عبادة الله

الإحسان في عبادة الله أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

والإحسان أكمل مراتب العبودية، لما فيه من كمال الإيمان والتقوى، وكمال اليقين والصدق، ولذة القرب والمشاهدة، وحضور القلب، وحسن القول والعمل والخُلُق، وحصول معية الله ومحبته، وكمال الحب والتعظيم والذل لله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل:١٢٨].

وقال الله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾[الشعراء:٢١٧-٢٢٠].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[يونس:٦١].

**ودين الإسلام ثلاث مراتب ، بعضها أوسع من بعض وهي:**

الإسلام، والإيمان ، والإحسان ، وكل مرتبة لها أركان .

عن عُمَر بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخبِرْنِي عَنْ الإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ : رَسُولُ اللهِ ﷺ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، قَالَ صَدَقْتَ ، قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ فَأَخبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ ؟ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ

صَدَقْتَ ، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ ؟ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» أخرجه مسلم [1]

مراتب الإحسان : الإحسان مرتبتان .

المرتبة الأولى: أن يعبد المسلم ربه كأنه يراه عبادة طلب وشوق، ورغبة ومحبة، فهو يطلب من يحُب ، وهو الله عز وجل ، ويقصده ويعبده كأنه يراه ، وهذه أعلى المرتبتين .

المرتبة الثانية: إذ لم تعبد الله كأنك تراه وتطلبه ، فاعبده كأنه هو الذي يراك، عبادة خائف منه ، هارب من عذابه و عقابه ، متذلل له : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٥-١٧].

**فقه الإحسان :**

الحكمة التي خلق الله من أجلها السموات والأرض ، وخلق من أجلها المخلوقات ، وخلق من أجلها الحياة والموت، هي الابتلاء بحسن العمل المبني على كمال التوحيد والإيمان بالله عز وجل .

والطريق إلى إحسان العمل هو معرفة خالق السموات والأرض بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومراقبة الله في كل عمل ، والعلم بأنَّ الله بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء شهيد ، وعلى كل شيء قدير ،والاقتداء بالرسول ﷺ فيما جاء

(١) اخرجه مسلم برقم (٨).

به عن ربه جل جلاله : ﴿ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢ ﴾ [لقمان:٢٢].

وهذا الإحسان في عبادة الله ومراقبته ، أعظم واعظٌ في القرآن ، يدعو المسلم إلى إحسان العمل لربه، فيؤديه لله عز وجل بالمحبة والتعظيم كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ، فليحسن العبد عمله لله السميع البصير ، العليم الخبير ، الذي يسمعه إن تكلم ، ويراه إن عمل ، ويعلم بما في قلبه إن أضمر ؛ ليفوز برضاه ، وينال أحسن ثوابه ، وينجو من عقابه ، ومن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ١٢٥ ﴾ [النساء:١٢٥].

وقال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ ٧ ﴾ [هود:٧].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧ ﴾ [الكهف:٧].

وقال الله تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ﴾ [الملك:١-٢].

ومن أحسن في عبادة ربه بتوحيده وإيمانه وتقواه ؛ أحسن الله إليه برضاه ومحبته ودخول جنته : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ ﴾ [يونس: ٢٦].

# ٤ - فضل الإحسان إلى الخلق

الدين ركنان: عبادة الحق، و الإحسان إلى الخلق: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦].

ومن أجل محاسن الأعمال خلق الله أحسن المخلوقات، وأحسن الثمار، وأحسن الطعام والشراب، وأحسن الصور، وأحسن اللذات: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك:٥].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧].

وأحسن المخلوقات وأعجبها هو الإنسان، الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، واسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وجعله خليفة له في الأرض: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:٤].

والله يريد من هذا الإنسان أن يعمل بأحسن عمل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

ويتزين بأحسن صبغة وهي الإسلام بظاهره وباطنه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء:١٢٥].

وقال سبحانه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة:١٣٨].

فأنزل الله لهذا الإنسان تكريما له أحسن الكتب : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر:٢٣].

وقال عز وجل : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزمر:٢٢].

وأرسل الله لهذا الإنسان تكريما له أحسن البشر، وهم الأنبياء والرسل : ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة:١٢٨].

وكلَّف هذا الإنسان بأحسن عمل، وهو عبادة الله، والدعوة إليه : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل:١٢٥].

وقال عز وجل : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

وشرَّف هذا الإنسان بأحسن حياة : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

ولكل شيء زينة ومقصد ؛ فالأشجار لها زينة وهي الأوراق والأغصان ،ولكن المقصود الثمار، والملابس لها زينة، ولكن المقصود ستر العورة .

وهكذا الإسلام زينته حسن الأخلاق ، والأخلاق قسمان :

حسن الخلق مع الخالق بتوحيده، والإيمان به، وعبادته وحده لا شريك له.

وحسن الخلق مع المخلوق بالإحسان إليه، وبذل الخير له، وكف الأذى عنه : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾[النساء: ٣٦].

فالإسلام زينته حسن الأخلاق مع الخالق والمخلوق؛ فاليقين والتوكل كالروح للجسد، والعبادات كالجسد، والأخلاق كاللباس : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾[القلم: ٤].

وأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا : ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[فصلت: ٣٤-٣٥].

وعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ» متفق عليه (١).

وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق ؛ لأنه ثقيل على النفس في الدنيا فيكون ثقيلا في الميزان يوم القيامة .

عَنْ عَائِشَةَ رضِي اللهُ عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ». أخرجه أبوداود (٢).

وأحسن صفات المؤمن هي : الإيمان، والتقوى، والرحمة، واللين، واللطف، والعفو، والبر، والإحسان، وغيرها من مكارم الأخلاق : ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠)، وأخرجه مسلم برقم (٤٠).

(٢) أخرجه أبوداود برقم (٤٧٩٨).

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فزينة الدعوة والداعي إلى الله حسن الخلق، وزينة العابد حسن الخلق، وزينة المعلم والمتعلم حسن الخلق، وزينة الرجل حسن الخلق، وزينة المرأة حسن الخلق، وزينة الأولاد حسن الخلق، وزينة الغني حسن الخلق، وزينة الفقير حسن الخلق ، وزينة الملك والحاكم حسن الخلق، وزينة كل أحد حسن الخلق: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم:٤].

وأحسن حياة، وأجمل حياة، وأطيب حياة، وأزكى حياة، هي حياة الأنبياء والرسل، خاصة سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾[التوبة:١٢٨].

وجماع الأخلاق التي يحبها الله، بذل الندى، وكف الأذى، وإحسان القول والفعل؛ هذا مع المخلوق .

أما حسن الخلق مع الخالق، فهو أن تؤمن به، وتوحده، وتحبه وتكبره، وتحمده وتشكره، وتطيعه، وتعبده وحده لا شريك له، كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾ [النساء:٣٦].

والحكمة هي الدين كله، والحكمة هي وضع الشيء في موضعه، والله حَكِيمٌ عَلِيمٌ.

فالله حكيم في خلقه وتقديره .. حكيم في أمره ونهيه .. حكيم في ثوابه وعقابه.
وأوامر الله ورسوله ﷺ كلها حكمة ، ورحمة ، وعدل ، وإحسان .
وقد أمر الله عباده بالحكمة ومراعاتها في كل شيء، وهو الحكيم الذي أمتن على عباده بالحكمة : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾ [البقرة:٢٦٩].
وأرسل الله رسوله ﷺ بالحكمة : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢)﴾ [الجمعة:٢].
فالحكيم من الخلق من عرف أقدار الناس، وأنزلهم منازلهم في جميع المعاملات، و جميع المخاطبات، وجميع الأحوال .
**فالناس في الحقوق قسمان :**
الأول: من لهم حق خاص، ومكانة خاصة، كالوالدين ، والأولاد ، والأقارب ، والجيران، والأصحاب ، والعلماء ، والمحسنين ، بحسب إحسانهم الخاص والعام، والحكام والولاة والقضاة ونحوهم .
فهؤلاء تنزلهم منازلهم ، ونقوم بحقوقهم المعروفة شرعا وقدرا، من البر والصلة، والإحسان والتوقير، والوفاء والمواساة.
فهؤلاء يميزون عن غيرهم بهذه الحقوق الخاصة : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)﴾ [النساء:٣٦].
الثاني: من ليس لهم اختصاص بحق خاص، وإنما لهم حق الإسلام، وحق الإنسانية.

فهؤلاء حقهم المشترك أن نبذل لهم الندى، ونمنع عنهم الأذى والضرر بقول أو فعل ، وأن تحب للمسلمين ما تحب لنفسك من الخير، وتكره لهم ما تكره لنفسك من الشر : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

ومن تنزيل الناس منازلهم أن تعاشر الخلق بحسب منازلهم .

فالكبير له حق التوقير والاحترام ، والصغير له حق الرحمة والشفقة ، والنظير له حق أن تعامله بمثل ما تحب أن تُعامل به . وللأب حق خاص ، وللأم حق خاص ، وللزوجة حق خاص ، وللأخ حق خاص ، وللقريب حق خاص وهكذا، فتعبد الله بإعطاء كل ذي حق حقه.

ومن ذلك أن يتكلم الإنسان مع الملوك والكبار وأصحاب الرئاسات بالكلام اللين اللطيف المناسب لمراتبهم، بالثناء عليهم بما فيهم من صفات الخير، وشكرهم على إحسانهم، وتذكيرهم بأحسن أفعالهم، وتذكيرهم بما يرفع مقامهم عند الله و عند الناس، كما قال الله عز وجل لموسى وهارون : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه:٤٣-٤٦].

وكذا الحكيم يعامل العلماء بالتوقير ، والإجلال ، والتواضع لهم ، وحسن الأدب معهم، وإظهار الحاجة لعلمهم ، وكثرة الدعاء لهم ؛ لعظيم إحسانهم إلى الأمة، خاصة عند جلوسهم لتعليم الناس ، وفتواهم الخاصة والعامة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة:١١].

ومن الحكمة بذل ما يناسب من الدنيا ؛ لتنشيط الكبار والصغار للخير ، واجتناب العنف القولي والفعلي كما فعل الرسول ﷺ: مع المؤلفة قلوبهم، فأعطاهم العطاء الدنيوي الكبير ؛ ليؤلف قلوبهم على الإسلام فأسلموا : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦٠].

وذلك كما حصل منه في غزوة حنين، حيث أعطى المؤلفة قلوبهم العطاء الجزيل وكان ذلك سببا لإقبالهم على هذا الدين ،ولم يفعل ذلك مع من هو معروف بالإيمان الصادق كالمهاجرين والأنصار، تنزيلا للناس منازلهم .

وكذا مخاطبة الزوجة ، والأولاد الصغار والكبار ، بالخطاب اللائق بهم، الذي فيه بسط لهم، وإدخال السرور عليهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن: ١٤].

ومن تنزيل الناس منازلهم التي تصلح بها أحوال الأمة أن تُجْعَل الوظائف الدينية والدنيوية للأكفاء الصادقين المتميزين، الذين يفْضُلون غيرهم في تلك الوظائف ، أداءً للأمانة، ونصحاً للأمة.

ففي ولاية الحكم، يختار أهل الحل والعقد، الرجل المؤمن الأصلح لها وللأمة ممن جمع بين القوة والشجاعة، والعلم والحلم، والأمانة والرزانة، ومعرفة حسن التدبير والسياسة.. ومن تكون له القوة الكافية لتنفيذ أحكام العدل، وردع الظلمة، وإيصال الحقوق إلى أهلها ونحو ذلك : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦].

وكذا ولاية القضاء، والإمامة في المسجد، وقيادة الجيوش، والتعليم، والإفتاء، ونحو ذلك من الولايات العامة والخاصة، يُخْتَار لها الأكفأ الأتقى الأعلم، الأمثل فالأمثل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨].

وهذه الولايات الكبرى والصغرى ، من أعظم الأمانات، ومن أعظم القربات إذا أدى المسلم حق الله فيها.

فهذه الأمانات يجب أن تؤدى إلى أهلها، وأن يوظف فيها أهل الكفاءة فيها ،كلٌ في اختصاصه حسب قدرته وعلمه وأمانته .

وكذا في العطية والصدقة والهدية، يعطى الفقير المتعفف الذي أصابته العيلة بعد الغنى ما لا يعطاه الطواف على الناس الذي تكفيه التمرة والتمرتان ، والكسرة والكسرتان .

وكذا يُميز بين من له آثار و سوابق في نفع المسلمين على من ليس كذلك .

لهذا الواجب على المسلم تصديق الأخبار ،وامتثال الأوامر ،واجتناب النواهي والعمل بموجب ذلك: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود: ١١٢].

ومن أعظم أصول الشريعة: الأصل الأول أن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء:١٢٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

فكل من عمل ما يحبه الله ويرضاه، أحبه الله، ورضي عنه، وكل من عمل ما يبغض الله ويسخطه أبغضه الله وسخط عليه ، ومن يسر على مسلم يسر الله عليه

في الدنيا والآخرة ،ومن فرج على مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» أخرجه مسلم [(١)].

ومن مكر بمسلم مكر الله به ، ومن شقَّ عليه شقَّ عليه .

الأصل الثاني: منع الضرر والمضارة لكل أحد . والضرر يرجع إلى أمرين، إما تفويت مصلحة .. أو حصول مضرة .

والواجب على المسلم أن يمنع ضرره وأذاه عن الناس من كل وجه، كالغش، والكذب، والتدليس في جميع المعاملات.

ويجتنب المكر ، والخداع ، والنجش، وكتم العيوب في السلع، وتلقي الركبان، وبيع المسلم على بيع أخيه، والخطبة على خطبة أخيه، والمحاباة في الوظائف، وإبعاد الجدير المستحق وتوظيف من دونه في مكانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾[النساء:٥٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

فكل هذه المعاملات من المضارة المنهي عنها، وهي عبادة من العبادات .فلابد من وضع الرجل المناسب في المكان المناسب .. والمرأة المناسبة في المكان المناسب .

وكل معاملة من هذا النوع المنهي عنه لا بركة فيها ولا خير، لما فيها من الضرر؛ لأن من ضار مسلما ضاره الله، ومن ضار الله حل به الشر، ورحل عنه الخير .

عنْ أبي صِرْمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «ن ضارَّ أضَرَّ اللهُ به، ومَن شاقَّ شاقَّ اللهُ عليه» أخرجه أبو داود والترمذي [(١)].

فمن أذنب فلينتظر العقوبة: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى:٣٠].

وكذا تحرم مضارة الجار لجاره ، والشريك لشريكه، بقول أو فعل ، وكذا تحرم مضارة الغريم لغريمه ، وسعيه في المعاملات التي تضر بغريمه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢].

وكذا يحرم الإضرار في الوصايا بأن يخص أحد الورثة بأكثر من حقه ، أو ينقص نصيب الوارث ، أو يوصي لغير وارثه بقصد الإضرار بالورثة .

وكذا لا يجوز للزوج الإضرار بزوجته من وجوه ، كان يعضلها ظلما، لتفتدي منه، أو يراجعها بعد الطلاق، بقصد الإضرار بها ، أو يميل إلى إحدى زوجتيه ميلاً يضر بالأخرى، ويجعلها كالمعلقة : ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ

---

(١) حسن/ أخرجه أبوداود برقم(٣٦٣٥)، وأخرجه الترمذي برقم (١٩٤٠).

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)﴾ [البقرة:٢٣١].

وكذا يحرم الحيف والجور في الأحكام، والشهادات، والقسمة وغيرها على أحد الطرفين لنفع الآخر، وكذا الوقيعة في الناس عند الولاة والأمراء؛ ليغريهم بعقوبته، أو أخذ ماله، أو منعه من حق هو له، فلا ضرر ولا ضرار.

فكل هذا داخل في المضارة، وبعضها أشد من بعض، وفاعل ذلك مستحق للعقوبة، وهو باغٍ معتدٍ فليتوقع العقوبة العاجلة والآجلة: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣)﴾ [النساء:١٢٣].

وكذا يحرم على المسلم ترويع المسلم ولو على وجه المزاح، وكذا لا تجوز السخرية، بالخلق، والاستهزاء بهم، والمكر بهم، والوقيعة في أعراضهم، والتحريش بينهم، فلا ضرر ولا ضرار، فكل ذلك داخل في المضارة والمشاقة الموجبة للعقوبة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)﴾ [الأحزاب:٥٨].

والمسلم مأمور بالإحسان لا بالإساءة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم

بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ [الحجرات:١١-١٢].

ومن أزال الضرر والمشقة والتعب عن المسلمين، فإن الله يجلب له الخير، ويدفع عنه الضرر والمشقة : ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠].

ومن أعظم نعم الله على العبدأن يوفقه لصحبة الأخيار المؤمنين، ومن عقوبته له أن يبتليه بصحبة الأشرار .

وصحبة الأخيار ترفع المؤمن إلى أعلى عليين في الأقوال ، والأفعال ، والأخلاق ، والدرجات العالية في الجنة ، وصحبة الأشرار توصله إلى أسفل سافلين : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

وصحبة الأخيار تزيد العبد كثيراً من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وصحبة الأشرار تحرمه من كل ذلك : ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام:٦٨].

وقد أمر الله عز وجل المؤمنين بلزوم صحبة الأخيار بقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩].

أنت مع الجليس الصالح في جميع أحوالك في مغنم وخير وسلامة ؛كحامل المسك الذي إما أن يحْذيك، أو تبتاع منه، أو تجد منه ريحا طيبة .

بل الجليس الصالح أفضل من جميع أنواع المسك، فالجليس الصالح كله منافع تنفعك في دينك ودنياك ؛ فإنه إما يهدي لك نصيحة، أو يأمرك بمعروف، أو ينهاك عن منكر، أو يرغبك في طاعة، أو يدعوك إلى مكارم الأخلاق، أو إلى بر الوالدين، وصلة الأرحام، وصنائع المعروف، أو يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك ، أو يحذرك من الإقامة على ما يضرك من المعاصي والمحرمات وصحبة الأشرار، فهو يدعوك إلى الفضائل والمحاسن بقوله وفعله وحاله : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة: ٧١] .

وكل إنسان مجبول على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والصاحب ساحب، والأرواح جنود مجندة، يقود بعضها إلى بعض في الخير والشر .

ومن أعظم بركات الجليس الصالح أن تنشغل معه بأنواع الطاعات والقربات من تعلم العلم وتعليمه، والانتفاع به ، فتستفيد معه من جميع أنواع الطاعات والقربات التي يحبها الله، وتكفَّ بسببه عن المعاصي والسيئات، رعاية للصحبة، وتنفعك محبته ودعاؤه لك في حياتك وبعد موتك ،وأنه قد يصلك بأشخاص ينفعك اتصالك بهم، ويفتح الله لك بسببهم أعمالا تسعدك في دنياك وأخراك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة: ١١٩] .

وأما مصاحبة الأشرار فهي مضرة من جميع الوجوه .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا مَثَلُ الجليس الصالحُ، والجليسُ السوءِ، كحامِلِ المسك، ونافخِ الكِيْرِ، فحاملُ

المسك: إما أن يحْذِيَكَ، وإما أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجِدَ منه ريحاً طيِّبة، ونافخُ الكير: إما أن يحرق ثِيَابَكَ، وإما أن تجِدَ منه ريحاً خبيثة» متفق عليه [(١)].

ومن صح عقله، وصلح قلبه، صاحب الأخيار، وابتعد عن الأشرار ، فلا عقل إلا بحسن التدبير ، ولا ورع إلا بالكف عما يضر ولا ينفع، ولا حسب كحسن الخلق: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فالعقل من أعظم نعم الله على الإنسان، يعقل به الأشياء والعلوم النافعة ، ويمتنع به من الأمور والعلوم الضارة والقبيحة .

والعقل ضروري للإنسان لا يستغني عنه في كل أموره الدينية والدنيوية ؛ فبالعقل يعرف العبد الأمر السديد، والطريق إليه، ويعرف الأمر الضار، وكيفية السلامة منه، فالعقل يُعْرفُ بأثاره، ومن أعظم آثاره حسن التدبير لأمور دينه ودنياه، فتدبير العاقل لأمور دينه أن يسعى في معرفة ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة الصراط المستقيم الموصل إليه ، ومعرفة ما عليه النبي الكريم من الأخلاق والهدى والاستقامة، ثم الاقتداء به في كل ما جاء به : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد:١٩].

وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ [الأحزاب:٢١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢١٠١)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٢٨).

فمن دبّر أموره الدينية بهذا الميزان الشرعي فقد كمل دينه وعقله، وكملت سعادته ؛لأن المطلوب من العقل أن يوصل صاحبه إلى العواقب الحميدة من أقرب طريق وأيسره : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣].

وأما تدبير المعاش فإن العاقل يسعى في طلب الرزق بما هو أنفع له، وأجدى في حصول مقصودة ، فإذا فتح الله له باب رزق لزمه، ثم يدبر تدبيرا آخر في الصرف والإنفاق ، فينفق على نفسه وأهله بلا إسراف ولا تقتير ، وينفق في سبيل الله، ولا ينفق في سبل محرمة، أو غير نافعة على حد قوله سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان:٦٧].

فحسن التدبير في الصرف والإنفاق ، وفي كسب الأرزاق ، دليل على كمال عقل الإنسان ورشده؛ فهذه الأولى .

أما الثانية : فإنه لا ورع إلا بكف عما نهى الله ورسوله عنه .

والورع الحقيقي: هو الذي يكف نفس العبد ولسانه وقلبه وجوارحه عن كل أمر محرم أو مكروه أو مشتبه .

فمن حفظ قلبه عن الشبهات المضلة، والشكوك المهلكة، والشهوات المحرمة، وعن الغل و الحسد وغير ذلك من مساوئ الأخلاق .

وحفظ اللسان عن الغيبة والنميمة، وعن القيل والقال، والشتم و الكذب ، وعن كل إثم وكلام محرم، وحفظ سمعه عن كل محرم يسخط الله ، و حفظ فرجه عن الحرام ، وحفظ بطنه عن كل محرم ومشتبه ، وحفظ أوقاته وجوارحه بفعل الطاعات، واجتناب المعاصي .

فهذا هو المؤمن حقا، الورع حقا : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

ومن ضيع شيئاً من تلك الأمور نقص من ورعه بقدر ذلك.

والورع الحقيقي: ترك مالا ينفع في الآخرة، أو ما يخشى العبد ضرره في الآخرة.

أما الثالثة: فلا حسب كحسن الخلق ، والحسب له منزلة عالية عند الخلق

والحسب نوعان :

الأول: حسب حقيقي ، الذي هو وصف للإنسان وجمال له وزينة ، وخير له في الدنيا والدين، وهو الإيمان والتقوى والتحلي بمكارم الأخلاق، وبذل المعروف والإحسان، واحتمال الأذى والإساءة، ومخالقة الناس بحسن الخلق.

وهذه أعلي أنواع الإحسان : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال عز وجل : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فهذا الحسب الذي هو حسب الإيمان والتقوى، وحسن الأخلاق ، هو أعلى الأحساب في الإسلام .

الثاني: حسب يتعلق بنسب الإنسان، وشرفه، وشرف بيته ، فيعمل بمقتضى حسبه ، مترفعا عن الدنايا ، متحليا بالمكارم، وهذا دون الأول.

## ٥ - فضل النصيحة والتعاون على الخير

الدين كله منحصر في النصيحة، كما فسَّر النبي ﷺ ذلك بقوله : «الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم [1].

فالنصيحة لله، الاعتراف والإقرار بواحدنيته، وربوبيته، و أولوهيته ، وإفراده بجميع صفات الكمال ، على وجه لا يشاركه فيها غيره كما قال سبحانه : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤].

والقيام بعبودية الله وحده لا شريك له ، والإنابة إليه في كل وقت ومكان وحال، مع لزوم التوبة والاستغفار دائما ؛ لأنَّ العبد لابد له من التقصير والغفلة في حق الله، سواء أكان بسبب الجهل ،أو ترك واجب، أو فعل محرم، وبلزوم التوبة والاستغفار في كل حين ينجبر نقصه، و يتم عمله : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد:١٩].

و أما النصيحة لكتاب الله؛ فتكون بفهمه وتدبره، وتعلم ألفاظه ومعانيه وتصديق أخباره و تطبيق أحكامه و امتثال أوامره واجتناب نواهيه : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٥٥﴾ [الأنعام:١٥٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ، فتكون بالإيمان به، وطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع، وتوقيره ﷺ ومحبته، وتقديمه في ذلك على النفس والمال والولد، وإتباعه في كل ما جاء به، والاجتهاد في الاهتداء بهديه، ونشر سنته، ونصر دينه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨].

وأما النصيحة لأئمة المسلمين .

وهم كل من له ولاية عامة أو خاصة ، كالحكام والقضاة والمدراء فتكون باعتقاد ولايتهم، والسمع و الطاعة لهم في غير معصية الله، وحبهم، وحث الناس على ذلك وبذل ما نستطيع من إرشاد الولاة، وتنبيههم بالحكمة والموعظة الحسنة، والقيام بواجبهم وإرشادهم إلى كل ما ينفعهم، وينفع الناس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء:٥٩].

**وأما النصيحة لعامة المسلمين :**

فبالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأداء ما يجب لهم من الحقوق، وما يحب لهم من الخير، والإحسان إليهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢].

وقال عز وجل : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

فمن قام بهذه الحقوق الخمسة، واستقام على ذلك ؛ حصل على عظيم الأجور، وسلم من جميع الشرور، وفاز بجميع المحاب في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك، وفي حديث أبي أسامة: غيرك، قال : «قل: آمنتُ بالله، فاستقم» أخرجه مسلم (١).

والإيمان بالله يشمل كل ما يجب اعتقاده من عقائد الإيمان، والانقياد والتسليم لله ظاهرا وباطنا ،وما يتبع ذلك من أعمال القلوب من الرغبة في الخير، والرهبة من الشر ، ومحبة الخير وفعله، وكراهة الشر وتركه ، وما يتبع ذلك من أعمال الجوارح ؛ وبذلك يكمل الإيمان، وتحصل الاستقامة، ويحصل الفلاح في الدنيا والآخرة : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٢-١١٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٨).

وقال الله عز وجل : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت:٦].

والتعاون على البر والخير من أعظم أعمال الدين ، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ،والمؤمن للمؤمن كاليدين تغسل أحداهما الأخرى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وشبك بين أصابعه» متفق عليه(١).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِيْ تَوَادِّهِمْ وَتَراحُمِهِم وتَعَاطُفِهِم مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اِشْتَكَى عُضْواً تَداعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالْسَّهَرِ وَالحُمَّى» متفق عليه(٢).

فيجب على جميع المؤمنين أن يكونوا إخوانا متحابين، متعاونين على مصالحهم الدينية والدنيوية : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات:١٠].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ أن النبي ﷺ قال : «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَى يُحِبُّ لِأَخِيْهِ أَوْ قَالَ لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه(٣).

فالفروض العينية يقوم بها كل مكلف، من صلاة ، وصيام ، وزكاة، وحج ونحو ذلك، وفروض الكفايات ، من أذان ، وإقامة، وإمامة، وجهاد في سبيل الله ونحوها، يُجْعَل في كل فرض منها من يقوم به من المسلمين الذين تحصل بهم

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٨٥).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٨٦).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣)، وأخرجه مسلم برقم (٤٥).

الكفاية : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة:١٢٢].

وقد أمر الله عز وجل الأمَّة بالتعاون على البر والتقوى ، وذلك لتقوم مصالح دينهم ودنياهم التي لا يتم الدين إلا بها ، وكل طائفة تسعى في تحقيق مهمتها بحسب ما يناسبها ،ويناسب قدرتها ،ويناسب الوقت والحال : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن:١٦].

ولا يتم لهم ذلك إلا بأمرين ، بالشورى، والطاعة، والشورى فيها حِفَاظَةُ الدين، والطاعة فيها حِفَاظَةُ النفس، فلا يتم لهم ذلك إلا بالشورى، التي يتقرر من خلالها اختيار الأصلح والأنفع ،ومن يصلح لكذا ،ومن يصلح لكذا ؛ ليتعاون الجميع في تحقيق المصالح الكلية العامة للأمة ؛فطائفة تتعلم، وطائفة تعلِّم ، وطائفة تجاهد، وطائفة ترابط، وطائفة تصنع الأسلحة، وطائفة تشتغل بالمكاسب المختلفة من تجارة وزراعة وأنواع الحرف وغير ذلك مما يحقق للمسلمين مصالحهم الدينية والدنيوية جميعا .

وبذلك نكون كالبنيان يشد بَعضُه بعضا، وكالجسم الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، وكاليدين تغسل إحداهما الأخرى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

فينبغي للعبد المؤمن أن يسارع للخيرات فيما بينه وبين الله ،وفيما بينه وبين الناس، سواء أثمر سعيه، أولم بثمر ، وسواء حصل بعضه أو كله ، وذلك كالشفاعة لأصحاب الحاجات عند الملوك والكبراء وغيرهم، فإن الأجر على الله بقدر السعي الصادق، والنتائج بيده الله : ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وبعض الناس يمتنع من السعي في الشفاعة مثلا إذا لم يعلم قبول شفاعته، وبذلك يخسر أمرين:

الأول: أنه فوت على نفسه خيرا كثيرا من الله.

والثاني: أنه حرم نفسه معروفا عند أخيه المسلم.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، قَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ» أخرجه البخاري (١).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٣٢).

والشفاعة الحسنة محبوبة لله، ومرضاة له ،وفيها الأجر من الرب، والإحسان إلى الخلق : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء: ٨٥].

وأعظم الإحسان إلى الخلق دعوتهم إلى الله، وتعليمهم شرع الله، وإرشادهم إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة لهم : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

# ٦ – فضل الدعوة إلى الله وبيان أحكامها وآثارها

الله سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العُلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

فالله سبحانه خالق بلا مؤنة ،مهلك بلا مخافة ، باعث بلا مشقة ، أحُد أحد، غني عن كل أحد ،واحد أحد يحتاج إليه كل أحد، وهو لا يحتاج إلى أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

أوجد سبحانه كل شيء من لا شيء ،وقهر كل شيء بقدرته ،وأعطى كل أحد بربوبيته ،وعلم بكل شيء فلا يخفى عليه شيء : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

هو الملك الذي بيده مقاليد كل شيء ،نَوَّر الشمس والقمر بقدرته ،وأسال البحار والمياه بقدرته ،وجمَّد الأحجار والجبال بقدرته وأحاط بكل شيء بسمعه وبصره وعلمه وقدرته : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

الله جلَّ جلاله هو العزيز الذي يعز بأسباب الذلة ، ويذل بأسباب العزة ؛ لأن العزة بيده وحده: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ [يونس:٦٤].

والله سبحانه قادر على كل شيء ، ينجي بأسباب الهلاك ، ويهلك بأسباب النجاة ؛ لأن أمر كل شيء بيده وحده لاشريك له: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى

ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦].

هو الحي القيوم، وكل ما سواه سيفنى إلا من استثناه ،وكل شيء سيعود إليه : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧].

هو سبحانه الملك الذي له الخلق كله ،وله الأمر كله ،وله الحكم كله ،وإليه يرجع الأمر كله ،وله العزة كلها ، وله الخزائن كلها ،وله الأسماء الحسنى ،وله الصفات العُلى ،وله الأفعال الحميدة ،وله المثل الأعلى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهو سبحانه القوي القادر القاهر الذي يكشف البلاء، ويسبغ النعماء، ويرحم من في الأرض والسماء ،ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء ، كل شيء في قبضته ، وكل مخلوق تحت قهره : ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

هو سبحانه السميع البصير، المحيط بكل شيء ،سامع الشكوى ،وكاشف البلوى، وشافي المرضى ، ومحيي الموتى ،ومقيل العثرات ،وغافر الذنب، وقابل التوب ، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، لا يعجزه شيء، ولا يغيب عنه شيء : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

هو سبحانه الحي الْقَيُّوم ،هو سبحانه الحي قبل كل حي ، حي فوق كل حي ، حي أقوى من كل حي ، حي محيط بكل حي ، حي يعطي كل حي ، حي يسمع

كل شيء ، حي يبصر كل حي ، حي عليم بكل حي، حي قاهر لكل حي، حي مالك لكل حي : ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

إن أعلى مستوى في العبودية لله عز وجل هو الدعوة إلى الله، الدعوة إلى التوحيد والإيمان، الدعوة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإنقاذهم من النار: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

والدين كله عطاء ،فالدعوة إلى الله عطاء عام من كل الأمة لكل الأمة .

أما العطاء الخاص، فكل أحد ينفق مما أعطاه الله ،فالتاجر يعطي الفقراء من ماله ،والعالم يعلم الناس من علمه ، والحليم يحلم على السفيه وهكذا : ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل:٤-١٠].

والمعطي يعطي ؛ ليعرفَ الناس المعطي سبحانه، والغني يعطي ؛ ليعرفَ الناس الغني سبحانه، والحليم يعطي ؛ ليعرفَ الناس الحليم سبحانه .

والله سبحانه هو المعطي الذي بعثك بالعطاء ،وهو الحليم الذي بعثك بالحلم، وهو الكريم الذي بعثك بالكرم ، وهو العليم الذي بعثك بالعلم ، وهو العفو الذي بعثك بالعفو : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

والداعي إلى الله كل وقته لعامة الناس، وهم أكثر الناس ، أما العالم فكل وقته لخواص الناس، وهم طلبة العلم : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا

نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ [التوبة:١٢٢].

وبقدر ما تحب من الخير يحبك الناس، فمن أحب الخير للناس أحبه كل الناس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦].

والملك الذي بيده كل شيء هو الله وحده لا شريك له ،وبمجرد الإرادة يكون المراد، وكل ما سواه لا يستطيع أن يخلق ذرة ،ولا يستطيع أن يتحكم بذرة ،ولا يستطيع أن يفني ذرة : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس:٨٢-٨٣].

إن قوة الجبار جل جلاله تُظْهِرها آياته الكونية ، وحكمته تظهرها آياته الشرعية، وكرمه وغناه تظهره نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

وخلق الله هذا الكون العظيم، حتى تأتي في الأمة قوة التعظيم لله ، وقوة التكبير لله ، وقوة التسبيح لله ، وقوة الحمد لله ،وقوة الحب لله ، وقوة الخوف من الله ، وقوة التوحيد ، وقوة الذكر ، وقوة الدعاء : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

والسبب يقيك من سبب، لكنك في قبضة خالق السبب، يفعل بك ما يشاء : ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود:٥٦].

وصلاة المرأة في بيتها كصلاة الرجل في المسجد ؛ لأن بيت المسلم يشبه المسجد في الأعمال، والمرأة في بيتها تتعبد لله بتعلم العلم ، والعمل بالدين ..

كما يتعبد الرجل في المسجد مع إخوانه المسلمين ، فهي في البيت تربي أولادها على الدين ، وتزكي نفسها. وصلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في مسجدها .

وأكثر الأحاديث التي روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ إنما أخذتها عنه في البيت، وهي تزيد على ألفي حديث، لأن البيت يشبه المسجد في الأعمال، كما قال سبحانه عن فضل قرار المرأة في بيتها : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾ [الأحزاب:٣٢-٣٤].

فقرار النساء في البيوت ليس مراداً لذاته، إنما هو من أجل التعلم، والقيام بالأعمال الصالحة، وتربية الأولاد على السنة ، فالرجال والنساء سواء في التكاليف والأعمال : ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل:٩٧].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب:٣٥].

فالرجل يجتهد على زوجته وأولاده بنقل ما رأه و سمعه في المسجد إلى بيته، وكذا الزوجة تجتهد على زوجها وأولادها، ؛ وبذلك يكون البيت كالمسجد في الوظائف والأعمال : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور:٣٦-٣٨].

والرجال والنساء كلهم نواب الرسول ﷺ في أمته: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١].

وقال عز وجل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فابتلاء الرجال والنساء بأوامر الله نعمه، وتوفيق الله لهم للقيام بها نعمة أخرى، واعانتهم عليها نعمة ثالثة، وقبولها منهم نعمة رابعة، والجزاء عليها بأحسن الجزاء بالسعادة في الجنة نعمة خامسة، وأن تكون أيها المسلم إماما في كل عمل صالح نعمة سادسة: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

وقال عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤].

فاللهم : ﴿ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤].

فكان فضل الله على هذه الأمة رجالاً ونساء بأن أعطاهم ما أعطى الأنبياء من الدعوة، والعبادة ، والتعلم ، والتعليم: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤].

فأوامر الله لنا في الدنيا : آمنوا بالله، أذكروا نعمة الله عليكم ، أدعوا ربكم، اذكروا ربكم، أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، ادعوا إلى الله، أعبدوا ربكم، وجاهدوا في سبيل الله، وأطيعوا الله والرسول، وكونوا ربانيين وغيرها من الأوامر الشرعية: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال عز وجل: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ

ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[الحج:٧٧-٧٨].

أما في الآخرة فأوامر الله لنا : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[النحل:٣٢].

وقال عز وجل : ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحاقة:٢٤].

إن علم لا إله إلا الله عبادة ودعوة، يؤهلك لتكون خليفة في الأرض، وإماماً للناس، والفوز بدخول الجنة، مع أحسن جوار : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر: ٥٤ – ٥٥].

والهدى هو الإيمان بالله، والعلم النافع، والعمل الصالح : ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[الأنعام: ٧١].

وفضل الدعوة إلى الهدى عظيم، وثوابها كبير ، والدعوة إلى الضلالة ذنبها عظيم، وجرمها كبير، وعقابها أليم : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

وقال النبي ﷺ لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر «فوالله لأن يهدي

اللهُ بِكَ رَجُلًا خيرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم» متفق عليه [1].

فما أعظم ثواب الدعوة إلى الله : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

وما أشد جناية ترك الدعوة إلى الله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

وميادين الدعوة إلى الهدى والخير كثيرة متنوعة .

فكل من علَّم علماً من علوم الشريعة، و فتح للناس أبواب العلم الذي ينفعهم في الدنيا والآخرة فهو داعٍ إلى الهدى .

وكل من دعا إلى أي عمل صالح يتعلق بحقوق الله، وبحقوق الخلق، فهو داعيا إلى الهدى ، وكل من اهتدى في علمه أو عمله فاقتدى به غيره من الناس فهو داع إلى الهدى .

وكل من سبق غيره بعمل خيري، أو مشروع عام نافع، فهو داعٍ إلى الهدى .

وكل من أبدى نصيحة دينية أو دنيوية يتوصل بها إلى الدين والخير، فهو داع للهدى، وعكس ذلك كله الداعي إلى الضلالة وكل من أعان غيره على البر والتقوى فهو داعٍ إلى الهدى وكل من أعان غيره على الإثم والعدوان فهو داعٍ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٢١٠)، وأخرجه مسلم برقم (٢٤٠٦).

إلى الضلالة : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة:٢].

فالداعون إلى الهدى، هم خيار المؤمنين، المسارعون إلى الخيرات، السابقون إلى كل فضيلة، الفائزون بأعظم الثواب: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة:١٠٠].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أوزارهم شَيْئًا» أخرجه مسلم [(١)]

والله سبحانه هو الهادي لكل خير : ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ۝١٧﴾ [الكهف:١٧].

ومصدر الهداية الأول هو القرآن الكريم : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٦﴾ [المائدة:١٥-١٦].

فالله هو الهادي، وكل أحد محتاج إلى هدايته : ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ۝١٧﴾ [الكهف:١٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

والمصدر الثاني للهداية هو السنة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ﴾ [التوبة:٣٣].

والله سبحانه جعل هذه الأمة خير أمة، وأخرجها للناس ؛ لتكون طليعة خير ، وتكون لها القيادة في الخير؛ لأن الله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض ؛ولهذا أرسل الله جميع الرسل والأنبياء بالدعوة إلى الله .

لهذا يجب على هذه الأمة أن تتصف بهذا الخير، وتعطي غيرها من هذا الخير الذي أكرمها الله به، من الاعتقاد الصحيح، والمنهج الصحيح، والخلق الكريم : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولا يجوز لها أن تتلقى نظام حياتها من أمم الجاهلية : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠ ﴾ [المائدة:٤٩-٥٠].

وعلى هذه الأمة أن تقوم بالخير بحذافيره، بإيمانها بربها، وعبادتها له ، ودعوة الناس لذلك ، وصيانة حياة البشرية من الشر ، والفساد ، والبغي ، والظلم ،

والطغيان ، وأن تقوم بعمارة الأرض، والتقدم في العلوم النافعة : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام:١٦٥].

والإيمان بالله، و ما يجب له ، هو المحرك الأعظم للدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذه الأعمال في نفس الوقت تزيد الإيمان وتقويه وتكملّه : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال الله عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد:١٧].

والإيمان بالله، وصدق التوكل عليه، والاعتصام به، هو الذي يقوي سواعد الدعاة إلى الله حين يواجهون طواغيت الشر في الأرض ، ويواجهون طاغوت الشهوات بأنواعها وعظمتها وشدتها ، ويواجهون كلل العزائم والكسل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

وقال الله عز وجل : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة:٦٧].

إن سمة هذه الأمة الخيرة الفاضلة المجتمعة، أن يسود فيها الإيمان والتقوى والخلق الكريم ، وأن يسود فيها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، وأن يوجد فيها من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأن يوجد فيها من يستمع ويستجيب للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، وأن تكون من القوة والعزة

بمكان، حتى لا يتجرأ المنحرفون على صد و رد هذا الأمر والنهي ،ولا على إيذاء وإسكات الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

إن حفظ الأمة من الفساد، وحملها على الخير و الصلاح، مرهون بقيام الحفظة على الشريعة بواجبهم في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإلا فهو الفساد والهلاك واللعن : ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

ولهذا وصف الله هذه الأمة بقوله : ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

ووصف المؤمنين الذين اشتراهم بقوله : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التوبة: ١١٢].

أن الله عز وجل يريد من هذه الأمة أن تكون خير أمة ، وأقوى أمة ، وأن تكون صلبة في العمل بالحق، والدعوة إلى الحق، والدفاع عن الحق ،وأن تؤدي الأمانة التي استحفظت عليها، فيؤدوا الأمانة كما جاءت، ويبلغوها للناس كافة:

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾
[إبراهيم: ٥٢].

وأن يقوم جميع المسلمين بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، ويقفوا جميعا في وجه الكفر ، والشرك ، والشر ، والفساد ، والظلم ، والبغي والطغيان ، والعدوان ، ولا يخافون في ذلك لومة لائم سواء جاء هذا الشر، والظلم، والطغيان ، والعدوان ، من الحكام المتسلطين الطغاة ، أو جاءهم من الأغنياء المتسلطين بالمال ، أو جاءهم من الأشرار المتسلطين بالأذى، أو جاء من عامة الناس المتسلطين بالهوى :

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال عز وجل : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، يقتضي سلطة تأمر وتنهى، والأمر والنهي غير الدعوة إلى الله ، فالدعوة إلى الله بيان ، والأمر والنهي سلطان وقد جمعهم الله في قوله : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فنقوم بهذا، وهذا، لنحصل على الفلاح في الدنيا والآخرة .

**فضل الدعوة إلى الله:**

كل من آمن بالله، وقام بالعبادة، والدعوة إلى الله، يكرمه الله بكرامات أهمها : أن الله يعزه ولو لم تكن عنده أسباب العزة ، كما حصل لبلال وسلمان رضي الله عنهما ، ويجعل أعمال الدين كلها محبوبة لديه ، يقوم بها ، ويدعو إليها، ويجد حلاوة ذلك في قلبه.

ويجعل الله له محبة في قلوب الخلق ، ويطوي بساط الباطل من حوله، ويؤيده بنصرة غيبية من عنده ، ويستجيب الله دعاءه ، ويجعل له هيبة في قلوب الناس ، ويعطيه من الأجر مثل أجور من دعاه ، واهتدى بسببه ، ويرزقه الاستقامة و الهداية ، ويجعله سببا لهداية البشرية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وقال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

و عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ : «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أوزارهم شَيْئًا» أخرجه مسلم(١) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٤).

وعَنْ سَهْلِ بْنَ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺلعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه يَوْمَ خَيْبَرَ «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يحُبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيحُبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ فَقَالَ أَيْنَ عَلِيٌّ فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ فَقَالَ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» متفق عليه[1] .

والقرآن الكريم، كتاب التوحيد والإيمان، وكتاب الدعوة إلى الله، وكتاب الهداية، وكتاب العلم، وكتاب الأجر والثواب: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

فقد بيَّن الله في القرآن قصص الأنبياء والرسل في مجال الدعوة إلى الله، لنقتدي بهم ، وكشف لنا أخطاء الأمم السابقة وحذرنا من الوقوع فيها، كما في سورة البقرة، وآل عمران، والأعراف ، والشعراء، ويونس ، وهود ، وإبراهيم ، ويوسف، والأنبياء ، ومريم وغيرها : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف:١١١].

والله عز وجل ذكر الأحكام الشرعية كلها مجملة في القرآن الكريم ، وفصلَّها ﷺ في السنة ، ولكنه سبحانه فصل جهد الدعوة في القرآن الكريم تفصيلا شافيا، كافيا، كاملا، لم يفصل عبادات الأنبياء، لا حج آدم ﷺ، ولا صلاة

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٢١٠)، وأخرجه مسلم برقم (٢٤٠٦).

إبراهيم ﷺ ، ولا صيام داود ﷺ ، ولكنه أخبر بها في إجمالا .

والله سبحانه لم يبين قصة عابد واحد في القرآن ، ولكنه بين في القرآن بالتفصيل، دعوة الأنبياء والرسل إلى الله، وما حصل لهم من الأذى والتكذيب ، وبين صبرهم ورحمتهم لأممهم، وبين كيف نصرهم الله، وخذل أعداءهم، ودعانا للاقتداء بهم : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

**وقت بداية الدعوة :**

الدعوة إلى الله عز وجل هي بيان مسائل الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وبيان محاسن الدين وغيرها من أركان الإيمان .

والدعوة إلى الله كانت من أول يوم، ومن أعظم ثمراتها التوحيد والإيمان والأعمال الصالحة، وهنالك فاصل زمني طويل بين الإيمان، ونزول الأحكام، وليس هنالك فاصل بين الإيمان والدعوة ، لأن هذه الأمة مبعوثة كالأنبياء ، بالدعوة إلى الله إلى يوم القيامة رجالا ونساء : ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف:١٠٨].

وكان كل نبي يعلم أمته بعد الإيمان الأحكام الشرعية، ولكن الله عز وجل بعد بعثته محمد ﷺ أمره أن يعلم أمته بعد الإيمان الدعوة إلى الله، ثم علمهم فيما بعد أحكام الدين في المدينة ؛ لأن هذه الأمة مبعوثة كالأنبياء لنشر الدين في العالم إلى يوم القيامة .

فقد دعا إلى الله من أول يوم في مكة أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وخديجة ، وبلال، وغيرهم من أوائل الصحابة رضي الله عنهم، تحقيقاً لقوله

سبحانه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

وقوله سبحانه : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤ –١٠٥].

**حكم الدعوة إلى الله :**

الله عز وجل أكرم هذه الأمة بأن جعل أعمارها قليلة ، وأعمالها مضاعفة ، وذنوبها مغفورة ، وعيوبها مستورة ، وذلك من أجل قيامها بعمل الأنبياء ، من الدعوة إلى الله ، وعبادة الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله .

والله عز وجل اختار هذه الأمة ، واجتباها من بين الأمم ، وكرمها ، وشرفها بهذا الدين، والدعوة إليه إلى يوم القيامة ، فالدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة كل بحسب قدرته وعلمه: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤].

والدعوة إلى الله مسؤولية الأمة، وحاجة الأمة، فبها يزيد الإيمان، ويهتدي الناس بإذن الله : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨].

وهذه الآية نص عام مطلق في الزمان، ليلًا ونهارًا، وصباحًا ومساء، ومطلق في المكان شمالا وجنوبا، وشرقا وغربا، ومطلق في الجنس، في العرب والعجم، ومطلق في النوع الرجال والنساء، ومطلق في السن، الكبار والصغار، ومطلق في اللون الأبيض والأسود، ومطلق في الطبقات السادة والعبيد، والأغنياء والفقراء، والحكام والمحكومين، ومطلق في الأحوال، المقيم والمسافر،

والمطلق والسجين، والصحيح والمريض .

فالدعوة من هؤلاء لهؤلاء واجبة، لأنهم من الناس ، وهذا الدين لكل الناس، والدعوة من هؤلاء إذا أسلموا واجبة، لأنهم من أمة محمد ﷺ : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال الله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال عز وجل : ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ» متفق عليه (١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال : «بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرَج، ومَن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأْ مقعدَه من النار» **أخرجه البخاري** (٢).

والدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة، كل أحد بحسب علمه وقدرته.

---

(١) **متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٠٧٨)، وأخرجه مسلم برقم (١٦٧٩).**

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

**والمسلمون قسمان :**

الأول: عالم يُبين الحق بنفسه، ويدعو الناس إلى إتباعه، كما قال مؤمن آلِ فرعون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر:٣٨-٤٠].

الثاني: مسلم، لكنه غير عالم ؛ فهذا يأمر الناس ، ويدعوهم لإتباع الرسل والعلماء الربانيين، كما قال الله تعالى عن صاحب ياسين : ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس:٢٠-٢١].

فالكل يقوم بالدعوة إلى الله، ليعبد الله وحدة لا شريك له ، ويطاع في ملكه وحده لا شريك له ، العالم بيّن الحق بنفسه ، وغير العالم يرشد الناس لإتباع العلماء الذين هم، أعرف الخلق بالله، وتلك هي التجارة الرابحة بلا ريب .

وبهذا يظهر الحق في العالم ، ويزهق الباطل في العالم كما يريد الله عز وجل : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف:٩].

وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف:١٠-١١].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف:١٤].

## ٧- فضل العبادة و بيان أركانها وأقسامها

العبادة : هي طاعة العابد لمعبوده فيما أمره به ، من فعل أو ترك، بالحب والتعظيم والذل له، والذي يستحق العبادة هو الله وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

**والعبادة تطلق على شيئين:**

الأول: التعبد، وهو التذلل لله عز وجل بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، محبة لله وتعظيمًا له ، وذُلًا له: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢-٣].

الثاني: المتعبد به، ويشمل كل ما يحبه الله و يرضاه، من الأقوال ، والأعمال الظاهرة والباطنة ، كالدعاء والذكر والصلاة والمحبة ونحوها : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٣-٤].

فالصلاة مثلا عبادة، وفعلها تعبد لله ، ونعبد الله وحده بالتذلل له والمحبة له، والتعظيم له، ولا نعبده إلا بما شرع : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

**حكمة العبادة :**

امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، مبني على الإيمان بالله عز وجل، وإدامة تصور عظمة الخالق ومالك الملك في القلوب ، وذلك بكثرة ذكره ، وشكره ، والتفكر في آياته ، ومخلوقاته ،ولإدامة هذا التصور ورسوخه في قلب العبد شرع الله لعباده ، مذكرا مكررا، وعملا متجددا، وهو العبادة .

وإذا زاد الإيمان وقوي استنار القلب بالإيمان ، وحسنت الأقوال ، والأعمال والأخلاق .. وزادت ، ثم رضي الرب ، ثم صلحت الأحوال ، بالفوز بسعادة الدارين ، وإذا فقد هذا الإيمان أو نقص ساءت الأعمال ، وكثرت المعاصي، ثم فسدت الأحوال ، ثم جاء غضب الرب ، ثم حصلت العقوبة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾[الأحزاب:٤١-٤٢].

وقال عز وجل: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾[الأعراف:٩٦].

**أركان العبادة :**

عبادة الله عز وجل تقوم على ثلاثة أركان :

محبة الله .. ورجاؤه .. والخوف منه

فالأول: محبة الله عز وجل، ومحبة الله تنشأ من معرفة الله ، ومعرفة أسمائه الحسنى، وصفاته العُلى، ومعرفة نعمه وإحسانه إلى خلقه ، وكلما زادت معرفة العبد بربه زاد حبه لله، وزاد تعظيمه له، وزادت طاعته له، وزاد حب الله له .

فالمحبة الكاملة من الرب مقرونة بالطاعة الكاملة من العبد : ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾[آل عمران:٣١].

لهذا يجب على المسلم أن يعرف ربه حقا، ويعبده بموجب هذه المعرفة،

ويحب كل ما يحبه الله من الطاعات ويفعله، ويكره كل ما يكرهه الله من المعاصي ويجتنبه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

الثاني: رجاء الله تعالى، والطمع في رضوان الله ، وثوابه ، ورحمته ، ومغفرته ، وجنته : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨].

**والرجاء ثلاثة أقسام :**

الأول: رجاء من أطاع الله في أن يتقبل الله عمله، وأن يثيبه عليه، بالفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

الثاني : رجاء من أذنب ذنوبا، ثم تاب منها ، أن يغفر الله له ذنوبه ، وأن يعفو عنها، وأن يبدلها حسنات ؛ وهذان القسمان محمودان مأمور بهما شرعا .

الثالث: رجاء من هو مقيم على المعاصي والكبائر، فيتمادى في التفريط في الواجبات، والوقوع في المحرمات، ومع ذلك يرجو رحمة الله .

فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب المذموم : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

**الثالث:** الخوف من الله عز وجل.

فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف وكان له أعبد .

والخوف المحمود هو ما حال بين العبد وبين معصية ربه العزيز الجبار.

والخوف من الله إنما ينشأ من معرفة الله بأسمائه وصفاته، وأفعاله، ومعرفة ضعف العبد، ومعرفة وعيد الله لمن عصاه بالعقوبات، ومعرفة شدة العذاب الذي أعده الله لمن عصاه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وكلما قوي إيمان العبد بربه ، وقوي تصديقه بعذاب الله ، وعرف شدة عذاب الله لمن عصاه، اشتد خوفه من الله، ومن عذاب الله : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل:٤٩-٥٠].

فيجب على المسلم أن يعبد الله محبة له، وتعظيما له ، وطمعا في ثوابه ، وخوفا من عقابه : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

وأكمل الناس عبادة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، لأنهم أكملهم معرفة بالله ، وأسمائه، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده ، وأعظمهم حبا لله، وتعظيما له ، ثم زادهم الله فضلا بإرسالهم إلى الناس، فصار لهم فضل الرسالة، وفضل العبودية الخاصة.

ثم يليهم الصديقون الذين كمل تصديقهم لله ولرسوله ﷺ ، واستقاموا على أمره، ثم الشهداء الذين شهدوا بالحق، وبذلوا أنفسهم من أجل الحق، ثم الصالحون الذين صلحت أعمالهم، وأبواب الكريم مفتوحة لمن شاء أن يتقدم : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

**حق الله على العباد :**

حق الله عز وجل على أهل السموات وأهل الأرض أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئا : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

فهو وحده أهل أن يعبد، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر، ومن الذي لم يصدر منه خلاف ما خلق له إما عجزا، وإما جهلا، وإما تفريطا، وإما تقصيرا؛ فنستغفر الله ونتوب إليه من جميع الذنوب والخطايا : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

لذا فلو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم ؛لأنهم ملكه، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ،لكنه كريم أوجب على نفسه لعباده ما لا يجب عليه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

وعنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. قَالَ: فَقَالَ: يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ، وما حقُّ العبادِ عَلَى اللهِ؟ قَالَ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» متفق عليه(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالَ رَجُلٌ وَلَا إِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ وَلَا إِيَّايَ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَلَكِنْ سَدِّدُوا» متفق عليه(٢)

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٢٦٧)، وأخرجه مسلم برقم (٣٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٣)، وأخرجه مسلم برقم (٢٨١٦).

# ٨- النفوس بين الاستقامة والانحراف

الأوامر الموجهة من الله عز وجل للإنسان مجموعه في أمرين :

الأول : علمي ، وهو قوله سبحانه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ١٩ ﴾ [محمد:١٩].

الثاني: عملي، وهو قوله سبحانه: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢ ﴾ [هود:١١٢].

فالأول البصائر السبع التي ذكرناها من قبل، والثاني البصيرة العاشرة فاستقم كما أمرت، فالبصائر السبع هي الأساس، والبصيرة العاشرة هي الثمرة .

ونتيجة ثمرة هذا وهذا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ٣٢ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

والاستقامة هي الدين كله ، وهى مجموعه في أمرين:

تصديق الأخبار، وتطبيق الأحكام : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ١٥ ﴾ [الحجرات:١٥].

وقال عز وجل : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

والإنسان آلة تخرج منه الأعمال ، كما تخرج الثمار من الأشجار ، فإن كانت أعماله موافقه لأمر الله ورسوله ؛ سارت به على صراط مستقيم إلى رضوان الله

والجنة، وإن كانت مخالفه لأمر الله ورسوله ،سارت به إلى غضب الله والنَّار :
﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٣-١٤].

لهذا لابد من محاسبة النفس، والتعرف على الحلو والمر، والحسن والسيئ الصادر منها ؛ لنقلها من الصراط المعوج إلى الصراط المستقيم : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ : «يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ محُرَّمًا، فَلَا تَظَالمُوا، يَا عِبَادِي: كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي: كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي: كُلُّكُم عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي: إِنَّكُمْ تخُطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جمَيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» **أخرجه مسلم** (١).

وتتم هذه المحاسبة بمكاشفة النفس، ومعرفة أعمالها ؛لعرضها على الكتاب والسنة، والأخذ بها إلى ما يحبه الله ورسوله من معالي الأمور، ويتم ذلك بسؤال الإنسان نفسه عن الصفات والأحوال الموجودة ؛ ليتم تشخيص المرض، ثم أخذ العلاج الذي يزيله، ثم استبدال الحياة السابقة، بحياة الأنبياء

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

والمرسلين والصالحين والمصلحين : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنعام: ٩٠].

فكل إنسان إمَّا أن يرقى إلى الأعلى، وإما أن ينزل إلى الأسفل .

وحياة الناس في هذه الدنيا أربعة أنواع هي :

حياة كحياة البهائم، أو حياة السباع، أو حياة الشياطين، أو حياة الملائكة والمرسلين .

فالشيطان يجرُّ الإنسان إلى حياة البهائم ،ثم إلى حياة السباع، ثم إلى حياة الشياطين : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾﴾[البقرة:٢٠٨].

والله سبحانه وتعالى يريد أن يحيا الإنسان حياة الملائكة والرسل.

وحياة البهائم و السباع والشياطين نزول بالإنسان إلى أسفل، وحياة الملائكة والرسل طلوع بالإنسان ، وصعود به، إلى أعلى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾﴾[محمد:١٢].

وقال عز وجل: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾﴾[محمد:٣٥].

ولتستبين لنا نوع الحياة التي نعيشها الآن ؛ وليتبين لنا الرشد من الغي، والحق من الباطل ، و نخرج من فتنة الشهوات والزخارف، إلى جنة المعارف و الأوامر الإلهية ، لابد أن نتفقد أنفسنا، وندرس أحوالنا، هل نحن نسير على الهدى أم على الهوى؟ وهل نحن عبيد الله أم عبيد الشهوات؟ .

والدنيا سجن المؤمن،وجنة الكافر،ولكل منهما أقوال وأفعال،وثواب وعقاب.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» أخرجه مسلم[1].

والسجين المحبوس في السجن له أربع صفات هي صفات المسلم وهي: الزهد في كل شيء إلا الخروج من السجن، والقناعة بأي شيء يكفيه والسمع والطاعة للأوامر، وانتظار الفرج بالخروج سليما من السجن .

وهذه صفات المؤمن الذي يريد الله والدار الآخرة : ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام:١٠٤].

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر:١٨].

و الآن هذه الأسئلة التي يوجهها الإنسان لنفسه ؛ليعرف من هو ؟ وماذا يعمل ؟ وإلى أين يسير ؟ وأي بضاعة يملك ؟، فسل نفسك أيها المسلم .

هل أنت الآن مستقيم على أوامر الله كما أُمِرَّتَ ، أو كما اشتهيت ؟.

وهل أنت الآن عبد لله ، أو عبد لهواك ؟ وهل فيك صفات المسلم الرباني الذي يحبه الله ؟ وهل فيك صفات العبد الذي يريد الله والدار الآخرة؟ وهل فيك صبغة الله التي يريدها الله لك؟ وهل دخلت في الإيمان ، أم دخل الإيمان في قلبك ؟.

هل أنت راض عن ربك، والله راض عنك ؟ هل أنت الآن عامل على مراد الله منك ، أم على مرادك منه ؟، هل أنت مشغول بدينك عن دنياك، أم بدنياك عن دينك ؟، هل أنت الآن في تجارة مع الخالق ، أم في تجارة مع الخلق ؟، هل ترى أنك الآن تعيش أحسن حياة ، وأسعد حياة ؟، هل حياتك الآن مطابقة لحياة نبيك ﷺ؟، هل أنت خالص لله ، مخلص لله في كل حال ؟

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٦).

هل ترى الآن أنك موجود في قوائم الدعاة إلى الله، والمعلمين لشرع الله ، والمحسنين لخلقه ؟.

هل أنت من الآمرين بالمعروف ،والناهيين عن المنكر، والناصحين لإخوانهم؟، هل أنت راض باختيار الله لك، أم أنت راض باختيارك؟، هل فَنِيَ قلبك بحب الله ورسوله ودينه، أم في حب ما سوى ذلك ؟، هل أنت تصلي لله وتعبده كما يريد، أو كما تريد؟، هل أنت تعامل الناس كما يريد الله، أو كما تريد أنت ؟، هل أنت تعامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به؟.

هل أنت الآن تحب كل ما يحبه الله ورسوله وتفعله ، وتكره ما يكرهه الله ورسوله ، وتجتنبه ؟

هل أنت سليم القلب لكل مسلم ومسلمه ؟، هل أنت تذكر الله كثيراً، وتصلي وتسلم على رسوله كثيرا؟،هل أنت تظهر الافتقار والانكسار بين يدي مولاك؟.

كم حجم الإيمان في قلبك ؟، وكم سعة سوق الطاعات لديك ؟، وكم جمعت من الحسنات، وكم جمعت من السيئات ؟، كم أطعت نفسك ، وكم أطعت ربك؟، كم أطعت الشيطان ، وكم عصيت الرحمن ؟

ماذا قدمت وماذا أخرت ،وكم أعطيت ؟وكم منعت ؟، ماذا فعلت ؟وماذا تركت ؟، ماذا أسررت؟ وماذا أعلنت ؟، كم عملت للدار الفانية ؟، وكم عملت للدار الباقية؟ .

هل أنت من الذين إذا أُعطوا شكروا، وإذا ابتلوا وصبروا، وإذا أسيء إليهم أحسنوا، وإذا أذنبوا استغفروا، وإذا سئلوا أعطوا؟

هل يليق بك أن تسكن في ملك الله، وتأكل من رزق الله، وتعصي الله بنعم الله؟.

هل أنت تستحي من معصية من خلقك ، ورزقك ،وهداك ؟

فهذه أكثر من ستين سؤالاً تكشف لك ما أنت عليه، وماذا يجب أن تكون عليه، فجاهد نفسك في مرضات الله ، وخذ بيدك إلي ما يحبه الله ويرضاه .

والتغير ممكن، وباب التوبة مفتوح، والله يحب التوابين، ويحب المطهرين : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ ﴾ [المائدة: ٣٩].

وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠ ﴾ [النساء: ١١٠].

وقال عز وجل : ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال عز وجل : ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

وجهاد النفس يختلف من شخص إلى شخص آخر.

فمن الناس من يجاهد نفسه على فعل أنواع الطاعات ، ومنهم من يجاهدها على ترك أنواع المعاصي ، ومنهم من يجاهدها على ترك الفواحش، والمحرمات والكبائر ، ومنهم من يجاهدها على ترك ظلم الناس، وترك الغش والكذب والسرقة ونحوها .

ومنهم من يجاهدها على فعل كل ما يحبه الله ويرضاه، وترك كل ما يكره الله ويسخطه، وهذه أعلى أنواع المجاهدة وأكملها وأعمها وأنفعها : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ومن وفقه الله لذلك انتقل من غافل إلي ذاكر ، ومن ذاكر إلي مُذكِر ، ومن صالح إلي مصلح ، ومن قاعد إلي مجاهد : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو

﴿ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة:٤].

**وللحصول على الهداية لابد للعبد من أمور :**

الأول: دعاء الهداية في كل ركعة في كل صلاة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة:٢-٧].

الثاني: جهد الهداية على النفس، وعلى الغير .

**والجهد على النفس يقوم على أمرين :**

الأول: جهد علمي كما قال سبحانه : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد:١٩].

الثاني: جهد عملي، ويكون بخمسة أمور :

طاعات تؤديها، ومعاصي تجتنبها، ونعم تشكر الله عليها، وذنوب تستغفر الله منها ، ومصائب تصبر عليها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

**أما الجهد على الغير فينقسم إلى ثلاثة أقسام .**

الأول: جهد على الكافر لعله يؤمن، وجهد على الضال لعله يهتدي كما قال سبحانه : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل:١٢٥].

وقال عز وجل : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٣﴾ [السجدة:٣].

الثاني: جهد على الغافل؛ ليكون ذاكرا، وجهد على الفاسق، ليكون مستقيما.
وجهد على الفاسد ليكون صالحا، وجهد على الجاهل ليكون عالما: كما قال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].
وقال تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

الثالث: جهد على الذاكر؛ ليكون مذكرا، وعلى الصالح؛ ليكون مصلحا، وعلى العالم؛ ليكون معلما، وعلى العابد ليكون عابداً وداعيا: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].
وقال عز وجل: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ٢١].
وهذه الجهود تزيد الإيمان إذا عاش المسلم في الجو الإيماني الذاكر، الذي يذكر الله فيه واليوم الآخر، وتقام فيه أعمال الهداية من عبادة ودعوة وتعليم، وتظهر فيه بين المؤمنين الأخوة، والمحبة الإيمانية، والتعاون على البر والتقوى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].
وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].
والبيئة الإيمانية الذاكرة نستفيد من خلالها خمس كرامات:
نتعلم الدين، ونعمل بالدين، ونترقى في الدين، ونعلم الدين، وندعو إلى الدين.

وبذلك يزيد الإيمان بالله، وتخشع القلوب، وتنقاد الجوارح لأنواع العبادات، ويجمع المسلم بين العمل الانفرادي والعمل الاجتماعي، ويجمِّل حياته بالحسن والأحسن، ونفع النفس ونفع الغير، والصلاح والإصلاح والعبادة والدعوة، والذكر والتذكير والتعلم والتعليم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

ومن وفقه الله لهذه الجهود العظيمة فقد أحبه الله، واستعمله فيما يحبه ويرضاه وأدخله جنة المعرفة في الدنيا التي هي سبب لدخول الجنة في الآخرة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤].

وقال عز وجل: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار:١٣-١٤].

وقال عز وجل: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦].

## ٩ - فاستقم كما أمرت

من عرف الله حقا آمن بالله حقا، وعبد الله حقا، وأطاع الله حقا ، وكبَّر الله حقا، وأحب الله حقا، وحمد الله حقا : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد:١٩].

وثمرة المعرفة الاستقامة على أوامر الله كلها، مع كمال الحب لله، وكمال التعظيم لله، وكمال الذل لله: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ ﴾[هود:١١٢].

وحسن الاستقامة يكون بأمور:

الأول: عود نفسك يوميا على التقدم في طريق الاستقامة، حافظ على الصلوات المفروضة والمسنونة والمؤكدة في أوقاتها كل يوم، مؤديا لها بقلبك وقالبك كما فعلها النبي ﷺ : ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ ﴾[البقرة:٢٣٨].

وقال عز وجل : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ ﴾ [المؤمنون:١-٢].

الثاني: عود نفسك كما تصلي في كل وقت، أن تتصدق في كل وقت، حسب الاستطاعة بأي شيء : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ﴾ [البقرة:٢٧٤].

الثالث: عود نفسك على أن تذكر الله في كل وقت ؛ فالوقت إناء فارغ، فاملأهُ بذكر من خلقك ورزقك، وهداك وعافاك : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢].

الرابع: عود نفسك أن تحمد الله وتشكره بقلبك ولسانك وجوارحك في كل وقت، فكما ملأ الله لك الكون بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، فأملأه بحمد الله وشكره، شكرا للمحسن على إحسانه وإنعامه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢].

الخامس: عود نفسك كل يوم على الإحسان إلى الخلق من كانوا وحيث كانوا فكما أحسن الله إليك بالصحة والعلم والمال والولد والجاه والأمن؛ فأحسن إلى غيرك كما أحسن الله إليك: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص:٧٧].

السادس: عود نفسك كل يوم على بذل الندى، وتحمل الأذى، والصبر على المكاره، والعفو عن الزلات؛ يحبك الله ويحبك الناس.

السابع: عود نفسك كل يوم على التحلي بمكارم الأخلاق، وجميل الصفات فالأخلاق الحسنة حلية المسلم والمسلمة في كل زمان ومكان وحال، لا ينزعها أبدا، ولا يلبس سواها: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وأصول الأخلاق التي يجب علينا أن نتحلى بها أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقال عز وجل: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الثامن: عود نفسك كما تقوم بالأعمال الانفرادية كل يوم من ذكر ودعاء وقراءة قرآن ونحو ذلك أن تقوم بالأعمال الاجتماعية كل يوم من الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح لإخوانك المسلمين، والإحسان إلى الناس: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

التاسع: عود نفسك على حفظ جميع أوقاتك وشغلها بما أمرك الله ورسوله به، واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

العاشر: عود نفسك على أن تستمر وتستزيد من العلم الإلهي كل وقت، وأن تعلم هذا العلم لغيرك، لتكون من نواب النبي ﷺ في أمته: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال النبي ﷺ: «خَيْرُكُم منْ تَعَلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ» أخرجه البخاري (١).

الحادي عشر: عود نفسك كل وقت على الإكثار من الاستغفار والتوبة من سيئات الأقوال والأعمال، ومن الذنوب الظاهرة والباطنة، ومن المعاصي الكبيرة والصغيرة: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

وقال رَسُولَ الله ﷺ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» أخرجه مسلم (٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

الثاني عشر: احرص على تجديد إيمانك وتوحيدك في كل وقت، فإذا زاد الإيمان، وقوي التوحيد، أحبت القلوب ربها، وعظمته وكبرته، ووحدته، وحمدته وشكرته، وعبدته، وأطاعته، وتحرك اللسان بذكر الله وحمده والثناء عليه، وتحركت الجوارح بأنواع الطاعات، ومختلف العبادات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

الثالث عشر: احرص على إتباع رسول الله ﷺ في كل ما جاء به في توحيده وإيمانه، وفي سيرته وسريرته، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه العظيمة وفي كل حال من أحواله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

ولتحقيق العبودية لله في كل حال؛ لابد من لزوم البيئة الإيمانية الذاكرة، والانقطاع عن البيئة الابليسية الغافلة القاتلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

ولتكمل العبودية لله في كل شأن لابد من مجاهدة الأعداء.

وأعظم أعداء المسلم أربعة، النفس، والشيطان، والدنيا، والكفار.

العدو الأول: أعظم الأعداء النفس الأمارة بالسوء والانتصار عليها يكون بحملها على طاعة الله ورسوله: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف:٥٣].

وقال الله عز وجل: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

أما العدو الثاني: فهو الشيطان الذي يزين للنفس المعاصي، ويثقل عليها الطاعات : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر:٥-٦].

أما العدو الثالث :فهو الدنيا التي تخدع الإنسان بزينتها وشهواتها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [فاطر: ٥].

وأما العدو الرابع: فهو الكفار والمشركون والمنافقون : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩﴾ [التحريم:٩].

وقال عز وجل : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾ [الفرقان:٣١].

فلا يمكن الانتصار على العدو الخارجي وهم الكفار إلا بالانتصار على العدو الداخلي وهو النفس والشيطان ، ولا يمكن الانتصار على الشيطان إلا بالانتصار على النفس ، حتى تستقيم على أوامر الله عز وجل : ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس:٧-١٠].

فأعظم أعداء الإنسان هي نفسه ، والنفس أعظم صنم معبود من دون الله ، ومن انتصر عليها انتصر على ما سواها : ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾ [القصص:٥٠].

إن النفس البشرية مشحونة بحب الشهوات المادية كالبهائم ؛ فاعلم بارك الله فيك أنك في معركة كبيرة مستمرة مع هذه النفس الأمارة بالسوء ، وهي

كالجبل العظيم الذي يحول بينك وبين الله ، ويمنعك من الصعود إلى الدرجات العلا.

إن النفس محبوبة، وما تدعو إليه محبوب، ومرغوب ، فكيف نجاهد من نحب.؟!، وكيف نتغلب عليها ،ونحن أضعف ما نكون أمامها!؟، وكيف نجاهدها ونحن في أسرها؟! وكيف نصرف الأوقات والأعمال، لتكون من حظوظنا لا من حظها! .

فلابد من تحطيم هذا الصنم المعبود من دون الله الذي يجر الإنسان من التوحيد إلى الشرك، ومن الطاعات إلى المعاصي، ومن الاشتغال بأداء الأوامر إلى الانهماك في قضاء الشهوات والملذات، ومن عبادة الرحمن إلى عبادة الشيطان: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[النازعات: ٣٤-٤١].

# ١٠ - كيف تكون الأول عند الأول

يستطيع العبد بعون الله عز وجل أن ينتصر على هذه النفس الأمارة بالسوء، بتحقيق وتطبيق الأمور الآتية :

الأول: الاعتراف بأنك عبد ضعيف ، فاستعن على نفسك وعلى غيرها بربك القوي الذي لا يعجزه شيء : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٣﴾ [التغابن:١٣].

الثاني: تتبع آفات النفس، وما تجره إليه من المعاصي والمحرمات، التي هي سبب لدخول جهنم، وغضب الرب، وخسارة الدار الآخرة : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٧-١٠].

إن النفس لا تُعطى مناها حتى تصل إلى مولاها ،ولن تصل إلى مولاها حتى تستقيم على أوامر مولاها : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢﴾ [هود:١١٢].

الثالث: إذا اتسع الصدر بحب الله، وحب أوامر الله، وحب عبادة الله، وحب المؤمنين؛ فيجب أن يضيق بضد ذلك، فيضيق بالكفر والشرك والمعاصي وأعداء الله ،ويضيق بحب غير الله ويضيق عن عبادة غير الله : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٢ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٢٣﴾ [الزمر:٢٢-٢٣].

الرابع: المسارعة إلى فعل الطاعات ، واجتناب المعاصي، وتوجيه الطاقات لأداء الأعمال الصالحة : ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف:٤٦].

وقال الله عز وجل : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢١].

الخامس: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فراقب الله في جميع أوقاتك و أحوالك، وليكن خوفك من ربك العظيم الجبار، أعظم من خوفك من ذنوبك، وخوفك من ذنوبك، أعظم من خوفك من عدوك ؛ فالخوف من الله السميع البصير، القوي القدير، يحرق المعاصي، ويطفئ لهيبها، ويذهب حلاوتها، ويكسر قرونها، ويغلق أبوابها : ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥].

السادس: ذبح النفس بسيوف المخالفة ؛ لتستقيم على أوامر الله عز وجل في كل حال. ويتم وذلك للعبد بستة أمور:

استدامة ذكر الله في كل حال، والاستقامة على الطاعات، والبعد عن المعاصي، وعدم الاسترسال في إعطاء النفس حظوظها كلما طلبت، والنظر في حسن وعد الله لمن امتثل أوامره، والنظر إلى عظيم وعيد الله لمن عصاه .

ومن أجل ترويض النفس ، والأخذ بها إلى طريق الاستقامة، كان النبي ﷺ

يصوم حتى يقال لا يفطر ، ويفطر حتى يقال لا يصوم .

وذلك لترويض النفس على طاعة الله، وإعطاء النفس شيئا من حظوظها وشهواتها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾ [البقرة:١٧٢].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» أخرجه البخاري(١).

وللحصول على الاستقامة لابد من مخالفة هوى النفس، وترويضها على الحق تدريجيا، حتى تصل إلى القمة .

السابع: صدق اللجوء إلى الله في كل حال ، وطلب العون منه للانتصار على هوى النفس ، وإظهار الفقر والفاقة بين يدي الله في كل حال، وعند ذلك يهبك الوهاب المواهب، ويحميك القادر مما يضرك، ويكفيك ما أهمك من أمر عدوك ويجعله أسيرا لك : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ ﴾ [الطلاق:٢-٣].

الثامن: الجد والإجتهاد والاستقامة على أوامر الله في كل حال، والأخذ من الشهوات المباحة بقدر ما يعين على الطاعات، والمسارعة إلى أنواع القربات:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩).

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج:٧٨].

ومن صدق الله في ترك شهوة تشغله عن القيام بأوامر الله كفاه الله مؤنتها ، ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

التاسع: كمال الثقة بالله، والاعتقاد الجازم بأن الله سوف يعوضك عن كل ما تتركه من أجله ابتغاء مرضاته، فمن صرف نفسه عن الاسترسال في طلب الشهوات والملذات الحسية، عوضه الله خيرا منها من السعادات القلبية والروحية، وجعل أنسه وفرحه في ذكر الله، وتلاوة كتابه، وامتثال أوامره وجعل ذلك فوق كل فرح : ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس:٥٨].

ومن رزقه الله ذلك فرح بطاعات ربه أعظم من فرح العاصي بشهوات نفسه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

العاشر: أعلم أنك عبد القوي، وعبد القادر، وعبد العزيز، وعبد الجبار، وعبد الملك، والنفس كالعدو الذي يتربص لك في كل حين، ليظفر بك ويأسرك .

فهذه النفس الأمارة بالسوء، إن عرفت قوة صولتك، وقوة إرادتك، انقادت لك، وسلمت نفسها لك ، وإن عرفت عنك الضعف و المهانة، استأسدت عليك،

وافترستك، وأسرتك، وجرتك إلى المهالك :{ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾}[سورة يوسف]

فاحمل نفسك على الجد والحزم في كل حال، وخذ بيدها إلى ما يسعدها في الدنيا والآخرة : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾[الأعلى:١٤-١٥].

إن خطر النفس عظيم، وطاعتها في شهواتها مهلكة، والتسليم لها في كل ما تريد يجعلك أسيراً عندها ، ومطاوعة النفس في كل ما تريد يشتت القلب، ويضيع الأوقات في طلب الشهوات، ويقعدها عن فعل الطاعات ويغمسها في بحر المحرمات والمنكرات والشهوات، و يوقعها في العذاب والخسارات : ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[القصص:٥٠].

وقال عز وجل : ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾[مريم: ٥٩].

هل التغيير ممكن ؟ وهل تعويض ما فات من الخير ممكن ؟، وهل العلاج موجود؟ وهل الصعود إلى الدرجات العلى ممكن ؟ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾[الرعد: ١١].

فتتغير الأعمال، والله يغير الأحوال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

إن باب التوبة مفتوح، بل الله التواب الرحيم يفرح بتوبة عبده أعظم من فرحه

التائب بتوبته : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥].

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انْفَلَتَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفْرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ ، ؟ وَعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ ، فَطَلَبَهَا حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ ثُمَّ مَرَّتْ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ ، فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا فَوَجَدَهَا مُتَعَلِّقَةً بِهِ ؟ قُلْنَا : شَدِيدًا يَا رَسُولَ اللهَّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : أَمَا وَاللهَّ للهَّ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ» أخرجه مسلم [1].

فروض رحمك الله نفسك الأمارة بالسوء على طاعة الله ورسوله ، واحملها على فعل ما يحبه الله ويرضاه في كل أوقاتك ، وسلمْ القلب والقالب لمن خلقه وسواه، وأطعمه وسقاه، و هداه و اجتباه : ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢].

ولتكون الأول عند الأول:

ابدأ أولا بتغيير فكرك، لتنتقل من معرفة الخلق إلى معرفة الخالق ،وتجاوز الصور إلى المصور، واستدل بالأرزاق على الرازق ، وتجاوز الدنيا الفانية إلى الآخرة الباقية ، وتعرف على ربك العظيم، وعلى عظيم إحسانه ، وعلى جلاله وجماله ، وعلى دينه وشرعه ، وعلى وعده و وعيده ، وعلى ما يحبه و يرضاه

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٦).

لتفعله، وعلى ما يكره ويسخطه لتجتنبه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام:١٠٢].

ثانياً: ابدأ بتغيير أقوالك، وأفعالك، وأخلاقك، لتنتقل من الحسن إلى الأحسن ومن الأدنى إلى الأعلى، لتكون للمتقين إماما، وذلك بتنفيذ أوامر الله على نفسك الآن بالتدريج ، وروض قلبك ولسانك وجوارحك وحواسك على الالتزام دائما بطاعة الله ورسوله في كل حال .

فروض عينيك فلا تنظر إلا لحلال ، وروض أذنيك فلا تسمع إلا لحلال ، وروض لسانك ليكف عن الكلام إلا فيما ينفع ، وروض قدميك حتى لا تمشي إلا إلى طاعة ، وروض يديك حتى لا تأخذ و لا تعطي و لا تعمل إلا حسب أوامر الشرع ، وروض عقلك حتى لا يقدم على أمر إلا حسب أمر الله ورسوله، وروض قلبك حتى لا يحب إلا ما يحبه الله ورسوله : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولٗا ٣٦﴾[الإسراء:٣٦].

وقال سبحانه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

ثالثاً: الأوقات أواني للأعمال، فاحفظ أوقاتك كلها، وأملأها بما أمرك الله ورسوله به، من الوظائف و الواجبات و السنن ، ولا تغفل أو تكسل عن ذلك، فيدخل الشيطان حصنك، ويستولي على نفسك، ويقودك إلى المهالك : ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ

ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

رابعاً: أظهر الافتقار و الفاقة و الحاجة إلى الله في كل حال، وأظهر الذل و الانكسار لله في كل حال ،و الزم الاستغفار قبل العمل، و أثناء العمل، وبعد العمل، فكل بني آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥].

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء: ١١٠].

خامسا: أحسن إلى الخلق بقدر استطاعتك، وكف الأذى عن العدو والصديق، وصل من قطعك، واعطِ من حرمك، واعفُ عمن ظلمك، وأحسنْ إلى من أساء إليك ، واصرف نفسك عن كل ما لا ينفعك : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص: ٧٧].

وعن أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺأنه قال: «مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ» أخرجه أحمد والترمذي(١).

سادساً: احمد الله عز وجل على نعمه الماضية، و الحاضرة والمستقبلة، واشكره على أن أعطاك خيرا، وصرف عنك شرا ، واحمد ربك على أن أنعم عليك، وعلى غيرك من الخلائق : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦﴾ [الجاثية: ٣٦].

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم(١٧٣٧)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٣١٨).

سابعاً: اجتهد على تقوية إيمانك كل يوم بالنظر في الآيات الكونية، وتدبر الآيات الشرعية ؛ لتستقيم على أوامر الله حقا في كل حال، وتكون الطاعات عندك شهوات وترى الشهوات قاطعات .

ثامناً: استقم على أوامر الله في كل حال، واحمل دينك فوق رأسك، واجعل له كل الأوقات، وأوصله إلى من استطعت من بني آدم ، وكما تطوف بالبيت العتيق سبع مرات، معلنا التوحيد، وكمال الطاعة، لمولاك، فعليك أن تطوف في العالم دائما لتبلغ دين الله للناس في مشارق الأرض ومغاربها : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

وقد تكفل الله برزقك، وحفظك، وحفظ أهلك : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ : «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» أخرجه أحمد والترمذي [(١)].

وكن كالشمس التي تجري لتضيء العالم بالنور كل يوم ، وكن كالقمر الذي يسري بالليل ؛ لينير العالم، كلما أنهى دورة كل شهر بدأ من جديد : ﴿ وَٱلشَّمۡسُ

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم(٢٧٦٣)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ
كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي
فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ [يس: ٣٨-٤٠].

وكن كالسحب التي تطوف العالم؛ لتسقي النبات والحيوان والإنسان: ﴿وَهُوَ
ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ
مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ
٥٧ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ
نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨﴾ [الأعراف: ٥٧-٥٨].

وكن رحمك الله كالأرض التي كلَّما صبَّ الله عليها الماء أنبتت من كل زوج بهيج: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن
كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج: ٥].

وقد وكلَّك الله بنشر الهداية والدين في العالم، كما وكلَّ تلك المخلوقات العظيمة بتلك المنافع العظيمة؛ فأنت خليفة الله في الأرض فأدِّ الأمانة ولا تخونها وتجحدها: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ
بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة: ٧١].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا
وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ
وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا
رَّحِيمَۢا ٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

تاسعاً : أنت نائب الرسول ﷺ في أمته، وفي إبلاغ دينه، وتعليم شرعه، وفي الإحسان إلى خلقه حتى يبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢].

فقم بذلك كله ما استطعت كما أمرك ربك ، واصبر على ما أصابك، وتحمل الأذى، فأشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، ولك على كل ذلك أجر عظيم، وفوز عظيم : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

وقال عز وجل : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر: ١ – ٣].

وبهذه الصفات العظيمة، وبتلك الأعمال الكبيرة ، وبتلك الجهود المتواصلة، وبذلك الصبر الجميل ؛ تكن عبدا ربانيا، نافعا لنفسك ولغيرك في كل مكان وزمان وحال : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩].

وبذلك يدخلك الله جنة المعرفة في الدنيا، الموصلة إلى الجنة في الآخرة ، وهذه الجنة معجلة للعبد في هذه الدنيا، وهي أعظم من جنة الآخرة، لأنها متعلقة بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ودينه وشرعه، و وعده و وعيده، والتعبد لله بموجب ذلك، ودعوة الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾[النساء: ١٢٥].

ومن دخل هذه الجنة، وفتح الله له أبوابها، ملكت عليه أوقاته وشهواته، وأسعدت قلبه، ولم يخطر على باله سواها، وتعلق قلبه بها، ولم يطق الصبر عنها، والاشتغال بغيرها ويظهر ذلك جليا في حياة الأنبياء والرسل ثم في اتباعهم الذين يقومون بأعمالهم : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠].

وقال الله عز وجل : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[الرحمن:٤٦].

والباب مفتوح لكل أحد، ليدخل هذه الجنة العظيمة، ومن دخلها ذاق طعمها، ووجد حلاوتها، فهو بين يدي ربه عابداً، ذاكراً، حامداً، مسبحاً، ممجداً، مكبراً له، سائلاً، مستغفراً: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

وهو كذلك بين يدي خلقه داعياً، ومعلماً، ومحسناً، ورحيماً، وعفواً، وهو في كلا الحالتين صابرٌ محتسبٌ مجاهد : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣].

وقال عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

ومن عرف ذلك، وذاق طعم تلك المائدة وحلاوتها، لم يقم منها أبداً " ومن ذاق عرف ، ومن عرف غرف له ولغيره : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾[الجمعة:٤].

ومن فتح الله له أبواب هذه الجنة فدخلها كان من عباد الرحمن، وكان من الذين

اشتراهم الله ؛ لأنهم اتصفوا بالصفات التي يحبها، وأثنى على من اتصف بها .
وهذه الصفات التي يحبها هي مقصود الرب من خلقه ، ومن كرمه ورحمته دعا إليها كل إنسان، ويجزي عليها أحسن الجزاء في الدنيا و الآخرة .
نسال الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات حسن الاتصاف بها.
وهذه الصفات التي دعانا الله إليها ذكرها الله عز وجل في غالب سور القرآن وهي تزيد على مئة صفة من أحسن الصفات، ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].
وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].
وقال عز وجل : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون: ١-١١].

وقال عز وجل : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣-٧٦].

وغير ذلك من الآيات التي تدعو المسلم للتحلي بمكارم الأخلاق، وأحسن الصفات.

والعاقل حقا لا يرضى لنفسه ولا لغيره إلا بأحسن الأخلاق والمعالي والرتب الإيمانية، والمسابقة إلى الخيرات : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

ومن أراد ذلك، وكلنا يريد ذلك ؛ فليغير حياته ، وليغير الآن فكره و أعماله .
والله يغير أحواله، ويرفعه من الحسن إلى الأحسن ومن الجميل إلى الأجمل وينقله من الأسفل إلى الأعلى ، ومن فكر البشر إلى فكر الأنبياء والرسل ، ومن جهد الدنيا إلى جهد الدين : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ۝١١﴾ [الرعد:١١].
وقال عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].
والأحسن والأجمل والأكمل والأسعد للإنسان في الدنيا الآخرة، أن يعيش كحياة النبي ﷺ وأصحابه، فيحمل فكر النبي ﷺ، وأعمال النبي ﷺ وجهد النبي ﷺ، بترتيب النبي ﷺ.
ليل كليل النبي ﷺ ، ونهار كنهار النبي ﷺ ، وصلاة كصلاة النبي ﷺ، وأقوال كأقواله ، وأعمال كأعماله ، ودعوة كدعوته ، وعبادة كعبادته ، وأخلاق كأخلاقه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾ [الأحزاب:٢١].
فهنيئا ثم هنيئا لمن أمن بالله عز وجل، وكان الرسول ﷺ قدوته، وصبغة الدين صبغته، و أعمال الدين سلعته، والأرض دكانه، والناس زبائنه، والأوقات تجارته : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١﴾ [الصف:١٠-١١].
وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت

طَآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف:١٤].

وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» أخرجه البخاري(١).

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا ، اللَّهُمَّ أَعْطِنَا وَلَا تحَرِمْنَا، وَ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا : ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف:٢٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠).

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الحادية عشرة

## فقه القضاء والقدر

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه القضاء والقدر.

الثاني : فقه الإيمان بالقدر.

الثالث : أفعال الله عز وجل.

الرابع : هل الإنسان مخير أم مسير؟.

الخامس : حكمة خلق إبليس.

السادس : مراتب الإيمان بالقدر.

السابع : أقسام كلمات الله عز وجل.

الثامن : أقسام القدر.

التاسع : أقسام الإرادة.

العاشر : ثمرات الإيمان بالقدر.

# البصيرة الحادية عشرة

# فقه القضاء والقدر

## ١ - فقه القضاء والقدر

الله عز وجل هو الملك الذي بيده وحده الخلق والأمر، فالخلق كله بيده، والتدبير كله بيده، والملك كله بيده: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

والإنسان يفعل ولا يخلق، لأن الله وحده خالق الذات، والصفات، والأفعال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر:٦٢].

والله سبحانه له قدرة مطلقة يخلق بها كل شيء، و يفعل بها كل شيء: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

أما الإنسان فالله القدير اقدره على الفعل، لا على الخلق، وهو في فعله تحت مشيئة الله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان:٢٩-٣١].

فالإنسان كراكب السفينة، يفعل في داخلها ما يشاء، لكن قيادتها بيد ربانها وحده كما قال سبحانه عن هود ﷺ: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود:٥٦].

فالكون كله مسير بقدرة الله وحده، والإنسان مخير في أفعاله من داخل هذه القدرة، وهذه الدائرة : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك:١].

والله سبحانه عليم بجميع أفعال العباد خيرها وشرها ، ولكنه علم سابق لا سائق، فالله يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج:٧٠].

وقال عز وجل : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

والله سبحانه قدر كل شيء، وعلم كل شيء، لكن الإنسان لا يعلم، فعليه أن يعمل بما أمره الله به : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة:١٠٥].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ : قِيلَ : «يَا رَسُولَ الله أَعُلِمَ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟» قَالَ : فقَالَ : «نَعمْ»، قَالَ : قِيلَ : «فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟»، قَالَ : «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» أخرجه مسلم [(١)].

والخير والشر كله خلق الله ، لكن الخير خلقه الله وفعله، والشر خلقه لا فعله ، والخلق قد يكون حلوا أو مرا : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٤٩).

والله سبحانه خالق كل شيء، لا خالق غيره، ولا رب سواه : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر:٣].

فالله سبحانه خلق النار، وخلق فيها الإحراق، والنار هي التي فعلت .

والله خلق اللسان وخلق فيه الكلام واللسان هو الذي فعل الكلام : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦].

وقال عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

والقضاء والقدر متعلق بالماضي، والحاضر، والمستقبل .

فكل ما يجري وجرى وسيجري في هذا الكون كله بقضاء الله وقدره .

والقضاء يطلق على أداء الدين، ويطلق على الحكم، ويطلق على الأمر، ويطلق على الإنهاء، وعلى الإنتهاء من العمل، في عشرة أمور ذكرها الله في القرآن، وذكرها النبي ﷺ في السنة .

والقدر تدبير هذا الكون بعلم الله السابق، وتنفيذه في مخلوقاته .

والفاعل ثلاثة أقسام :

الأول : فاعل بالاختيار، وهو الله عز وجل : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص:٦٨].

الثاني : فاعل بالطبع، فالله طبعه على الفعل كالإنسان والنار والشمس والرياح وغير ذلك من مخلوقاته من جماد ونبات وحيوان .

الثالث : فاعل بفعل غيره :

والاعتماد على الأسباب وحدها شرك ، وتركها معصية، فنفعل الأسباب المشروعة بجوارحنا ، ونتوكل على الله بقلوبنا : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾ [التغابن:١٣].

ففعل الأسباب المشروعة علينا، والنتائج على الله الذي بيده مفاتيح كل شيء : ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٥٩ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٦٠ ﴾ [الواقعة:٥٨-٦٠].

وقال عز وجل : ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤ ﴾ [الواقعة:٦٣-٦٤].

وكل ما قضاه الله وقدره وكتبه في أم الكتاب، فهذا لا يتغير ولا يتبدل ، وأما ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، فهذا قد يتغير و يتبدل: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩ ﴾ [الرعد:٣٩].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» متفق عليه (١) .

واللوح المحفوظ تطلع عليه الملائكة، والقرآن موجود في أم الكتاب، وموجود في اللوح المحفوظ، وموجود في المصاحف التي معنا و موجود في صدور المؤمنين : ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤ ﴾ [الزخرف:٤].

وقال عز وجل: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢ ﴾ [البروج:٢١-٢٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ٤٩ ﴾ [العنكبوت:٤٩].

وقد فطر الله جميع الخلق على التوحيد كما قال سبحانه : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٦٧)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٥٧).

حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم:٣٠].

**ومفسدات الفطرة ثلاثة :**

الكبر .. العناد .. والتقليد للأباء أو الحكام أو النظراء .

والقدر يحتج به في المصائب لا في المعائب، والشيطان حريص على إغواء الإنسان، إن كان محسناً أدخل عليه العجب، وإن كان الإنسان مسيئا أدخل عليه اليأس، لئلا يتوب إلى ربه من ذنبه .

فالقدر يُتسلى به عند المصائب، ولا يستدل به عند المعاصي، لأن المعاصي وإن كانت من خلق الله، فليست من فعله، بل هي من فعل فاعلها كما قال سبحانه عن الكفار: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف:٢٨-٣٠].

فالخلق من صفات الربوبية ، أما الفعل فيصدر من المالك ومن المملوك ، ومن الرب ومن العبد، فالله يفعل ما يشاء، والعبد كذلك يفعل ما يشاء : ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:٢٩].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود:١٠٧].

وخطيئة آدم زالت بالتوبة، ولكن بقيت المصيبة والابتلاء ، وكل ما يجري على الإنسان بسبب المعصية فهو من شؤم المعصية، أما العقاب على المعاصي فهو في يوم القيامة : ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ

وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥].
وقال عز وجل : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى:٣٠].
والإيمان درجات، والناس فيه متفاوتون، والمؤمن حقا يرتقي في إيمانه، كلما عرف ربه استغفر من تقصيره في عمله، واستحيَّ من ربه، لسوء عمله : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].
وفعل الأسباب مأمور به شرعا، وأداء الأوامر مأمور به شرعا،وكلاهما عبادة لله، لكن فعل الأسباب ظني ، واداء الأوامر قطعي ، فاليقين على جميع اوامر الله قطعي، من استغفر غفر الله له ، وأمده بالأموال والبنين : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح:١٠-١٤].
ومن دعا الله أجابه : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].
أما فعل الأسباب فهو ظني، قد يثمر وقد لا يثمر، لأن الامر بيد الله وحده .
والطلب من العبد ثلاثة أنواع :
الأول طلب الدنيا : ويكون بالمشي : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك:١٥].
الثاني : طلب الأخرة : ويكون بالسعي كما قال عز وجل : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم

مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء:١٨-٢٠].

وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الجمعة:٩].

الثالث: طلب الله : ويكون بالفرار إليه كما قال سبحانه : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

فإلى الله فرار ، وإلى الأخرة سعي ، وإلى الدنيا مشي .

وعلى قدر المعرفة تكون المحبة، والحركة والثمرة، و حسن العبادة : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

**ومراحل الحياة ثلاث :**

الدنيا ومألها إلى الفناء، والبرزخ ومأله إلى الانتهاء، والأخرة دار الخلود والبقاء: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشورى:٣٦].

فالدنيا لمعرفة الله، والإيمان به، وعبادته ، والبرزخ للانتظار والسؤال، والأخرة للثواب والعقاب، ورؤية الله عز وجل: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وأعظم العقود : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة:١١١].

فالله قد اشترى، فهل انت بعت؟، فالذي باع على ربه هو من شهد ان لا إله إلا

الله، وأدى مقتضاها، وهو أن لا تتعامل مع غيره ، وتتعامل مع خلقه حسب أمره وشرعه: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[البقرة:١٧٧].

والله سبحانه خلق الإنسان، وأنعم عليه بكل نعمة، فعليه أن يشكر ربه على هذه النعم لتدوم له، وإذا لم يشكر ربه سلبها الله منه، حفاظة له، لئلا ينشغل عنه بنعمة: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [فصلت:٥١].

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

ومن رحمه الله عز وجل بعبده العاصي أنه يستره، ويغفر له، ويعفو عنه، فالستر لا يفضحه بين الخلق، والمغفرة يغفر له جميع ذنوبه إذا استغفر ربه، والعفو محو الذنب عنه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠].

وإذا جاءت حقيقة الإيمان بالقلب، تعلق القلب بالله وحده، ولم يلتفت لأحد سواه، وعلم ان الامور كلها بيد الله وحده ، وعلم أن رزقه سيأتيه، ولن يأخذه غيره فاطمأن ، وعلم ان عمله لن يقوم به غيره فاجتهد في أدائه ، وعلم أنه سيقابل ربه بعمله فاستحى من ذلك اللقاء : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

والله سبحانه استجاب دعاء أشقى الخلق وهو إبليس، فكيف لا يستجيب دعاء المضطر، أو المقصر، أو العاصي: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

والمؤمن يستفيد من صفات الربوبية فكل نعمة من ربه، ويستفيد من صفات الألوهية من رحمه الله، من عفو الله، من مغفرة الله، من ستر الله.

أما الكافر فيستفيد من صفات الربوبية من النعم المادية فقط، لأن النعم كلها من عند الله وحده: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

ولاحظ له من صفات الألوهية، ولاحظ له في الأخرة: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٨-١٩].

وكلما تعلق قلب العبد بغير الله من زوج، أو مال، أو ولد، حرمه الله منه، وسلطه عليه، ليرجع الى ربه الذي بيده جميع مصالحه: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

وعلى قدر علمك بالله سيكون حسن ظنك به، وعلى قدر حسن ظنك به

سيكون كمال توكلك عليه ، وعلى قدر معرفتك بربك تكون قوة محبتك له، وعلى قدر محبتك له تكون قوة عبادتك له، وشكرك له : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد:١٩].

فمن لم تكن في قلبه حقيقة لا إله إلا الله فهو أعمى البصيرة، فهو في الصورة يعبد الله، وفي الحقيقة يعبد غير الله ممن تعلق قلبه به من دون الله : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ ﴾ [الشعراء:٢١٣].

فاشغل عقلك في فهم الشرع والقدر، وعطله عن انتقاد الشرع والقدر : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ [النساء:٦٥].

وقال عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ [الرعد:٢٨].

واذا انطلق الدعاء من قلب مؤمن علق خوفه ورجاءه و يقينه بمن يسمع الدعاء، ويملك القدرة على الإجابة، استجاب الله لمن سأله بهذا اليقين : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾ [البقرة:١٨٦].

والله سبحانه هو الملك الحق الذي لا يموت، ولا يحول، ولا يزول، ولاينام: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

هو العلي الكبير الذي كل ما سواه هين صغير أمام خالقه ، فكل شيء غير الله يتبدل ويتغير ويحول ويزول، وتلحقه الزيادة والنقصان، وهو مقهور بقهر الله له، وكل شيء سوى الله يوجد بعد ان لم يكن، ويزول بعد أن يكون : ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

وقال عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان:٣٠].

ومن رحمه الله عزوجل وكرمه وفضله ان فطر الناس على التوحيد والفضائل، ولم يكل إلى عقولهم تبعة الهدى والضلال، لما يشوبه من هوى وحب الشهوات إلا بعد الرسالة والبيان ، ولم يكل إليه بعد البيان والاهتداء وضع منهج للحياة إنما وكل إليه تطبيق منهج الحياة الذي نزله الله إليه : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

**ودلالات الوحي الإلهي ثلاث :**

الأولى : في جانب الله عز وجل، يدل القرآن الكريم على أن الله عز وجل ذو الفضل العظيم، والرحمة الواسعة، الكريم الرحيم، الذي يفيض من عطائه ورحمته على خلقه بلا سبب : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

الثانية : في جانب الإنسان، يدل القرآن الكريم على ان الله احتفى بالإنسان،

وأكرمه بكرامات لا يكاد يتصورها، ولا أن يملك القدره على شكرها، ولو قضى عمره كله راكعاً ساجداً لربه الكريم : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر:٦١].

وقال عز وجل : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء:٧٠].

الثالثة : في جانب البشرية، يدل القرآن الكريم على أن الله أكرم البشرية كلها، وحدد لها الجهة التي تتلقى من جهتها نظام حياتها : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة:٣].

الشريعة الاسلامية مقاصدها عظيمه، فهي عدل كلها، حكمة كلها، رحمة كلها، إحسان كلها، مصلحة كلها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النحل:٩٠].

فأي قضية خرجت من العدل إلى الجور، ومن الحكمة إلى خلافها، ومن الرحمة إلى القسوة، ومن المصلحة إلى المفسدة، ليست من الشريعة التي أمر الله بها : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[المائدة:٤٩-٥٠].

# ٢ - فقه الإيمان بالقدر

القدر : هو كل ما قضاه الله و قدره في هذا الكون من الخلق والتصوير والتدبير: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

وقال عز وجل : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الرعد:٨].

فكل ما يجري في الكون من خلق وتدبير، وحركة وسكون، وحياة وموت، وخوف وأمن، كل ذلك وأمثاله كائن بقضاء الله وقدره : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢].

فيجب على المؤمن أن يؤمن بأقدار الله كلها ، ولكن هذا لا يمنعه من فعل الأسباب، لأن الله قدر الأقدار مربوطة بأسبابها ، فالله قدر جميع الأرزاق لكل أحد مربوطة بأسبابها ، فنأخذ بالأسباب الشرعية بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن:١٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة:٩-١٠].

والأكل والشرب واللباس مأمور به شرعا ، فندفع قدر الجوع والظمأ والعري بقدر الأكل والشرب واللباس : ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[الأعراف:٣١].

والدعاء من أعظم الأسباب التي تحصل بها المطالب، فإذا قدر الله المرض أو الفقر على أحد، فيدفع ذلك بالدعاء ، والدعاء من أعظم الأسباب التي تحصل بها المصالح : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر:٦٠].

والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، وحلوه ومره، سابقه ولاحقه، أحد أركان الإيمان الستة الواردة في حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ حين قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ : «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله ، وَ مَلَائِكَتِهِ ،وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» متفق عليه [(١)].

فعلم الله محيط بكل شيء خلقا وتدبيرا وتقديرا : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٦٣﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

عَلم سبحانه جميع أفعال العباد خيرها وشرها، وعَلم جميع امورهم وأحوالهم، وعلم كل ما كان وما يكون وما سيكون ، وكتب سبحانه كل شيء في اللوح المحفوظ : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج:٧٠].

وجميع أفعال الله في ملكه تجري وفق العلم المطلق ، المقرون بالقدرة المطلقة، المقرونة بالحكمة المطلقة، المقرونة بالخير المطلق، المقرونة بالمشيئة المطلقة : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس:٨٢-٨٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠)، وأخرجه مسلم برقم (١١٩٥).

وقال عز وجل : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وقال عز وجل : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧].

والله سبحانه مع خلقه للعباد وصفاتهم وأفعالهم، أعطاهم قدرة وإرادة ومشيئة تقع بها أفعالهم، بحسب اختيارهم، فأقوالهم وأفعالهم تقع بمشيئتهم وقدرتهم اللتين خلقهما الله فيهم : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٧-٢٩].

وقد يسر الله كل مخلوق لما خلق له ، فمن وجَّه وجهه لربه حبب إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان كما قال سبحانه : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات:٧].

ومن وجه وجهه لغير الله تولاه الشيطان، وولاه الله ما تولى ، وخذله ووكله إلى نفسه ، فضل وغوى، وليس له على ربه حجه، لأن ربه أعطاه جميع الأسباب التي يقدر بها على الهداية، ولكنه أختار الضلالة على الهدى، فلا يلومن إلا نفسه : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان:٢٩-٣١].

وقال عز وجل : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء:١٣-١٤].

وعن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فِي جَنَازَةٍ ، فَقَالَ : «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوِ الْجَنَّةِ» فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلا نَتَّكِلُ ؟ قَالَ : «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل:٥-١٠] أخرجه البخاري [(١)].

فالتوحيد أن ترى كل أمر بيد الله وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤].

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٤].

فالوحوش والسباع كلها بيد الله وحده ، وعلاقة الإنسان ليست بهذه الوحوش إنما علاقته بمن يملك هذه الوحوش، وهي مربوطة في ملكه ، فإن رضي الله عنك أبعدها عنك، وإن سخط عليك أرخى لأحدها الزمام فوصل إليك : ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود:٥٦].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٤٩) .

والبشرية إما أن تعيش تحت راية التوحيد التي تجمع الأمة على أساس الإيمان من كانوا، وحيث كانوا، أمة واحدة : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء:٩٢].

وإما أن تعيش قطعانا يأكل بعضها بعضا خلف سياج حدود الأرض، أو اللغة، أو حدود الجنس أو اللون، وكلها حدود تقام للأنعام، حتى لا يختلط قطيع بقطيع فيأكل بعضهم بعضا : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥].

وكل شيء قرينه الجهل فهو ظلمة وفساد و ضياع ، وكل شيء قرينه العلم فهو نور وهداية و طمأنينة : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وأركان الجاهلية التي تهلك الأمة أربعة :

ظن الجاهلية .. وحكم الجاهلية .. وحمية الجاهلية .. وتبرج الجاهلية

وكلها ذكرها الله عز وجل في القرآن ، مبيناً حال العرب قبل الإسلام.

فظن الجاهلية يسبب فساد قلوب الأمة، وحكم الجاهلية يسبب فساد حياة الأمة، وحمية الجاهلية يسبب فساد القبائل، وتبرج الجاهلية يسبب فساد نساء الأمة.

وإذا استفحلت هذه الأمراض الأربعة العظيمة أدت إلى ذل الأمة وهلاكها، وفساد أحوالها: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٤٩-٥٠].

# ٣- أفعال الله عز وجل

الله جل جلاله هو الملك الحق، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه:٨].

له سبحانه الخلق كله، وله الأمر كله، وله الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، وبيده الخير كله ، ومن أراد ان يؤمن بالله حقا، وأن يعبد الله حقا، فليعرف ربه بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ويعرف عظمة ملكه وسلطانه ويعرف عظمة نعمه وإحسانه، ويعرف عظمة دينه وشرعه، ويعرف عظمة ثوابه وعقابه ، وما يرضيه وما يسخطه، ويعبد ربه بموجب ذلك : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر:٦٥].

والله جل جلاله هو الملك، وكل ما سواه عبيد له ، والله سبحانه هو الرب، وكل ما سواه مربوب له، والله عز وجل هو الغني، وكل ما سواه فقير إليه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام : ١٠٢] .

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر : ١٥] .

فلابد للقلب أن يعرف هذه الأمور، حتى يعرف أن الخلق والإيجاد، والتدبير والتصريف، والتحريك والتسكين، والعطاء والمنع، بيد الله وحده لا شريك له .

فالله سبحانه هو الخالق وكل ما سواه مخلوق له ، وهو القاهر وكل ما سواه مقهور له ، وهو سبحانه القوي وكل ما سواه ضعيف بين يديه ، وهو العزيز وكل ما سواه ذليل بين يديه ، و الله سبحانه هو الحي وكل ما سواه يموت ، هو القيوم

وكل ما سواه يغفل وينام: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

هو المستعان الذي يعين كل مخلوق ، وهو سبحانه الكبير الذي لا أكبر منه ، العظيم الذي لا أعظم منه، الحكيم الذي لا أحكم منه، القدير الذي لا أقدر منه، العلي الذي لا أعلى منه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾[الحج: ٦٢].

هو سبحانه الواحد الأحد، القادر على كل أحد ، القاهر لكل أحد ، الغني عن كل أحد ، المالك لكل أحد ، الخالق لكل أحد ، القائم على كل أحد ، المحسن إلى كل احد ، الواحد الاحد الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ١-٤].

هو سبحانه الغفار الذي يغفر الذنوب ، وهو العفو الذي يعفو عن السيئات ، وهو التواب الذي يقبل التوبة من عباده ، وهو الوهاب الذي وهب كل شيء ، وهو المعطي الذي أعطى كل شيء ، وهو الهادي الذي هدى كل شيء ، وهو المبين الذي بين كل شيء ، وهو الصمد الذي يصمد إليه كل شيء ، وهو السميع الذي يسمع كل شيء ، وهو البصير الذي يبصر كل شيء ، وهو الخبير الذي لا يخفى عليه شيء، وهو العلي الذي علا فوق كل شيء ، وهو المصور الذي صور كل شيء: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس: ٣].

وهو سبحانه السبوح الذي يسبح بحمده كل شيء ، القدوس الذي يقدسه كل شيء ، الحميد الذي يسبح بحمده كل شيء ، المجيد الذي يمجده كل شيء ،

الودود الذي تودد إلى خلقه بأنواع النعم : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾[الجمعة:١] .

هو سبحانه الواسع الذي وسع علمه وملكه ورحمته كل شيء الطيب الذي طيب كل طيب ، المقدم الذي يقدم ما يشاء ، المؤخر الذي يؤخر ما يشاء.

وهو سبحانه النور الذي أنار كل شيء ، الرفيق الذي كل رفق منه ، الشافي الذي بيده الشفاء وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤].

فهذه بعض أسماء وصفات وأفعال ربك العظيم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد .

فلا بد للقلب ليؤمن بالله حقا، ويعبد الله حقا، أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

فلا بد للقلب أن يعرف أفعال ربه الرحمن، أفعال ربه القوي، أفعال ربه الجبار، أفعال ربه الخلاق، أفعال ربه الرزاق، أفعال ربه اللطيف، أفعال ربه الكريم .

وإذا عرف العبد ذلك امتلأ قلبه بالتوحيد والإيمان، وتوجه إلى ربه، فأحبه وكبره وحمده وشكره : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وقال عز وجل : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة:٩٨].

وقال عز وجل : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

وقال عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢].

فالله سبحانه خالق كل شيء في العالم العلوي وفي العالم السفلي، وفي عالم الغيب وفي عالم الشهادة، وفي الدنيا وفي الآخرة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

والخلق كلة خاص بالله وحده كما قال سبحانه : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر:٣].

وقال عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر:٦٢].

فخلق السماوات والأرض وكل المخلوقات اختص الله به وحده لا شريك له : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل:١٧].

وقال سبحانه : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان:١١].

أما الفعل فيكون من الخالق والمخلوق .

فيكون من الخالق كإنزال الغيث، وتكوير الليل على النهار ، وتكوير النهار على الليل، وإخراج الحي من الميت ، وإخراج الميت من الحي، والإحياء والإماتة، وبعثة الرسل ونحو ذلك ، فهذا كله فعل الله وحده لا شريك له : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى:٢٨].

وقال عز وجل : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور:٤٤].

هو سبحانه الذي يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ ﴾[آل عمران: ٢٦ – ٢٧].

فهذا كله فعل الله وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧ ﴾ [هود:١٠٧].

لكن الإيمان والكفر، والصلاة أو الزكاة، أو الصوم أو الصدقة، أو الصدق أو الكذب، أو العدل أو الظلم ونحو ذلك، فهذه أفعالك أنت، لكن الله خلق الفعل، وأنت الذي وجهت الفعل إلى الحسن أو السيء، ولهذا تثاب على فعل الحسن، وتعاقب على فعل السيء، لأنك أنت الذي فعلت : ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦ ﴾ [فصلت:٤٦].

فالخلق كله فعل الله وخلقه، أما الطاعات والمعاصي، فهي من خلق الله، وليست من فعل الله ، بل هي من فعل العبد .

والتكليف بالأمر والنهي ليس مرتباً على الخلق، بل هو مرتب على الفعل، فمن فعل الحسنة يثاب عليها، ومن فعل السيئة يعاقب عليها : ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠ ﴾[الأنعام: ١٦٠].

والله حكيم عليم، رؤف بالعباد، ورزق الله لعباده في الأرض مقيد محدود، لما يعلمه سبحانه أن البشر في الدنيا لا يطيقون أن يفتح الله عليهم فيضه ورزقه غير المحدود، ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض : ﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧ ﴾ [الشورى:٢٧].

وفضل الله وعطاؤه في الآخرة كله بلا حساب، ولا حدود، ولا قيود، ولا فناء .

وكل ما في الدنيا من أرزاق لا يساوي ذرة من فيض الله العزيز العليم : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤].

وقال سبحانه : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠].

وقال سبحانه : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص:٥٤].

والله حكيم عليم يعلم أن الناس في الدنيا لا يطيقون الغنى إلا بقدر، ولو بسط لهم الرزق في الدنيا كما في الآخرة لبغوا وطغوا : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق:٦-٧].

ومن رحمة الله بعبادة أن جعل رزقهم في الدنيا مقدراً محدودا، بقدر ما يطيقون، وبقدر ما يصلحهم، واستبقى فيضه العظيم المبسوط بلا حدود ولا قيود لمن آمن به واتقاه في الدنيا : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧].

والله سبحانه خلق جميع المخلوقات، وتكفل بارزاقهم كمية ونوعية، ومكانا وزمانا، وقسمها بينهم، وكل مخلوق سيأتيه رزقه في وقته، ومكانه، ومقداره، ونوعه، ويطرق عليه بابه فلا يغلقه أحد: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف:٣١-٣٢].

وقال عز وجل : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود:٦].

## ٤ - هل الإنسان مخير أم مسير؟

الإنسان فيما يتعلق بالخلق مسير كلونه، ونوعه، وطوله، وحياته، وموته، ونموه، فهو في كل ذلك مسير لا مخير، فكل مخلوق مسير على ما خلق الله وقدره .

أما ما يتعلق بأفعال الإنسان ، فالإنسان مخير، إن شاء قام، وإن شاء جلس، إن شاء تكلم، وإن شاء سكت، وإن شاء آمن، وإن شاء كفر، وإن شاء أطاع، وإن شاء عصى : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:١-٣].

وقال عز وجل : ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:٢٩].

فكل انسان مخير في كل ما جاء به الشرع من الفعل والترك، فما فعل العبد من الطاعات يثاب عليها : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧١].

وما فعل من المعاصي يعاقب عليها : ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان:٢٩-٣١].

والله سبحانه خلقنا، وخلق فينا القدرة على الفعل لا على الخلق، فنحن لا نقدر على خلق السماء أو الأرض أو الجبال أو البحار أو النبات، لكن نقدر بحسب استطاعتنا على فعل الصلاة، وأداء الزكاة، والصيام، والجهاد، والإنفاق ونحو ذلك من الأفعال التي هي في طوقنا : ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟

وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن:١٦].

وقال عز وجل: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وخلق الله كله جميل ومحمود، وأفعاله كلها محمودة وحسنة: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة: ٦ – ٧].

أما فعل المخلوق فمنه محمود وحسن كالإيمان والطاعات، ومنه ما هو مذموم وسيء كا الكفر والمعاصي: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة:١٨ – ٢٠].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَاعلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» أخرجه أحمد والترمذي (١).

وأقدار الله الكونية تجري على كل من في الكون من المخلوقات، ومن هؤلاء الإنسان الذي تجري عليه أقدار الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر:٦٢].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد برقم(٢٧٦٣)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

فكل إنسان تجري عليه، وتحصل منه، ثلاثة أفعال :

فعل يقع عليه من ربه .. وفعل يقع فيه من ربه .. وفعل يقع منه .

فالفعل الذي يقع في من ربي لا خيار لي فيه، فأنا فيه مسير لا مخير، كلون جسمي، ونمو بدني، وطولي، وعرضي، وتشغيل قلبي، كل ذلك من رحمة الله أنه تكفل به : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام : ١٠٢].

وكذلك الفعل الذي يقع على الإنسان من خارجه مسير فيه، لا خيار له فيه، بل هو مسخر ومسير فيه، كما لو أصابه المرض، لأنه فعل يقع عليه من فاعل آخر وهو الله عز وجل وهذا وما قبله لا تكليف على الإنسان فيه، لأنه لا خيار له فيه، وهو مقهور عليه، فلا يحاسب عليه .

وأما الفعل الذي يقع مني كإنسان كالطاعات والمعاصي، والكلام والكتابة، والأكل والشرب، والحب والبغض، فهذا الإنسان مخير فيه لا مسير، ولهذا خاطب الله الإنسان بقوله : ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف:٣١].

وقال عز وجل : ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:٢٩].

وقال الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

فكل شيء الإنسان فيه مسير لا تكليف عليه ، وكل شيء الإنسان فيه مخير، فهذا مناط التكليف ، ومنطقة الاختيار، وعلى ذلك يكون الثواب والعقاب.

وقد أختار الله لهذا الإنسان وكرمه بمنهج يسير عليه، يحقق له المصالح، ويدفع عنه المفاسد، في الدنيا والآخرة : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقال عز وجل : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم:١].

ولولا أن الإنسان صالح للفعل لما قال له ربه أفعل أو لا تفعل، وهو وفعله ومشيئته وإرادته كل ذلك مخلوق لله عز وجل : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦].

لكن العبد يحاسب على توجيه الاختيار للخير أو للشر، للحق أو للباطل، للطاعات او للمعاصي : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان:٢٩-٣١].

والقدر الذي يجري على الإنسان وغيره محبوب ومكروه، والقدر المكروه لا يرفعه الله عن العبد حتى يرضى و يسلم بما جرى عليه، وأنه حق، ثم يرفعه الله بعد ذلك : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:٥١].

وقال عز وجل : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن:١١].

فالله سبحانه قدر المقادير كلها في أوقاتها، وأماكنها، وأحجامها، وأنواعها : ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد:٨-٩].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

ومن أعظم الأدلة على أن الإنسان مخير في أفعاله، أن الله عز وجل خاطبه بالأمر والنهي، ولولا أنه مخير في الفعل والترك لما وجه الله إليه ذلك التكليف، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا (١٠٣)﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣].

وقال عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)﴾ [فصلت:٤٦].

ولو كان الإنسان في أفعاله مسيرًا لا مخيرًا لأُلْغي التكليف، ولألغي الثواب والعقاب، والجنة والنار، لأن المكان غير قابل للتكليف.

والله سبحانه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، فالإنسان إذا أراد الضلال، أراد الشهوات، أراد التفلت من أوامر الله، لأنه مخُير، فالله يسمح له بذلك، لأنه خلقه مخيرًا: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦)﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

والذي أراد الهدى، يهديه الله ويُعينه على ذلك: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)﴾ [محمد:١٧].

وقال عز وجل: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)﴾ [الشورى:١٣].

وقال عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال عز وجل : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ ﴾ [فاطر:٨].

فالله يهدي من أقبل عليه، ويُضلُّ من أعرض عنه.

والإضلال الجزائي من الله، مبنيٌّ على الضلال الاختياري للعبد : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨ ﴾ [الأنعام:٨٨].

وقال عز وجل : ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ ﴾ [الأعلى:١-٣].

وَكَوْن الإنسان يُسْأَل يوم القيامة دليل على أنه مخُتار فيما يفعل من خير أو شر : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

وقال عز وجل : ﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ ﴾ [الأعراف:٦].

فالله سبحانه، سيحاسب كل إنسان يوم القيامة على ما فعله في الدنيا، وهذا دليل على أنه مخُتارٌ فيما يفعل، لا مسير ولا مجبور : ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦ ﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

وقال عز وجل : ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ [الزلزلة:٦-٨].

والله سبحانه عزيز حكيم، لا يختار للناس إلا ما هو خير لهم في دنياهم وأخراهم، ولو أجبرهم على فعل شيء لما أجبرهم إلا على الحق والهدى، لأنه

الرحمن الرحيم ولكنه لم يفعل، بل تركهم مختارين، يفعلون ما شاءوا بعد أن عرفهم بالحق والباطل، والهدى والضلال، ورغبهم في الحق، وحذرهم من الباطل : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة:١٣].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

وقال عز وجل : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف:٢٩].

فما أجهل الإنسان إذا نسب أخطاءه إلى القضاء والقدر، وينسى أنه فعلها بنفسه : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأعراف:٢٨-٣٠].

وما أجهل الإنسان حين ينسب فضائله وتفوقه إلى نفسه، وينسى ربه الذي أنعم عليه بذلك : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

وقال عز وجل : ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٤].

وقال عز وجل : ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء:٧٩].

فاللهم فقهنا في الدين، واجعلنا هداة مهتدين: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران:٨].

# ٥ - حكمة خلق إبليس

الله عز وجل هو الخلاق العليم، الذي خلق كل شيء لحكمة، وبحكمة.

والله سبحانه حكيم في خلقه وأمره، خلق الملائكة، وخلق الجن، وخلق الإنس، وخلق النبات، وخلق الحيوان، وخلق كل شيء في هذا الكون: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر:٦٢].

وما من مخلوق إلا وله حكمة، والله سبحانه لما خلق آدم، أمر الملائكة بالسجود لآدم، وإبليس كان معهم حين ذاك في السماء، فإن كان إبليس سبقهم بالعبادة، لأنه كان من العُبَّاد، فرُفع من الأرض إلى السماء، وهو مختار، فيجب أن يسجد معهم لأنه أفضل منهم.

وإن كانت الملائكة أرفع منه بمحض الخِلقة، فيجب أن يسجد، لأن الأمر إذا توجه إلى الأعلى، فيجب أن يسجد الأدنى من باب أولى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة:٣٤].

والذي منع إبليس من السجود لآدم، هو الكِبْرُ والحسد لآدم؛ لأنه يرى أنه خير منه: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [الأعراف:١٢].

فالأعلى لا يسجد للأدنى. وبعد جريمة الكُفْرِ، والكِبْرِ، والحسدِ، والفَخْرِ من إبليس لعنه الله، وأهبطه إلى الأرض التي فيها أهل الطاعة والمعصية، وأخرجه من السماء التي كلها طاعات ونور: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص:٧٧-٧٨].

وقال الله عز وجل: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف:١٣].

وجريمة إبليس من أعظم الجرائم، لأنه أعلن المعصية لربه أمام من لا يعرفون طاعة إلا من خلقهم، وهم الملائكة الذين : ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦].

وقال عز وجل : ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠].

فعمل إبليس الأول أهله ليكون في العُلُو لقوة عبادته من بين الجن، وعمله الأخير أهله ليكون في الأسفل، ثم في النار.

فَرُفع إبليس مع الملائكة في السماء بسبب إيمانه وعمله الصالح، وأهبطه إلى الأرض كفره وعمله السيء، كما أهبط الله آدم إلى الأرض بسبب معصيته، وذلك لأن السماء والجنان محل الطاعات والأنوار، أما الأرض ففيها من يُطيع الله ويعصيه كما قال سبحانه: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ [البقرة:٣٨-٣٩].

ومعصية إبليس عن كفر وكبر، وحسد وبغي، ومعصية آدم عن ضعف وشهوة ونسيان، ولهذا تاب آدم فتاب الله عليه، واستكبر إبليس فلعنه الله : ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾ [طه:١١٥].

وقال عز وجل: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة:٣٧].

فالأنبياء والرسل أئمة الحق والهدى وإبليس وذريته أئمة الباطل والضلال: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ١٤٨﴾ [البقرة:١٤٨].

وكل سيلقى ربه بعمله: ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف:٢٤-٢٥].

وقال عزوجل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

ولعظيم كُفر وكبر وحسد إبليس، طلب من ربه إمهاله إلى يوم يُبعثون، فأمهله الله حيا إلى يوم الوقت المعلوم: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر:٣٦-٣٨].

فماذا قال إبليس ؟ : ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

والله سبحانه هو الهادي الذي يهدي ولا يُغوي، ولكن إبليس كذب على ربه.

فالإغواء إغراء بالمعصية، والله يأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن الفحشاء والمنكر: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠].

فالإغواء والإضلال من صفات المكلفين كالهداية إلى الحق والخير: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه:١٢١-١٢٢].

وقال عز وجل عن إبليس: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر:٣٩].

فالله خلق إبليس مُختارًا كما خلق آدم مختارًا، لكن آدم تاب حين عصى، وإبليس استكبر وكفر.

والله سبحانه ابتلى عباده في الدنيا، فأرسل الأنبياء، ليأمروا الناس بالإيمان والطاعات، وأرسل الشياطين ليأمروا الناس بالكفر والمعاصي، فمن أطاع

الرسل أفلح، ومن أطاع الشياطين هلك : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦].

وقال عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم:٨٣].

وقال عز وجل : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس:٦٠-٦٢].

والإنسان مُبتلى في الدنيا بين هؤلاء وهؤلاء : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

وقال عز وجل : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٥].

فالدنيا دار الايمان والعمل والابتلاء، والآخرة دار السلام الدائم، أو الشقاء الدائم: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٣-١٤].

لهذا نرجع إلى الله، ونَفرُّ إليه، من شر الشيطان وكيده، لأن الذي مكن الشيطان من الإنسان، وجعله يجري من ابن آدم مجرى الدم، هو القادر على حماية بني آدم منه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت:٣٦].

وقال عز وجل : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النحل:٩٨-١٠٠].

فالله سبحانه هو الخلاق العليم، الذي خلق كل شيء لحكمة كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

وأفعال الله جل جلاله كلها في غاية الحكمة والرحمة، والعدل والإحسان : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [القصص:٦٨].

وقال عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الروم:٨ -٩].

فما خلق الله شيئا إلا لحكمة؟، وما أمر بشيء إلا لحكمة، وما نهى عن شيء إلا لحكمة، وما أحل شيئاً إلا لحكمة، وما حرم شيئا إلا لحكمة: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

وهذه الحكمة ظاهرة جلية لكل عاقل، ولكنها قد تخفى على بعض الناس، ومن ذلك خلق إبليس وذريته ؛ الذين هم أهل الشر، والفساد، والضلال في العالم: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر:٨٦].

وقد خلق الله الشيطان لحكمة عظيمة : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ: ٢٠ – ٢١].

والله عز وجل حكيم عليم في خلقه وأمره، خلق الشيطان وأعطاه طولا في أجله إلى يوم البعث : ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [ص:٧٩-٨١].

ولو أراد الله أن لا يُعصى لما خلق إبليس، ليكون الإنسان من الشيطان على حذر ومجاهدة : ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢].

فالشيطان بعيد من كل خير، وإبليس مُبْلِسٌ من كل خير، فارغ من كل فضيلة، وإبليس والشيطان إسمان لمُسَمى واحد، هو البعيد من كل خير، الفارغ من كل فضيلة، وخلق إبليس ليس مُرادًا لذاته، وإنما ليُعْلَم الطيب من الخبيث، والمُطيع من العاصي، ومن اتقى ممن فَجَر، ومن آمن ممن كفر : ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢].

فالإنسان خلقه الله ليعيش بين مخلوقين عظيمين هما، عالم الملائكة، والآخر عالم الشياطين، ولكل واحد منهما أثر على حياة الإنسان.

فالملائكة تحضر مجالس الإيمان مع الإنسان المؤمن، وتستغفر له كما قال سبحانه : ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ

ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر:٧-٩].

والشياطين تُضل الإنسان، وتحضر مع الإنسان مجالس الغفلة، وتأزه إلى المعاصي أزا، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف:٣٦-٣٧].

وقال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم:٨٣].

وكذا خلق الله الإنسان بين مخلوق أعلى منه، وهم عالم الملائكة الذين: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:٢٠].

ومخلوق أدنى من الإنسان، وهو عالم البهائم.

فإن أطاع الإنسان الرحمن كان أفضل من الملائكة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وإن أطاع إبليس صار أدنى من الحيوان: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقال عز وجل: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان:٤٤].

والله سبحانه خلق آدم من تراب وخلق الملائكة من نور وخلق إبليس من النار :
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحجر: ٢٦ – ٢٧].

وقال ﷺ : «خُلِقَتِ الملائكةُ من نُّورٍ ، و خلق الجانَّ من مارِجٍ من نارٍ ، و خلق آدمَ مِما وُصِفَ لكمْ» أخرجه مسلم (١)

خلق الله الملائكة أولا، ثم خلق الجن، ثم خلق آدم بعدهم، فلما أفسد الجن في الأرض، وسفكوا الدماء بينهم، أرسل الله إليهم جندا من الملائكة لوقف هذا القتل بينهم، وما بقي منهم طردتهم الملائكة إلى جزر البحار، وعرش إبليس على البحر .

ثم خلق الله آدم ليكون خليفة في الأرض، ويعمرها وأولاده بالتوحيد، والإيمان، والتقوى، وحذر الله آدم وذريته من عدوه الشيطان، كما قال سبحانه :
﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦].

والله سبحانه هو الخلاق العليم، خلق في ملكه العظيم ستة مخلوقات عظيمة، وهي :

عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وعالم الجن، وعالم الملائكة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٦).

فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

ومن هذه العوالم العظيمة عالمان غيبيان، هما عالم الجن، وعالم الملائكة.

ولكل واحد من هذه المخلوقات العظيمة صفات تميزه عن غيره، ووظائف يُؤديها، ويعبد ربه بموجبها، وله أعمال يقوم بها: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝١١﴾ [لقمان:١١].

وكل شيء من مخلوقاته العظيمة في كل آن، يسبح بحمد ربه، ويشهد بوحدانيته، ويسجد لعظمته وجلاله وجماله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ۝١٨﴾ [الحج:١٨].

وقال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُۤ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ۝٥٠﴾ [النحل:٤٩–٥٠].

## ٦ - مراتب الإيمان بالقدر

مراتب الإيمان بالقدر أربع :

**الأولى** : عِلْم الله المُحيط بكل مخلوق ذاتًا، وصفاتًا، وأفعالًا.

فعلم الله سابق لجميع الأشياء جملة وتفصيلا، فما من حركة ولا سكون إلا والله عالم بها، وبمكان وقوعها، وزمان وقوعها، قبل وقوعها.

فالله عالم بما كان، وما يكون، وبما سيكون قبل أن يكون، وكل رُقعة من الأرض، الله عالم بما سيقع عليها من الطاعات، والمعاصي، تفصيلا وإجمالًا : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج:٧٠].

وقال عز وجل : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

**الثانية** : كتابة الله لكل شيء أراده في أم الكتاب، الذي ليس فيه محْوٌ ولا تبديل : ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد:٣٩].

وقال عز وجل : ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩].

وقال النبي ﷺ : «إنَّ أولَ ما خلق اللهُ القلمُ، فقال لهُ : اكتبْ، قال : ربِّ وما أكتبُ؟ قال : اكتب القدرَ ما هو كائنٌ إلى الأبد» أخرجه أبوداود والترمذي (١).

**الثالثة** : توزيع ما هو كائن على الزمان، من ساعاتٍ، وأيامٍ، وشهورٍ، وسنواتٍ. فجعل الله عز وجل لكل مخلوق زمانًا لا يتقدم عليه، ولا يتأخر عنه.

---

(١)صحيح: **أخرجه أبوداود** برقم (٤٧٠٠)، وأخرجه الترمذي برقم (٢١٥٥).

فحدد سبحانه كل ما يقع في كل ثانية، أو دقيقة، أو ساعة، أو يوم، أو شهر، أو سنة، من كلام، أو حركة، أو سكون، أو حياة، أو موت، أو خلق، أو تدبير : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

**الرابعة** : تنفيذ ما كتب الله على وفق ما علم بلا زيادة، ولا نقصان، ولا تقديم، ولا تأخير.

وهذه المراتب الأربع منها إثنتان قديمتان، وهما علم الله بكل شيء، وكتابته قبل أن يقع في الزمن كما قال سبحانه : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾ [النبأ:٢٩].

وقال عز وجل : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج:٧٠].

واثنتان حديثتان وهما، توزيع ما قدر الله على الزمن الحادث، وتنفيذه على وفق ما علم الله، كخلق المواليد، والأقوات، والأرزاق، والنبات، والأشجار، والحيوانات، والحياة والموت وغيرها مما يتكرر كل يوم، بل كل لحظة : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام : ١٠٢].

## ٧- أقسام كلمات الله عز جل

كلمات الله عز وجل قسمان:

الأولى: كلمات كونية، وهذه لابد أن تقع على البر والفاجر.

فإذا أمر الله بحياة أو موت أحد فلابد أن ينفذ أمره. وإذا أمر بعطاء أو منع لأحد، فلابد أن ينفذ أمره: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس:٨٢-٨٣].

وقال عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف:٣٤].

الثانية: كلمات شرعية، وهذه لا يلزم وقوعها من كل أحد.

فهذه يؤمن بها من هداه الله، ويُعرض عنها من كفر بالله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:٢٩].

فالكلمات التكوينية يتعلق بها كل مخلوق، أما الكلمات الشرعية فهي مُوَجَّهة للإنس والجن كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

والكلمات الكونية ليس لها حد ولا حصر، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان:٢٧].

وقال الله عز وجل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف:١٠٩].

والكلمات الشرعية هي الكتب المُنزلة، التي فيها الأخبار، والأوامر الشرعية، والنواهي الشرعية، وقد ختمها الله بالقرآن، وأكملها، كما قال سبحانه : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۝٣﴾ [المائدة:٣].

وقال عز وجل : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١١٥﴾ [الأنعام:١١٥].

والكلمات الكونية لا يعتريها نسخ، ولا تبديل، ولا إنساء كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل:٤٠].

أما الكلمات الشرعية فيعتريها النسخ، والتبديل، والإنساء كما قال سبحانه : ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٦﴾ [البقرة:١٠٦].

وقال عز وجل : ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾ [النحل:١٠١].

وقد اكتمل هذا الدين أخباراً وأحكاماً ببعثة محمد ﷺ كما قال سبحانه : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١١٥﴾ [الأنعام:١١٥].

وقال عز وجل : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۝٣﴾ [المائدة:٣].

فآيات الله الكونية غير محدودة، في كل ثانية تتنزل من الله مليارات الأوامر الكونية في ملكه العظيم، أما آيات الله الشرعية التي أنزلها في كتابه العظيم فقد بلغت (٦٢٣٦) آية فقط وهي منهاج الله للبشرية إلى يوم القيامة: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم:٥٢].

## ٨ - أقسام القدر

ينقسم القدر الإلهي إلى أربعة أقسام :

**الأول** : القدر الخَيْرُ الحُلْو، وهو كل ما أمدك الله به من الصحة، والعافية، والقُدرة، والغنى، وسائر النعم التي تُعين على طاعة الله وعبادته، وتُوافق ما يُحبه الإنسان من الرزق الحلال، والأهل، والمال، والولد، والسمع، والبصر، والعقل : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

وفائدة العُمُر عبادة الله وحده لا شريك له، لينال العبد السعادة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال النبي ﷺ :«اللهم اشْفِ عبدَكَ يَنْكأُ لكَ عدُوًّا، أو يَمْشي لكَ إلى صلاةٍ» أخرجه أبوداود [١]

فكل ما يُعين على طاعة الله وعبادته من النعم التي يرزقها الله للعبد، فهو من القدر الخير الحلو : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢].

**الثاني** : القدر الخَيْرُ المرُّ، وهو كل ما يصيب الله به العبد من البلايا، والمصائب، والآلام، والمكروهات، التي يُطهر الله بها العبد، ويكفر بها من سيئاته، ويرفع بها درجاته.

---

(١) حسن/ أخرجه أبوداود برقم (٣١٠٧).

فالمصائب كلها من قدر الله، وهي امتحان وابتلاء للعباد: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء:٣٥].

وقال النبي ﷺ: «عَجَباً لأمرِ المؤمنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ، ولَيْسَ ذلِكَ لأحَدٍ إلاَّ للْمُؤمِن. إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكَانَ خيراً لَهُ، وَإِنْ أَصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فكَانَ خيْراً لَهُ» أخرجه مسلم [1].

فهاذان القدران الحلو والمر، يختصان بالمؤمن: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال عز وجل: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة:٥١].

**الثالث**: القدر الشر الحلو، وهو كل ما يفتحه الله للكفار من النعم، والأرزاق، والأولاد، وغير ذلك مما تحبه نفوسهم.

فذلك كله مما يُعجله الله للكفار من النعم التي تُعينهم على المعصية، وتقربهم من النار، من صحة الأبدان، وكثرة الأموال، والأولاد، وأنواع الشهوات.

وكذا كل ما يفتحه الله على الكفار من الفتوحات في العلم الدنيوي، الذي يُلهيهم عن طاعة الله، والعمل بشرعه.

وكل ذلك من القدر الشر الحلو، كما قال سبحانه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ۝٥٥﴾ [التوبة:٥٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

وقال عز وجل : ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

وقال عز وجل : ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

فهذا القدر الشر الحلو، تذكير للكفار والمنافقين بنعم الله عليهم، لعلهم يتوبون إلى الله إذا رأوا هذه النعم، وهو استدراج لهم، جزاء كفرهم وإعراضهم. فهو شر لأنه يزيدهم طغيانا و كفرا، وهو حلو لأنه يوافق رغباتهم و اهواءهم.

**الرابع** : القدر الشر المر، وهو ما يعجله الله لأعدائه من الكفار والفجار، من العقوبات، والمصائب المؤلمة، ونحو ذلك مما يعجل بهم إلى النار، مما يخالف أهواءهم ورغباتهم، من الأمراض، والبلايا، والكوارث، والمصائب، والأوبئة، وغيرها من الشر المر، كما قال سبحانه : ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [الرعد: ٣١].

وقال الله عز وجل : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور :

**الأول** : الإيمان بأن الله تعالى عالم بكل شيء جملة وتفصيلا.

**الثاني** : الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء من المخلوقات، والعوالم، والأحوال، والأرزاق، والآجال : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ : «كَتَبَ

اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ» أخرجه مسلم [1].

**الثالث**: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله وإرادته. وكل شيء واقع بمشيئة الله وإرادته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدا: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص:٦٨].

**الرابع**: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

## ٩ - أقسام الإرادة

أقسام الإرادة الكونية والشرعية لأفعال العباد أربعة :

الأول : ما تعلقت به الإرادة الكونية والشرعية كإيمان الأنبياء، وأتباعهم، وأعمالهم الصالحة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠١ – ١٠٢] .

الثاني : ما لم تتعلق به الإرادتان معا كوقوع الكذب، والفواحش من الأنبياء، فهذا لم يرده الله إرادة كونية، لأنه لم يقع ، ولم يرده الله إرادة شرعية لأن الله لا يأمر بالكفر والفحشاء والمعاصي : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٨] .

الثالث : ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط، كالأعمال السيئة من أبي جهل مثلا فهذه لم يردها الله شرعا، وأرادها كونا فوقعت : ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩] .

الرابع : ما تعلقت به الإرادة الشرعية، دون الكونية، كالأعمال الصالحة من أبي جهل وغيره فهذه أرادها الله إرادة شرعية، لأنه أمرهُ بها ، ولم يردها إرادة كونية، لأنها لم تقع، فلم يخلقها الله ولم يقدرها : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [لقمان: ٢١] .

والإرادة الكونية : هي تكوين الله للشيء وإبرازه للوجود، وهذه لا بد أن تقع: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢].

والإرادة الشرعية : هي أمر شرعي، وهذه قد تقع من الخلق، وقد لا تقع: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

وكل أفعال العباد لا تخرج عن هذه الأقسام الأربعة :

فإن كان طاعة ولم توجد، فقد تعلقت به الإرادتان الكونية والشرعية، وإن كان معصية ووجدت، فقد تعلقت به الإرادة الكونية فقط، وإن كان طاعة ولم توجد فقد تعلقت به الإرادة الشرعية فقط، وإن كان معصية ولم توجد، فلم يتعلق به واحد من الإرادتين : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾[الإنسان: ٢٩ – ٣١].

## ١٠ - ثمرات الإيمان بالقدر

الأولى : الشجاعة، فالشجاع محمود عند أصدقائه وأعدائه ، والشجاعة محمودة، لأنها تقتضي حرية في اتخاذ القرار، و انتصاراً على النفس، و وقوفا عند الحق، واعترافا بالذنب و الخطأ .

وهذه الشجاعة التي تحصل بالإيمان بالقدر، هي التي حصلت لنوح كما قال سبحانه : ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس:٧١].

وكما قال هود لقومه : ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود:٥٦].

وهي التي اتصف يها خليل الله حين قال حسبي الله ونعم الوكيل، فقال الله للنار: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء:٦٩].

وهي التي اتصف بها محمد ﷺ و أصحابه كما قال سبحانه : ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٤-١٧٥].

وإذا اتصف المسلم بالشجاعة لا يحزن، ولا يفزع، ولا يخاف، لعلمه أن ما قدره الله لابد أن يكون، وكذا لا يهمه من خذله أو عاداه، لأنه يعلم أن الله معه.

الثانية : حسن التوكل على الله، والقناعة، والطمأنينة بالله عز وجل، فيتوكل المؤمن على الله وحده، ولا يلتفت إلى غيره في أمور دينه و دنياه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾ [التغابن:١٣].

وهذه القناعة تقتضي من العبد تحقيق العبادة لله، وتحقيق العبادة هو بإخلاص الدعاء لله وحده الذي بيده كل شيء كما قال سبحانه عن موسى ﷺ : ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ﴾ [الأعراف:١٥٥-١٥٦].

وفي دعاء يوسف ﷺ : ﴿ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾ [يوسف:١٠١].

وفي دعاء سليمان ﷺ : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩ ﴾ [النمل:١٩].

فكل من حقق توحيده وإيمانه اجابه الله حين يدعوه : ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ﴾ [الفرقان:٥٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

وقال عز وجل : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾ [غافر: ٦٠].

الثالثة : من ثمرات الإيمان بالقدر، فعل الأسباب المأمور بها شرعا، والتوكل على الله وحده، فنفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾ [التغابن: ١٣].

و قال عز وجل : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ ﴾ [المائدة: ٢٣].

والمؤمن عليه أن يرضى بالقضاء والقدر من الله.

أما المقضي الذي يصيب العبد فنوعان :

الأول ما يحل الرضى به و يشرع، كما يصيبك من المصائب في بدنك: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾ [التوبة: ٥١].

الثاني: ما لا يحل الرضى به كما يصيبك من المصائب في دينك : ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ ﴾ [الزمر: ٧].

والله لا يأمر بالسوء والفحشاء، بل ينهى عن ذلك كله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

فالإيمان بالقضاء والقدر مصدر الراحة والطمأنينة والسعادة لكل مسلم : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:٢٨].

فالمؤمن يعلم ان كل شيء بقدر الله فلا يعجب بنفسه عند حصول مراده، ولا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأنه يعلم ان ذلك كله بقدر الله، وهو كائن لا محالة : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد:٢٢-٢٣].

وعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» أخرجه مسلم (١).

فالمؤمن حقا يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه، وما اخطأه لم يكن ليصيبه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١].

اللّهم اهدِنا فيمَن هَديْت ، وعافِنا فيمَن عافيْت و تَولّنا فيمَن تَولَّيْت، يا ذا الجلال والإكرام .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالجَنَّةَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّارِ .

اللهم يسر أمورنا، وشرح صدورنا، واختم بالصالحات أعمالنا، يا أرحم الراحمين .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الثانية عشرة

## واجبات الإسلام الكبرى

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : واجبات أهل التوحيد والإيمان .

الثاني : الإيمان المطلوب .

الثالث : أركان العبادة .

الرابع : حكم الدعوة إلى الله .

الخامس : أسباب الهداية .

السادس : بذل الجهد لإعلاء كلمة الله .

السابع : جزاء أهل التوحيد والإيمان.

# البصيرة الثانية عشرة

# واجبات الإسلام الكبرى

## ١ - واجبات أهل التوحيد والإيمان

هذا الدين العظيم اشتمل على ما يحتاجه الفرد ، وعلى ما تحتاجه الأمة ، وعلى ما تحتاجه البشرية، ورتَّب حياة الإنسان في أقواله، وفي أعماله، وفي أخلاقه .

واجبات الإسلام الكبرى كثيرة ويجمعها عشرة واجبات :

الواجب الأول : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وتوحيد الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بعبادته : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

الثاني : إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

وقال الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

وقال الله عز وجل : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤].

الثالث : طاعة الله ورسوله ، وطاعة ولي الأمر في غير معصية الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء:٥٩].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه : عن النبي ﷺ قال : «السمعُ والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكرِه ، ما لم يُؤمر بمعصية ، فإذا أُمر بمعصيةٍ، فلا سمعَ ولا طاعة» متفق عليه [(١)] .

الرابع : تعلم العلم الشرعي وتعليمه كما قال عز وجل : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال عز وجل : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد:١٩].

الخامس : من الواجبات الكبرى الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر كما قال سبحانه : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥﴾ [النحل:١٢٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٥٥)، وأخرجه مسلم برقم (١٨٣٩).

وقال عز وجل : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

السادس : الجهاد في سبيل الله، لاعلاء كلمة الله، ونشر دين الله، وصد العدوان كما قال عز وجل : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

وقال عز وجل : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٩ – ٤٠].

السابع : الاعتصام بحبل الله، وعدم التفرق، كما قال سبحانه : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

الثامن : حسن الخلق مع الخلق كما قال سبحانه : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال عز وجل : ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ

بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

التاسع: الاستقامة على الدين ظاهراً وباطنا كما قال سبحانه: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢].

العاشر: لزوم الاستغفار والتوبة، كما قال سبحانه: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ١-٣].

وقال عز وجل: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

## ٢ - الإيمان المطلوب

الإيمان في القلوب على ثلاث درجات :

إيمان موجود .. وإيمان مفقود .. وإيمان مطلوب .

والإيمان هو مراد الله من خلقه ، والإيمان له أركان وشعب ، والمؤمن مأمور أن يجتهد في كل يوم، ليزيد إيمانه ، فيجتهد لزيادة إيمانه كما يجتهد لزيادة ماله ، ليضيف إلى الإيمان الموجود الإيمان المفقود ، وبذلك يصل إلى الإيمان المطلوب الذي يحصل به الموعود من ربنا عز وجل كما أمر الله المؤمنين بتكميل الإيمان، فقال عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦)﴾ [النساء:١٣٦].

والإيمان يزيد بالنظر في الآيات الكونية ، والتدبر للآيات القرآنية ، ومعرفة أركان الإيمان الستة وهي :

الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

فكلما زاد الإيمان، زاد اليقين ، وكلما زاد اليقين جاء حب الله، وجاءت الرغبة في عبادته ، وتحرك اللسان بالذكر والدعاء ، وتحركت الجوارح بأنواع الطاعات والقربات : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

ومن جاء بالإيمان المطلوب فاز بالأجر الموعود كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)﴾ [التوبة: ٧٢].

## ٣- أركان العبادة

امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، مبني على الإيمان بالله عز وجل، وإدامة تصور عظمة الخالق ومالك الملك في القلوب ، وذلك بكثرة ذكره وشكره، والتفكر في آياته ومخلوقاته : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩١].

وعبادة الله عز وجل تقوم على ثلاثة أركان :

محبة الله ، ورجاؤه ، والخوف منه جل جلاله .

والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال ، والأعمال الظاهرة والباطنة .

الركن الأول : محبة الله عز وجل .

أهم أركان العبادة محبة الله ، ومحبة الله عز وجل تنشأ من معرفة الله، ومعرفة أسمائه الحسنى، و صفاته العلى ، وأفعاله الجميلة ، ومعرفة نعمه وإحسانه إلى خلقه .

وكلما زادت معرفة العبد بربه زاد حبه لله ، وزاد تعظيمه له ، وزادت طاعته له ، وزاد حب الله له ، فالمحبة الكاملة من الرب مقرونة بالطاعة الكاملة من العبد .

وكلما أطاع العبد ربه زاد حب الله له بقدر طاعته، وكلما عصا العبد ربه نقصت محبة الله له بقدر معصيته، ونقصت طاعته له : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ

مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾[السجدة:١٩].

وكلما نقصت معرفة العبد بربه زادت معاصيه على طاعاته وإذا ضعفت محبة الله في قلب العبد بسبب كثرة معاصيه، فقد لذة العبادة، والأنس بربه، واستولى عليه الشيطان، فيؤدي العبادة وهو لاه غافل عن ربه، ووجد اللذة في المعصية، وأحس بثقل الطاعة : ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾[النساء:٣٨].

ومما يقوي محبة الله في قلب العبد، معرفة الله بأسمائه و صفاته وأفعاله، و معرفة نعم الله عليه، و دوام النظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية، و أداء الواجبات، واجتناب المحرمات، والاستكثار من النوافل.

فالإيمان يزيد بالطاعة، و ينقص بالمعصية، والاكثار من نوافل العبادات : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

لهذا يجب على المسلم أن يعرف ربه حقا، ويعبد الله بموجب هذه المعرفة، ويحب كل ما يحبه الله ويرضاه من الطاعات، ويكره كل ما يكرهه الله من المعاصي ويجتنبه: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧].

الركن الثاني : رجاء الله تعالى

وهو الطمع في رضوان الله، وثوابه، ورحمته، ومغفرته، وجنته .

و الرجاء ثلاثة أقسام :

الأول : رجاء من أطاع الله في أن يتقبل الله عمله، وأن يثيبه عليه بالفوز بالجنة، و النجاة من النار : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦ – ٣٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠].

الثاني : رجاء من أذنب ذنوبا ثم تاب منها أن يغفر الله له ذنوبه، وأن يعفو عنها، و أن يبدلها حسنات: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

وهذان القسمان محمودان مأمور بهما شرعا .

الركن الثالث : رجاء من هو مقيم على المعاصي، فيتمادى هذا العبد في التفريط في الواجبات، و الوقوع في المحرمات، و مع ذلك يرجو رحمة الله، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب المذموم : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

الثالث : الخوف من الله تعالى .

فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، وله أعبد، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

والخوف المحمود، هو ما حال بين العبد وبين معصية ربه العزيز الجبار.

والخوف من الله أنما ينشأ من معرفة الله بأسمائه و صفاته و أفعاله، و معرفة ضعف العبد، و معرفة وعيد الله لمن عصاه بالعقوبات، و معرفة شدة العذاب الذي أعده الله لمن عصاه يوم القيامة : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢].

وكلما قوي إيمان العبد بربه، وقوي تصديقه بعذاب الله، وعرف شدة عذاب الله لمن عصاه، اشتد خوفه من الله، ومن عذاب الله، فأقبل على عبادة ربه، واجتنب ما يسخط ربه : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾[النحل:٤٩-٥٠].

فيجب على المسلم أن يعبد الله محبة له، و تعظيما له، وطمعا في ثوابه، و خوفا من عقابه : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩].

# ٤ - حكم الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله عز وجل واجبة على كل مسلم و مسلمة، و هي واجبة على كل أحد بحسب علمه و قدرته كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥].

والمسلمون في أمر الدعوة إلى الله قسمان :

الأول : عالم يبين الحق بنفسه، و يدعو الناس إلى اتباعه، كما قال مؤمن آل فرعون : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [غافر:٣٨-٤٠].

الثاني : مسلم، لكنه غير عالم، فهذا يأمر الناس ويدعوهم إلى اتباع الرسل و العلماء الربانيين، كما قال عزوجل عن صاحب يس : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يس:٢٠-٢١].

فالكل يقوم بالدعوة إلى الله رجالاً ونساءً؛ ليعبُد الله وحده لا شريك له، و يطاع في ملكه و حده لا شريك له، العالم يبين الحق بنفسه، و غير العالم يرشد الناس إلى اتباع العلماء الذين هم أعرف الخلق بالله، و ما يجب له من التوحيد و

الإيمان و حسن العبادة، و تلك هي التجارة الرابحة بلا ريب، و هذه أعظم وظائف المسلم: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١].

وبهذا و هذا يظهر الحق في العالم، ويزهق الباطل في العالم، كما يريد الله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٣].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١].

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف: ١٠ – ١٣].

## ٥ – أسباب الهداية

الناس دخلوا في الإسلام في عهد النبي ﷺ متأثرين بأسباب كثيرة أهمها :

الأول : الدعوة إلى الله باللسان كما دعا النبي ﷺ، أبا بكر وخديجة وعلي ، وغيرهم فأسلموا رضي الله عنهم، ثم قاموا فورا بالدعوة إلى الله اتباعا للنبي ﷺ في القيام بهذا الأمر العظيم الذي أرسل به: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨].

الثاني : التعليم كما اهتدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه متأثرا بالقرآن الذي سمعه و قرأه في منزل أخته فاطمة مع زوجها سعيد بن زيد، وخباب بن الأرت رضي الله عنهم ، وكانوا يتدارسون القرآن .

وكما أسلم أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، رضي الله عنهما في حلقة التعليم التي أقامها مصعب بن عمير رضي الله عنه حين قدم المدينة : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩].

الثالث : العبادة كما أسلمت هند بنت عتبه لما رأت المسلمين يصلوا عام الفتح في المسجد الحرام، وكما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه في المسجد النبوي متأثرا بالعبادة و غيرها من الأعمال التي كانت في مسجد النبي ﷺ .

الرابع : الإنفاق والإكرام، كما أعطى النبي ﷺ عام الفتح صفوان بن أمية و معاوية رضي الله عنهم وغيرهم أموالا كثيرة فأسلموا، وكما أعطى رجلا غنم بين جبلين فأسلم، وبإسلامه أسلم قومه.

الخامس : حسن الأخلاق والإحسان، والإيثار والمواساة، والصدق وغيرها من الأخلاق الحسنة التي تجذب الناس إلى الدين كما أثنى الله على رسوله محمد ﷺ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

السادس : النظر و التفكر في الآيات الكونية و الآيات القرآنية : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١].

قال الله عز وجل : ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢].

السابع: بذل الجهد لإعلاء كلمة الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الثامن: الإنابة إلى الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى: ١٣].

## ٦ - بذل الجهد لإعلاء كلمة الله

على كل مسلم و مسلمة واجبان :

جهد على النفس .. وجهد على الغير .

والجهد على النفس ينقسم إلى قسمين :

الأول : جهد علمي، وهو أن يجتهد في تعلم العلم الإلهي كما قال عز وجل ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد:١٩].

القسم الثاني : أن يجتهد المسلم على امتثال أوامر الله في كل حال، و يتحقق ذلك بخمسة أمور :

امتثال أوامر الله .. واجتناب معاصيه .. والشكر على النعم.. والاستغفار من الذنوب .. والصبر على البلايا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧ ﴾ [الحج: ٧٧].

أما الجهد على الغير، وهو الدعوة إلى الله، كما قال عز و جل : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ [الحج:٧٨].

فكل مسلم عليه جهد على نفسه بالاستقامة وحسن العبادة كما قال عز و جل : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ ﴾ [هود:١١٢].

وجهد على غيره بالدعوة إلى الله : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف:١٠٨].

فكل مسلم عليه جهد على نفسه بالاستقامة وحسن العبادة، وجهد على غيره بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة للمسلمين : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وبذل الجهد لإعلاء كلمة الله يكون بثلاثة أمور :

الأول : جهد على الكافر لعله يهتدي، كما قال سبحانه : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٣﴾ [السجدة:٣].

الثاني : جهد على العاصي ليكون مطيعا ، وجهد على الجاهل ليكون عالما ، و جهد على الغافل ليكون ذاكرا، كما قال سبحانه : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال عز وجل : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

الثالث : جهد على الصالح ليكون مصلحا ، وجهد على الذاكر ليكون مذكرا ، وجهد على العالم ليكون معلما، وبهذه الجهود ينجو العبد من الخسران : ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾ [العصر: ١-٣].

وقال عز وجل : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ٢١﴾ [الغاشية: ٢١].

وقال عز وجل : ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

وببذل الجهد لإصلاح النفس واستقامتها ، وبذل الجهد على الغير بالدعوة إلى الله، تحصل الاستقامة، وتحصل الهداية للداعي والمدعو على حد سواء : ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

## ٧- جزاء أهل التوحيد والإيمان

إذا قام كل مسلم ومسلمة بتلك الواجبات الكبرى ، أكرمه الله عز وجل وأسعده في الدنيا والآخرة بأنواع الكرامات .

فقد وعد الله عز وجل أهل التوحيد و الإيمان في الدنيا بموعودات كريمة .

ومن أعظمها، الفلاح، والهداية، والنصر، والعزة، والخلافة، والتمكين في الأرض، والدفاع عنهم، والأمن، والنجاة، وحصول البركات، وعدم تسليط الكفار عليهم، ومعية الله الخاصة، ومحبته لهم : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨].

وقال عز وجل : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون:١-٢].

وقال عز وجل : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨].

وقال عز وجل : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم:٤٧].

أما كرامات أهل التوحيد والإيمان في الآخرة .

فالله عز وجل أعد للمؤمنين من النعيم المقيم ، والملك الكبير، ما لم تره عين ، ولم تسمعه أذن ، ولم يخطر على قلب بشر : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧].

**ومن أعظم كرامات أهل التوحيد والإيمان في الدنيا والآخرة :**

**أولاً : الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة :** ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

**ثانياً : دخول الجنة يوم القيامة :** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج:١٤].

**ثالثاً : الخلود في نعيم الجنة،** كما قال سبحانه : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

**رابعاً : رضوان الرب على أهل الجنة،** كما قال سبحانه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

**خامساً : رؤية الرب جل جلاله في الجنة،** كما قال سبحانه : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

**سادساً : القرب من الرب جل جلاله،** كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

**سابعاً : سماع كلام الرب جل جلاله،** كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس:٥٥-٥٨].

**ثامناً : النجاة من النار**، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

والصفات الموعودة في الدنيا غير موجودة في حياة كثير من المسلمين اليوم ، مما يدل على ضعف إيمانهم ، ولا سبيل للحصول عليها أو رؤيتها إلا بتقوية الإيمان الموجود، بالإيمان المفقود، لنصل إلى الإمان المطلوب ، لنحصل على موعودات الله المذكورة في الدنيا على الإيمان ، بأن يكون إيماننا وأعمالنا واخلاقنا كإيمان وأعمال وأخلاق الأنبياء والصحابة على وجه الحقيقة، كما قال سبحانه : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة:١٣٧].

وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء:١٣٦].

وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٨].

فهذه هي واجبات الإسلام الكبرى ، وعلينا جميعا أن نقوم بها لنحصل على موعودات الله في الدنيا والآخرة، ونفوز بالجنة، وتحصل لنا النجاة من النار.

وهذه الواجبات هي :

الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، خيره وشره، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه؛ وطاعة الله ورسوله، وطاعة أولي الأمر في غير معصية الله، وتعلم العلم الشرعي وتعليمه، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة لكل مسلم، والجهاد في سبيل الله، والاعتصام بحبل الله وعدم التفرق، وحسن

الخلق مع الخلق، والاستقامة على الدين ظاهراً وباطنا، ولزوم الاستغفار والتوبة، كما قال سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد:١٩].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

نسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، واكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الثالثة عشرة

### صفات العقلاء

وتشتمل هذه البصيرة على المباحث الآتية :

الأول : صفات أهل العقول والبصائر .

الثاني : صفات السفهاء والحمقى .

# البصيرة الثالثة عشرة

# صفات العقلاء

## ١ - صفات أهل العقول والبصائر .

مقصود الرب من خلقه تحصيل الصفات التي يحبها، وعبادته بموجبها :

فالله مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان ، والله محسن يحب الإحسان، وأهل الإحسان ، والله تواب يحب التوبة، وأهل التوبة ، والله شكور يحب الشكر، وأهل الشكر ، والله حميد يحب الحمد، وأهل الحمد، وهكذا في بقية أسماء الله وصفاته ، نعرفها، ونتخلق بها ، ونتعبد لله بموجبها : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

والعقول من الكرامات العظيمة التي أكرم الله بها هذا الإنسان : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل:٧٨].

وهذه العقول هي مناط التكليف ، فمن لا عقل له لا تكليف عليه ، وهذا العقل ضده الجنون ، أما العقل المقصود هنا فضده السفه : ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة:١٣٠].

وعقول الناس ثلاثة :

عقول عظيمة تتكلم عن العظيم سبحانه ، ووجوب عبادته.

وعقول متوسطة تتكلم عن الأحداث العامة في الحياة.

وعقول صغيرة تتكلم عن الناس .

والموت ليس أعظم مصيبة في الحياة، بل أعظم مصيبة في الحياة أن يموت الإيمان بالله ، وأن يموت الخوف من الله، ونحن على قيد الحياة ، أن تموت الرحمة من القلب، ونحن على قيد الحياة ، أن يموت الإحسان إلى الخلق، ونحن على قيد الحياة .

وأعقل الناس هم المؤمنون ، لأنهم عرفوا ربهم، وما يجب له من العبادة، فأمنوا به وعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

وقال تعالى : ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد:١٩].

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وأسفه الناس جميعا هم الكفار، والمشركون، والمنافقون، لأنهم انقطعوا عن الله ، وأعرضوا عن ذكر الله ، واتبعوا أهواءهم : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣١].

أعقل الناس من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولا .

فهذا قد ذاق طعم الإيمان ، وعبد الخالق ، وأحسن إلى المخلوق : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة:١٧٧].

وكما أن للنباتات صفات، فكذلك للعقلاء صفات.

فالعاقل حقاً من آمن بالله، واستقام على أوامره، وصاحب الأخيار، وفارق الأشرار، فصحبة الأشرار مفسدة للشخص، ومفسدة لمجالسه، وتورث سوء الظن بالأخيار.

ومن صاحب الأشرار تخلق بأخلاقهم، لأن الصاحب ساحب إلى خير أو شر: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ [هود:١١٢-١١٣].

والواجب على المسلم أن يصحب الأخيار، و يبتعد عن الأشرار، لأن صحبة الاخيار تثمر الخير والفضيلة، وصحبة الأشرار تورث الشر والرذيلة: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة:٢].

وقال عز وجل: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الجليس الصالحُ والجليسُ السوءِ كحامِلِ المسك، ونافخِ الكيرِ، فحاملُ المسك: إما أن يُحْذِيَكَ، وإما أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجِدَ منه ريحاً طيِّبة، ونافخُ الكير: إما أن يحرقَ ثِيَابَكَ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثَة» متفق عليه (١).

وصحبة الأشرار قطعة من النار، تُعقب الضغائن، وتأكل الأخضر واليابس:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢١٠١)، وأخرجه مسلم برقم (٢٨٢٨).

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم:٤١].

فاحذر صحبة من يضرك ولا ينفعك ، الذي إن ذكرت الله لم يعنك ، وأن نسيته لم يذكرك ، فصاحب البررة ، وفارق الفجرة : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩].

واعلم انك إن تنقل الحجارة مع الأخيار ، خير لك من تأكل الثريد مع الفجار : ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

والأرواح جنود مجندة، والمرء على دين خليله، والصاحب يدل على الصاحب، فكن مع الأخيار: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

ومن صحب قوماً عرف بهم ، ومن عاشر إمرأً نسب إليه .

والناس أشكال كأجناس الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والصقور مع الصقور .

فصاحب رحمك الله من إذا رأى منك حسنة نشرها ، وإذا رأى منك سيئة سترها ، وإذا علم لك حاجة قضاها .

قالَ رسُولُ الله ﷺ : «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مجُنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» متفق عليه (١).

وزيارة الإخوان وإكرامهم بالخير، سبب لمحبة الله للعبد، وسبب لمحبة الناس له .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٩٥)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٣٨).

يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ المتَحَابُّونَ بِجَلالِي ؟ الْيَوْمُ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلِّي» أخرجه مسلم [1] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ تعالى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا عليه؟ أي : هل لك عليه من نعمة تريد أن تزيدها؟ ، قَالَ : لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ تعالى، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فيه» أخرجه مسلم [2].

فأكرم رحمك الله من قطع المسافات من أجلك ، وتخطى رقاب الناس حتى جلس إليك ، فإن كان عالماً فتعلم منه ، وإن كان جاهلاً فعلّمه، وإن كان فقيراً فاعطه : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩].

وصاحب العاقل ، وأحذر صحبة الأحمق ، لأن العاقل تنال من خيره، وتسلم من شره ، والأحمق إن لم يُعدِك حمقه، تدنست بعشرته .

ومن علامات الأحمق :

سرعة الجواب ، وترك التثبت ، والإفراط في الضحك ، وكثرة الالتفات ، والوقيعة في الأخيار ، والاختلاط بالأشرار ، والعجلة في الأمور ، والخفة والفجور، والجهل والفحش والفخر .

ومن أعظم أمارات الحمق في الإنسان ، أن ما خطر على قلبه نطق به لسانه ، والاحمق كالثوب الخلق ، إن أصلحته من جانب انخرق من الجانب الآخر .

والأحمق إن صاحبته اتعبك ، وإن اعتزلته شتمك ، وإن أعطاك منّ عليك ، وإن اعطيته كفرك ، وإن كان فوقك حقرك ، وإن كان دونك غمزك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٧) .

فأختر صحبة الأخيار على صحبة الأشرار : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨].

ومن شيم العاقل كمال الإيمان واليقين ، ودوام الذكر والتفكر : ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

ومن شيم العقلاء :

الحلم، والصمت، والسكينة، والحكمة، والوقار، والكرم، والبذل، والوفاء، والعفو، والعلم، والورع، والصدق، والصبر، والقوة، والحزم، وحسن السمت، والتواضع، والعدل، والإحسان، والتجاهل، والتعفف: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

ومن صفات العقلاء : ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب:٣٥].

ومن صفات العقلاء : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة:١١٢].

والعاقل حقا يشتغل بإصلاح عيوب نفسه ، وعدم السخرية بالخلق، وعدم

التجسس على عيوب الناس ، وعدم سوء الظن بالناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات:١١-١٢].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا» أخرجه البخاري [(١)].

ومن عاب الناس عابوه ، ومن أشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه ، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه.

وسوء الظن يولد في الإنسان ثمان آفات وهي :

الغيبة .. والنميمة .. والتحسس .. والتجسس .. والتباغض .. والتقاطع .. والتدابر .. ثم التقاتل .

وحسن الظن من الإيمان، والتجسس من شعب النفاق، وكما تدين تدان ، والكأس الذي تسقي به الناس لا بد أن تُسقي به وزيادة ، لأن البادي أظلم .

وحسن الظن هو الأصل بين المسلمين، وسوء الظن يفرق المجتمعين .

وسوء الظن على ضربين :

أحدهما منهي عنه ، وهو استعمال سوء الظن مع جميع المسلمين .

الثاني مستحب ، وهو سوء الظن بالعدو ، ومن بينك وبينه عداوة في دين أو دنيا، لتسلم من كيده ومكره وشره .

وسوء الظن بهؤلاء يحفظك من شرهم و مكرهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥١٤٣).

حِذۡرَكُمۡ ﴿٧١﴾ [النساء:٧١].

والمؤمن كيّسٌ فَطِن ، يحذر من كل قذر ، ويحترس من كل مفترس ، وينتبه لكل سبُعٍ ضار في صورة إنسان بار : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ [البقرة: ٢٠٤ –٢٠٦].

والعاقل حقا يعمل لدينه بقدر طاقته كما قال سبحانه : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج: ٧٨].

ويأخذ من دنياه بقدر حاجته، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيرا، وأفقر الفقراء من كان الحرص عليه أميرا : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ [القصص:٧٧].

وقال عز وجل : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ [التغابن:١٦].

ومن رحمة الله بعباده، أن ركّب فيهم الحرص والرغبة في الدنيا والطعام والشراب ، لئلا تخرب فيها معائش الناس، إذ هي دار الأبرار ، وموضع التزود للأخرة، وسوق العارفين : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة:٢٥].

ولو نزع الله من قلوب الناس الحرص على الدنيا لبطلت وخربت ، ولما وجد المسلم ما يستعين به على أداء فرائض الله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢].

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥].

وأرزاق الخلائق مقسومة ، وأوقاتها مقدّرة محدودة ، والحرص غير زائد في الرزق ، وأهون ما يعاقب به الحريص أن يُمنع من الاستمتاع بما حصّله من متاع الدنيا .

ورزقك يعرف عنوانك ، وسيأتي إليك في وقته فلا تعجل : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف:٣٢].

والحرص سائق البلايا ، ومركب الهموم، وذلة النفوس .

فخذ من الدنيا ما يعينك على أداء فرائض الله ، وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس ، ولا تتمنى ما صرف الله من الدنيا عنك ،وما قسم الله لك من الرزق فسيصلك قطعاً : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود:٦].

وعن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال : قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ : «اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهَّ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: إِنَّكِ سَأَلْتِ اللهَّ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ ، وَآثَارٍ مَبْلُوغَةٍ ، لا يُعَجِّلُ مِنْهَا شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ ، وَلا يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللهَّ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا لَكِ» أخرجه مسلم (١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٣).

وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» أخرجه مسلم [(1)].

من أعظم صفات السفهاء والحمقى الكفر، والشرك، والنفاق : ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٣٠].

ومن صفات السفهاء والحمقى الكبر، والحسد، والظلم، والبغي، والحرص، والطمع، والغضب، والعجلة في الأمور، وقلة الصبر، وكثرة الكلام، وقلة الصمت، وعدم الوقار، والاضطراب، والجزع، والتحسس، والتجسس، وسوء الظن، وكثرة الجدل، وعدم الرضا بالقدر، والكذب، والخداع، والصد عن سبيل الله، والدعوة إلى الباطل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٧ - ١٦٩].

والحسد من أعظم الآفات التي تأكل الحسنات، وتمزق الأمة. فتخلص منه، كما تتخلص من أنواع النجاسات، وما من أحد أنعم الله عليه بنعمة إلا وجدت له من الناس حاسدًا.

وكلما عَظُمَتِ النعمة، قوي الحسد، ولو كان المرء أتقى الناس، ألا ترى الكفار واليهود، كيف حسدوا سيد الخلق وأكرمهم محمدًا ﷺ : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤].

والحسدُ معجون في بني آدم، لكن منهم من يُبديه، ومنهم من يخُفيه، ومنهم من

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

يُعالجِه، ومنهم من يُنميه. فنعوذ بالله من الحسد والحُسَّاد : ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ [الفلق: ١-٥].

والواجب على العاقل اللَّبِيب اجتناب الحسد في جميع أحواله، لمِا في الحسد من إرادة ضد ما قَدَّر الله لعباده، وترك الرضا بالقضاء والقدر، وتمني زوالِ النعمة عن أخيه المسلم.

قال النبي ﷺ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوانًا» متفق عليه (١).

ولن يبلُغَ المرء مرتبةً من مراتب الدنيا أو الدين، إلا وجد من الناس من يحسده عليها، أو يُبْغِضه من أجلها، والحاسد إذا رأى بأخيه نِعْمَةً بُهِت، وإن رأى به عثرة شَمِت. والواجبُ على العاقل أن يُوَطِّن نفسه على تحمل ألم الحسد من الحاسد.

وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقارب، والأقران، والجيران، والإخوان، وأصحاب المِهَن، والضَّرَّات، وذلك إذا تعرى الكل عن الديانة إلا من عَصمه الله عز وجل.

والحاسد إنما يضر نفسه، لأن حسده يجره إلى النكد والشقاء، ألا ترى إبليس حسد آدم، فكان جزاءُ حسده أن طرده الله ولعنه، واصطفى آدم واجتباه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤].

وقال عز وجل لإبليس : ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص: ٧٧ – ٧٨].

وكلُّ أحدٍ من الناس، تستطيع أن تُرضيه حتى يرضى إلا الحسود، فإنه لا يُرضيه

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٥)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٥٩).

إلا زوال النعمة التي وهبها الله لمن حسده. فنعوذ بالله من شر كل حاسدٍ وحاسدةٍ.

والحسد كله مذموم، ولا يُحْمَدُ منه إلا ما كان في أمرين كما قال النبي ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهو يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» أخرجه البخاري (١).

والعاقل يتحلى بالحُلْمِ والعَفو، ويجتنب الغضب والانتقام.

ومن غَضِب زايله عقله، فقال ما سولت له نفسه، وفعل ما شانه وأرداه.

وسُرْعة الغضب من شِيَم الحمقى، كما أن الحُلْم من زي العقلاء، والغضب بَذْر الندم، فالمرءُ على تركه أقدر منه على إصلاح ما أفسده بالغضب.

والواجب على العاقل إذا ابتُلي بمن يُغضبه، أن يذكر كثرة عصيانه لربه، وتواتر حلم الله عليه، ويذكر ثواب الصابرين، والعافين عن الناس، والمحسنين إليهم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وكل إنسان مجبول على الغضب، والحِلْم، فمن آثر الحلم على الغضب، فهذا أعقل الناس، ومن آثر الغضب على الحلم، فهذا أحمق الناس: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦].

وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أوصني، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ، فردّدها مرارًا، وكُلَّها يَقُولُ: لاَ تَغْضَبْ» أخرجه البخاري (٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦١١٦).

والواجب على العاقل ترك الطمع فيما أيدي الناس، لأن الطمع فَقْرٌ حَاضِر، وعليه إظهار اليأس منهم، لأنه غني عنهم بالله عز وجل.
وأسعد الناس من كان شِعَارُ قلبه الورع، ولم يُعْمِي بصره الطمع: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٤].
ومن أحبَّ أن يكون حراً، فلا يهوى ما ليس له، لأن الطمع فقر، واليأس غنى.
ومَنْ طَمِعَ ذَلَّ وخضع، ومن قنع عَفَّ وأستغنى.
قال النبي ﷺ: «ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، ومَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وما أُعْطِيَ أحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» متفق عليه [1].
والإياس مما في أيدي الناس هو بذر الراحة، كما أن الطمع هو بذر التعب والذل، فكم من طامع تعب وذل ولم ينل بُغيته، وكم من آيس استراح وتعزّز وأتاه ما أمَّل وما لم يؤمَّل: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].
ودواء زوال الطمع عن القلب، أن تعلم أن ما قدر الله لك سوف يصلك. وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.
والواجب على العاقل أن يُعّف نفسه عن سؤال الناس في جميع الأحوال، ليصون وجهه عن ذل السؤال، فلا يسأل إلا ربه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].
ومن عزت عليه نفسه، صغرت الدنيا في عينه.
وأشد اللقاء الموت وما بعده، وأشد الأمور الحاجة إلى الناس دون السؤال، وأشد منه السؤال، فإن قُضيت حاجته، فهي مقرونة بذل السؤال، وإن لم تُقض كان فيه ذُلَّان، ذل السؤال للخلق، وذل الرد منهم.
فالعاقل لا يسأل إلا ربه، ولا يوكل إلا عليه؛ لأنه الغني الكريم، الذي يُحب أن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩)، وأخرجه مسلم برقم (١٠٥٣).

يقضي حوائج عباده، فلا يرد سائلا، ولا يخيب مؤملًا : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال النبي ﷺ «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ» أخرجه البخاري (١).

وفي سؤال الناس آفتان عظيمتان :

إحداهما : أنه إذا أُعطي السائل حمد غير الذي أعطاه، ونسي المُعطي الحقيقي وهو الله عز وجل: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

الثانية : أنه إذا منعه العطاء ذم غير الذي منعه، لأن العطاء والمنع بيد الله، فيكون ذامًّا لله تعالى في الحقيقة. والله عز وجل هو الخبير بعباده، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء بحكمته : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر:٢].

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء:٣٠].

ومن أعظم مواهب الله عز وجل لعباده القناعة ، والزهد في الدنيا، والقناعة مالٌ لا ينفد .

وقد فَرَغَ الله إلى الناس من أربعة أمور، من الخَلْقِ، والخُلُقِ، والرزق، والأجل.

فاقنع بما كتب الله، ولا تطلب ما زواه الله عنك.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : «كُنْ في الدُّنْيَا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٧).

كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» أخرجه البخاري (١).

ومن قنع بما هو فيه قَرَّتْ عينه، واطمأن قلبه، واستراح بدنه، وعاش آمنًا مطمئنًا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨].

والواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفل بأرزاق الخلائق كلهم.

والتوكل هو أعظم ثمرات الإيمان، وقرين التوحيد الذي لا ينفك عنه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن:١٣].

وقال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة:٢٣].

وما توكل أحد على الله إلا كفاه، ولم يَكِلْهُ إلى أحد من عباده، وأتاه رزقه من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣].

فالأنفاس معدودة، والأرزاق مقسومة، والآجال محدودة، والخطوات مكتوبة، والأعمال منسوخة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج:٧٠].

وقال النبي ﷺ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وكان عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ» أخرجه مسلم (٢).

والمؤمن يعلم أن الأرزاق قد فرغ الله منها كَمِّيَةً، ونوعيةً، ومكانًا، وزمانًا، فلا تطلب شيئاً قبل أوانه، ورزقك سيدخل عليك بابك وإن لم تطلبه ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود:٦].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤١٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

ومن صح إيمانه صح توكله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

والتوكل هو الاستغناء بالخالق، وقطع العلائق عن الخلائق، مع فعل الأسباب المشروعة.

ومن عرف مولاه أغناه عمَّا سواه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

والعاقل حقاً يعلم أن ربه قد فرغ من كل شيء، فَمِنْهُ ما كان، ومنه ما يكون، ومنه ما هو كائن لا محالة، ومنه ما لا يكون، فلا حيلة للخلق في تكوينه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:٤٩-٥٠].

وقال النبي ﷺ: «أول ما خلق الله القلم ثم أمره فكتب ما يكون إلى يوم القيامة» أخرجه أبو داود (١).

والدنيا دار الإيمان، والابتلاء، والعمل، فمن أصابته شِدَّة فعليه أن يَتَّزِرْ بإزار له طرفان، أحدهما الصبر، والآخر الرضى، فإن أتبع ذلك بالحمد نال ثواب الصابرين، وثواب الحامدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وقال عز وجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن:١١].

والعاقل حقا يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما زُوِيَ عنه فلن يأخذه، وما كُتِبَ له فسيأخذه.

وعدم رفع البلاء عن الخلق إنما جاء من قلة الرضى عن الله، وقلة الرضى عن

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٤٧٠٠).

الله إنما جاء من قلة المعرفة بالله : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

والصبر من أعظم صفات العقلاء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

والصبر على ثلاث أضرب :

صبر على الطاعات وصبر عن المعاصي، وصبر على المصائب.

والصبر على الطاعات أحب إلى الله، ومن صبر على هذه الثلاثة نال أجر الصابرين، فإن رضي نال أجر الراضين، فإن حمد نال أجر الحامدين : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة:٥١].

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران:٥٣].

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الرابعة عشرة

## صفات المؤمنين

**وتشتمل هذه البصيرة على المباحث التالية :-**

الأول : من هم المؤمنون

الثاني : درجات الإيمان .

الثالث : درجات أهل الإيمان .

الرابع : أقسام صفات المؤمنين .

الخامس : صفات المؤمنين في القرآن .

السادس : كيفية تحصيل الصفات الإيمانية .

السابع : التعبد لله بالصفات الإيمانية .

الثامن : ثواب أهل الصفات الإيمانية.

# البصيرة الرابعة عشرة

# صفات المؤمنين

## ١ - من هم المؤمنون؟

الله عز وجل هو الملك الحق المبين، الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد، الرب الذي له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

وكل مخلوق ، وكل شيء موجود، له ذات وله صفات

فالجماد له صفات، والنبات له صفات، والحيوان له صفات، والإنسان له صفات.

وأحسن صفات الإنسان هي الإيمان الذي عليه مدار الأعمال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [يونس:٩].

وأصح الخلق مزاجاً هم المؤمنون، وأصح المؤمنين مزاجاً هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وأصح الأنبياء والرسل مزاجاً هم أولو العزم ( نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد) عليهم أفضل الصلاة والسلام .

وأصح أولي العزم مزاجاً الخليلان، إبراهيم ومحمد، عليهما أفضل الصلاة السلام، وأفضل الخليلين محمد ﷺ ، الذي كان أحسن الناس خلقا وخلقا ، وكان خلقه القرآن، يتأدب بآدابه ، ويصدق أخباره ، ويطبق أحكامه ، ويمتثل أوامره ويجتنب نواهيه ، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ولهذا أثنى عليه ربه بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤].

وقوله عز وجل : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فالنبي ﷺ أفضل من أتصف بالصفات الإيمانية، وأفضل من عبد الله بموجب تلك الصفات : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

فمن أراد الفوز و الفلاح في الدنيا والآخرة ، فليتصف بالصفات الإيمانية التي ذكرها الله في كتابه، وأتصف بها رسوله ﷺ في حياته ، واتباعه في نيته ، وفكره، وفي توحيده، وإيمانه ، وفي أقواله الحسنة ، وفي أعماله الصالحة ، وفي أخلاقه الكريمة : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} ]الاحزاب : ٢١ ].

وهذا هو الطريق الوحيد للفوز، والفلاح، والسعادة ، والنجاة، في الدنيا والآخرة : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

فمن لم يتصف بهذه الصفات الإيمانية، فهو أخسر الناس كما قال سبحانه : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

ومن هم المؤمنون : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟

﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

ومن هم المؤمنون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون؟.

ما وصفهم؟، وما هي صفاتهم؟، وبماذا وعدهم الله؟.

إنهم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون:١-١١].

أول صفة لهؤلاء المؤمنين، أنهم في صلاتهم خاشعون، تستشعر قلوبهم رهبة الموقف بين يدي الله في الصلاة، فتسكن وتخشع، ويسري الخشوع منها إلى الجوارح، ويغشى أرواحهم جلال الله، فتختفي من أذهانهم جميع الشواغل، ولا تشتغل بسواه، فهم مشغولون بنجواه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

ويتوارى عن حسهم عند مناجاة ربهم، كل ما حولهم، وكل ما بهم، فلا يشهدون إلا الله، ولا يخشون إلا إياه، ويتطهر وجدانهم من كل دنس، وينفضون عنهم كل شائبة، فتتصل هذه الروح بخالقها، وتجد الروح الحائرة طريقها، ويعرف القلب المستوحش مثواه، فيسكن إلى ربه، ويطمئن إليه، ويتلذذ بمناجاته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

والصفة الثانية: الإعراض عن اللغو كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون:٣].

فهم معرضون عن كل لغو، لغو القول، ولغو الفعل، ولغو الاهتمام بما سوى

الله، والشعور بإن قلب المؤمن له ما يشغله عن اللغو واللهو، والهذر واللعب.

وله ما يشغله من ذكر الله، وتصور جلاله، وتدبر آياته في الأنفس والآفاق.

وله ما يشغله في تكاليف العقيدة، من تطهير القلب، وتزكية النفس، وتكاليفها في السلوك والثبات على الإيمان، وتكاليفها في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وتكاليفها في الجهاد لحمايتها ونصرتها، وحمايتها من كيد الأعداء.

وهي تكاليف لا تنتهي، ولا يغفل عنها المؤمن، ولا يعفي نفسه منها، وهي مفروضة عليه، وأمانة في عنقه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج:٧٧-٧٨].

والصفة الثالثة: أداء الزكاة كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون:٤].

والزكاة فيها طهارة القلب والمال، طهارة القلب من الشح، والاستعلاء على حب الذات، والانتصار على وسوسة الشيطان بالفقر، وثقة بما عند الله من العوض والجزاء: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة:١٠٣].

وقال عز وجل: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة:٢٦٨].

وهي طهارة للمال، تطهره من الأوساخ، وتجعل ما بقي منه بعدها طيباً حلالاً.

وهي صيانة للأمة من الخلل الذي ينشئه العوز في جانب، والترف في جانب آخر.

والصفة الرابعة: حفظ الفروج كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦﴾ [المؤمنون:٥-٦].

وفي هذه طهارة الروح والبيت والجماعة، ووقاية النفس والأسرة والمجتمع وحفظ الفروج من دنس المباشرة المحرمة، وحفظ القلوب من التطلع إلى غير الحلال، وحفظ الجماعة من انطلاق الشهوات فيها بغير حساب.

والجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب، جماعة معرضة للخلل والفساد، وهي جماعة قذرة هابطة في سلم البشرية.

والله عزَّ وجلَّ ينظم الدوافع الفطرية عند الإنسان في صورة مثمرة نظيفة، لا يخجل معها الأطفال من الطريقة التي جاءوا بها إلى هذا العالم، لأنها معروفة، يعرف فيها كل طفل أباه، لا كالحيوان الذي تلقى الأنثى فيه الذكر للقاح، وبدافع اللقاح، ثم لا يعرف الفصيل كيف جاء، ولا من أين جاء؟.

والقرآن هنا يحدد المواضع النظيفة التي يحل للرجل أن يودعها بذور الحياة، وهي الزوجات، وملك اليمين.

فمن تجاوزها إلى غيرها فقد تعدى الدائرة المباحة، ووقع في المحرمات، واعتدى على الأعراض التي لم يستحلها بنكاح ولا بجهاد.

وهنا تفسد النفس البشرية، لشعورها بأنها ترعى في كلأ غير مباح، ويفسد البيت، لأنه لا أمان له ولا اطمئنان، وتفسد الجماعة، لأن ذئابها تنطلق فتنهش من هنا وهناك.

فأي فساد وخراب للبلاد والعباد فوق هذا؟: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة:٤٩-٥٠].

والصفة الخامسة : حفظ الأمانات والعهود كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المؤمنون:٨].

فهم يرعون الأمانة الكبرى، فلا يدعون فطرتهم تنحرف عن استقامتها.

فتظل قائمة بأماناتها، شاهدة بوجود الخالق ووحدانيته، ثم تأتي سائر الأمانات التي في عنق الفرد، وفي عنق الجماعة، وفي عنق الأمة : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨].

والعهد الأول هو عهد الفطرة الذي قطعه الله على فطرة البشر بالإيمان به وتوحيده، وعلى هذا العهد الأول تقوم جميع العهود والمواثيق : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠].

فكل عهد يقطعه المؤمن، يجعل الله شهيداً عليه فيه، ويرجع في الوفاء به إلى تقوى الله وخشيته.

والأمة المسلمة مسئولة عن أماناتها العامة، ومسئولة عن عهدها مع الله تعالى، وما يترتب على هذا العهد من تبعات : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وما تستقيم حياة الأمة إلا أن تُؤدَى فيها الأمانات، وتُرعى فيها العهود.

والصفة السادسة : المحافظة على الصلاة كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المؤمنون:٩].

فهم على صلاتهم يحافظون، فلا يفوتونها كسلاً، ولا يضيعونها إهمالاً، ولا يقصرون في إقامتها، إنما يؤدونها في أوقاتها كاملة الفرائض والسنن، مستوفية الأركان والآداب، حية يحضر فيها القلب، وتستقيم الجوارح : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقد بدأت صفات المؤمنين بالصلاة، وختمت بها، للدلالة على عظيم مكانتها في بناء الإيمان، بوصفها أكمل صورة من صور العبادة والتوجه إلى الله.

ومن أعظم صفات المؤمنين الذين اشتراهم الله عزوجل : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢].

ومن أعظم صفات المؤمنين التي ينالون بها المغفرة والأجر العظيم : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

فهذه صفات المؤمنين المكتوب لهم الفلاح، وهذا نوع الحياة التي يعيشونها . وتلك الحياة الفاضلة اللائقة بالإنسان الذي كرمه الله، وأراد له التدرج في مدارج الكمال والعزة.

ولما كانت الحياة في هذه الأرض لا تحقق الكمال المقدر للبشر، فقد شاء الله أن يصل المؤمنون الذين ساروا في الطريق إلى الغاية المقدرة لهم في الآخرة، هنالك في الفردوس، دار الخلود بلا فناء، ودار الأمن بلا خوف، والاستقرار بلا زوال، والنعيم بلا شقاء : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون:١٠-١١].

## ٢ - درجات الإيمان

**إيمان الخلق على ثلاث درجات :**

الدرجة الأولي : إيمان لا يزيد ولا ينقص ، وهو إيمان الملائكة ، ولكمال إيمانهم فهم دائماً في الذكر ، والتسبيح، والعبادة، وامتثال أوامر ربهم : ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠].

الثانية : إيمان يزيد ولا ينقص أبدا ، وهو إيمان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، فهم أعرف الناس بربهم ، وما يجب له من العبادة والإيمان ، والتوحيد : كما قال الله عن الأنبياء والرسل : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم:٥٨].

وقال الله عنهم : ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

الثالثة : إيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية ، وهو إيمان أتباع الأنبياء والرسل.

وهم في إيمانهم درجات ، وأعلاهم من ذكرهم الله بقوله : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

فإيمان البشر يزيد وينقص، وكلما زاد الإيمان في القلب، ازدادت الطاعات، وزاد الخوف والخشية في قلوب المؤمنين كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

فهؤلاء المؤمنون مشفقون من ربهم، وهم يؤمنون بآياته، ولا يشركون به، وهم ينهضون بتكاليف الدين وواجباته، وهم يأتون من الطاعات ما استطاعوا، ولكنهم بعد هذا كله قلوبهم وجلة، لإحساسهم بالتقصير في حق الله، بعد أن بذلوا ما في طوقهم، وهو في نظرهم قليل؛ لأن ما يجب لله أعظم.

إن قلب المؤمن يشعر بفضل الله عليه ومنته في كل آن، ويحس آلاءه في كل نفس، وفي كل حركة، ومن ثم يستصغر كل عباداته، ويستقل كل طاعاته، إلى جانب آلاء الله ونعمائه.

كذلك هو يستشعر بكل ذرة فيه جلال الله وعظمته، ويرقب بكل مشاعره يد الله في كل شيء من حوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

ومن ثم يشعر المؤمن بالهيبة، ويشعر بالوجل، ويشعر بالحياء، ويشفق أن يلقى الله وهو مقصر في حقه، لم يوف ربه حقه عبادةً وطاعةً، ولم يقابل أياديه عليه حباً وشكراً: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩].

وهؤلاء هم الذين يسارعون في الخيرات، وهم الذين يسبقون لها، لما عرفوا قدرها وثمنها، ومن ثم هم في الطليعة بهذه اليقظة، وبهذا التطلع، وبهذا العمل،

وبهذه الطاعة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

وكلما كان القلب ندياً بالإيمان زاد تذوقه لحلاوة الإيمان، وأدرك من معاني القرآن وتوجيهاته ما لا يدركه منه القلب الصلد الجاف، واهتدى بنوره إلى ما لا يهتدي إليه الجاحد الصادف : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

# ٣- درجات أهل الإيمان

فالمؤمنون على ثلاث درجات، وكلهم في الجنة :

الظالم لنفسه .. والمقتصد .. والسابق بالخيرات ، كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) ﴾ [فاطر: ٣٢-٣٤].

فالظالم لنفسه من المؤمنين هو من كُثرت معاصيه لربه، والمقتصد، هو الذي يأتي بالواجبات، ويجتنب المحرمات، والسابق بالخيرات، هو الذي يأتي بالواجبات والمستحبات ، ويجتنب المحرمات والمكروهات.

اللهم اجعلنا من السابقين إلى كل خير، المبتعدين عن كل شر، ابتغاء مرضاة الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨) ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

## ٤ – أقسام صفات المؤمنين

عدد صفات المؤمنين كثيرة، وقد ذكر الله عز وجل صفات المؤمنين القلبية والبدنية والأخلاقية، في كتابه العظيم، وذكرها النبي ﷺ في سنته، وهي تزيد على ألف صفة، وهي زينة كل مؤمن.

فكل عبادة لله ، وكل دعوة إلى الله، وكل تعليم لشرع الله، وكل إحسان إلى خلق الله، وكل معاملة شرعية ، وكل خلق حسن ، وكل طاعة لله ورسوله ﷺ فهي من صفات المؤمنين : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾ [البقرة:١٣٨].

أما أقسام صفات المؤمنين فهي ثلاث :

صفات قلبية .. وصفات بدنية .. وصفات أخلاقية

وقد ذكر الله عز وجل هذه الصفات العظيمة في كتابه العظيم ، في جميع سور القرآن ، فلا تكاد تخلوا منها سورة واحدة، وبينها النبي ﷺ في سننه .

فمن الصفات القلبية :

الإيمان، والصدق، والصبر، والتوكل على الله، والحب له، والخوف، والرجاء، والخشية، والإحسان، والتقوى، والرحمة، والعفو، والصفح، والكرم، واللطف، واللين، والتواضع، والعفة، وحسن الظن، والحلم، وحب الله ورسوله، والإكثار من ذكر الله، وغيرها من الصفات القلبية.

ومن الصفات البدنية :

إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان ،وحج بيت الله الحرام، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة للمسلمين، والجهاد في سبيل الله، والإنفاق في سبيل الله، وغيرها من الصفات العلمية و العملية التي ذكرها الله في كتابه العظيم .

ومجموع هذه وهذه هي الأخلاق التي أثنى الله عز وجل على رسوله بها بقوله :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم:٤].

## ٥ – صفات المؤمنين في القرآن

صفات المؤمنين في القرآن كثيرة جداً ، ومن أراد أن يعرف صفات المؤمنين ليتجمل بها ، ويتعبد لله بها ، فليقرأ كتاب ربه الذي جمع وبيَّن الصفات التي يحبها الله عز وجل.

ومن أعظم صفات المؤمنين ما ذكره الله سبحانه في سورة البقرة بقوله : ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة:١-٥].

ومن صفاتهم في هذه السورة : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥].

ومن صفات المؤمنين ما ذكره الله في سورة آل عمران بقوله : ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران:١٧].

ومن صفاتهم في هذه السورة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦].

ومن صفاتهم في هذه السورة ما ذكره الله بقوله : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٤].

ومن صفات المؤمنين ما ذكره الله سبحانه في سورة الأنفال بقوله : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال: ٢-٤].

ومن صفات المؤمنين ما ذكره الله في سورة التوبة بقوله : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ [التوبة: ١١٢].

ومن صفات المؤمنين التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ [التوبة: ٧١].

ومن صفاتهم في هذه السورة ما ذكره الله تعالى بقوله : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

ومن صفات المؤمنين التي ذكرها الله عز وجل في سورة يونس: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

ومن صفات المؤمنين ما ذكره الله في سورة المؤمنون بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون:١-١١].

ومن صفات المؤمنين التي ذكرها الله عز وجل في سورة الفرقان ما ذكره بقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا

وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا
لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ
وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان:٦٣-٧٥].

ومن صفات المؤمنين التي ذكرها الله عز وجل في سورة الاحزاب ما ذكره بقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

ومن صفات المؤمنين ما ذكره الله في سورة الحجرات بقوله : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

ومن صفات المؤمنين ما ذكره الله في سورة المعارج بقوله : ﴿۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ
هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ
صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ
لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ
ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾
وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج:١٩-٣٥].

وغير ذلك من الصفات العظيمة التي ذكرها الله في القرآن، وبينها الرسول ﷺ في السنة .

## ٦ - كيفية تحصيل الصفات الإيمانية

الإيمان بالله، وتوحيده، وعبادته وحده، وإتباع رسوله ، هو مقصود الرب من خلقه : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦].

وقال عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧].

ومن عاش في الدنيا مع المؤمن فآمن به، ومع الواحد فوحده، ومع الكبير فكبره، فهو أسعد الناس في الدنيا والآخرة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

والإيمان شيء ، وصفات المؤمنين شيءٌ آخر؛ فالصفات هي التطبيق العملي لأوامر من آمنت به بتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، مع كمال الحب والتعظيم والذل له كالأنبياء: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وكلما زاد الإيمان، زادت صفات المؤمنين ، وزادت تقواهم، وزاد حبهم لله ، وزاد تعظيمهم له والخوف منه، ويحصل كل ذلك بالنظر في الآيات الكونية ،

والتدبر للآيات القرآنية ، ليعرف الناس من يعبدون، ويتصفوا بصفاته على شاكلة العبودية.

فالله مؤمن يحب الإيمان ، ويحب المؤمنين ، والله شكور يحب الشكر، ويحب أهل الشكر، والله تواب يحب التوبة، وأهل التوبة ،،، وهكذا في بقية الصفات : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وكلما زاد الإيمان زادت الأعمال الصالحة ، والأخلاق الكريمة : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

فكلما زاد الإيمان ، زادت الأعمال الصالحة ، وزادت الأخلاق الكريمة ، كما أنه كلما زاد سقي الأرض بالماء، زادت خضرتها وثمارها ونموها : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥-٧].

# ٧- التعبد لله بالصفات الإيمانية

الله عز وجل يحب الصفات الإيمانية، ويحب أهل هذه الصفات، ولهذا أمرهم الله بها، ورغبهم فيها، ووعد من أتصف بها بالثواب العظيم يوم القيامة : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

فليكن حظنا من سماع ومعرفة هذه الصفات التحلي بها، والتعبد لله بموجبها، ودعوة الناس إلى معرفتها، وبيانها للناس، وبيان ثوابها لهم ، ليعبدوا الله حقا ، وينالوا أجره حقا : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

فالله مؤمن يحب الإيمان ، و يحب أهل الإيمان ، ولهذا بيَّن جميع صفاتهم في القرآن، وبين أفعالهم وثوابهم : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

فالله شكور يحب الشاكرين، والله تواب يحب التوبة وأهل التوبة، والله محسن يحب الإحسان، ويحب أهل الإحسان.

فالله عز وجل يحب ظهور صفاته في خلقه ، ويحب منهم أن يمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

## ٨- ثواب أهل الصفات الإيمانية

ثواب الله عز وجل لأهل الصفات الإيمانية ثواب عظيم، وثواب كبير، وثواب كريم: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

ومن ثوابه عز وجل ما ذكره الله في سورة التوبة للمؤمنين والمؤمنات: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

ومن ثواب المؤمنين في الجنة ما ذكره الله في قوله في سورة الكهف : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

ومن ثوابه عز وجل لأهل الصفات الإيمانية، رؤية الله عز وجل كما قال سبحانه عن المؤمنين : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

ومن ثوابهم أنهم في الجنة قرب الملك العزيز الرحيم : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم ممن تعرف على هذه الصفات، وطبَّقها عمليا ، واتصف بها بينه وبين ربه، وبينه وبين خلقه .

اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسِنا تقْواهَا، وَزَكِّهَا أَنْت خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نسْأَلُكَ الجْنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات .

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الخامسة عشرة

## صفات أولي الألباب

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : من هم أولو الألباب .

الثاني : صفات أولي الألباب.

الثالث : درجات أولي الألباب.

الرابع : أعمال أولي الألباب.

الخامس : واجبات أولي الألباب .

السادس : شمائل أولي الألباب .

السابع : دعاء أولي الألباب.

الثامن : ثواب أولي الألباب.

# البصيرة الخامسة عشرة

# صفات أولي الألباب

## ١ - من هم أولو الألباب؟

أولو الألباب هم : أصحاب العقول الراجحة، و البصائر الثاقبة، والأفكار القيمة، والآراء السديدة ، والأفعال الحميدة.

وأعظم أولى الألباب هم المؤمنون الذين استقاموا على أوامر الله عز وجل ذكراً وفكراً وعملاً : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ -١٩١].

أولو الألباب هم من آمن بالله، وأعرض عما سواه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: ١٧ -١٨].

وقد ورد لفظ أولي الألباب في القرآن ست عشرة مرة منها : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وقال عز وجل : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال عز وجل : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقال عز وجل : ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد: ١٩].

وغير ذلك من الآيات .

# ٢ - صفات أولي الألباب

ذكر الله عز وجل صفات أولي الألباب في كتابة العظيم في أكثر سور القرآن وفي مقدمة أولي الألباب الأنبياء و الرسل ، و أتباعهم من المؤمنين، من العلماء الربانيين ، والعبّاد المخلصين ، والمجاهدين الصادقين ، والصابرين، والمحسنين، والمنفقين في سبيل الله ، والحامدين لله، والمستغفرين له ، والدعاة إليه ، والمعلمين لشرعه ، والمحسنين إلى خلقه : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد:١٩-٢٤].

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

أولو الألباب هم الذين عرفوا ربهم فآمنوا به ، وعرفوا عظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، وعرفوا عظمة ملكه وسلطانه، فكبروه وعظموه، وعرفوا نعمه فحمدوه، وشكروه ، وعرفوا دينه وشرعه فعملوا به ، وعرفوا عظمة ثوابه فسارعوا إلى كل ما يقربهم إليه ، و عرفوا عظمة عقابه فخافوه وابتعدوا عن كل ما يسخطه من المعاصي والمنكرات .

فهؤلاء هم خلاصة الخلق ، وصفوة البشر ، وأهل السعادة في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا

تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

أولو الألباب، هم الذين عرفوا الملك الحق فآمنوا به ، وصدقوا أخباره ، وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه ، وقاموا بالدعوة إليه ، لأنهم بعقولهم عرفوا أنه أهلٌ أن يُعبد، وأهلٌ أن يُكبر، وأهلٌ أن يحُمد، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

فهم بين يديه ركعاً سجدا، عابدين، شاكرين، حامدين، مستغفرين، راغبين، راهبين : ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر: ٩].

وهم بين يدي خلقه دعاة إلى الله، يدعون الناس إليه، ويدلونهم عليه : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

أولو الألباب قلوبهم نور، ووجوههم نور ، ومجالسهم نور ، وأوقاتهم نور ، وألسنتهم نور ، فهم كالشمس والقمر بين النجوم : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أولو الألباب نورٌ يمشي على الأرض ، فهم كالشمس إضاءة ، و كالقمر إنارة، وكالغيث رحمة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

أولوا الألباب، هم الذين عرفوا الله فوحدوه وآمنوا به ، و عرفوا أمره فامتثلوه ، وعرفوا حقَّه فعبدوه ، وعرفوا عظمته فكبروه ، وعرفوا نِعَمه فحمدوه ، وعرفوا كتابه فلزموه ، وعرفوا رسوله فتبَّعوه : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال الله تعالى : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف:١٥٨].

أولوا الألباب هم الذين يقلبون أبصارهم وبصائرهم في ملكوت السموات والأرض ، فيرون الخالق من وراء المخلوقات ، ويرون المصور من وراء الصور، ويرون الرزاق من وراء الأرزاق ، ويرون الآخرة من وراء الدنيا، فآمنوا بالله ، وصرفوا جُل أوقاتهم في عبادة الله ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[البقرة:١٦٤].

أولوا الألباب هم الذين تدبروا كتاب ربهم فآمنوا به ، وصدقوا أخباره ، وعملوا بأوامره ، وأحَلّوا حلاله، وحرموا حرامه : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[ص:٢٩].

وقال الله تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥].

## ٣- درجات أولي الألباب

الله عز وجل هو الكريم الوهاب، الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، ووهب الناس الألباب والعقول بدرجات متفاوتة .

فمنهم من هو كالشمس، ومنهم كالقمر، ومنهم كالكوكب، ومنهم كالسراج، ومنهم كالشمعة : ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٣].

فأولو الألباب درجات في العلم والعمل، وفي الايمان والتقوى، والعطاء والبذل، وفي الجهد والمجاهدة، وفي الصبر والمصابرة: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢١].

فمن أستعمل عقله ، وقلبه، في معرفة الله ، ومعرفة دينه ، والعمل بموجب ذلك بجوارحه، فهؤلاء هم السعداء الفائزون : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

أولو الألباب، هم الذين يتقون الله، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، ويتزودون لآخرتهم: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧].

وقال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

ومن أستعمل عقله، وقلبه، وقالبه، في إتباع هوآه، وإتباع الشهوات، وقلَّب أوقاته في شهوات نفسه، فهو من الأشقياء الخاسرين في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

وأخسر الناس من خسر دنياه وأخراه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٦].

# ٤ – أعمال أولي الألباب

أولو الألباب هم الذين عرفوا الرحمن، فآمنوا به وعبدوه وحده لا شريك له، وعرفوا الشيطان فكفروا به وعصوه.

هم أولو الألباب الذين عرفوا الحق فعملوا به ، ودعوا الناس اليه، وعرفوا الباطل فاجتنبوه، وحذروا الناس منه: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١].

وقال تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٨-٢٦٩].

أولو الألباب هم الذين يتفكرون ويتدبرون ، وينظرون في آيات الله الكونية ، ويتدبرون آيات ربهم القرآنية ، فيزيد إيمانهم، وتحسن عبادتهم، ويكثر ذكرهم لربهم ، ويزداد خوفهم من ربهم، وحبهم له : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١].

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦-٨].

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الزمر:٢١].

أولو الألباب هم الذين استعملوا عقولهم في معرفة الملك من العبيد ، والخالق من المخاليق ، وفي معرفة الهدى من الهوى ، ومعرفة الحق من الباطل ، ومعرفة الطيب من الخبيث، من الأقوال والأفعال والأخلاق، فبادروا إلى إتباع الحق والهدى ، وكل طيب من الأقوال والأعمال والأخلاق : ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)﴾ [المائدة:١٠٠].

وقال الله تعالى : ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣)﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

وقال تعالى : ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)﴾ [الملك:٢٢].

أولو الألباب هم الراسخون في العلم، الذين يعملون بموجبه ، ويردون متشابهة إلى محكمه : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨)﴾ [آل عمران:٧-٨].

أولو الألباب هم الذين يعتبرون بما جرى لرسل الله وأوليائه ، وما جرى لأعدائهم : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾ [يوسف:١١١].

أولو الألباب، هم الذين عرفوا ربهم فأمنوا به ، وشغلوا أوقاتهم بعبادته، والدعوة إليه : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)﴾ [إبراهيم:٥٢].

فهم أحسن الناس علماً، وعملاً، وأخلاقا ، يقابلون الجميل بأجمل منه ، ويقابلون السيئة بالحسنة ، ويصبرون على ما أصابهم في سبيل الله : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)﴾ [فصلت:٣٤-٣٦].

أولو الألباب هم الذين استقاموا على أوامر الله في كل حال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

# ٥ - واجبات أولي الألباب

واجبات أولي الألباب كثيرة وهذه صفوتها :

الأول : النظر والتدبر والتفكر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية، فإن ذلك هو مجال العقل ، ليعرفوا ربهم الذي دعاهم لعبادته : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩].

الثاني : عبادة الله عز وجل بكمال الحب له ، وكمال التعظيم له ، وكمال الذل له: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

الثالث : الدعوة إلى الله، كما قال عز وجل : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل:١٢٥].

الرابع : تعليم شرع الله للمؤمنين : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

الخامس : الإحسان إلى خلق الله حسب الاستطاعة كما قال سبحانه: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

السادس : كمال اليقين على الله ، والتوكل على الله في كل حال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن:١٣].

# ٦ - شمائل أولي الألباب

أولو الألباب والعقول أحسن الناس اقوالاً، وأعمالاً، وأخلاقاً، فهم يتصفون بالصفات التي يحبها الله ، ويتعبدون لله بذلك : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

فالعفو من صفات الرب، والواجب على العبد أن يتخلق به ، ويوطن نفسه على لزوم العفو عن كافة الناس ، ويقابل من أساء إليه بالإحسان إليه ، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان : ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال عز وجل : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت:٣٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : «أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ؟ فَقَالَ : لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» أخرجه مسلم (١)

ومن أراد الذكر الجميل، والثواب الجزيل ، فليتجَّرع مرارة مخالفة الهوى، وليصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عن من ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩].

ولا ينبُل المرء حتى تكون فيه خصلتان، العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٨) .

عن زلاتهم : ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشورى:٤٠].

وليُبشر من عفى بمغفرة الله : ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور:٢٢].

وأجَّل الناس مرتبة من صد الجهل بالحلم ،وقابل الإساءة بالإحسان.

والمجازاة على الإساءة بالإساءة من أخلاق البهائم والحيوانات، ومن جازى بالإساءة إساءة فهو مسيئ ، والخير يطفئ الشر، كما يطفئ الماء النار .

قال رسولُ الله ﷺ : «اتق الله حيثما كنت وأتبعِ السَّيِّئَةَ الحسَنَةَ تمْحُهَا، وخالِقِ النّاسَ بخلُق حسن» أخرجه الترمذي (١).

وأحلى وألذ وأبرد شيء عفو الله عن عباده ، وعفو الناس بعضهم عن بعض، والعاقل حقا من عفا عن الناس ، وصبر على أذاهم ، وأحسن إلى من أساء إليه ، ليقطع دابر الشر، ويطفئ نار العداوة، لأن الشرور تبدو صغاراً، ثم تعود كبارا، ثم تكون حريقا يأكل الأخضر واليابس، ومن الكلام ما هو أشد من الحجر، وأنفذ من الإبر ، وأمَرُّ من الصبر ، فعلى العاقل أن يوطِّن نفسه لاحتمال ذلك .

قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُّ» متفق عليه (٢).

فالصبر مفتاح كل خير : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

والكرم من صفات الرب عز وجل، والله يحب أهل الإحسان والكرم ، وأكرم الناس عند الله أتقاهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات:١٣].

---

(١)صحيح: أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩)، وأخرجه مسلم برقم (١٠٥٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال : أتقاهم ، فقالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : فيوسف نبي الله، بن نبي الله، بن نبي الله، بن خليل الله" قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : "فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» متفق عليه (١).

إلى الله ، حبيبٌ إلى الناس ، قريبٌ من الله، قريبٌ من الناس، جامعٌ لمحاسن الأخلاق، فهو يصل من قطعه ، ويعطي من حرمه ، ويعفو عن من ظلمه ، ويحسن إلى من أساء إليه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

والكريم من الناس، من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم قلباً ، يلين إذا أستعُطِف، ويجُِل الكرام ، ولا يهين اللئام ، ولا يُمازح الحمقى ، ولا يعاشر الفجار ، ويعطي من لا يرجوه ، ويأمَّن من لا يخافه : ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

والكريم أسرع الناس مودة ، وأبطؤهم عداوة ، فهو كالكوب من الفضة ، بطيء الانكسار ، سريع الانجبار .

واللئيم من الناس: أبطؤهم مودة ، وأسرعهم عداوة، فهو كالكوب من الزجاج، سريع الانكسار ، مستحيل الانجبار

والكريم لا يكون حقوداً ولا حسوداً ، ولا شامتاً ولا باغياً ، ولا كاذباً ولا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٩٣)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٣٨).

فخوراً ، ولا فاجراً .
وعلى العاقل أن يكون في جميع أحواله كريما بماله ،كريما بنفسه ، كريما بوقته، كريما بخلقه ، من أعطاه شكره ، ومن منعه عذره، ومن قطعه وصله ، ومن سأله أعطاه ، ومن لم يسأله ابتداه ، وإذا استعُطِف عطف ، وإذا استُضعِف أحد رحمه ، وإذا لقيَ أحداً أكرمه
وأفضل ما تجمل به العبد في الدنيا ، وأحسن ما أقتنى من الأخلاق، هو صفة الكرم ، ومعاشرة الكرام .
والكريم محمود الأثر في الدنيا، مرضيَّ العمل في الآخرة، والكريم كله ثمرٌ حلو ، يحبه القريب والبعيد ، والإنسان والحيوان ، والبر والفاجر : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦].
والعاقل حقاً من تثبت في الأمور ، ولم يقبل قول الوشاة في الناس ، ولا يرضى بالغيبة والنميمة التي تمزق العلاقات بين الإخوة ، وتؤدي إلى العداوة والبغضاء بين الناس : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات:١١].
وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات:١٢].
والنميمة أحدُّ من السيف ، لا تترك مودة إلا أفسدتها ، ولا جماعة إلا بددتها ، ولا ضغينة إلا أوقدتها، ولا حسنة إلا أكلتها.
قَالَ النبي ﷺ : «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّام» أخرجه مسلم [١]

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٥).

والنميمة تهتك الأستار ، وتفشي الأسرار ، وتورث الضغائن ، وتجدد العداوة ، وتهيج الأحقاد : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦].

وعلى العاقل اللبيب الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه، أن لا يُقصِّر في معاتبه أخيه على زلته ، لأن من لم يعاتب على الزلة، لم يكن حافظاً للخُلة، وظاهر العتاب خير من مكتوم الحقد .

وعلى العاقل اللبيب أن لا يكثر من العتاب لإخوانه ، لأن من عاتب أخاه على كل ذنبٍ ملَّه وقلاه ، وكثرةُ العتاب يورث الضغينة والبغض، والإكثار من العتاب من سوء الأدب .

والواجب على اللبيب إذا أعتذر إليه أخوه من جرمٌ مضى أو تقصير سبق ، أن يقبل عُذره ، ويجعله كمن لم يذنب، ليغفر الله له : ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور:٢٢].

وعلى اللبيب أن لا يكثر من الاعتذار إلى أخيه ، لأن كثرة الاعتذار يؤدي إلى التهمه ، وأكثر المعاذير يعتريها الكذب .

والاعتذار يذهب الهموم، ويجلّي الأحزان ، ويمحو الذنوب ، ويقلب العداوة إلى محبة : ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

والعاقل اللبيب يعلم أن السر أمانة ، و إفشاؤه خيانة، وعلى العاقل أن يكون صدره أوسع لسره من صدر غيره فلا يفشيه، ومن كتم سره كان الخيار بيده ، ومن أخبر الناس بأسراره اضطربت أموره، وفشت بين الناس أسراره .

والعاقل اللبيب يُشاور أهل الرأي والتقوى في أموره ، لئلا يندم على فعله،

والمستشار مؤتمن، ولا يستشير العاقل اللبيب إلا من وجد فيه ثلاث خصال :
الأولى : الدين، فإن لم يكن ديَّناً خانه .
الثانية : العقل، فإن لم يكن عاقلاً أضله عن الصواب .
الثالثة : والمودة، فإن لم يكن وادًّ له ربما لم ينصحه .
والواجب على العاقل اللبيب أن يستشير من فيه هذه الصفات الثلاث، لئلا يقع فيما يندم عليه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩].
ولا أُنس آنس من استشارة عاقل، ودودً، محب ، ولا وحشة أوحش من مخالفته، لأن المشاورة مفتاح خير، وباب بركه ، ودار مسرة، وعين هداية ، وحصن رحمة، وطريق رشد : ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشورى:٣٦-٣٨].
ومن شيم العاقل اللبيب إذا نابه أمر أن يشاور العاقل الأمين اللبيب الناصح ، ثم يطيعه، ويقبل الحق ممن جاء به، ولا يحقر الرأي الجليل ، وإن جاء به رجل حقير .
ومن استشير فليشر بما يحبه لنفسه ، ويبذل النصيحة، ويجتهد في الرأي، وليستعن بالله ليرشده إلى الحق : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن:١٣].
وقَالَ النبي ﷺ : «الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قَالُوا :

لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِّ ؟قَالَ : للهِّ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم [١].

والواجب على العاقل اللبيب بذل النصيحة لكافة المسلمين ، وعدم غشهم أو خيانتهم .

قال النبي ﷺ : «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» أخرجه مسلم [٢] .

وخير الإخوان أكثرهم نصيحة للناس في أمور دينهم ودنياهم .

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِّ قَالَ : «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» متفق عليه [٣].

وفي لفظ «فلقنني فيما استطعت» أخرجه مسلم [٤].

والمؤمن مرآة أخيه ، إن رأى منه خيراً نشره ، وإن رأى منه عيباً ستره ونصحه.

والنصيحة المحمود هي ما كانت سراً ، لأن من وعظ أخاه علانية فقد شأنه، ومن وعظه سرا فقد زانه ، وكسب مودته ومحبته، ووقع نُصحهُ في قلبه .

والناصح الصادق يملأ عين الملوك مهابة ، وينقاد له الصعلوك ، ويؤثر على القلوب ، لا سيما إذا أفشى السلام، وقلل الكلام ، وقسم الحديث ، وأختار محاسن الأقوال والأفعال والهيئات ، ومنح البشرى لجليسه ، والآن الكلام مع غيره : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ولين الكلام من أخلاق الكرام ، والعروق الطيبة تُنبت الثمار الحلوة : ﴿ أَلَمْ تَرَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٠٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧)، وأخرجه مسلم برقم (٥٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٥٦).

كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ٢٦﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

ومن صفات العاقل اللبيب أنه حَسن الظن ، حَسن الأدب، حَسن العلاقة مع ربه، ومع كل الناس ، تخرج منه المنافع في كل وقت إلى كل الناس، هو كالغيث في الإنبات، وكالشمس في الإنارة ، يحب لإخوانه ما يحب لنفسه، يتألم لألمهم، ويفرح لفرحهم ، ولا يهجر إلا لمصلحة راجحة .

والأسباب المؤدية إلى الهجران ثلاثة :

وجود زلة من أخيه ، فعليه سترها والعفو عنها..وإبلاغ واشٍ يقدح فيه بما ليس فيه، فعليه التثبت و حسن الظن..وملُّ يزهِّد الناس فيه، لأن الملالة تُورثُ القطيعة وغاية ما أُبيحَ من الهجران بين المسلم والمسلم ثلاثة أيام ، فمن زاد فقد أساء ، والسابق بالسلام بعد الهجران هو السابق إلى الخير والجنة .

قال النبي ﷺ : «لا يحِلُّ لمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» متفق عليه (١).

وعن أَنس بن مالك أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «لاَ تَبَاغَضُوا ، وَلاَ تحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا» متفق عليه (٢).

والحلم من أعظم صفات الرب، ومن أحسن أسمائه وصفاته وأفعاله.

والحليم من الناس عظيم الشأن ، رفيع المكان ، محمود الأمر ، مرضي العقل

والحلم منع النفس من الانتقام، عند ورود الشدائد والمخالفات .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٢٣٧)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٦٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٥)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٥٩).

والحلم اجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام وأكثر الناس يحسن إلى من أحسن إليه ، وأنبلهم من أحسن إلى من أساء إليه، فأحسن إلى من اساء إليك ، واعفو عمن ظلمك، يعفو الله عنك، ويحسن إليك .

والواجب على العاقل إذا اشتد غضبه أن يذكر كثرة حلم الله عليه، مع كثرة معاصيه ، وانتهاك محارمه، وتعديه حرماته، وينظر إلى السماء التي فوقه، وإلى الأرض التي تحته ، ومن ثم يعرف ربه ، ثم يعرف نفسه ، ثم يحلم على من سفه عليه، وما قُرْنَ شيء إلى شيء احسن من حلم إلى علم ، فمن اكرمك فأكرمه ومن أساء إليك فأحسن إليه، ومن أستخف بك فأكرم نفسك عنه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤].

والحلم على ضربين :

أحدهما : ما يرد على النفس من قضاء الله من المصائب ، والمكروهات؛ فواجب العبد الصبر والحلم ، بعدم الخروج على ما لا يليق بأهل العقل

الثاني : ما يرد على النفس من المكروه من الخلق، من إساءة وشتم و نحوهما

فالعاقل يحلم على السفيه ، ويعفو عمن زل، لينال أجر الصابرين ، والعافين عن الناس : ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقال عز وجل : ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

والواجب على العاقل اللبيب لزوم الرفق في الأمور كلها ، ومن أُعطي الرفق

أعطي الخير كله ، ومن مُنع الرفق مُنع الخير كله

قال النبي ﷺ : «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» أخرجه مسلم [1].

والله سبحانه رفيق يحب الرفق في الأمور كلها ، وسبب العثرات، والمؤلمات ، مفارقة الرفق، ولزوم العجلة ، ومالم يصلحه الرفق والحلم لم يصلحه العنف والعجلة : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود:١١٢].

والرفق لا يكاد يُسبق ، والعجلة لا تكاد تُلحق ، والعجول يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويشهد قبل أن يتثبت، فكل حياته ندم وحسرات، وكما أن من يسكت لا يكاد يندم ، فكذلك من نطق لا يكاد يسلم، فكذلك من تعجل لا يكاد يصيب .

والعجول يظن أنه أولى الناس بالقضاء ، وهو يحكم حُكم الحمقى ، ويفتي بأقوال السفهاء : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [فاطر:٨].

والعجول مخطئٌ أبدًا ، كما أن المتثبت مُصيب أبدًا .

ومن لم ينفعه الرفق يضرهُ الخُرق، ولا ينبُل العبد حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته ، ورفقه عجلته، ومن رُزق ذلك فذلك من فضل الله تعالى عليه: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة:٤].

وأحسن لباس يلبسه اللبيب الفصاحة، وأحسن إزار يتزرُ به العقل ، وحُسن الأدب دليل المرؤة ، ورفعةٌ في المجالس ، وزينٌ في المحافل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤).

وقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْراً» أخرجه البخاري (١).

وأفضل ما ورَّثَ الآباء الأبناء، التواصي بالحق، ولزوم التقوى، وحُسن الأدب، وحُسن الاستقامة: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

ومن وصايا لقمان لابنه كما قال سبحانه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان:١٦-١٩].

وروح الفصاحة الاقتدار عند البداهة والمفاجأة، والغزارة عند المفاجأة، وأحسن البلاغة وضوح الدلالة، وحُسن الإشارة، وليست البلاغة بخفة اللسان، وكثرة الهذيان.

وأحوج الناس إلى لزوم الأدب، وتعلم الفصاحة، العلماء، والرؤساء، لكثرة كلامهم مع الناس في المجامع: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وأحسن ما ينتفع به المرء في حياته وبعد موته، تقوى الله عز وجل، والعمل الصالح: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣].

ونعم العون على تقوى الله الغنى الذي يصلح به العبد معاشه، ويصون به نفسه،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٧).

ويكرم به غيره : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

ونعم المال الصالح للرجل الصالح ، وفقده خير من الغنى بالمال الحرام؛ وشر المال ما أُكتسِب من حيث لا يحل، وأُنفق فيما لا يحل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٧].

والمال قسمة ومواهب من الخلاَّق العليم الخبير بعباده : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف:٣٢].

وشر المال ما لا تُخرج منه حقوقه، وشر منه ما أُخذ من غير حله، وأُنفق في غير حله.

ومن أحسن جوار نعم الله عليه فأكل منها، وأحسن وتصدق، زادت وتباركت .

ومن أساء جوار نعم الله عليه رحلت منه إلى غيره : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة:٢٦١].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٧].

والواجب على العاقل اللبيب لزوم المرؤة بالتجمل بالخصال المحمودة ، وترك الخصال المذمومة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠].

والمرء لا يسود إلا بفعال نفسه ، ولا ينبل في الحياة إلا بكده ، ولا يفوز في الآخرة إلا بعمله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧].

وما أحدٌ أخسر صفقه ، ولا أدوم حسرة ، ولا أقل رُشداً، ممن يفتخر بآبائه الكرام مع تعريه عن صفاتهم الحميدة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف:٢-٣].

ومروءة الرجل صدق لسانه، واحتماله عثرات إخوانه ، وبذله المعروف لأهل زمانه ، وكفَّه الأذى عن أباعده وجيرانه ، وحُسن العشرة، وترك ما يعاب عليه.

والواجب على العاقل اللبيب، أن يقيم مروءته بما قدر عليه من المال ، فإن القلوب تُستعبد بالإحسان ، وتؤَلفُ بالنوال : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

ومن أفاض الله عليه من خيرات هذه الدنيا الفانية، فالواجب عليه أن يشكر الله على نعمه، وأن يؤدي حقوق ماله، وأن يواسي به إخوانه، ويحسن به إلى من يحتاجه ، وينفق منه على أهله ورَحِمِهِ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٤].

ولا خير في المال إلا مع الجود ، ومن جاد ساد ، ومن بخل ذل .

ومن أحسن خصال المرء الجود من غير امتنان ، ولا طلب ثواب ، وشراء الأحرار بالمعروف أحسن من شراء العبيد بالأثمان .

والجود شجرة في الجنة، وأغصانها في الدنيا، فمن تعلق بغصن من أغصانها

أوصله إلى لجنة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

والبخل شجرة في النار، وأغصانها في الدنيا، فمن تعلق بغصن من اغصانها جرّه إلى النار : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [النساء:٣٧].

وأجود الناس في الدنيا من جاد بحقوق الله ، وأبخلهم من بخل بحقوق الله، وإن رآه الناس كريماً جواد بما سوى ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات:١٣].

والسخي هو الجواد الذي يضع الشيء في موضعه ، والمبذر الذي ينفق المال في غير وجهه ، ويضعه في غير موضعه : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء:٢٦-٢٧].

ومن كان فيه خصلتان ، الجود، وعدم أذى الناس، رأس أشكاله وأقرانه ، وخضع له الخاص والعام ، وأحبه الله، ورسوله، والناس.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اجود الناس وَكَانَ اجود مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُه الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ اجود بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» أخرجه البخاري (١).

و الواجب على العاقل اللبيب إذا لم يعرف بالسماحة والجود ، أن لا يعرف بالبخل والشح ، و إذا لم يعرف بالشجاعة أن لا يعرف بالجبن ، وإذا لم يعرف

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٢٠).

بالشهامة أن لا يعرف بالمهانة ، وإذا لم يعرف بالأمانة أن لا يعرف بالخيانة ، وإذا لم يعرف بالحلم أن لا يعرف بالعجلة والسفاهة : ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك:٢٢].

وقال عز وجل : ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المائدة:١٠٠].

ومن أيقن بالخلف من ربه جاد بالعطاء لخلقه : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ:٣٩].

ولو كان البخل طعاماً لم يأكله أحد، ولو كان البخل ثوباً لم يلبسه أحد ، ولو كان طريقاً لم يسلكه أحد : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم:٣٠].

والواجب على العاقل اللبيب أن يقبل الهدية ولا يردها ، ويشكر من أهداها، ويثيب عليها بأحسن منها إن قدر، لأن الهدايا تورث المحبة و المودة ، وتؤلف بين القلوب ، وتذهب الضغائن ، والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها، فمن عاداك أكرمه بهدية مما أعطاك الله ، يعود إليك بغضه محبة ومودة : ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ : «تهادُوا تحابُوا» أخرجه البخاري في الأدب المفرد [1] .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٥٩٤) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يقبَلُ الهدِيَّةَ، وَيُثِيبُ عَلَيهَا» أخرجه البخاري [1] .

ومن قعدت به الحال فليجُد بما يقدر عليه ولو كان قليلاً، فإنه إذا قصَّر عن مساماة أهل النعمة والإنفاق، لا يفوته أن تطوى صحيفته وصحيفة إحسانه وليس له فيها ذكر، ولعل القليل منه يسبق الكثير من غيره ، إذا حسنت النية، ورضي بما قدر الله له : ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة:٩١].

وأفضل اللذات الإفضال على الإخوان، وأحسن الناس عيشا من عاش بعيشه غيره، وأسؤهم من لا يعيش بعيشه أحد .

والواجب على العاقل اللبيب بذل النصيحة لكل الناس ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإحسان إلى الخلق كما قال سبحانه : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤].

ومن صفات المؤمن ستر الزلات، وتفريج كربات إخوانه، وقضاء حوائجهم والسعي في مصالحهم : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥٨٥).

يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ» أخرجه مسلم [1].

و الإخوان إنما يعرفون عند الحوائج ، كما إن المرأة الصادقة تعرف عند الفقر، ولا ينبغي الإلحاح بالسؤال عند الحاجة، لأن السائل كالضَّراب في القداح ، سهم له، وسهم عليه، فإن أعطي وجب عليه الحمد والشكر لمولاه ومن أعطاه، وإن منع لزمه الرضا بالقضاء والقدر ، لأن الذي يعطي ويمنع هو الله وحده ، و الناس آلة العطاء والمنع ، والله لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع : ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر:٢].

والسؤال للحاجات يكون في ديار القوم ، ومنازلهم وانفرادهم ، لما فيه من الذلة، ولا يكون في المساجد والمحافل والملأ ، لئلا يخجل من لا يقدر على العطاء ، ولا يذل العبد نفسه بين الملأ .

ولا ينبغي للعاقل أن يتوسل في قضاء حاجته للعدو فإنه لا يؤثر ، ولا بالأحمق فإنه لا يحسن ، ولا بكذاب فإنه لا يصدق، ولا بمن له نعمة ولا بمن له طعمة عند من قصدت ، فإنه لا يؤثرك على طُعمته، ولا بفاسق فإنه غير مقبول .

ومن طلب الشفاعة عند أحد، فعليه بأهل التقوى والمروءة والعفة.

والعطاء والكرم من صفات الرب ، ومن صفات الرسل ، ومن صفات أولي الألباب، وأهل المروءة .

عن جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَط، فَقَالَ: لاَ» متفق عليه [2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٣٤)، وأخرجه مسلم برقم (٢٣١١).

## ٧- دعاء أولي الألباب

دعاء أولي الألباب هو كل ما ورد في القرآن والسنة من الأدعية والأذكار .

فهم اللذين عرفوا ربهم بالجلال، والجمال، والقدرة ، وعرفوا أنفسهم بالضعف والعجز والحاجة ، فتوجهوا إلى ربهم بالدعاء في كل حال .

ومن دعائهم: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

ومن دعائهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

ومن دعائهم : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

ومن دعائهم : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦].

ومن دعائهم : ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران:١٩١-١٩٤].

«اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنا عَبْدُكَ، وَأَنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لي إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنتَ».

اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وإِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعالَيْتَ».

وغير ذلك من الأدعية الواردة في الكتاب والسنة .

# ٨ - ثواب أولي الألباب

ثواب أولي الألباب عظيمٌ، وكبيرٌ، وكثير، وكريم، وجزيل .

ومن ذلك رضوان ربهم عليهم، ورؤيتهم له يوم القيامة ، وسماع كلامه ، والقرب منه، ودخول الجنة ، والخلود فيها : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

وقال عز وجل : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

ومن ثوابهم : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

ومن ثوابهم : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

ومن ثوابهم : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب:٣٥].

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا هذه الصفات ، وأن ويجملنا بها ، وأن يجعلنا سبباً لنشرها بين الناس ، إنه على ذلك قدير .

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## الباب الثالث

ويشتمل هذا الباب على البصائر  الآتية :

١٦ – صفات المحسنين.

١٧ – فقه عظمة الله عز وجل.

١٨ – فقه أسماء الله الحسنى.

١٩ – أسماء الله الحسنى.

٢٠ – كيفية التعبد لله بأسمائه و صفاته.

٢١ – خصائص العقيدة الإسلامية.

٢٢ – التوحيد أول واجب على العبيد (١).

٢٣ – التوحيد أول واجب على العبيد (٢).

٢٤ – النفاق، آثاره، وأضراره، وعلاجه.

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة السادسة عشرة

## صفات المحسنين

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : معنى الإحسان .

الثاني : مراتب الإحسان .

الثالث : أركان الإحسان .

الرابع : درجات الإحسان .

الخامس : حكم الإحسان .

السادس : صفات المحسنين .

السابع : أبواب الإحسان

الثامن : كيف تكون من أهل الإحسان ؟

التاسع : دعاء أهل الإحسان

العاشر : جزاء أهل الإحسان.

# البصيرة السادسة عشرة

# صفات المحسنين

## ١ - معنى الإحسان

الإحسان : فعل الشيء الحسن و الأحسن، والإساءة : فعل الشيء السيء والأسوء .

وكما أن العرش سقف المخلوقات، فكذلك الإحسان سقف الدين، وقبة الدين، والإستقامه تاج الدين : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود:١١٢].

فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن، وليس كل مؤمن محسن، فالإسلام أوسع مراتب الدين، ثم يليه الإيمان،ثم يليه الإحسان.

فالإسلام أعم من جهة أهله ، فالمسلمون كثير، والإيمان أخص من جهة أهله، فإن أهل الإيمان بعض أهل الإسلام : ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات:١٤].

والإيمان أعم من جهة أهله، والإحسان أخص من جهة أهله ، فإن أهل الإحسان طائفة من أهل الإيمان .

والإحسان اعلى مراتب الدين ، ومن أجل محاسن الأعمال خلق الله أحسن الثمار ، وأحسن الطعام والشراب ، وأحسن الصور، وأحسن اللذات : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة:٦-٧].

وقال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴿٥﴾﴾ [الملك:٥].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧].

وأحسن المخلوقات وأفضلها هو الإنسان الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وجعله خليفة في الأرض: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين:٤-٦].

وهذا الإنسان يريد الله منه أن يعمل بأحسن عمل، ويتزين بأحسن دين : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء:١٢٥].

ويريد الله من هذا الإنسان أن يتزين بأحسن صبغة في أقواله وأفعاله وأخلاقه : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة:١٣٨].

وأنزل لهذا الإنسان أحسن كتاب : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر:٢٣].

وأرسل الله إليه الأنبياء والرسل يدعونه إلى الله ليأخذ بالمحاسن : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وكلف الله هذا الإنسان بأحسن عمل ، وهو الدعوة إلى الله المحسن إلى جميع خلقه بأنواع المحاسن: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل:١٢٥].

وشرفَ الله هذا الإنسان بأحسن حياة : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان:٢٢].

وقال عز وجل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧].

ولكل شيء زينة ومقصد ، فالأشجار لها زينة وهي الأوراق و الأزهار ، ولكن المقصود الثمار .

وهكذا الإسلام زينته حُسن الأخلاق، فاليقين والإيمان والتوكل كالروح للجسد، والعبادات كالجسد، والأخلاق كاللباس ، ولهذا اثنى الله على نبيه ﷺ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].

وأكمل المؤمنين إيمانا احسنهم خلقا، فالمسلم فيسلم مع نفسه ومع ربه ومع خلقه .

قال النبي ﷺ : «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» متفق عليه (١).

وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة حُسن الخلق، لأنه ثقيل على النفس في الدنيا، لأن المحسن يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه ، ابتغاء وجه الله عز وجل.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسنِ خُلُقِه درجَةَ الصائمِ القَائمِ» أخرجه أبوداود (٢).

وقال النبي ﷺ«ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق» أخرجه أبو داود والترمذي (٣).

وأحسن صفات المؤمن الرحمة، واللين، واللطف، والعفو، والإحسان : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠)، وأخرجه مسلم برقم (٤٠).

(٢) صحيح/ أخرجه أبوداود برقم (٤٧٩٨) .

(٣)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٩).

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران:١٥٩].

فزينة المؤمن، وزينة الدعوة، وزينة الداعي، حسن الخلق، وزينة العابد حسن الخلق، وزينة المعلم حسن الخلق، وزينة الرجل حسن الخلق، وزينة المرأة حسن الخلق، وزينة الأولاد حسن الخلق، وزينة الغني حسن الخلق، وزينة الفقير حسن الخلق، وزينة الملك حسن الخلق، وزينة كل أحد حسن الخلق.

ولهذا أمتن الله على نبيه محمد ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم:٤].

فنعم الراكب والمركوب

فالمركوب الأخلاق، والراكب النبي ﷺ، الذي جمع الله فيه محاسن الخلق جميعا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وأحسن حياة، وأجمل حياة، وأطيب حياة، وأزكى حياة، هي حياة النبي ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التوبة:١٢٨].

وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين:

حسن الخلق مع الخالق .. وحسن الخلق مع المخلوق

وحسن الخلق مع الخالق، هو أن تؤمن بالله، وتوحده، وتطيعه، وتعبده وحده لا شريك له، وهذا أعلى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ١٢٥﴾ [النساء:١٢٥].

وحسن الأخلاق مع الخلق بذل الندى، وكف الأذى، وإحسان القول والفعل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩].

## ٢ - مراتب الإحسان

الإحسان مرتبتان :

الأولى : أن تعبد الله كأنك تراه بصفات جلاله وجماله وكماله : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

الثانية : فإن لم تكن تراه فإنه يراك بصفات جلاله وكبريائه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢].

فالأولى عبادة الرجاء، والثانية عبادة الخوف.

والأولى أعلى وأكمل : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٥-١٧].

وقد وصف الله جميع الأنبياء بهاتين الصفتين العظيمتين بقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

فاعبد الله بصفة الإحسان تكن عند الله بأحسن الجنان: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس:٢٦].

## ٣- أركان الإحسان

كما أن حسن الله لا يدرك، ولا يحاط به ، وجماله لا يدرك، ولا يحاط به ، وكرمه لا يدرك، ولا يحاط به، فكذلك حسن هذا الدين لا يدرك، ولا يحاط به ، وحسن الدعوة إلى الله كذلك لا يدرك حسنها : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء:١٢٥].

وكما أن عظمة الله لا تدرك ، فكذلك عظمة هذا الدين لا تدرك ، وعظمة عمل الدعوة إلى الله لا تدرك .

فالدعوة إلى الله هي عمل التداول بالمحاسن بين الخلق ، وإشهار المحاسن بين الناس ، والدعوة إلى أحسن المحاسن، من الأقوال والأعمال والأخلاق لتركب البشرية كلها مركب المحاسن : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء:١٢٥].

وقال الله تعالى : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة:١٣٨].

لهذا المؤمنون، والدعاة إلى الله، وعلماء الأمة، وعامة الناس، لا بد أن يتزينوا بخمس محاسن ، وهذه الخمس هي أركان الإحسان وهي :

حسن النية، وحسن العمل، وحسن الخلق، وحسن الظن بالله، وحسن الأسلوب.

فالأول : حسن النية، أن تكون جميع أعمال المسلم ابتغاء مرضات الله وحده، لِأكون مقبولاً عند الله، لا أبتغي بعملي جاهاً ، ولا مالاً ، ولا شهرةً ، ولا رياءً ،

ولا سمعة : ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر:١١-١٢].

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

الثاني : حسن العمل، فأجتهد لتكون جميع أعمالي على أحسن وجهً وأتمه ، فأقوم بأحسن عبادة ، وأحسن دعوة ، وأحسن تعليم ، وأحسن أقوال وأحسن أعمال ، وأحسن أداب : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة:١١٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان:٢٢].

فكما نسعى للحصول على أحسن ثوب ، وأحسن أكل ، وأحسن منزل ، وأحسن سيارة ، كذلك نسعى للقيام بأحسن عمل أمرنا الله ورسوله ﷺ به : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله عز وجل : ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة:٨٣].

وقال الله عز وجل : ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

فالله عز وجل أنزل إلينا الدين الكامل ، ويريد منا العمل الكامل، ليعطينا الثواب الكامل : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

الثالث : حسن الخلق، فحسن الخلق هو ثمرة الدين كله .

قَال النبي ﷺ : «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأخلاق » وفي رواية «صالح الأخلاق» أخرجه أحمد (١).

وحُسن الخلق ينقسم إلى قسمين :

الأول : حسن الخلق مع الخالق، ويكون بتوحيده، والإيمان به، ومحبته، وخوفه، ورجائه، والتوكل عليه، وحمده، وشكره، وحسن الثناء عليه، وتكبيره، وتعظيمه، وتمجيده، وأمتثال أوامره، وأجتناب نواهيه، وتصديق أخباره، وحسن عبادته : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء:١٢٥].

الثاني : حسن الخلق مع المخلوقات، سواء كان هذا المخلوق إنسانا أو حيوانا، مسلما أو كافرا ، عدو أو صديقاً: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فالمؤمن من أجل هداية الناس ، ورغبته في عبادة الرب الذي يستحق العبادة، وخوفه عليهم من النار، لهذه الأمور وغيرها، المسلم يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من اساء إليه، حتى يهتدي الناس: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣).

عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩].

فالدين كله محاسن، والدين ركنان :

عبادةالحق .. والإحسان إلى الخلق كما قال سبحانه : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦].

الرابع : حسن الظن بالله ،وحسن الظن بالناس، وهذا هو الأصل .

وحسن الظن بالله، هو الموجب لمحبته، وخوفه، ورجائه، وطاعته، وعبادته .

وحسن الظن بالناس، هو مفتاح أبواب المنافع كلها، وحصول الخير بين الناس، وسوء الظن بالناس يغلق أبواب المنافع، ويسد طرق البر والإحسان .

وحسن الظن يجعل الكبيرة صغيرة، وسوء الظن يجعل الصغيرة كبيرة.

وسوء الظن بالناس يولد ثمان آفات :

آفة الغيبة .. وآفة النميمة .. وآفة التحسس .. ثم التجسس .. ثم التباغض .. ثم التقاطع .. ثم التدابر .. ثم التقاتل .

ولهذا بين الله ورسوله أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، وأن المؤمنين أخوة، وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، وأن المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل احدهما الأخرى .

فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

وحذر الله المؤمنين من سوء الظن، ومساوئ الأخلاق فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ۝١٢﴾ [الحجرات:١١-١٢].

الركن الخامس: حسن الأسلوب مع كافة الناس، مع الموافق والمخالف، مع المؤمن والكافر .. مع العدو والصديق .. واختيار اللين على الشدة، والرفق على العنف، والرحمة على القسوة.

فاللين يقطع العداوة ويزيلها أعظم من قطع السيف للرقاب: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ۝٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤].

وقال الله عز وجل: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٦٩﴾ [البقرة:٢٦٩].

ومن حُسن الحكمة والأسلوب، تصرفُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد موت النبي ﷺ حين جاء إلى الأنصار، وهم في السقيفة مجتمعون، حيث أثنى على الأنصار خيراً، وذكر مناقبهم حتى ظنّوا أنه لا أحد أفضل منهم، حيث أمنوا بالنبي ﷺ وأووه ونصروه، وجاهدوا معه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ

﴿أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر:٩].

ثم قال رضي الله عنه بجميل حكمته للأنصار، إخوانكم المهاجرون أمنوا بالله ورسوله ، وتركوا أموالهم وديارهم وأهلهم ، وهاجروا مع رسول الله ﷺ وجاهدوا معه، كما قال سبحانه عنهم : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر:٨].

وقد أمر الله جميع المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين فقال سبحانه : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩].

فكونوا معنا أيها الأنصار كما كنتم مع رسول الله ﷺ ، ثم قال نحن الأمراء وانتم الوزراء، والنبي ﷺ قال : «الأئمةُ من قريش». أخرجه أحمد والنسائي(١).

وأنا أختار لكم أحد هذين الرجلين، حيث لهم قابليه في قلوب الأنصار ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأبو عبيدة رضي الله عنه ، فإن شئتم فهذا عمر فبايعوه ، وإن شئتم فهذا أبو عبيدة فبايعوه ، فأخَّر نفسه رضي الله عنه ، وقدَّم غيره صادقا .

فقام عمر ثم قال: "لأن يقطع رأسي بالسيف أهون عليّ من أن أكون أميراً بين يدي أبي بكر" ثم بايع عمر أبا بكر بالخلافة، ودعى الأنصار إلى بيعته فبايعوه وأحبوه.

فهذه المحاسن تجمع القلوب على الحق، وتجمع الناس على الدين، وتجر الناس إلى اعتناق الإسلام : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فهذه أركان الإحسان الخمسة، نتعلمها، ونتعبد لله بها .

حسن النية، وحسن العمل، وحسن الخلق، وحسن الظن بالله، وحسن الأسلوب.

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم(١٢٣٢٩)، وأخرجه النسائي برقم (٥٩٤٢).

# ٤ - درجات الإحسان

الإحسان درجات كثيرة واعلى هذه الدرجات أربع :

الدرجةالأولى : الإحسان في عبادة الرب عز وجل :

وهذه أعظم درجات الإحسان : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء:١٢٥].

الدرجة الثانية : الإحسان إلى الخلق وفي مقدمتهم الوالدين : ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦].

ثم يلي الوالدين في الإحسان الأقرب فالأقرب : ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦].

الدرجة الثالثة : الإحسان في الولايات العامة والخاصة : ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص:٢٦].

وقال الله عز وجل : ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧].

و قَالَ النَّبِيِّ ﷺ : «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» أخرجه مسلم [1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٨).

الدرجة الرابعة : الإحسان إلى البهائم، وكل مخلوق، ببذل الندى، وكف الأذى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

و قَالَ النَّبِيِّ ﷺ : « إنَّ اللهَ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قتلتُمْ فأحسِنوا القِتلةَ، وإذا ذبحتُمْ فأحسنوا الذَّبحَ، وليُحدَّ أحدُكُم شفرتَهُ، وليُرِحْ ذَبيحتَهُ» أخرجه أبوداود والترمذي [(١)].

وأعظم الخلق إحسانا هم الأنبياء والرسل ، خاصة سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خَلقا وخُلقا، وكان خُلقه القرآن، والذي أثنى الله عليه بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤].

وقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

ثم يليهم كل محسن من المؤمنين : ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس:٢٦].

(١) صحيح/ أخرجه أبوداود برقم(٢٨١٥)، وأخرجه الترمذي برقم (١٤٠٩).

# ٥- حُكم الإحسان

الإحسان الواجب شرعا نوعان :

الأول : إحسان في عبادة الحق سبحانه ؛بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، مع كمال الإخلاص، والمتابعة لرسول الله ﷺ : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

الثاني : إحسان في حقوق الخلق، بأن تقوم بحقوقهم الواجبة شرعا، كبر الوالدين و صلة الرحم والإنصاف في جميع المعاملات، وأداء الحقوق لأهلها : ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

وكذا الإحسان إلى الحيوان في مسكنه ومطعمه وفي ذبحه .

قَالَ النَّبِي ﷺ : «إِنَّ اللهَّ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» أخرجه مسلم (١).

والإحسان المأمور به شرعاً نوعان :

أحدهما : إحسان واجب، وهو القيام بحقوق الله، وحقوق الخلق، على وجه الكمال والإحسان .

الثاني : إحسان مستحب، وهو بذل كل ما يجلب المودة والمحبة، ويدخل السرور بين الناس، مما ليس بواجب، من بذل نفع بدني أومالي أوعملي، أو توجيه لخير ديني أو دنيوي .

فكل معروف صدقة وإحسان ، وكل ما أدخل السرور على الناس مما لم تحرمه الشريعة فهو صدقه ، لها ثواب من الله عزوجل .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

وكل ما أزال عنهم ما يكرهون، ودفع عنهم مالا يرضون، فكذلك هو صدقة و إحسان : ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء:١١٤].

فالله عز وجل شكر للمرأة البغي وغفر لها، لما سقت الكلب الذي أشتد به العطش بخفيها من البئر، فقال الصحابة : «يا رسول الله وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا فقَالَ رسول اللهُ ﷺ : " فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» متفق عليه (١).

والإحسان الشامل هو بذل جميع المنافع من أي نوع كان، لأي مخلوق كان، حسب الاستطاعة : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن:١٦].

والإحسان يتفاوت أجره بحسب نوع الإحسان القولي .. والفعلي .. والمالي والبدني.

وبحسب المحسن، وبحسب المحسن إليهم حقا ومقاما، وبحسب عظيم موقع الإحسان ونفعه، و بحسب إيمان المحسن وإخلاصه، وبحسب نبل السبب الداعي للإحسان .

ومن أعظم مقامات الإحسان إلي الخلق وأجلها، الإحسان إلى من أساء إليك بقول أو فعل، وفي ذلك أجر عظيم من الرب سبحانه : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وأعظم الإحسان دعوة الناس إلى الحق : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٣٦٣)، وأخرجه مسلم برقم (٢٢٤٤).

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت:٣٣-٣٦].

ومن أحسن في عبادة ربه، وأحسن إلى خلقه، أحسن الله إليه بأعظم من إحسانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس:٢٦].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠].

فاجعل أيها المسلم رحمك الله للفضل والإحسان والمعروف موضعا، في مقابلاتك مع الناس، ولا تستقصي جميع الحقوق: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور:٢٢].

وتسامح في البيع والشراء وسائر المعاملات: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «رحمَ اللهُ رجلًا، سَمْحًا إذا باعَ، وإذا اشترى، وإذا اقْتضى» أخرجه البخاري (١).

ومن ألزم نفسه هذا المعروف والإحسان، نال خيراً كثيراً من ربه.

وجوانب الإحسان إلي الخلق أربعة، ولكنها شديدة المرارة، وهي أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلي من أساء إليك، وجرب ترى وتشاهد: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة:٢٣٧].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٦).

**والإحسان الكامل يتضمن أمرين عظيمين :**

الأول : استحضار عظمة الله في كل حال، واستحضار عظمة الله في كل شأن ينشأ عنه هوان كل شيء يحول بين العبد وبين ربه ، سواء كان من الناس، أو من الشهوات أو الأموال، أو غيرها : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال الله عز وجل : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١ - ٢].

فالإحسان في عبادة الله، أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

الثاني : أن يصنع العبد مايصنع من الإحسان إلي الخلق من أنواع الإحسان، أبتغاء وجه الله، ويقطع الرجاء مما في أيدي الناس؛ لأن ثواب الله للمحسن أعظم وأكبر، وأجره بغير حساب، وهو دائم لاينقطع : ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

والله عزوجل أسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها حسنى، وأفعاله كلها حسنى ، فالله سبحانه محسن في خلقه وأمره وفعله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة:١٣٨].

فكن محسناً في أقوالك وأفعالك، محسناً بأخلاقك وأموالك : ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

والعبد المحسن إنما يطلب من ربه المحسن كل إحسان في الدنيا والآخرة : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

والله سبحانه محسن كريم العطا، يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلي سبع مئة ضعف، إلي أضعاف مضاعفة، إلي أضعاف كثيرة، إلي عطاء بغير حساب.

ويعطي من عنده أجراً عظيماً بلا عمل من العبد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

ومن أراد فعل الخير والإحسان، ولم يستطع لعجزه أو فقره ، فالله يكتب له أجر ذلك بالنية، لأن الأعمال بالنيات .

قال النبي ﷺ «إنما الأعمال بّالنيات ولكل امرئٍ ما نوى» متفق عليه [(١)].

والله كريم يعطي على النية عند العذر : ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١﴾ [التوبة: ٩١].

وقال النبي ﷺ « إذَا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سَافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحاً» أخرجه البخاري [(٢)].

والله عزوجل هو الحليم الحكيم العليم، الذي أبتلى عباده بثلاثة أمور : بالشهوات البهيمية .. وبالأوامر الشرعية .. وبالمصائب القدرية

قال الله عز وجل : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك: ١-٢].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنّا جَعَلنا ما عَلَى الأَرضِ زينَةً لَها لِنَبلُوَهُم أَيُّهُم أَحسَنُ عَمَلًا﴾[الكهف : ٧]

فليأخذ العبد من الشهوات بقدر الحاجة، ويمتثل أوامر الله بقدر الطاقة، ويصبر على الأقدار، لينال أجر الصابرين: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤)، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢)أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٦).

لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت:٢-٣].

ومن أحسن قرب من رحمة الله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٦].

ومن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت:٦].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء:٧].

وقال الله عز وجل: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت:٤٦].

وقد بين الله عز وجل في كتابه كل حسن وأحسن، من الأقوال، والأعمال، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات، والمعاشرات: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

فجمل نفسك بذلك، واحذر أن يجرك الشيطان عن طريق الهوى والشهوات من الحسن والأحسن، إلي القبيح والسيء والأسوء: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر:٨].

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٣-٣٥].

# ٦ - صفات المحسنين

الإحسان أعلى مراتب الدين، فكل صفة للمسلم، وكل صفة للمؤمن، فهي من صفات أهل الإحسان : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال عزوجل : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

ومن صفات المحسنين العظيمة : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١١٢].

ومن صفات المحسنين الكبرى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

ومن صفات المحسنين : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

ومن صفات المحسنين : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ۞ [المائدة:١٣].

ومن صفات المحسنين : ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ۞ [النور:٢٢].

ومن صفات المحسنين : ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ۞ [البقرة:٢٧٤].

ومن صفات المحسنين: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ۞ [آل عمران:١٣٣-١٣٦].

ومن صفات المحسنين الجامعة : ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ ۞ [الذاريات:١٥-١٩].

ومن صفات المحسنين : ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ ۞ [الأحزاب:٣٥].

ومن صفات المحسنين : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ

﴿هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وصفات المحسنين في القرآن كثيرة ،فمن أخذ بصفةً منها أوصلته إلى رضوان الله والجنة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

فأحسن ما تجمل به المحسنون الكرم ، والأخلاق الحسنة، وأسوأ العبيد، من امتطى البخل ، والأخلاق السيئة : ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت:٣٤-٣٦].

وقال عز وجل : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾ [التغابن:١٦].

ومن لزم معالي وأعلى الأخلاق ، رفعته فوق النسور : ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة:١١].

وأعظم الأخلاق هو الإيمان بالله عز وجل : ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران:١٣٩].

والواجب على المسلم أن يبدأ بمعروفه وإحسانه الأقرب فالأقرب .

فيبدأ بأهل بيته ، ثم بإخوانه ، ثم بجيرانه، ثم الأقرب فالأقرب، ويتحرى بمعروفه أهل الدين والعلم منهم : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾ [الأنفال:٧٥].

وقال الله عز وجل : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة:٢].

والكريم يبدأ بالعطيّة قبل السؤال ؛ لأن العطا من غير سؤال، سجية أهل المروءة ،

والمكارم، والإحسان: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ [البقرة:٢٧٤].

وأكمل الإحسان ما كان خاليا من المنن في البداية والنهاية ، فإذا كانت البداية خالية من السؤال، والنهاية عارية من المنّة، فهذا نهاية الإحسان، والغاية في الصنيعة .

وإطعام والطعام، وقِرى الضيف، من أعظم أخلاق أهل المروؤة ، وأشرف أركان الإحسان ، وأحسن خصال العقلاء: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

ومن عرف بإطعام الطعام شرُف عندالشاهد والغائب ، وقصده الراضي والعائب، فكن ذلك المرء تنال أعظم الأجر : ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩﴾ [الإنسان:٨-٩].

وما ساد من ساد، إلا بإطعام الطعام ، وقِرى الضيف ، وقضاء الحوائج ،ومن عُرف بذلك ، ساد قومه ، وإنقاد له غيره ، ورحل إليه القريب والبعيد : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وكان النبي ﷺ أجود الناس، وأكرم الناس، وأحسن الناس .

عَنْ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنه قَالَ : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاس ، وَكَانَ اجود مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْانَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ اجود بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» متفق عليه (١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٠٤٨)، وأخرجه مسلم برقم (٢٣٠٨).

والواجب على العاقل إكرام الأضياف ، والبحث عنهم لإكرامهم ؛ لأن النعم إذا لم تُشكر، ويُكرم بها الضيف ، تعود من حيث جاءت : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٧].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» متفق عليه (١).

والعاقل إذا أدى حق النعم أستجلب النماء والزيادة والبركة وادخر الأجر العظيم عند ربه : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة:٢٦١].

ومن إكرام الضيف، طلاقة الوجه ، وطيب الكلام ، وخدمة الضيف بنفسه ، وإطعام الطعام : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الذاريات:٢٤-٢٨].

والواجب على من أُسدي إليه معروف أن يشكره بأفضل منه، أو مثله إن لم يستطع ، فإن لم يجد فليُثني عليه، ويدعوا له، فإنما جزاء المعروف الحمد والشكر والثناء .

قال النبي ﷺ : «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» أخرجه أبوداود (٢).

وإحسان الخلق درجات ، وكل راعٍ مسؤول عن رعيته :

فرعاة الناس العلماء والحكام .. وراعِ الملوك العقل .. وراعِ الصالحين تقواهم وراعِ المتعلم معلمه .. وراعِ الولد والده

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥)، وأخرجه مسلم برقم (٤٧).

(٢)صحيح: أخرجه أبوداود برقم (٤٨١١).

وأعظم الرعاة أئمة المسلمين، وولاة أمورهم ،لأن عقد الأمور وحلها من جهتهم، فإذا لم يحتاطوا لرعيتهم هلكوا وأهلكوا .

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» متفق عليه [1].

ويجب على إمام المسلمين وخليفتهم تفقد أمور رعيته؛ حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ، ولا إساءة مُسيء، ليكرم المحسن، ويعاقب المُسيء .

ويجب على السلطان أن لا يُفرط في البشاشة والضحك ، ولا يقلْل منهما ، لأن الإكثار منهما يؤدي إلى الإستخفاف به، والإقلال منهما يؤدي إلى العُجب والكبر على الناس ، وخير الأمور الوسط.

وما أشبه السلطان بالنار، إن قصَّرت بُطل نفعها ، وإن جاوزت عظُم ضررها .

والسلطان العادل خير من المطر الوابل، لأن حاجة الناس إلى عدل سلطانهم أحوج منهم الى خصب ديارهم .

ومُوضع السلطان من الرعية كالروح من الجسد الذي لا بقاء له إلا به : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص:٢٦].

والواجب على السلطان أن يصلح أولاً ما بينه وبين ربه بتقوى الله عز وجل ، ثم يتفكر فيما قلّده الله من أمر رعيته ، ليعلم أنه مسؤول عنهم في أدق الأمور وأجلها، ومحاسب على قليلها وكثيرها، ويتخذ من رعيته من يعينه على تلك الولايات من أهل التقوى والصلاح والأمانة، ويأخذ الأموال من حلها ، ويصرفها فيما أمره الله ورسولهﷺ به : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥٥٤)، وأخرجه مسلم برقم (١٨٢٩).

أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ [النساء:٥٨].

ويتفقد الخليفة أمور رعيته ، ويضع الشخص المناسب في المكان المناسب، لتصلح أحوال الناس، ويكون إمام المسلمين لمن هو أصغر منه سنا أبا ، ولمن هو أكبر منه ابنا ، ولأقرانه أخا ، وينصح لرعيته في جميع أمورهم، ويحكم بينهم بالحق ، ويُعد الأمة للجهاد في سبيل الله ، ويصلح امور معاشهم، ويحملهم على امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، والدعوة إلى الله ، ويهيئ الفرصة للعلماء أن يعلموا الناس، وللناس أن يتعلموا رجالاً ونساءاً وأطفالاً .

قال النبي ﷺ : «اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ ، فَارْفُقْ بِهِ» أخرجه مسلم (١).

و قال النبي صَلَّى ﷺ : «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّة، يموتُ يَوْمَ يَمُوتُ وهو غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّةَ» متفق عليه (٢) .

وعلى الحاكم و الرعية أن يدعو كل واحد منهم للأخر .

قال النبي ﷺ : «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تحِبُّونَهُمْ وَيحِبُّونَكُمْ ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ» أخرجه مسلم (٣) .

ولا ينبغي للعاقل طلب الأمارة ؛ لأن من وليها عن مسألة وكل إليها، ومن أعطيها من غير مسألة أعين عليها .

وعلى السلطان أن يلزم المشورة؛ لأن في الشورى صلاح الراعي والرعية وليستشر في أموره أهل التقوى والصلاح، والأمانة والفطنة : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١٥٠)، وأخرجه مسلم برقم (١٤٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٨٥٥).

ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران:١٥٩].

ومن صحب السلطان فلا يكتمه نصيحته، فإن من كتم السلطان نصيحته فقد خان أمانته : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال:٢٧-٢٨].

ورؤساء القوم أعظمهم هموما، و أدومهم غموما، وأشغلهم قلوبا، وأشدهم أحزانا، وأكثرهم عدوا، واشدهم يوم القيامة حسابا ، لأنهم يسألون عن انفسهم، وعن رعيتهم : ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

وعلى من صاحب السلطان أن يلطف به، ولا يعجل عليه إذا رأى منه ما يكره ، لأن نشوة العزة بسطت لسانه ويده بالغلظة ، وليجتنب معه الملق والمبالغة في المحبة والمدح، والإكثار من الدعاء له في كل وقت، وكثرة الإنبساط، فرب كلمة أثارت الوحشة .

وإذا غضب السلطان فليجتهد من حوله في تسكين غضبه باللين ولا يهيجه .

قال النبي صَلَّى ﷺ : «الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، قِيلَ لمَنْ يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ : للهَّ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم [1] .

وإذا اشتد غضب السلطان على أحد إستأذنه أن يقول، فإذا أذن له قال إن سليمان ﷺ أُعطي فشكر ، وإن أيوب ﷺ ابتلي فصبر ،وإن يوسف ﷺ قدر فغفر وقد جعلك الله من نسلهم واتباعهم : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥) .

﴿ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

والواجب على العاقل أن لا يغتر بالدنيا، ويركض وراء شهواتها وملاذها، ويضيع أوقاته في جمع حطامها، والتمتع بشهواتها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٥-٦].

فعلى العاقل أن لا ينخدع بالدنيا وزهرتها وحسنها عن الدار الآخرة، بل ينزلها حيث انزلها الله عزوجل ، ويعمل فيها بما أمره الله ورسوله به، من أنواع الطاعات والقربات : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ولا ريب أن عاقبة الدنيا إلى زوال، فسوف يخرب عمرانها، ويموت سكانها، وتذهب بهجتها، وتبيد خضراؤها ، فلا ينبغي لأحد الركون إليها، فلا يبقى على هذه الدنيا رئيس مطاع، ولا غني مكرم، ولا فقير محتقر، ولا كبير ولا صغير، ولاذكر ولا أنثى ، وكلهم يجري عليهم كأس المنايا، ويفنى كل من عليها ، ويرث الله الأرض ومن عليها : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠].

والعاقل حقا لا يركن إلى دارٍ هذا نعتها ، ولا يطمئن إلى دنيا هذه صفاتها، وقد ادخر الله له إن أمن وعمل صالحا مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وقال الله عز وجل عن المؤمنين : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا

كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة:١٧].

والعاقل اللبيب يعلم أن الدنيا بحر طفاح، والناس في أمواجها يعومون ، فمن أحسن العوم نجا ومن لم يحسنه هلك : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ [محمد:١٢].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

ومن أُوتي من الدنيا ثلاثا فقد أُوتي الدنيا بحذافيرها، الأمن، والقوت، والعافية.

قال النبي صَلَّى ﷺ : «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» أخرجه الترمذي [1].

ومن أراد أن يكون حرا فليأخذ من الشهوات بقدر الحاجة، وليعلم أن كل لذيذ ليس بنافع، ولكن كل نافع هو اللذيذ ، والنافع هو كل مايحبه الله ورسوله : ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

وكل الشهوات البهيميةُ تمل، أما الأرباح الدينية فإنها لا تمل ، والأرباح أعظمها رضوان الله والجنة : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد:٢١].

فتجارة الدنيا قد تخسر وقد تربح، أما تجارة الأخرة فلا تخسر فيها مع الله أبدا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٦).

ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف:١٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف:١٠-١٣].

وللعاقل اللبيب في الأموات عبرة، فكم من مستقبل يوما لم يستكمله، وكم من منتظر غداً لم يدركه : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون:١١].

واعقل الناس من أنزل الدنيا منتزلها، وترك الركون إليها ، وسعى في مرضاة ربه في جميع أوقاته وأحواله ، ويرى هذه الدنيا من حيث ذاتها كالسراب ، أخلف من رجاه، وخاب من رآه : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء:١٨-٢١].

والواجب على العاقل دائما لزوم الإستقامة، ولزوم ذكر الموت ، فالموت كأس يدار به كل يوم على الناس ، فمن انتهى أجله شرب منه ، ومن لم يأته أجله فسيشربه في موعده، ويذوق طعمه : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء:٧٨].

والموت هاذم اللذات ، ومنغص الشهوات ، ومزيل العاهات ، ومسكن الحركات ، ومكدر الأوقات ،ومسكت الأصوات : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٥].

والعاقل يترقب الموت في كل لحظة ، ويبادر إلى الأعمال الصالحة التي ثمرتها الخلود في الجنة ، ورضوان رب العالمين .

فكم أخذ الموت من معظم في قومه، ومكرم في أهله، لايخاف الضيق في المعيشة، ولا الضنك عند المصيبة، ورد عليه من لا يستطيع رده ، مذل الملوك، وقاهر الجبابرة، وقاصم الطغاة .

وكم من أمة أبادها الموت ، وبلدة قد عطلها ، وذات بعل قد أرملها ، وطفل قد أيتمه ، وأخ قد أفرده ، والموت طالب لا يعجزه المقيم ، ولا ينفلت منه الهارب وكل واحد سيشربه : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فسبحان من خلق الموت والحياة للإبتلاء ، فقد خلق الله آدم وذريته من الأرض، وأمشاهم على ظهرها ،فأكلوا من ثمارها، وشربوا من أنهارها ، وسكنوا دورها، ثم عطل بالموت جثثهم وجوارحهم ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ٢﴾ [الملك: ١-٢].

ثم أعادهم من أحياهم إلى الأرض التي منها خلقهم، فأكلت لحومهم في بطنها، كما أكلوا ثمارها على ظهرها ، وشربت دماءهم كما شربوا من أنهارها ، وتمزقت أوصالهم بعد موتهم بعد ان اجتمعت في حياتهم، وسكنوا في بطنها كما قعدوا وعاشوا على ظهرها .

ثم يبعثهم ربهم للحساب والجزاء : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

## ٧- أبواب الإحسان

الإحسان هو الدين كله ، فأخبار القرآن أحسن الأخبار، وأوامره أحسن الأوامر، وأخلاقه أحسن الأخلاق، وثوابه أحسن الثواب ، وعقابه أحسن العقاب .

والإسلام كله محاسن أخبار وأوامر، وأقوال وأعمال، وأخلاق وآداب: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

فالدين كله حسن وأحسن ، وجميل و أجمل ، فالعدل حسن، والإحسان أحسن منه، والقصاص حسن، والعفو أحسن إن تحققت به مصلحة ، و استيفاء الدين حسن، والعفو عن كله أو بعضه أحسن ، والانتقام بالمثل حسن، والعفو عمن أساء إليك أحسن: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠].

وأبواب الإحسان كثيرة جداً ، والإحسان يكون بالقول الحسن، والعمل الحسن والخلق الحسن، وهذه مجامع الأخلاق: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤].

والإحسان في عبادة الله أعظم أبواب الإحسان ، ثم الإحسان إلى الناس بأنواع الإحسان ، وإكرامهم بالمال والبشاشة، و القول الحسن، وقضاء حوائجهم ، والإحسان إلى مسيئهم، والصبر على جاهلهم، والعفو عن ظالمهم ، والإحسان في بر الوالدين ، وصلة الأقارب ، والإحسان إلى الضعفاء من البشر والحيوان، والإحسان إلى البهائم والطير بالرفق، وإطعام الطعام، وحسن المأوى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس:٢٦].

والله سبحانه هو المحسن الذي يحب المحسنين بكل قول أو فعل، ويريد من الإنسان أن يكون محسناً في عبادة ربه، بالإيمان والتقوى ، ومحسناً إلى غيره بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة للمسلمين ، وإطعام الطعام وإفشاء السلام وقضاء حوائج الخلق : ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

# ٨ - كيف تكون من أهل الإحسان ؟

الله عزوجل يريد من الإنسان أن يأخذ بجميع المحاسن، من الأقوال والأعمال والأخلاق، لينال أحسن المحاسن في الدنيا والأخرة ، ومن أراد أن يكون في أعلى درجات الإحسان فليقتد بالنبي ﷺ في خمسة أمور :

في نيته و فكره ، وفي توحيده وإيمانه ،وفي اقواله الحسنة وفي أعماله الصالحة ، وفي أخلاقه الكريمة : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال عز وجل : ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨].

وليأخذ بمحاسن الأخلاق وأشدها مرارة على النفس، وهي أن يصل من قطعه ، ويعطي من حرمه ، ويعفو عن من ظلمه ، ويحسن إلى من أساء إليه .

وهذه صفات النبيﷺ الذي أثنى عليه ربه بها بقوله:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].

وعليك بتقوى الله في كل حال فإنها اساس الإحسان : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [المائدة:٩٣].

فمن أراد أن يكون محسنا فليرض بالله ربا، وبمحمد رسولا، وبالإسلام دينا ، وليعبد الله بموجب ذلك : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧].

وقال عز وجل : ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[لقمان:٢٢].

# ٩ - دعاء أهل الإحسان

من دعاء أهل الإحسان : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

وقال الله عز وجل : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقال الله عز وجل : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١].

وقال الله عز وجل : ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:١٠].

وقال الله عز وجل : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

وقال الله عز وجل : ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران:١٤٧].

وقال الله عز وجل : ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان:٧٤].

وأحسن المحسنين من الخلق هم الأنبياء والرسل، فجميع ماورد من الأدعية في القرآن والسنة، فهو من أدعية أهل الإحسان : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام:٩٠].

## ١٠ - جزاء أهل الإحسان

ثواب أهل الإحسان أعظم الثواب، فهم السابقون إلى كل طاعة ، المحسنون في كل عبادة ، المحسنون إلى الخلق بأموالهم و أنفسهم، و أقوالهم وأفعالهم : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس:٢٦].

وقال الله عز وجل : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة:١١٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران:١٧٢].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

وقال الله عز وجل : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقال الله عز وجل : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

فأهل الإحسان هم أعلى الناس منزلة يوم القيامة ، وهم السابقون إلى كل خير، والله عز وجل يكرمهم بدخول الجنة، والخلود فيها، والنعيم المقيم ، ورضوان الرب، وسماع كلامه، والقرب منه : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم ، من أهل الإحسان، السابقون إلي كل خير، وإلي كل أمر أمر الله ورسوله به : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة السابعة عشرة

## فقه عظمة الله عز وجل

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية

الأول : فقه تعظيم الله جل جلاله.

الثاني : درجات تعظيم الله جل جلاله .

الثالث : مظاهر عظمة الله جل جلاله .

الرابع : كيف تأتي عظمة الله في قلوبنا.

# البصيرة السابعة عشرة

# فقه عظمة الله عز وجل

## ١ - فقه تعظيم الله جل جلاله

الله عز وجل هو الرب العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، و المثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

هو جل جلاله العظيم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

هو العظيم في ملكه وسلطانه، هو العظيم في خلقه وأمره، هو العظيم في أحكامه وأوامره، هو العظيم في إحسانه وإنعامه، هو العظيم في ثوابه وعقابه .

هو العظيم الذي لا أعظم منه، هو العظيم الذي خلق كل عظيم في العالم العلوي: كالعرش والكرسي، والسموات السبع، والملائكة، والروح، والشمس و القمر، والنجوم و الكواكب، والنور والظلام، والسحب والماء، والذرات والمجرات : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

هو العظيم القادر على كل شيء، القوي الذي لا يقف له شيء، ولا يمتنع عليه شيء، ولا يمتنع عليه شيء: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ

بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح:١٣-٢٠].

هو الملك العظيم الذي له الخلق والأمر، والتصريف والتدبير: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس:٣٧-٤٠].

وهو سبحانه العظيم الذي خلق كل عظيم في العالم السفلي، من الأراضين السبع، والجبال والبحار، والسهول والرمال، والنبات والحيوان، والإنسان والجان: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت:٩-١٢].

هو العظيم الذي خلق ما بين السماء والأرض من العوالم العظيمة، عالم الليل، وعالم النهار، عالم النور، وعالم الظلام، عالم الحر، وعالم والبرد، عالم الطير، وعالم الذرات، عالم الحركة، وعالم السكون، وعالم النجوم، وعالم السحب، وعالم الرياح: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت:٣٧].

هو سبحانه العظيم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ

ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾
[الأعراف:٥٧].

هو جل جلاله العظيم وحده لا شريك له، وكل عظيم سواه قد استمد عظمته من العظيم الأعلى، خلقه الله عز وجل ليظهر لعباده مقدار عظمته ليكبروه، ويعظموه، ويخافوه، ويهابوه : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

وكل عظيم مخلوق يشير إلى عظمة من خلقه، وإلي كمال قدرة من سواه، وهو واقف في محرابه ، ومتحرك في سلطانه، يعبد ربه، ويسبح بحمد من خلقه، ويشهد بوحدانيته، ويسجد لربه، ويتصاغر لكبريائه، و يؤدي العبودية لله الواحد القهار : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج:١٨].

هو العظيم الذي لا أعظم منه ، العظيم الذي كل عظيم خاضع لعظمته، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلي إرادته، ومسبح بحمده : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤].

هو العظيم الذي كل عظيم في الكون من مماليكه و عبيده، وتحت تصرفه وتدبيره : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ

ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

وعظماء الدنيا كلهم من حكام، ورؤساء، وقواد، وأقوياء، وأغنياء، ومخترعين، وأذكياء وغيرهم، خلقهم الله تعالى من تراب الأرض ،منها يأكلون ويشربون، وفوق ظهرها يعيشون، وفيها يبولون ويتغوطون، وإذا ماتوا فيها يدفنون: ﴿۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ [طه: ٥٥].

هو سبحانه العظيم الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وصوره أحسن تصوير، وأنبت في الأرض من كل زوج بهيج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج: ٥-٧].

هو جل جلاله العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الاعلى : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وكثير من الناس يحب التعرف على عظماء الناس، ليستفيد منهم، ويحتمي بحماهم، وينال من خيرهم في الدار الفانية، لكن المؤمن يتعرف على ربه العظيم لينال من خيره في الدنيا والآخرة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

هو الرب العظيم الذي له جميع صفات الجلال والجمال : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

ولهذا أمر الله رسله وأولياءه بمعرفته، وعلى قدر معرفة الله يكون التعظيم لله، والحب له، ومن عرف الله حقا عبده حقا، وعظمه حقا، وحمده حقا، وأحبه حقا: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

الحيتان في البحر تعرفه، والطيور في السماء تعرفه، والدواب في الأرض تعرفه، وكل مخلوق يعرفه: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء:٤٣-٤٤].

هل يوجد أحد لا يعرف محمداً ﷺ ؟.

الجماد يعرفه، والشجر يعرفه، والنبات يعرفه، والحيوان يعرفه، والإنس تعرفه، والجن تعرفه، والملائكة تعرفه وتصلي عليه . لماذا ؟! ..

لأنه ﷺ أعرف الخلق بربه، وأعبدهم له ، فلما عرف ربه حقا، عَرف الله به كل الخلق، فهو معروف في التوراة والإنجيل، وجميع الكتب المنزلة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [البقرة:١٤٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦].

ولأنه ﷺ معرف الناس بربهم، وما يجب له من التوحيد والإيمان والعبودية ، ولهذا كل من عَرَّف بالله العظيم، عرف الله به جميع الخلائق، وكلما زدت من تعريف الناس بالله، زاد الله من يعرفك من الخلق .

وكثير من الناس دعاة إلى الناس، يدعون الناس للاستفادة من الناس من حكام ورؤساء وأغنياء وأطباء ومهندسين وغيرهم .

أيها المؤمن كم مرة عرفت الناس على رب الناس ؟، كم مرة عرفتهم على ربك العظيم ، على ربك الغني ، على ربك الكريم ، على ربك الرزاق ، على ربك القوي، على ربك العزيز ؟ .

كم مرة عرفت الناس على ربهم القادر ليستعينوا به ؟، كم مرة عرفتهم على ربك الكريم ليسألوه من فضله؟، كم مرة عرفتهم على ربك الغفور ليستغفروه؟، كم مرة عرفتهم على ربك الوكيل ليتوكلوا عليه وحده ؟ : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

نحن دعاة إلى الله العظيم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

كم مرة مجدنا الله ؟، كم مرة كبرناه ، كم مرة كبرناه وعظمناه أمام الناس؟ : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨].

## ٢- درجات تعظيم الله جل جلاله

تعظيم الله عز وجل على ثلاث درجات :

الأولى : تعظيم حكمه الشرعي، وهو على ثلاث درجات :

الأولى : ترك الترخص؛ فلا يتتبع المسلم الرخص، لأن من تتبع الرخص تزندق، ومن تتبع الرخص اجتمع فيه الشر كله، لأنه يسعى لتطبيق أعمال المخطئين .

الثانية : ترك الغلو في الدين، وهو ضد الترخص، فالترخص تفريط، والغلو إفراط ، والغلو قسمان :

غلو مخرج من الملة، وهذا كفر، وهو الزيادة في دين الله عمداً.

وغلو لا يخرج من الملة ، لكنه مخرج من السنة إلى البدعة غير المكفرة .

وكل منهما شر وأثم : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة:٧٧].

الثالثة : ترك التعليل، والتعليل شغل العقلانيين والفلاسفة ، فيقول الأنسان لا أعمل عملاً من صلاة أو صوم أو زكاة ونحوها حتى أعرف علته ، وتعليل الأحكام يقتضي غالبا ترك الأوامر، وفعل المناهي.

والعبودية لله تقتضي التسليم لأمره، والتتبع العلل يضعف الهمة : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

الدرجة الثانية : من درجات تعظيم الله عز وجل، تعظيم الحكم القدري .

والحكم القدري ثلاثة أقسام :

الأول : أن يتيقن العبد ان كل أحكام الله القدرية في منتهى الحكمة، لاعوج فيها بوجه من الوجوه، فكل أفعال الله تدور حول العدل والإحسان، والحكمة والرحمة .

والقدر سر الله في خلقه، لم يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ومن تعظيم الله تعظيم أفعاله : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١].

الثاني :أن لا يعتقد المسلم تعارض أمر الله القدري مع امره الشرعي، فأمر الله القدري كله حكمة ورحمة ، وأمره الشرعي كله حكمة ورحمة : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال الله عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الثالث : استعمال الدعاء في مواجهة القضاء، ولهذا قال النبي ﷺ : «الدُّعاءُ هو العبادة» أخرجه أبوداود (١).

فالعبد هو الظالم لنفسه، والله عز وجل منزه عن الظلم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [يونس: ٤٤].

---

(١)صحيح/ أخرجه أبوداود برقم (١٤٧٩).

فالعبد يقترف الذنب، ويدعو الغفور أن يغفر له ما فعله من سوء : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠].

وقال الله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].

والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

الدرجة الثالثة من درجات تعظيم الله، تعظيم الحق جل جلاله .

وتعظيم الله يتحقق بأمور :

الأول : تعظيم ذات الله جل جلاله : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

وقال الله جل جلاله : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح:١٣-٢٠].

فذات الله عز وجل ليست كذوات الخلق : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

فالله ليس كمثله أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا

﴿أَحَدٌۢ ٤﴾ [الإخلاص:١-٤].

وتعظيم ذات الله يقتضي معرفته ، وتعظيم أسمائه يقتضي معرفتها، وتعظيم صفاته يقتضي معرفتها، وتعظيم أفعاله يقتضي معرفتها : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد:١٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ١٢﴾ [الطلاق:١٢].

وقال الله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ١٦﴾ [نوح:١٥-١٦].

وأفعال الله عز وجل أوسع من صفاته ، وصفاته أوسع من أسمائه ، فليس كل صفه يؤخذ منها اسم لله، وإنما يؤخذ من كل اسم صفة لله عز وجل .

فصفة الخلق تؤخذ من الخالق ، وصفة الرزق تؤخذ من الرزاق ، وصفة العلم تؤخذ من العليم : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

الثاني : التأدب مع الله عز وجل ، وعدم التألي على الله ، فلا نقول لمن عصى الله، والله لا يغفر الله لفلان، والله ليُدخِلنّه النار .

عن جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ حَدَّثَ : «أَنَّ رَجُلاً قَالَ وَاللهِّ لاَ يَغْفِرُ اللهُّ لِفُلاَنٍ، وَإِنَّ اللهَّ تَعَالَى قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» أخرجه مسلم (١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢١).

فلا نقسم على الله، ولا نقسم به على مخلوق ، فالله أعظم أن نسأل به شيئاً صغيراً من الدنيا، فلا يسأل بوجه الله إلا الجنة، وما هو سبيل إليها، لأن الله عظيم فلا يسأل به إلا العظيم: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح:١٣-١٤].

الثالث : القسم بالله لا بغيره ، فمن الأدب مع الله أن نقسم به ، لأن القسم يقتضي تعظيم من أقسمت به ، فمن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ، فمن قال عليَّ الطلاق فقد أعتبر الطلاق أعظم من الله ، أو قال عليَّ الحرام ، فكل هذا ليس أدباً مع الله، ولا تعظيماً له .

قال النبي ﷺ : «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق عليه (١).

وكذلك الحلف بالأمانة، فلا يسأل بوجه الله إلا العظيم من الأمور كالجنة وما كان وسيلة لدخولها من الأمور الدينية التي جعلها الله سبباً لدخولها

قال النبي ﷺ : «اللَّهُمْ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قُرِّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قُرِّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ» أخرجه أحمد (٢).

فأول واجب على المكلف معرفة العظيم ، ثم معرفة أوامره ، ثم العمل بموجب ذلك ، فمن عرف ربه العظيم آمن بكتابه العظيم ، وأمتثل أمره العظيم ، ونال ثوابه العظيم : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وقال عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٧٩)، وأخرجه مسلم برقم (١٦٤٦).
(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٤٦١٣).

## ٣- مظاهر عظمة الله جل جلاله

هو الله جل جلاله العظيم الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، هو الحي الذي بيده الحياة والموت، هو الحي الذي خلق كل حي، هو الحي القاهر لكل حي، هو الحي المحيط بكل حي، هو الحي الرزاق لكل حي، هو الحي السميع لكل شيء، البصير بكل شيء، العليم بكل شيء : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

هو الحي قبل كل حي، هو الحي بعد كل حي : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

هو وحده الحي الذى خلقك فسواك فعدلك، هو الحي الذي أطعم الطعام، وساق الأرزاق، وأحصى الأعمال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار:٦ -٨].

هو العظيم الذي لا يعطي إلا العظيم، العظيم الذي خلق كل عظيم، ووهب كل عظيم : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

هو العظيم الذي ساق إلى كل مخلوق رزقه : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود:٦].

هو العظيم الذي بيده وحده مفاتيح أبواب الأمن، والهداية، والسعادة، في الدنيا والآخرة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

هو وحده العظيم الذي بيده كل شيء، وليس عند غيره مثقال ذرة من أي شيء :

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

هو العظيم الذي عنده علم كل شيء : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩].

هو العظيم الذي عنده خزائن كل شيء، وبيده وحده كل شيء: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢].

وقال عز وجل: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر:٢١].

هو وحده العظيم الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ إلى بلاد تسبح في الشرك ، والكفر والإلحاد ، وتفخر بالظلم والبغي والعدوان ، فبلَّغ الرسالة ، وأدى الأمانه، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده ، وأحيى الله به الأرض بعد موتها : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢].

هو العظيم الذي عز فارتفع ، وعلى فامتنع ، وذل كل شيء لعظمته وخضع، وأمسك السماء ورفع ، وفرش الأرض وأوسع ، وفجر العيون فأنبع ، وأجرى الأنهار فسقى وزرع : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٨].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر:٤١].

هو وحده العظيم الذي سير الشمس والقمر، وزين السماء الدنيا بالكواكب والنجوم، وأمسك السماء أن تقع على الأرض ، وأمر السحاب فارتفع، وساقه

بالرياح فسار وأمطر، ونور النور فلمع : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

هو وحده العظيم الذي خلق كل شئ فأبدع ، وصور كل شئ فأحسن : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠١-١٠٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة:٦-٧].

هو وحده العظيم الذي لا نهاية لعظمته وكبريائه، وعزته وقدرته، وجلاله وجماله .

هو الأول قبل كل أول ، الخالق لكل أول : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣].

هو وحده العظيم الذي خلق البحار السائلات، وخلق الجبال الراسيات، وخلق الأنهار الجاريات، وخلق أنواع الجمادات والنباتات والحيوانات : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر:٨٦].

هو وحده الإله العظيم الذي يستحق أن يعبد لذاته، وجلاله، وجماله، هو وحده العظيم الذي يستحق أن يذكر فلا ينسى، ويطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

هو وحده العظيم الذي خلق فسوى ، هو العظيم الذي خلق وهدى، وأعطى ومنع، وسن وشرع، وفرق وجمع، وأحسن وأنعم، وتجلى للجبل فوقع، ورفع السماء بلا عمد : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك:١].

هو العظيم الكريم الذي قدم من شاء بفضله، وأخر من شاء بعدله .

هو الحكيم الذي لا يعترض عليه ذو عقل بعقله، ولا يسأله مخلوق عن علة فعله : ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء:٢٣].

هو وحده العظيم العزيز العليم، الذي سبق كل شيء علمه، ونفذت في الأشياء إرادته، وحارت في ملكوته عقول خلقه ،وقامت بكلماته السماوات السبع والأرض ومن فيهن، يغشي الليل النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، لا إله الا هو الواحد القهار : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس:٣].

هو وحده العظيم الرب الذي استغنى بصمديته عن كل ما سواه، وافتقر لعز سلطانه كل من عداه وتصاغر لكبريائه كل ما سواه ، وذل لجبروته كل من عداه، وأخضع بكمال قدرته كل ما عداه ، وأسلم له ما في السماوات والأرض طوعا وكرها ، وقنت له المقربون حبا وودا ، وسجد له العابدون قربى وزلفى : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر:٦٥].

هو وحده العظيم الذي سجدت له جميع مخلوقاته في العالم العلوي والسفلي : ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ۝٥٠﴾ [النحل:٤٩-٥٠].

وقال الله عزوجل: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝٢٦﴾ [الروم:٢٦].

هو وحده العظيم القادر القاهر لكل ما سواه : ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام:١٨].

هو الحي القيوم الباقي، وكل ما سواه فان: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

هو وحده القادر، وكل ما سواه عاجز: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن:٣٣].

وقال الله عز وجل: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة:١٢٠].

هو العظيم الغني، وكل ما سواه فقير إليه: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩].

وقال الله عز وجل: ﴿۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

هو وحده العظيم الذي جعل الخلق يصمدون إليه في جميع حوائجهم، وشرع لهم من العبادات التي يؤدون بها حقوق ربهم، وشرع لهم من المعاملات فيما بينهم ما تصلح بهم أحوالهم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢].

ولولا هذه الأحكام الإلهية لكان البشر يعيشون كالبهائم والسباع والشياطين: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة:٢٤٣].

فسبحان من خلق الخلق كلهم و قسم الأرزاق بينهم، وفضل بعضهم على بعضٍ في الرزق: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ

مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف:٣٢].

فشرع العظيم جل جلاله أحسن المعاملات التي يصل بها التاجر إلى مصلحته، دون الحاجة إلى الكذب والخداع، والغش والظلم ، ويصل بها الفقير إلى مبتغاه، دون الحاجة إلى السرقة، ويصل بها القوي إلى ما يريد، دون الحاجة إلى السطو والغصب ، ويصل بها الحاكم إلى مبتغاه، دون الحاجة إلى الظلم : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام:١٥٣].

وشرع جل جلاله الحدود التي تردع الظالم والباغي والفاجر رحمة بالخلق : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ [البقرة:٢٢٩].

و الحدود جوابر و زواجر، تزجر المعتدي، وتزجر غيره، وتجبر كسره، وتكفر خطأه، فإنه إذا تاب وأقيم عليه الحد فقد طهر من ذنبه : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ [النساء:١١٠].

# ٤ - كيف تأتي عظمة الله في قلوبنا

عظمة الله عز وجل تحصل في القلب بأمرين :

النظر في الآيات الكونية، وهي مفعولاته جل جلاله.. والتدبر في الآيات القرآنية وهي كلامه جل جلاله: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦-٨].

وقال الله عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤].

فسبحان العظيم الخالق لكل شيء ، القادر على كل شيء ، العظيم الذي حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

فهو النور كما قال عز وجل : ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور:٣٥].

وحجابه النور .

قال النبي ﷺ عن ربه : « حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » أخرجه مسلم [(١)].

وكتابه نور: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ [النساء:١٧٤].

ورسوله نور : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩) .

إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦].
وكل ما في الكون من المخلوقات مظهر لقدرة الله، وعظمته، وجلاله، وجماله، وكبريائه، وأسمائه، وصفاته، وافعاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].
وإذا عرفنا ذلك امنا بالله العظيم، وأمنا بكتابه العظيم، وامتثلنا أمره العظيم، ونلنا ثوابه العظيم: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].
وإذا عرفنا العظيم عظمتاه وكبرناه ، و إذا عرفنا الكريم سألناه ودعوناه ، وإذا عرفنا القوي القادر استعنا به، إذا عرفنا الوكيل توكلنا عليه، وإذا عرفنا الغفور استغفرناه، واذا عرفنا الرحمن استرحمناه : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].
ومن عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله أمن به، وأمن بكتابه العظيم، ونال ثوابه العظيم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].
نسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا ، أن يعلمنا ما ينفعنا ، وان يرزقنا العمل بدينه، والدعوة إليه، وإبلاغ شرعه : ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم:٥٢].
اللَّهُمَّ أَعْطِنَا وَلَا تحرِمْنَا و زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وأرفعنا ولا تضعنا.
اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.
اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً، ويقيناً، صادقاً وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، يا ذا الجلال والإكرام.

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الثامنة عشرة

## فقه أسماء الله الحسنى

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فضل العلم بأسماء الله الحسنى .

الثاني : أقسام أسماء الله الحسنى .

الثالث : فقه معاني أسماء الله الحسنى.

# البصيرة الثامنة عشرة

# فقه أسماء الله الحسنى

## ١ - فضل العلم بأسماء الله الحسنى

أول واجب، وأعظم واجب، وأكبر واجب، هو معرفة الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وقال الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

والله جل جلاله هو الملك الحق، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، لا إله غيره ولا رب سواه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

ولن يعبد الله حقا إلا من عرفه حقا ، ولن يطيع الله حقا إلا من عرفه حقا ، ولن يحب الله حقا إلا من عرفه حقا ، ولن يخافه حقا إلا من عرفه حقا : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

ومن أجل هذا أظهر الله اسماءه، وصفاته، وأفعاله، في ملكه العظيم المنظور ؛ وفي كتابه الكريم المسطور، لنتعرف عليه من خلال آياته ومخلوقاته .

وإذا عرفنا كمال ذاته وأسمائه وصفاته وافعاله، كبرناه، وعظمناه، ومجدناه، وعبدناه، واطعناه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وإذا عرفنا عظمة أسماء جلال الله وجماله ، وعظمة نعمه وإحسانه ، وعظمة حلمه ورحمته وكرمه، أحببناه، وحمدناه، وشكرناه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

إن معرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله في باب التوحيد، بمنزلة الرأس من الجسد ، وبمنزله القلب من البدن ، ولا يعبد الله حقا إلا من عرفه حقاً، ولا يعصيه إلا من جهله وجهل عظمته وقدرته : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

فمن عرف ربه أحبه وعظمه، ومن جهل ذلك لم يبال بمصيته : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح:١٣-٢٠].

وكل نقص في التوحيد والإيمان، والعبادة والطاعة، سببه الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

فمن عرف الرب العظيم الذي يَعبد ، والإله الذي يطيع ، والخالق الذي خلقه وصوره، وهداه ورزقه، أمن به وعبده وحده، ولم يلتفت لأحدٍ سواه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس:٣].

فمن عرف أن الله هو الملك الذي له الملك كله ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله، وله الحكم كله وإليه يرجع الأمر كله، أمن به وحده، وتوكل عليه وحده،

وسأله وحده : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

ومقصود الله من خلقه تحصيل أسمائه وصفاته الحسنى، على شاكلة العبودية، والتعبد لله بموجبها ، فالله مؤمن يحب المؤمنين ، تواب يحب التوابين ، محسن يحب المحسنين ، شكور يحب الشاكرين ،رحيم يحب الرحمة، وأهل الرحمة ، حليم يحب الحلم، و أهل الحلم ، كريم يحب الكرم، و أهل الكرم وهكذا في سائر أسماء الله الحسنى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقد أحصينا بفضل الله وحده من القرآن والسنة أكثر من مائة وستة أسماء من أسماء الله الحسنى .

نسأل الله ان يرزقنا حفظها، وفهمها، وحسن التعبد بها، وعبادة الله بموجبها، ودعوة الناس إلى معرفتها ليعبدوا الله بموجبها.

وتسهيلا لمعرفة أسماء الله الحسنى، والتعبد لله بها، لا بد من معرفة أقسامها .

## ٢- أقسام أسماء الله الحسنى

أسماء الله الحسنى من حيث معانيها ستة أقسام :

القسم الأول : الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته

مثل : الله ، الإله ، الواحد ، الأحد ، الحق ، الحي ،القيوم ، الأول ، الأخر ، الظاهر ، الباطن ، وأمثالها من أسماء الله الحسنى .

الثاني : الأسماء الدالة على الملك والقدرة :

مثل : الملك ، العزيز ، الجبار ، المهيمن ، القهار ، القادر ، القوي ، المقدم ، المؤخر ،وأمثالها من أسماء الله الحسنى .

الثالث : الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد :

مثل : الخالق ، البارئ ، المصور، الرزاق، الوهاب ، الكريم ، البر ، المقيت ، وأمثالها من أسماء الله الحسنى .

الرابع : الأسماء الدالة على العلم والإحاطة :

مثل : السميع ، البصير ، العليم ، الخبير ، الرقيب ، الشهيد ، الحفيظ ، المحيط ، وأمثالها من أسماء الله الحسنى .

الخامس : الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة :

مثل : الرب ، الرحمن ، الرحيم ، الرؤوف، الحليم ، الحميد ، الشكور ، الودود، الولي ، النصير ، القريب ، المجيب ، العفو ، الغفور ، التواب ، وأمثالها من أسماء الله الحسنى .

السادس : الأسماء الدالة على الهداية والبيان :

مثل : الهادي، المبين ، الوكيل ، الكفيل ،وأمثالها من أسماء الله الحسنى .

وأسماء الله الحسنى واحدة في الدلالة على الذات، متعددة المعاني والصفات: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

وأصول أسماء الله الحسنى ثلاثة:

الله .. والرب .. والرحمن

وبقية أسماء الله الحسنى تدور عليها، وترجع إليها:

فاسم الله متضمن لصفات الألوهية، واسم الرب متضمن لصفات الربوبية، واسم الرحمن متضمن لصفات البر والإحسان.

وقد جمع الله هذه الأسماء الثلاثة في أعظم سورة في القرآن، وهي الفاتحة فقال عز وجل: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ [الفاتحة:١-٣].

واسم الله أصل لجميع أسماء الله الحسنى، وسائر الأسماء الحسنى مضافة إليه كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر:٢٤].

فاسم الله مستلزم لجميع معاني أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، ولهذا كان اسم الله أكثر الأسماء ورودا في القرآن، وأضيفت إليه الأسماء الحسنى، واقترنت به في عامة الأدعية و الأذكار، كسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر وغيرها.

فالله هو الاسم الأعظم للرب، وجميع الأسماء الحسنى تعود إليه، وجميع القلوب مفطورة على التوجه إليه، والإقرار بعظمته، والتوكل عليه، والحب له، والفزع إليه، والذل له، والافتقار إليه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

## ٣- فقه معاني أسماء الله الحسنى

الله هو الإله المحبوب المودود، المطاع المعبود، الحي القيوم، الذي تألهه القلوب، وتحبه، وتفزع إليه، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

واسم الله دال على ذات الله وأسمائه وصفاته، وبقية الأسماء دالة على الذات ودالة على صفة معينة كالعلم والقدرة ونحوهما .

هو الإله المحبوب المألوه الذي تحبه الخلائق وتألهه، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة نعمه وإحسانه، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة دينه وشرعه، وعظمة وعده ووعيده : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

بسم الله أعظم الأسماء، بسم الله رب الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يضر مع أسمه شيء في الأرض ولا في السماء، بسم الله الأول قبل الأشياء، بسم الله افتتح أسماء ربي الحسنى .

بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله المستعان، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الحمد الله رب العالمين قضى ألا تعبدوا إلا إياه، لا مانع لما أعطى، ولا راد لما قضى، ولا مظهر لما أخفى، ولا ساتر لما أبدى، ولا مضل لمن هدى، ولا هادى لمن أضل، ولا محيي لمن أمات، ولا فاتح لما أغلق : ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ

مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢].

خلق الله آدم بيده وسواه، ثم أمره ونهاه، وخلق إبليس فلما استكبر عن طاعته لعنه وأقصاه.

وهو سبحانه الحي القيوم، الحي بجميع صفات الكمال، من السمع والبصر، والعلم والقدرة، والغنى والكرم، والرحمة والإحسان وغيرها من صفات الكمال: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

هو سبحانه الحي الذي لا يموت، الحي الذي خلق كل حي، الحي الذي وهب الحياة لكل حي، فإذا قطعها عنه عاد جثة هامدة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ [غافر:٦٨].

هو الحي دائم الحياة، دائم البقاء، دائم الملك، وكل ما سواه من الأحياء فسوف يموت، إظهارا للحي الذي لا يموت من الحي الذي يموت، وإعلاما بالحي الذي يملك الحياة والموت: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:١-٢].

وإذا عرفت ربك الحي فسله أن يرزقك الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، وأن يحيي قلبك بالعلم والإيمان، ويحيي لسانك بذكره وشكره، ويحيي جوارحك بالأعمال الصالحة، ويحيي أوقاتك بعبادته، والدعوة إليه، والإحسان إلى خلقه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام:١٢٢].

وهو سبحانه الحي القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع المخلوقات، القيوم القائم بنفسه، القائم على كل شيء في بقائه وفنائه، وحركته وسكونه،

ونفعه وضره : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

هو القيوم الذي يقوم بتدبير المخلوقات كلها في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي الدنيا وفي الآخرة ، وفي عالم الغيب وفي عالم الشهادة .

هو القيوم القائم على كل نفس بما كسبت ، القائم بالقسط والعدل : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٨].

هو القيوم القائم برزق جميع الخلائق، وقسمة الأرزاق بينهم، وسوق أرزاقهم إليهم في كل مكان و زمان وحال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٨].

فهم نائمون غافلون ، والأمطار تهطل ، والأنهار تجري ، والأرض تنبت ، والأشجار تثمر ، والرياح تهب ، والشمس تنوّر : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [غافر:٦١].

فسبحان الحي القيوم الذي كلُ ذرةً في ملكه شاهدةٌ بوحدانيته ، ومسبحة بحمده ، ومسرعةٌ إلى إرادته : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور:٤١].

فكن قائماً بين يدي ربك بالعبادة ، وقائماً بين يدي خلقه بالدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والإحسان إليهم بكل قولً أو فعل : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

واسم الله الحي جامعٌ لصفات ذاته ، والقيوم جامعٌ لصفات أفعاله ، والجمع

بينهما له أثرٌ كبير في إجابة الدعوات، وكشف الكربات، وذلك يثمر التبرؤ من الحول والقوة، وكمال الافتقار والذل لله، وصدْق التوكل عليه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: ٢].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الاله الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وهو سبحانه الحميد الذي حمد نفسه قبل أن يخلق الحامدين له، الحميد الذي تسبح بحمده جميع مخلوقاته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

وهو الحميد الذي حمد نفسه في أوسع دوائر الزمان فقال: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ [القصص: ٧٠].

وحمد نفسه في أوسع دوائر المكان فقال: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۝١٨﴾ [الروم: ١٨].

هو الحميد الذي افتتح أول الخلق بحمد نفسه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١].

وختم الخلق بحمد نفسه فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزمر: ٧٥].

وحمد نفسه على تمام نعمه المادية والدينية على عباده فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

وهو سبحانه الشاكر الشكور، الذي يشكر لعباده كل عمل صالح، الشكور الذي يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلى عطاء بغير حساب، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ

﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ [النساء:٤٠].

هو الشكور الذي يعطي على العمل القليل الأجر العظيم، ويعطي على العمل الذي ينقطع الأجر العظيم الذي لا ينقطع : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١﴾ [البقرة:٢٦١].

وهو سبحانه النصير والناصر الذي ينصر عباده في الدنيا والآخرة .

في الدنيا ينصرهم بإعلاء كلمتهم ، ومكانتهم ، ومنهجهم ، كما فعل بدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ، ومحُمد، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

وبالانتقام من أعدائهم كما فعل بقوم نوح وهود وفرعون وثمود وغيرهم .

أما في الآخرة فيكرم أولياءه بدخول الجنة ، ويهين أعداءه بدخول نار جهنم ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾ [غافر:٥١-٥٢].

وهو سبحانه الرؤوف ذو الرأفة والرحمة بخلقه أجمعين ، فلا أحد أرأف منه بخلقه : ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧﴾ [النحل:٧].

والفرق بين الرأفة والرحمة

أن الرأفة لا الم فيها بوجه من الوجوه .

أما الرحمة فقد تكون مؤلمه في البداية ، مؤنسة في النهاية : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣].

وهو سبحانه الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض .

الكبير الذي صغُر دون كبريائه كل كبير، الكبير الذي لا أحد أكبر منه ، الكبير الذي كل ما سواه صغيرٌ بين يديه : ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد:٩].

وهو سبحانه الرب الذي كل ما سواه عبدٌ له، الرب الذي يربي عباده بالنعم المادية، والنعم الدينية، الرب العظيم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

وهو سبحانه الرحمن الرحيم ، الذي أمد جميع خلقه بالنعم ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب .

الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وحيثما كان خلقه، كان علمه، وكانت رحمته : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر:٧].

وكل رحمة في العالم عن آثار رحمته : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر:٢٢].

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم:٥٠].

وهو سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء ، الأول الذي أول كل أول ، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء ، الآخر الذي أخَّر كل آخر .

وهو سبحانه الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، الظاهر فوق كل ظاهر ، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء ، الباطن الذي بطن دون كل باطن .

وعبادة الله باسمه الأول والآخر أحاطت بالزمان كله ، وعبادة الله عز وجل باسمه الظاهر والباطن أحاطت بالمكان كله : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣].

وعبودية الله بإسمه الأول والآخر، تقتضي التعلق بالله وحده ، وعدم الإلتفات إلى ما سواه ، لأنه الحي الذي لا يموت ، القيوم الذي لا ينام : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران:٢].

وعبودية الله باسمه الظاهر والباطن تقتضي من العبد أن يعبد ربه كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإنه يراه ، وهي عبادة الله بمقام الإحسان، التي هي أعظم العبوديات.

وهو سبحانه الواحد الأحد ، الذي توحَّد بجميع الكمالات ، وتفرد بأحسن الأسماء والصفات والأفعال ،الواحد الأحد الذي ليس له مثيل ولا شبيه : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤].

هو الواحد الأحد، الغني عن كل أحد ، القادر على كل أحد ، المحيط بكل أحد، الخالق لكل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد : ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة:١٦٣].

هو الواحد الأحد الذي تفرد بكل مجد ، وحمد ، وحب ، ورحمه ،وعلمٍ ، وقدره، وملك ، وعزه ، وغير ذلك من صفات الجمال ، والجلال ، والكمال : ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾ [الزمر:٤].

وهو سبحانه اللطيف الذي شمل بلطفه جميع خلقه ، اللطيف الذي يوصل رحمته ونعمه إلى جميع خلقه بالطرق الخفية، فيلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون ، ويوَّصل بره وإحسانه إلى عباده من حيث لا يشعرون ، ويوصلهم إلى المنازل الرفيعة من حيث يكرهون : ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف:١٠٠].

وهو سبحانه الفتاح الفاتح الذي بيده مقاليد الأمور، الفتاح الذي فتح لعباده

جميع أبواب التوحيد والإيمان ، وأبواب الخير والإحسان ، الفتاح الذي يحكم بين عباده بشرعه ، الفتاح الذي يفتح وحده جميع أبواب المغاليق : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر:٢].

وهو الفتاح الذي فتح لعباده أبواب الرزق ، والعلم ، والقدرة ، وفتح القلوب للإيمان، وفتح الجوارح للأعمال ، وفتح اللسان للكلام ، وفتح العين للإبصار . وفتح الأذن للسماع : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبأ:٢٦].

وهو جل جلاله الملك المالك لكل شيء، الملك الذي ينفذ أمره في ملكه كما يشاء ، في أي وقت شاء ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، الملك الذي يسبح بحمده كل ذرةً ومجرةً في ملكه : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤].

وكل ملكٍ من البشر سواه مهما اتسع ملكه ، عاجزٌ عن ملك نفسه ، وإبقاء حياته، وعافية جسده: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك:١]. وقال الله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر:١٣].

هو الملك الذي له الملك كله من كل وجه :

فلله ملك السموات والأرض ، وله ملك ما في السموات والأرض ، وله ملك ما بين السموات والأرض ، وله ملك خزائن السموات والأرض ، وله ملك غيب السموات والأرض ، وله ملك مقاليد السموات والأرض ، وله ملك

جنود السموات والأرض ، وله ملك ميراث السموات والأرض ، وله ملك العالم العلوي، والعالم السفلي ، وله ملك عالم الغيب ، وعالم الشهادة، وله ملك الدنيا، وله ملك الآخرة، وله ملك المكان، وله ملك الزمان : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران:٢٦].

هو الملك القدوس الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، المنزَّه عن جميع النقائص والعيوب ، القدوس الذي تقدَّس عن الظلم والسوء، والإساءة والإيذاء : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر:٢٣].

هو الملك القدوس ذو الفضل والبركات ، القدوس الذي قدَّس أولياءه وطهرهم من كل سوء ودنس .

وهو سبحانه السلام الذي سلِم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله من كل عيب ونقص ، السلام الذي يسلِّم عباده من كل شر وخطر، السلام الذي منَّ على أوليائه بالسلام ، والأمن ، والهدى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر:٢٢-٢٣].

وهو سبحانه المؤمن الذي خلق الأمن ، ومنَّ به على من آمن به،واتقاه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢].

هو المؤمن الذي يصدق رسله وأنبياءه فيما بلَّغوه عنه ، ويقيم الشواهد على صدقهم ، المؤمن الذي يؤمِّن خوف عباده الذين لجأوا إليه بصدق ، فيكشف

كربتهم في الدنيا ، ويؤمنهم يوم القيامة، يوم الفزع الأكبر : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر:٢٣].

وقال سبحانه عن أوليائه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٣].

وهو سبحانه العزيز الذي قهر كل شيء، العزيز الذي لا يُغلب ، العزيز الذي علا فوق جميع مخلوقاته ، العزيز الذي لا يُنال جانبه، لكمال عزته، وعظمته، وقدرته، العزيز الذي اعزّ كل من تمسك بدينه ، وآمن به : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون:٨].

هو العزيز الذي عزَّ فعلا ، وقدِر فقهر ، وملك فرحِم ، وأعطى ومنع : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر:٢٣].

وهو سبحانه الجبار الذي قهر كل جبار بقوته، الجبار الذي يجبر الكسير، والمبتلى والمريض، و يجبر جبراً خاصاً قلوب المنكسرين لجلاله، الخاضعين لعزته، الراجين لفضله ونواله .

فسبحان ذي الجبروت، والملكوت ، والكبرياء ، والعظمة .

هو سبحانه الملك العزيز الجبار المتكبر ، الذي له الكبرياء في السموات والأرض ، المتكبر عن كل نقص وعيب، وسوء وظلم ، وعن كل مالا يليق بجلاله : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

• هو الكبير ، المتكبر عن كل مالا يليق بجلاله : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر:٢٣].

هو المتكبر الذي تكبر، لعظمته وكبريائه ، وجلاله وجماله ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعظمة أسمائه وصفاته ، عن كل ما سواه : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر:٦٧].

وهو سبحانه الخالق الخلاَّق، الذي خلق كل شيء وأبدعه على غير مثال سابق، خلق العرش والكرسي ، وخلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق النجوم والكواكب، وخلق الليل والنهار ، وخلق الظلمات والنور ، وخلق كل كبير وصغير ، وخلق الذرات والمجرات : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

فكل ما في الكون ملكه ، وكل ما في الوجود خلقه، وكل ذرة في الوجود تعبده: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر:٢٤].

هو سبحانه الخلاق العليم الذي يخلق في كل لحظة مليارات المخلوقات التي لا حدود لها : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر:٨٦].

هو البارئ الذي برء كل مخلوق فأوجده من العدم ، وأخرجه من عالم الغيب إلى عالم الشهادة .

هو سبحانه الخالق البارئ لكل نسمة ، وذرة، ومجرة .

هو سبحانه المصور الذي أبدع تصوير كل صورة، وصورها على ما أراد ، من

جماد ونبات ، ومن حيوان وطير ، ومن الإنس والجن، ومن الروح والملائكة .
يصور كيف يشاء، في أي وقت شاء ، بأي حجم شاء : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر:٢٤].

وهو سبحانه العفو الذي يعفو عن المذنبين، ويعفو عن السيئات، ويعفو عن الزلات : ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ [النساء:١٤٩].

وهو سبحانه الغفور الذي يستر الزلات، ويمحو السيئات، ويغفر الذنوب جميعا : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠].

وهو سبحانه التواب الذي يتوب على عباده قبل أن يتوبوا، ويتوب على من تاب إليه : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة:٣٧].

وهو سبحانه الودود الذي يتودَّد إلى خلقه بصنوف نعمه ، وإحسانه ، وآلائه الخفية والجلية ، الودود الذي يحب أولياءه ويحبونه ، ويودّ أولياءه ويودونه ، لما يرون من عظمته وجلاله ، وعظيم نعمه وآلائه : ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ [البروج:١٣-١٦].

وهو سبحانه الوارث الباقي بعد فناء خلقه، الوارث لجميع أملاكهم بعد موتهم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [مريم: ٤٠].

وهو سبحانه الوارث الذي يرث كل وارث وما ورث : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [القصص:٥٨].

ومعرفة هذا الاسم الكريم يثمر للعبد الاجتهاد في الأعمال الصالحة، المؤدية

إلى الجنة ، التي يُورثُها الله لأوليائه يوم القيامة : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف:٧٢].

ويثمر كذلك أن الباطل مهما انتفش فهو إلى زهوق وسقوط ، وسيورِث الله أولياءه الأرض في الدنيا ، والجنة في الآخرة : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

وهو سبحانه الكريم، الذي أنعم بكل نعمة دنيوية، ودينية، وأخروية : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة:٣].

فكل نعمة منه وحده لا شريك له : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

هو الكريم الذي قدِر فعفا، وعاهد فوفَّى ، وسُئل فأعطى ، ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل:٤٠].

هو الكريم الأكرم الذي يعطي ولا تنقص خزائنه أبدا ، هو الكريم الذي يعطي قبل أن يُسأل ، وإذا سُئل أعطى ، وأغنى، وأجزل : ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان:٢٦].

هو الكريم الأكرم الذي يُعطي على العمل القليل الأجر الكثير : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧].

ويُعطي الكريم سبحانه الصابرين أجورهم بغير حساب : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر:١٠].

ولعظيم كرمه يعطي الأجر العظيم بلا عمل من العبد : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠].

وهو سبحانه الحي بجميع صفات الكمال، ونعوت الجلال، من السمع ، والبصر، والعلم ، والقدرة ، والغنى ، والكرم ، والجلال ، والجمال : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

هو الحي الذي لا يموت، الْقَيُّوم الذي لا ينام : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران:٢].

ومن عرف ربه باسمه الحي عظَّمه ، وكبَّره ، وخافه، وخشيه ، وأحبه ، وحمده ، وشكره ، وتوكل عليه ، واستعان به : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان:٥٨].

وهو سبحانه العظيم الذي لا أعظم منه ، العظيم الذي خلق كل عظيم ، العظيم في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، العظيم في ملكه وسلطانه العظيم في عطائه وإحسانه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

هو العظيم الذي يستحق التعظيم وحده لا شريك له ، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

هو العظيم في إكرامه ، العظيم الذي لا يعطي إلا العظيم ، العظيم الذي يعطي على قدر شأنه : ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة:٧٤].

ومن عرف ربه بإسمه العظيم خضع له ، وتذلل لعظمته ، وتصاغر لكبريائه ، وعظم شعائره ، واستجاب له في كل ما أمر به ، وأذعن لكبريائه ، وعظَّم حدوده، وحرماته : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج:٣٢].

وهو سبحانه العلي الأعلى المتعال، فهو العلي بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وهو الأعلى على كل مخلوقاته ، له علو الذات، وعلو القدر ، وعلو القهر : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥٥].

وهو المتعالي عن صفات النقص ، والعيب والظلم ، وغيرها من صفات الخلق : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾[الرعد:٩].

ومن عرف ربه باسمه العلي خضع له ، وأخبت له ، وحذِر من معصيته ، وحذِر من العلو في الأرض بغير حق ونزّه الله عما لا يليق به : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الإسراء:٤٣].

وهو سبحانه الحكيم في خلقه ،وأمره ، وشرعه، وهو الحكيم الذي حكم الكون كله ، وأحكم كل خلق وأمر ، الحكم الذي أتقن كل شيء ، وأحسن صنع كل شيء : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام:١٨].

ولكمال علمه وقدرته ، وجميل حكمه وأحكامه ، تسبح بحمده جميع مخلوقاته : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة:١].

هو الحكيم الحكم الذي جميع مخلوقاته دالة على كمال قدرته ، وكمال

حكمته : ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤].

فسبحان الذي جميع مخلوقاته تشهد بوحدانيته، وعظيم حكمته: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[آل عمران: ١٨].

وهو سبحانه السميع الذي يسمع كل ناطق وصامت ، ويسمع حركة الذرات والمجرات ، ويسمع جميع أصوات الذاكرين والشاكرين، والسائلين والمشتكين والمسبحين والمستغفرين : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وهو السميع الذي يسمع صوتك إن تكلمت ، ويبصرك إن تحركت ، ويعلم بما في قلبك إن أضمرت : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

وهو سبحانه البصير الذي يبصر كل ذرة في ملكه ، البصير بكل شيء ظاهر أو باطن ،البصير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان: ٢٨].

هو البصير الذي يبصر كل مخلوقاته في آن واحد ، ويسمع جميع مخلوقاته في آن واحد : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

ومن عرف ربه باسمه السميع والبصير ، حفظ أوقاته بالعمل بكل ما يحبه الله ويرضاه ، وأسمع ربه حمده، وتمجيده، وتكبيره، وتعظيمه، وأكثر من ذكره واستغفاره ، وحرك جوارحه بأنواع الطاعات والقربات كالأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فأسمع ربك العظيم ما يحب، وافعل ما يحب ، يعطيك ما تحب : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال:٢-٤].

وهو سبحانه الرزاق الذي كل رزق في العالم من فضله ، وكل نعمة من نعمه : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾ [الذاريات:٥٨].

هو الرزاق الذي يرزق كل أحد من المؤمنين والكافرين ، ومن المطيعين والعاصين ، ومن الأبرار والفجار ، ومن الناس والحيوان : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦)﴾ [هود:٦].

ومن عرف ربه الرزاق توكل عليه وحده، ووقف ببابه وحده ، وطلب رزقه منه وحده : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾ [فاطر:١٣-١٤].

وهو سبحانه الوكيل الذي بيده مقاليد جميع الأمور، الوكيل على جميع الذرات والمجرات، وكافة المخلوقات : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام:١٠٢].

وهو سبحانه الكفيل الذي تكفل بجميع أرزاق الخلائق، وتكفل بإصلاحهم، وصد العدوان عليهم، الكافي عباده كل ما يحتاجونه : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦)﴾ [الزمر:٣٦].

وهو سبحانه الهادي إلى كل خير، الهادي عباده لما يسعدهم في الدنيا والأخرة:

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان:٣١].

وهو سبحانه الغني الذي له ملك السموات والأرض، وما فيهن، وما فوقهن، وما بينهن، وما تحتهن وكل ما سواه فقير إليه : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [لقمان:٢٦].

وغناه سبحانه ليس له حد ، وعطاؤه ليس له حد ، هو الغني الذي يعطي من خزائنه ما لا يحيط به إلا هو، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص:٥٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر:١٥].

وقال عز وجل في الحديث القدسي : «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» أخرجه مسلم [1].

ومن عرف ربه الغني سأله وحده ، ولم يسأل أحداً سواه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

وهو سبحانه الوهاب الذي كل ما في الكون هبة منه لخلقه ،الوهاب لأقوات الأبدان، وأقوات القلوب : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨].

وهو سبحانه الشهيد لكل ذرة في ملكه ، الشهيد الذي لا يخفى عليه شيء، الشهيد العليم بكل ناطق وصامت ، وبكل متحرك وساكن ، وبكل ظاهر وباطن ، الشهيد لكل من يطيعه ويعصيه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج:١٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

هو الشهيد على وحدانيته وربوبيته والأوهيته : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران:١٨].

هو الشهيد على كل ذرة ومجرة : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس:٦١].

وهو سبحانه الواسع الذي وسعت رحمته كل شيء ، واسع الملك والسلطان ، واسع العطاء والإحسان ، واسع العلم والرحمة : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ٧﴾ [غافر:٧].

وهو سبحانه المجيد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي تمجد بصفات الجلال والجمال، المجيد الذي يمجده خلقه لعظمته وجلاله وجماله : ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج:١٤-١٦].

وهو سبحانه العليم الخبير ببواطن الأشياء وخوافيها ، الخبير الذي أحاط ببواطن الأشياء كما أحاط بظواهرها : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد:٣].

هو الخبير بالإرادات والنيات ، كما هو خبير بالأقوال والأعمال، والحركات والسكنات : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك:١٣-١٤].

ومن عرف ربه الخبير استحى منه في سره وعلانيته ، وخاف منه عند معصيته.

فسبحان السميع البصير، العليم الخبير بكل ذرة في ملكه العظيم وهو مستوٍ على عرشه العظيم : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام:١٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وهو سبحانه القوي الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، ويمسك السموات والأرض أن تزولا ، القوي الذي خلق القوة في كل قوي، من جماد ونبات، وحيوان، وملك، وجان، وإنسان : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾ [هود:٦٦].

وقال الله عز وجل:﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحج:٤٠].

وهو سبحانه القوي المتين الذي تناهى في قوته وقدرته .

هو القوي المتين الذي تكفل برزق جميع المخلوقات، و أوصل إليهم أرزاقهم في البر والبحر والجو : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات:٥٨].

وهو سبحانه القاهر القهار، الذي قهر كل شيء على ما أراد ، هو القاهر القهار الذي خضعت لعظمته الرقاب، وذلت لعزته الجبابرة، وعنت له الوجوه : ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾ [الزمر:٤].

وقال الله عز وجل : ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١﴾ [طه:١١١].

هو القاهر العالي على جميع مخلوقاته : ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام:١٨].

وهو سبحانه القادر القدير المقتدر، الذي خلق جميع المخلوقات، وأحكمها ودبرها بقدرته : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك:١].

هو القادر الذي يخلق ويرزق، ويحيّ ويميت، ويقلب الأحوال والقلوب

بقدرته: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ [النور: ٤٤].

هو القادر القدير الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولافي السماء، ولا يخفى عليه شيء ، ولا يفوته شيء، ولا يمتنع عليه شيء: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠].

هو القادر المقتدر الذي رفع السماء بلا عمد ، وأمسك السماء ان تقع على الأرض إلا بإذنه، وأرسى الجبال ، وأسال البحار ، وأجرى الأنهار، وخلق الليل والنهار ، وخلق الشمس والقمر ، وخلق السحب و الرياح : ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾ [الكهف: ٤٥].

ومن عرف ربه القادر استعان به، وتوكل عليه وحده، ولم يلتفت لأحد سواه : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وهو سبحانه الحفيظ الحافظ ،الذي يحفظ السموات والأرض حتى لا تزولا ، ويحفظ السماء أن تقع على الأرض : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر: ٤١].

وهو سبحانه الحفيظ الذي يحفظ جميع أعمال العباد، ويجازيهم عليها يوم القيامة في كتاب : ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا ٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

وهو سبحانه الحافظ لكتابه العظيم من أي زيادة أو نقص أو تحريف أو تبديل: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩].

وهو الحفيظ الذي يحفظ أولياءه من المعاطب، و المهالك، والفتن، وكل ما يضرهم : ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٢١﴾ [سبأ: ٢١].

وهو سبحانه الرفيق الذي يرفق بكل مخلوق، الرفيق الذي لا أرفق منه .

وهو سبحانه الطيب الذي طيب كل طيب من الأقوال والأعمال والأخلاق، الطيب الذي جميع أسمائه وصفاته وأفعاله كلها طيب: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

وهو سبحانه الجميل الذي أسماؤه وصفاته وأفعاله كلها في منتهى الحسن والجمال، الجميل الذي خلق كل جميل، الجميل الذي كل جمال في العالم فمن آثار جماله: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

وهو سبحانه الحيي الذي يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين، الحيي الذي لا يفعل إلا ما يليق بجلاله.

وهو سبحانه الستير الذي يستر ذنوب العصاة، ويمهلهم حتى يتوبوا، الستير الذي لا يفضح العاصي، ولا يكشف ذنوبه للناس.

وهو سبحانه المقدم الذي يقدم من شاء برحمته، ويؤخر من شاء بعدله، ويقدم أولياءه بالإيمان والأعمال الصالحة، ويؤخر أعداءه الذين كفروا به، وصدوا عن سبيله، الى النار.

وهو سبحانه السبوح الذي تسبح بحمده كل ذرة ومجرة في ملكه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء:٤٤].

اللهم احفظ قُلُوبنَا وَ أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَ أَوقَاتنا عن كل ما لا يرضيك.

اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين.

اللَّهُمَّ أَعْطِنَا وَلَا تحرِمْنَا، وَزِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، يَا ذا الجَلَالِ والإكْرامِ.

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة التاسعة عشرة

## أسماء الله الحسنى

## بين معرفتها وتعريف الناس بها والتعبد لله بموجبها

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : حكم العلم بأسماء الله الحسنى .

الثاني : فقه أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة .

# البصيرة التاسعة عشرة

# أسماء الله الحسنى

## ١- حكم العلم بأسماء الله الحسنى

الله عز وجل هو رب العالمين، وأول ما يجب على الإنسان معرفة ربه العظيم الذي خلقه ورزقه، وهداه وكرمه على ما سواه، ليؤدي حق ربه الواجب له وهو عبادته وحده لا شريك له: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

فالله سبحانه أكرم الإنسان بأنواع الكرامات، وفضله على غيره من المخلوقات بأحسن الصفات، وأحسن الهبات: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء:٧٠].

لهذا يجب على الإنسان أن يعرف ربه حقا؛ ليعبده حقا، ويكبره حقا، ويحبه حقا، ويحمده حقا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

لهذا فأول واجب على العبد، هو معرفة الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

**ومعرفة الله تكون بالعيان، أو بالمثال، أو بالآثار:**

فأما العيان، فلن تكون رؤية الله في الدنيا أبدا، ولو رأى الخلق ربهم لما عصوه أبداً، فبطل التكليف: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ

﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

أما في الآخرة، فإن المؤمنين يرون ربهم كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وقال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته» أخرجه البخاريه [1].

والكفار يحجبون عن رؤية الله في الدنيا والآخرة كما قال الله عنهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾ [المطففين:١٥-١٧].

أما معرفة الله جل جلاله بالمثال، فإن الخلق يدل على خالق، والصور تدل على مصور، والأرزاق تدل على رازق، والرحمة تدل على راحم، والقهر يدل على قاهر. والإحياء والإماتة يدل على حي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ [آل عمران:٢].

ومن عرف نفسه عرف ربه، من عرف نفسه بالضعف والفقر، والجهل والعجز، عرف ربه العظيم بالقوة والغنى، والعلم والقدرة، والجلال والكبرياء: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات:٢٠-٢١].

وأما الآثار، فكل ذرة أو مجرة تشير إلى ربها الذي خلقها وصورها وأبقاها، وتدل على علم وقدرة من ابدعها واوجدها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

فأفعال الله عز وجل تدل على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٦).

بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح:١٥-٢٠].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

وقال عز وجل : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ:٦-١٦].

وقال الله عز وجل : ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان:١١].

وهذا الملك العظيم الكبير الواسع، يدل على مالكه جل جلاله : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وقال الله عز وجل : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

فالله عز وجل هو الملك الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى، لا بداية له ولا نهاية، وكل مخلوق له بداية ونهاية، والله وحده: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣].

والله عز وجل ليس عنده ماضي ، وليس محاطا بالحال ، وليس منتظراً للمستقبل ، لا يحيط به مكان، ولا يجري عليه زمان، بل ذلك كله من شأن المخلوق، والله وحده علم ما كان وما يكون وما سيكون : ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة:٦-٧].

## ٢- فقه أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

الله جل جلاله هو الرب الحق، الإله الحق الملك الحق، الكبير الحق، الذي وضع اسمه الأعظم على السماء فاستقلت ، وعلى الأرض فاستقرت، وعلى المياه فسالت، وعلى الجبال فرست، وعلى الشمس فأضاءت، وعلى القمر فأنار، وعلى العيون فانفجرت، وعلى الأنهار فجرت، وعلى الحب فنبت، وعلى الأشجار فأثمرت، وعلى الرياح فهبت، وعلى السحب فأمطرت، وعلى الأرض فأنبتت : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس:٣].

هو الملك القوي القادر القاهر، الذي وضع اسمه الأعظم على الكون فتكون، وعلى الخلائق فظهرت، وعلى اللسان فتكلم ، وعلى العين فأبصرت، وعلى الأذن فسمعت، وعلى النفس فاشتهت وعلى الأرجل فمشت ،وعلى الأيدي فتحركت وعلى القلوب فاطمأنت، وعلى العقول فعقلت، وعلى البصائر فأدركت : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

هو القوي الذي وضع اسمه على كل قليل فكثره، وعلى كل صغير فكبره، وعلى كل مريض فشفاه، وعلى كل خائف فأمنه : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

هو الملك العزيز الجبار الذي وضع اسمه الأعظم على كل شيء فسبحه ، وعلى كل حي فحركه، وعلى كل صامت فأنطقه، وعلى كل كوكب فنوره : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن

﴿شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤].

هو سبحانه الولي المولى ، الذي تولى جميع أمور خلقه عامة ، وتولى أمور أوليائه خاصة ، بالنصر والتأييد، والتوفيق والحفظ : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة:٢٥٧].

هو سبحانه المولى ، الناصر ، النصير، الحافظ لأوليائه : ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾ [الأنفال:٣٩-٤٠].

فليبشر أولياء الله بكل خير : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥﴾ [يونس:٦٤-٦٥].

وهو سبحانه الكافي لكل أحد، ولا يكفي منه أحد، الكافي الذي يكفي عباده من كل شيء ، فيرزقهم ، ويعافيهم ، ويحفظهم ، ويجيب دعاءهم : ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٦﴾ [الزمر:٣٦].

وهو سبحانه الكفيل ، الذي تكفل بجميع أرزاق الخلائق في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، و في الدنيا والآخرة : ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود:٦].

هو الكفيل ، الذي كفل جميع خلقه من جميع الوجوه ، خلقاً ، وحفظاً ، وتدبيراً، ورزقاً ، وقوتاً، وهداية ، وتعليماً ، وغير ذلك من ألطافه ، وبره، وإحسانه بعباده : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾ [النساء:١٣٢].

ومن عرف الكفيل القادر استغنى به عن الكفيل العاجز : ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

وهو سبحانه الوكيل ، الذي تكفل بأرزاق خلقه، وحاجاتهم، ومحياهم، ومماتهم ، وحركاتهم ، وسكناتهم : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

هو الوكيل الحق ، القائم على خلقه بالتدبير، والتصريف، و الأرزاق، والأقوات، والوقاية من الشرور والآفات : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾ [النساء:١٣٢].

وكل ما نراه من أنواع التدبير ، والتصريف، في ملكه العظيم ، هو من آثار اسمه الوكيل جل جلاله : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

ومن عرف الوكيل سبحانه فوض أموره إليه ، وأستعان به على جميع أمور دينه ودنياه : ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود:٥٦].

وهو سبحانه الصمد ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

هو الصمد ، الذي له الملك ، والعزة ، والقدرة ،الصمد الذي تصمد إليه جميع الخلائق في جميع أمورها ، في كل زمان ، ومكان ، وتنزل حوائجها به ٠

هو الصمد الذي صمدت إليه القلوب ، محبةً، ورغبةً، ورهبةً، فهي في كل مكان ، وزمان ، وحال ، تسأله حوائجها : ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩)﴾ [الرحمن:٢٩].

هو الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق فقضاها ، وصمدت إليه جميع الخلائق في حوائجها فقضاها : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ [الإخلاص:١-٤].

ومن عرف ربه الصمد صمد إليه، ولم يلتفت لأحد سواه ؛ لأن ربه الواحد الأحد، الصمد ، الخالق لكل أحد ، المالك لكل أحد ، الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف:١١٠].

وهو سبحانه الهادي ، الذي هدى جميع مخلوقاته ، فعرفوه بربوبيته ، وألوهيته، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧)﴾ [الحجرات:١٧].

وقال الله عز وجل : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١)﴾ [الفرقان:٣١].

هو الهادي الذي هدى كل مخلوق إلى مصالحه ، وألهمه معرفة ما ينفعه، وما يضره: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣)﴾ [الأعلى:١-٣].

فسبحان من أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى : ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)﴾ [طه:٤٩-٥٠].

هو الهادي الذي أقام منارات الهداية في طريق السائرين إليه ، وإلى الدار الآخرة : ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١].

هو الهادي لكل مهتد من مخلوقاته ، في العالم العلوي ، والعالم السفلي : ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١].

وقَالَ النبي ﷺ: «مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ» أخرجه مسلم [1].

ومن عرف الهادي استهداه ، ومن عرف الكريم سأله من غناه ، ومن عرف الغفار أستغفره : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٦].

وهو سبحانه الحكيم ، الحكم ، الحاكم، الذي يقضي بين عباده بالقسط، والعدل، ويحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، هو الحكم الذي يحكم بالعدل والإحسان ، ولا يظلم مثقال ذرة ، ولا يجازي أحداً بأكثر من ذنبه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

هو الحكم الذي أحكم الأمور كلها، فلا أحد أحسن من حكمه، وأحكامه : ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤].

ومن عرف الحكم أحتكم إليه في جميع أموره ، ولم يحتكم لأحد سواه : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٦٧).

وهو سبحانه البر ، اللطيف ، الرحيم بعباده ، البر المحسن إليهم ، البر الذي يصلح أحوالهم ، وكل ما نراه في الكون من نعمه ، ومن آثار بره وإحسانه إلى خلقه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣].

وبره بأوليائه أعظم أنواع البر ، حيث هداهم إلى الصراط المستقيم، وحبب إليهم الطاعات، وأعانهم عليها، وضاعف عليها الأجور، ثم أوصلهم إلى دار كرامته دار السلام كما قال سبحانه عن المؤمنين في الجنة : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور:٢٨].

وهو سبحانه الحليم الذي وسع حلمه جميع خلقه، ولولا حلمه وعفوه ما ترك على ظهر الأرض من دابه : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر:٤٥].

ومن عرف ربه بالحلم استحى منه، وبادر إلى طاعته، والتوبة من معاصيه ، وشكر ربه الذي أمهله، وستره، ولم يفضحه بين خلقه : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحجرات:٧].

وقال الله عز وجل : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٣٥].

هو الحليم الذي يدر على خلقه صنوف النعم الظاهرة والباطنة، مع كثرة معاصيهم، وتكرار زلاتهم وذنوبهم ،لأنه الحليم الرحيم بعباده، الذي يمهلهم إذا عصوا لعلهم يتوبون إليه : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٤].

فسبحانه ما أعظم حلمه، مع كثرة من يعصيه بأنواع المعاصي، آناء الليل، وآناء النهار : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣].

وهو سبحانه التواب، الذي يتوب على كل من عصاه إذا تاب إليه : ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة:٣٩].

هو سبحانه التواب الذي يسر لعباده أسباب التوبة مرة بعد أخرى، بما يظهر لهم من آياته وآلائه، ليعودوا إليه ، ويتوب عليهم ليتوبوا إليه : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة:١١٨].

هو التواب على المسرفين من الطغاة والعصاة، فيتوب عليهم مع عظمة معاصيهم و تكرار ذنوبهم : ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

وهو التواب الذي يفرح بتوبة عبده الذي عصاه أكثر من فرحة التائب من معصيته، ويحب كل من تاب إليه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢].

ومن عرف ربه التواب الرحيم، سارع إلى التوبة من الذنوب الصغيرة والكبيرة : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١].

وهو سبحانه الغفور الغفار، هو الذي يغفر الذنوب جميعا مهما كثرت، ومهما عظمت، ومهما تكررت : ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠].

فسبحان الغفور الذي يغفر ذنوب المسرفين، و يتجاوز عن المسيئين .

وهو سبحانه هو العفو الذي يعفو عن السيئات ، و يغفر الزلات، ويقيل العثرات ويقبل التوبات : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى:٢٥].

هو العفو الذي يعفو عن كل من طلب العفو، العفو الذي يعفو عن جميع الذنوب، كبيرها وصغيرها، كثيرها وقليلها: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى:٣٠].

و من عفا عن غيره عفا الله عنه، و من أعطى غيره أعطاه الله خيرا منه: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾ [النساء:١٤٩].

ومن عرف ربه بالعفو والمغفرة استحى من معصيته، وبادر إلى طاعته، وسأل ربه العفو والمغفرة عن كل ما زل به، وعفا عن كل من أساء إليه: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور:٢٢].

وهو سبحانه الشاكر الشكور، الذي يشكر القليل من العمل بالكثير من الأجر، ويعفو عن الزلل، ولا يضيع أجر من أحسن عملا، بل يضاعفه أضعافا مضاعفة، وأضعافا كثيرة: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [التغابن:١٧].

هو الشاكر الشكور عظيم الكرم، جزيل العطاء، كثير المكافأة، الشكور الذي يشكر اليسير من الطاعة، ويثيب عليها الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعم باليسير من الشكر: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم:٧].

والله غني عن العباد، وأعمالهم، وعن كل ما سواه، فمن آمن به وشكره، فقد قام بواجب عبوديته، فنال ثوابه، وسلم من عقابه: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧﴾ [النساء:١٤٧].

ومن عرف عظيم نعم ربه، وإحسانه إلى عباده، بادر إلى حمده وشكره: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

وهو سبحانه القريب من خلقه، فلا يخفى عليه شيء من أمورهم، القريب من عابديه وسائليه وداعيه : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾ [البقرة:١٨٦].

هو القريب الذي يرى ويعلم بأحوال جميع الخلق في آن واحد : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧)﴾ [المجادلة:٧].

والله قريب من كل أحد، وقريب من عابديه قربا خاصا، و قُرب الله من أوليائه يقتضي محبتهم، ونصرتهم، وحسن ثوابهم .

ومَن تقرب إلي الله شبرًا تقرب إليه ذراعا ، ومَن تقرب إلي الله ذراعا تقرب الله إليه باعا، ومَن أتاه يمشي أتاه الله هرولة؛ فتقرب إلى الله بالإيمان والتوحيد، والعمل الصالح، وأنواع الإحسان؛ تنال رحمة الله : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾ [الأعراف:٥٦].

هو سبحانه المجيب الذي يجيب من دعاه، ويقضي حاجة من سأله و يعطيه فوق ما طلب، ويغيث من استغاثه، وهو المجيب الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، وهو المجيب لكل سائل على اختلاف اللغات، وكثرة السؤلات ، وتباين الحاجات : ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١)﴾ [هود:٦١].

وقال الله عز وجل : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾ [النمل:٦٢].

هو المجيب الذي يقابل دعاء الداعين بالإجابة، ويقابل سؤال السائلين بالإسعاف، ويقابل ضرورة المضطرين بالإغاثة : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

ومَن علم أن ربه مجيب يسمع دعاءه ، فليظهر له اضطراره ، ليجيب دعاءه.

هو سبحانه المحيط بكل محيط ، المحيط الذي أحاط بكل شيء علماً، وقدرةً، ورحمةً ، وقهراً، ومُلكاً ، وحفظاً : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وهو المحيط الذي أحاط بصره بجميع المبصرات، وأحاط سمعه بجميع المسموعات، وأحاط علمه بجميع الكائنات ، ونفذت قدرته في جميع المخلوقات : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء:١٢٦].

ومَن عرف المحيط بكل ذرةٍ ومجرة استحي منه ، وخاف منه ، ولم يعبأ بأحد سواه : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

هو سبحانه الحسيب ، الكافي عباده همومهم ، وغمومهم ، وأرزاقهم .

الحسيب الذي يحفظ أعمال العباد، ويحاسبهم عليها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء:٨٦].

وهو الحاسب العدل، الذي لا يظلم مثقال ذرة، أحصى جميع أفعال العباد، وسوف يحاسبهم عليها : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

هو الحسيب، ذو العزة، والجلال، والمجد، والجبروت، والكبرياء، والشرف، والسؤدد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

وهو سبحانه المهيمن على كل شيء، القاهر لكل شيء، العليم بما تكنّه الصدور، العلي على جميع خلقه، المهيمن الذي أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر:٢٣].

هو المهيمن الذي هيمن على جميع خلقه في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي عالم الغيب والشهادة، وفي الدنيا والاخرة، وأحاط بظواهر الخلق وبواطنهم، وقهر كل مخلوق على ما أراد: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر:٤].

هو سبحانه الرقيب الذي لا يخفى عليه مثقال ذرة من ملكه العظيم، الرقيب الذي يراقب كل خلقه في جميع أحوالهم، الرقيب المطلع على كل شيء، الحافظ لكل شيء، العليم بكل شيء، الشهيد لكل شيء، البصير بكل شيء، السميع لكل شيء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

فسبحان الرقيب الحق، الذي يشاهد ويراقب جميع ذرات العالم العلوي، والعالم السفلي، في آن واحد: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر:٢٢].

وكل ذرةٍ ومجره، وكل صغيرٍ وكبير، وكل سر وعلانية، كل ذلك مكشوفٌ أمام الرقيب الذي لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس:٦١].

ومن عرف ربه الرقيب، استحى منه، وبادر إلى التوبة من معصيته.

وهو سبحانه الحق الذي تفرد بالجلال، والجمال، والكمال، والبقاء، والملك الدائم: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص:١-٤].

هو الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون:١١٦].

هو الحق المعبود بحق، الذي أنزل الكتاب بالحق، وأرسل الرسل بالحق، وحكم خلقه بالحق، وحكم بينهم بالحق: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [يونس:٣٢].

هو سبحانه الحق الذي أظهر بأسمائه، وصفاته، وافعاله، أنه الملك الحق، والرب الحق، والإله الحق: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾ [الحج:٦٢].

والحق من أعظم أسماء الله الحسنى ، وإليه منتهى جميع العلوم والأحكام قاطبة : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤].

هو سبحانه الملك الحق المبين الذي ظهر وبان لكل مخلوق، المبين نفسه ، بما أظهر من دلائل وجوده ، ووحدانيته ، وقدرته.

المبين للأبصار والبصائر شواهد وحدانيته كما قال سبحانه : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

وقال الله عز وجل : ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية:١٧-٢٠].

وهو سبحانه المبين الذي هو أبين من كل بيّن، المبين الذي بيَّن لخلقه سبل الرشاد، وكشف لهم الصراط المستقيم ليسلكوه ، وكشف لهم الأعمال الصالحة التي ينالون بها ثوابه ، وبين لهم الأعمال السيئة التي يستحقون بها عقابه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

ومن عرف ربه المبين استحى منه ، وخافه ورجاه ، وسارع إلى طاعته ، وحذر من معصيته ، لأنه في الدنيا مطلع عليه ، وفي الآخرة قادم عليه : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٦-٨].

وقال الله عز وجل : ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور:٢٥].

فسبحان المبين الذي بيَّن ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله، وبين دينه وشرعه، وبين ثوابه وعقابه ، لكل أحد ؛ ليعبده وحده، ولا يلتفت لأحد سواه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

وهو سبحانه المقيت، القائم على المخلوقات كلها بالتدبير، والتصريف .

المقيت الذي خلق الأقوات كلها ، وأوصلها إلى كل مخلوق في كل زمان ومكان : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود:٦].

هو المقيت الذي يملك خزائن الأقوات كلها وحده لا شريك له .

هو المقيت الذي يقيت الاجساد بالطعام والشراب، ويقيت العقول بالعلوم والمعارف، ويقيت القلوب بالإيمان والتقوى، ويقيت الأبدان بحسن العبادة : ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء:٨٥].

وهو المقيت الذي خلق الأقوات كلها، أقوات في السماء، وأقوات في الأرض، وأقوات للنبات والحيوان، وأقوات للإنس والجن، وأقوات للملائكة، وأقوات في البر والبحر والجو، وأقوات في الدنيا، وأقوات في الآخرة : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

ومن عرف المقيت استحى من معصيته، وسارع إلى حمده وشكره وطاعته •

وهو سبحانه الصادق الحق في كل ما أخبر به، الصادق في كل ما أمر به أو نهى عنه، الصادق في قوله الحق، الصادق في دينه الحق، الصادق في وعده الحق، الصادق في عدله وإحسانه : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النساء:١٢٢].

هو الصادق في قوله ، ودينه ، ووعده ، ووعيده : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء:٨٧].

فكن صادقا مع ربك بإخلاص العمل له ، وتصديق أخباره ، والعمل بأحكامه، تنال جنته ورضوانه : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات:١٥].

وهو سبحانه النور ، الذي ذاته ، وأسماؤه ، وصفاته كلها نور، هو النور الذي أنار كل شيء ظاهراً وباطنا .

هو نور السماوات والأرض، هو النور الذي لو كشف نوره لأحرقت سبحات وجهه ما أنتهى اليه بصره من خلقه ، لعظمة نوره الذي لا منتهى له .

هو سبحانه النور الظاهر بنفسه ، المظهر لغيره من آياته ومخلوقاته : ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور:٣٥].

هو النور الذي نوَّر الأبصار بالنور ، ونوَّر البصائر بالعلوم : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ [النور:٤٤].

هو النور الذي نوَّر قلوب أنبيائه ، وأوليائه ، وملائكته ، بمعرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأنوار توحيده ، والإيمان به ، وأنوار تعظيمه ومحبته ، حتى امتلأت قلوبهم بأنوار التوحيد والإيمان : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام:١٢٢].

فسبحان النور الذي خلق الظلمات والنور : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام:١].

هو النور الذي خلق كل نور، وكُتُبه كلها نور، وأحكامه كلها نور، وشرعه كله نور : ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وهو سبحانه الرب المستعان ، الذي جميع ما في السموات والأرض محتاجون إلى عونه ، فلا قيام ولا حياة لأحد إلا به، هو المستعان الذي يعين كل أحد ، ولا يطلب العون من أحد : ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ٦٨﴾ [يونس:٦٨].

هو المستعان القادر على كل شيء، المستعان به في كل شيء، المستعان الذي يعين كل أحد، المستعان الذي لا يحتاج إلى أحد : ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ [الأنبياء:١١٢].

هو المستعان وحده لا شريك له في كل شيء ، وكل أحد سواه ليس بيده شيء ، بل هو محتاج إلى عون ربه المستعان في كل شيء : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود:١٢٣].

ومن عرف ربه المستعان استعان به في كل أمر ، ولجأ إليه في كل نازلة ، وتوكل عليه وحده لا شريك له : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة:٢-٥].

وهو سبحانه المعطي ، الذي يعطي خلقه أرزاقهم ، وأقواتهم، في كل آن .

هو المعطي ، الذي أعطى كل شيء خلقه، ثم هداه إلى ما يسير عليه، ويصلح به حاله : ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٥٠].

هو المعطي ، الذي خلق الشمس وأعطاها قوة الإضاءة والحرارة، وخلق الأرض وأعطاها قوة الإنبات، وخلق البحار وأعطاها قوة الحفظ والتحمل، والسيلان والإغراق، وخلق العين وأعطاها قوة الإبصار، وخلق الأذن وأعطاها قوة السمع، وخلق اللسان وأعطاه قوة الكلام : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

هو المعطي ، الذي أعطاك الروح فحييت، وأعطاك الهداية فاهتديت، وأعطاك العين فأبصرت، وأعطاك اللسان فتكلمت، وأعطاك الرجل فمشيت، وأعطاك العقل فعقلت، هو وحده المعطي الذي أعطى كل نعمة وخير ، وإحسان ، وبر : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

وقال عز وجل : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤].

ومن عرف ربه المعطي سأله وحده جميع حوائجه، وطمع في ثوابه، وخاف من عقابه، وحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأعطى خلقه مما أعطاه الله له: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وهو سبحانه المحسن إلى عباده بأنواع الإحسان ، خلقهم في أحسن تقويم، ورزقهم من الطيبات، وهداهم إليه، وأعانهم على طاعته وعبادته، وأجزل لهم الأجر والمثوبة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠﴾ [يونس:٦٠].

هو المحسن ، الذي له كمال الحسن في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله .

هو المحسن ، الذي أحسن كل شيء خلقه : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾ [السجدة:٦-٧].

هو المحسن ، الذي خلق كل حسن وأحسن، خلق السموات، وأحسن خلقها، وزينها بالشمس والقمر والنجوم، وخلق الأرض، وزينها بالعيون والأنهار والنبات والأشجار، والأزهار والثمار، وخلق الإنسان في أحسن تقويم وزينة بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ [التين:٤].

وقال الله عز وجل : ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ [فصلت:١٢].

هو المحسن ، الذي أحسن كل شيء ، وأحسن الى كل مخلوق بنعمة القوت ونعمة الهدى .

هو المحسن، الذي أحسن الشرائع والأحكام، وأحسن الجزاء والثواب، وأحسن التدبير والتصريف: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر/ ٦٤].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

ومن عرف ربه المحسن عظّمه، وكبّره، ومجّده، وأحبه، وحمّده، وشكره، لما يرآه من عظيم أفعاله، وجميل إحسانه، وسأله حوائجه، وأحسن إلى عباده: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧].

وقال الله عز وجل: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

وهو سبحانه الوتر الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا أحد مثله، ولا شريك له: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

هو سبحانه الوتر الذي تفرد بالخلق، والملك، والأمر، والتدبير، والتصريف، وتفرد بالأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ

ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٣-٢٤].

فكما أفردك الله بالخلق والرزق ، وأفردك بالسمع والبصر والعقل ، ولم يشرك معك أحدا ، فأفرده بتوحيده وعبادته وحده لا شريك له : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

وكما تفرد سبحانه بالعظمة والكبرياء ، والخلق والرزق ، فأفرده وحده بالحب له، والتعظيم له ، والذل له ، والخوف منه، والرجاء له ، والعبادة والإستعانة به : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

وقال الله عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

وهو سبحانه السبوح الذي تنزَّه عن كل عيب ونقص وسوء ، البريء من كل عيب ونقص وآفة ، المنزَّه عن الشريك والمثيل، والشبيه والكفو : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

وقال عز وجل : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

هو السبوح الذي تسبح بحمده كل المخلوقات : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤].

هو السبوح الموصوف بجميع المحاسن والمحامد، المنزَّه عن جميع العيوب والنقائص ، السبوح الذي يسبح بحمده جميع خلقه : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ١﴾ [الجمعة:١].

وقال الله عز وجل : ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ٥٢﴾ [الحاقة:٥٢].

وقال الله عز وجل : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ١﴾ [الأعلى:١].

هو السبوح الذي له الكبرياء والجبروت ، وله العزَّة والعظمة ، وله الخلق الأمر: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾ [الأعلى:١-٣].

وهو سبحانه السبوح الذي سبح نفسه قبل أن يخلق المسبحين له، كما قال سبحانه : ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢].

وهو سبحانه الطيب الذي أسماؤه أطيب الأسماء ، وصفاته أطيب الصفات ، وأفعاله أطيب الأفعال، الطيب الذي تنزَّه عن النقائص ، والآفات ، والعيوب : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

هو سبحانه الطيب الذي لا يقبل من الأقوال ، والأعمال، والأموال إلا ما كان طيباً خالصاً لوجهه : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف:١١٠].

هو الطيب الذي وعد المؤمنين به بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل:٩٧].

وهو سبحانه الطيب الذي يربي بالمحامد والمحاسن من يشاء من عباده ، ويزكي قلوبهم بالتوحيد والإيمان والتقوي : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء:٨٣].

وقال الله عز وجل : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور:٢١].

فطهر نفسك من الصفات السيئة ، وطيبها بالتوحيد والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

وهو سبحانه الجميل في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته، وأفعاله .

هو الجميل الذي لا أجمل منه، الجميل الذي خلق كل جميل من مخلوقاته، الجميل الذي لا منتهى لجماله، الجميل الذي يملك خزائن الجمال، الجميل الذي وهب الجمال لكل جميل من مخلوقاته، الجميل المحسن إلى عباده بكل جميل : ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة:٦-٧].

هو الجميل الذي وهب الجمال ، والحسن ، والزينة، لكل مخلوق : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

هو الجميل الذي كل جمال في العالم من آثار صنعه، هو الجميل الذي جمَّل ظواهر المخلوقات وبواطنها، الجميل الذي جمَّل باطن الإنسان بالإيمان

والتقوى ، وجمَّل ظاهره بالأعمال الصالحة ، وجمَّل لسانه بأحسن الأقوال والأذكار ، وجمَّل روحه بأحسن الأخلاق والآداب : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة:١٣٨].

فسبحان الجميل الذي يحب الجمال ، وأهل الجمال والزينة .

فتجمل لربك الجميل بالإيمان والتقوى ، وأحسن الأقوال والأعمال ، وأجمل الصفات والأخلاق ، وجمل الناس بذلك يجملك الله ويكرمك بأحسن من ذلك : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس:٢٦].

وهو سبحانه الرفيق الحق في قدره، وقضائه، وأفعاله، الرفيق في أوامره وأحكامه، الرفيق في عطائه ومنعه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة:١٤٣].

هو الرفيق الحليم الذي لا يعاجل العصاة بالعقوبة، ليتوب من سبقت له العناية بالسعادة، ويظهر كمال حلمه فيمن سبقت له الشقاوة : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر:٤١].

هو الرفيق الحليم اللطيف الذي يخرج باللطف والرفق والحكمة المواليد من الأرحام ، ويخرج الثمار من الأشجار ، ويخرج الحب من النبات : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأنعام:٩٥].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ

وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام:٩٩].

وهو الرفيق بعباده ، حيث رفق بهم في أوامره ونواهيه ، فلم يكلفهم ما لا يطيقون، ولم يحملهم ما لا يستطيعون : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقال الله عز وجل : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ [البقرة:١٨٥].

فسبحان الرفيق الذي وهب الرفق لكل رفيق، وخص أولياءه بأحسن الرفق وأجمله ، وأكمله وألطفه.

فما أمر الله بشيء إلا أعان عليه ، ولا نهى عن شيء إلا أغنى عنه، ولا أباح شيئاً الا سهل الوصول إليه : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ [النساء:٢٦].

فاحرص أيها العبد المؤمن أن تكون رفيقا لطيفا في جميع أمورك ، وابتعد عن العجلة والتهور.

قال النبي ﷺ : «فما كانَّ الرِّفْقَ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ ، وَلا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ» أخرجه مسلم [1] .

فالرفق واللطف والرحمة من أعظم صفات المؤمنين : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤).

وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١].

وهو سبحانه الشافي لجميع الأسقام والأمراض الظاهرة والباطنة، الشافي الذي يملك وحده خزائن الشفاء: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ [الحجر:٢١].

هو الشافي الذي يشفي الأبدان من جميع الأسقام والأمراض و الأوجاع وحده لا شريك له : ﴿ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء:٧٧-٨٢].

هو سبحانه الشافي الذي يشفي الصدور والقلوب من أمراض الكفر والشرك والشُبه والرياء، والنفاق والظلم، والحسد والكبر : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

هو سبحانه الحيي الذي يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهم صفرا ، و يستحي أن يعذب ذا شيبة شاب في الإسلام .

هو سبحانه الحيي الذي لا يفعل ما لا يتناسب مع سعة رحمته، وعدله، وإحسانه، وكمال حلمه، وعظيم عفوه وكمال كرمه : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٦].

وحياء الرب من عبده لا تدركه العقول ، لأنه حياء بر و كرم، وجود وإحسان،

ورحمة ولطف : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ١٩﴾ [الشورى:١٩].

والله سبحانه حَيِيُ يحب من عباده أن يتصفوا بصفاته على شاكلة العبودية : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

وأعظم الحياء وأحسنه وأجمله و أكمله الحياء من الله ، ثم الحياء من الملائكة ، ثم الحياء من الناس ، ثم الحياء من النفس .

وأشد الخلق حياء من الله هم الأنبياء والرسل، لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ثم اتباعهم من المؤمنين : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠].

وقال عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

والحياء من الله يكون بتوحيده، وكمال الإيمان به، وإحسان العمل له، واجتناب معصيته، والإكثار من حمده، والإكثار من استغفاره ، وإخلاص العبادة له : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة:٥].

وهو سبحانه الستير الذي يستر الكثير من عورات عباده ، ولا يفضحهم في المشاهد، الستير الذي يستر على عباده الكثير من العيوب والقبائح والمخازي ، ولا يفضحهم وهو قادر، لعلهم يتوبون إليه : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧٤﴾ [المائدة:٧٤].

هو الستير الذي أظهر الجميل، وستر القبيح، الستير الذي يستر القبائح مهما تكررت، ويغفر الذنوب مهما عظمت، ويعفو عن جميع السيئات مهما كثرت: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

وإذا علم العبد أن ربه حَيِيٌ ستير فالواجب عليه أن يستر نفسه إذا وقع في معصية، وأن يستر غيره إذا وقعت منه زله.

قال رسول الله ﷺ: «المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ في حَاجَةِ أخِيهِ كَانَ اللهُ في حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». متفق عليه[1].

وَمن سَتَرَ مسلماً سَترَه الله في الدنيا والآخرة، والله ستير يحب الستر، وأهل الستر، ويأمر بالستر، وما ستر عبده إلا ليغفر له، ويصون عرضه عن الدنس: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠].

وهو سبحانه المقدم والمؤخر الذي قدم أولياءه إلى عوالي الرتب والمنازل فأفلحوا، المؤخر الذي أخر من كفر به إلى أسفل المنازل فهلكوا: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة:١١].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء:١٤٥].

هو المقدم الذي قدم المقادير قبل أن يخلق الخلائق، وقدم من أحب من أوليائه بفضله، ورفع بعض الخلق على بعض بحكمته: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف:٣٢].

والتقديم والتأخير في الدنيا والآخرة: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء:٢١].

وهو سبحانه المقدم والمؤخر بأمره الكوني، وأمره الشرعي.

قدم بعض المخلوقات على بعض في الوجود، وأخر بعضها عن بعض كالليل والنهار، والحر والبرد، والمواليد والثمار، والحياة والموت: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم:٤٠].

وهو المقدم و المؤخر بأمره الشرعي، فضل الأنبياء على الخلق، وفضل بعض الأنبياء على بعض، وفضل بعض الناس على بعض، وفضل بعض المؤمنين على بعض بالعلم، والإيمان، والأخلاق، وحسن العبادة: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤].

وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة:٢٥٣].

وفضل بعض العبادات على بعض، كتقديم الفرض على النفل، وتقديم حق الله على حق غيره، وتقديم العبادة المتعدية كالدعوة والتعليم، على العبادة القاصرة كنوافل العبادات: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله عز وجل : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وفضل بعض الأيام والليالي والشهور على بعض ، وفضل بعض الأوقات والأماكن على بعض : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص:٦٨].

وإذا عرفت المقدم والمؤخر، فقدم ما قدم الله ورسوله من الأقوال، والأعمال، والأخلاق : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢١].

وأخر ما أخر الله ورسوله من الأقوال، والأعمال، والأخلاق : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠].

وأعلم أن الله يراك حين تتقدم إليه بما يحب ، ويراك حين تتأخر عنه بما يبغض : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحجر: ٢٤].

هذه هي أعظم أسماء الله الحسنى أوردناها في ضوء القرآن والسنة، بشرح ميسر سهل نسأل الله عز وجل أن يرزقنا معرفتها وحفظها وإحصاءها وتعريف الناس بها والعمل بها، والتعبد لله بموجبها : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ

يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة العشرون

## كيفية التعبد لله بأسمائه و صفاته

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : حكم العلم بالله و أسمائه و صفاته و أفعاله.

الثاني : أركان التعبد لله بأسمائه و صفاته .

الثالث : طرق الوصول إلى التعبد لله بأسمائه و صفاته .

الرابع : مراتب المؤمنين في التعبد لله بأسمائه و صفاته .

الخامس : فقه كيفية التعبد لله بأسمائه و صفاته .

السادس : كيف يرى العبد ربه بأسمائه و صفاته و أفعاله.

السابع : ثمرات التعبد لله بأسمائه و صفاته.

# البصيرة العشرون
# كيفية التعبد لله بأسمائه و صفاته
## ١ - حكم العلم بالله و أسمائه و صفاته و أفعاله

العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، أشرف العلوم على الإطلاق، وأعظم أبواب التوحيد، وأزكى العلوم، وأعلاها، وأحسنها، وأعظمها، وأفضلها، وأوجبها ؛ لأن شرف العلم يكون بشرف المعلوم، وهو الله عز وجل : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

وهذا العلم العظيم أشرف ما صرفت فيه الأنفاس ، وخير ما سعى في تحصيله الأكياس ، وهو عماد السير إلى الله ، والباب الأعظم لمعرفته، ونيل محابه ورضاه ، وهو الصراط المستقيم لكل من أحبه الله واجتباه : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة:٩٨].

والإيمان بالله واسمائه وصفاته وأفعاله أساس بنيان الدين، وهو من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، ومتى كان الأساس راسخاً حمل البنيان الذي فوقه، والأقوال والأعمال بنيان الدين، وسقفه الأخلاق الحسنة كما قال سبحانه عن نبيه ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].

وأساس كل ذلك الإيمان بالله ، وأسمائه، وصفاته، و أفعاله ، و توحيده بها .

وأوثق أساس يُبنى عليه الدين ، و يبني عليه العبد بنيانه ؛ مركب من أمرين :

معرفة الله و توحيده بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتجريد الانقياد لله ورسوله : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].

والقرآن كله بيان لهذا الأساس، وترسيخ له، ودعوة إلى إتقانه ، والعمل به، فهو الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها كما قال سبحانه : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

ولقد أمرنا الله عز وجل أن نتعلم هذا العلم العظيم ، ونعتني به، ونعمل بمقتضاه، لعظم شأنه، وعلو مقامه ، وكثرة بركاته وخيراته كما قال سبحانه : ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة:٢٣١].

وقد ذكر الله سبحانه في القرآن كثيرا من أسمائه وصفاته وأفعاله، وأظهرها في آياته ومخلوقاته ليعرف عباده بها ، ليعبدوه بموجبها، ويدعوه بها، ويوحدوه بها : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

وأسماء الله وصفاته وأفعاله، أحب شيء إلى الله، وهي أفضل شيء في القرآن، وأعظمه، وأحسنه، لأنها صفات ربنا الخالق العظيم : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

فيجب علينا تعلم هذا العلم العظيم ، لأنه أساس التوحيد، وأعظم أركان الإيمان، وأعظم أصول الدين، وعليه تبنى بيوت الإسلام الرفيعة، ومنازله العالية، وصفاته الحسنة الجميلة .

ولن تستقيم حياة البشرية أبداً إلا بمعرفة ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعبادته وحده لا شريك له، والعمل بدينه وشرعه الذي به سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والأخرة : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

وأسماء الله وصفاته كلها حسنى، وهي بالغة في الحسن والجمال كماله ومنتهاه، فلا احسن منها بوجه من الوجوه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨].

فأسماء الله عز وجل أحسن الأسماء ، وصفاته أحسن الصفات، وأفعاله أحسن الأفعال، وأقواله أحسن الأقوال ، ومخلوقاته أحسن المخلوقات ، وأحكامه أحسن الأحكام ، وشرائعه أحسن الشرائع، و كتبه أحسن الكتب ، ورسله أحسن الرسل، وأوامره أحسن الأوامر ، وثوابه أحسن الثواب، وعقابه أحسن العقاب : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة:٥٠].

وأسماء الله كلها حسنى، لأنها تدل على صفات الكمال والجلال والجمال لله عز وجل، فهي أسماء مدح وثناء ، وأسماء تمجيد وتعظيم وإجلال ، وأسماء رحمة ولطف ، وبر وإحسان : ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ١١٠﴾ [الإسراء:١١٠].

والله لجلاله وجماله، وعظمته وكبريائه ، وإحسانه و إنعامه، لا يُسمى إلا بأحسن الأسماء، ولا يُوصف إلا بأحسن الصفات ، ولا يحُمد إلا بأحسن المحامد ، ولا يُعبد إلا بأحسن العبادات : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

## ٢ - أركان التعبد لله بأسمائه وصفاته

**التعبد لله بأسمائه وصفاته له ثلاثة أركان :**

الأول : الإيمان بأن الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾ [طه:٨].

فمن سار إلى الله باسم من أسمائه الحسنى وصل إليه، ومن تعلق بصفة من صفاته العُلا أخذت بيده حتى تدخله عليه، بكمال الحب و التعظيم و الذل له .

فحياة القلوب بمعرفته ومحبته وتعظيمه ، و حياة الجوارح بالتقرب إليه بعبادته بما شَرع ، و حياة اللسان بدوام ذكره، وشكره، والثناء عليه ، والدعوة إليه، وتعليم شرعه : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر:٦٥].

ومعرفة الله بأسمائه و صفاته و أفعاله، أعظم روافد الإيمان ، وأفضل السبل لزيادة الإيمان، وذوق طعمه وحلاوته ، والوصول إلى حقيقته، وأيسر الطرق للوصول إلى حقيقة التوحيد و الإيمان، و صدق العبودية لربنا الرحمن : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد:١٩].

وأحب عباد الله إليه، وأكرمهم عليه، أهل هذه المعرفة ، لأنهم في رياض معرفته حاضرون، وإلى جماله وجلاله ناظرون ، وبأوامره الملكية الشرعية يعملون .

إن نظروا إلى صفات جلاله هابوه ، وإن نظروا إلى صفات جماله أحبوه ، و إن نظروا إلى شدة نقمته خافوه ، و إن نظروا إلى سعة رحمته رجوه و أنابوا إليه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾ [طه:٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠ ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

الثاني : عبادة الله بما تقتضيه أسماؤه الحسنى، وصفاته العُلى.
فمن أيقن أن الله هو الأول ، فوض الأمور كلها إليه ، و توكل عليه وحده، و لم يلتفت إلى غيره .
ومن أيقن أن الله هو الأخر ، أيقن أن الأمور كلها أولها و أخرها بدأت منه، وترجع إليه ، فلم يلتفت لأحد سواه.
وهذان الاسمان العظيمان يوجبان للعبد الاضطرار إلى الله، ودوام الافتقار إليه.
فهو الأول المبتدي بالفضل حيث لا سبب و لا وسيلة ، و هو الأخر الذي ينتهي إليه كل شيء.
ومن أيقن أن الله هو الظاهر ،قصده و صمد إليه في جميع حوائجه، ومن أيقن أن الله هو الباطن ، علم قربه منه، فاستحى منه، لكثرة نعمه عليه، و كثرة معصيته له، وأحبه، وخاف منه، و رجاه ، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العُلا، والأفعال الجميلة: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد:٣].
وهكذا التعبد في بقية أسماء الله الحسنى فكراً، و يقيناً، وتعبداً، وذكراً، وسؤالاً، وحمداً، و شكراً : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].
الثالث : الاتصاف بموجب تلك الأسماء والصفات.
فالله سبحانه يحب أسماءه و صفاته ، و يحب أن يتصف العباد بموجبها .
فالله شكور يحب الشاكرين ، عفو يحب العافين ، رحمن يحب الرحماء ، مؤمن يحب الإيمان، وأهل الإيمان ، تواب يحب التوبة، و يحب أهل التوبة ، ... وهكذا في بقية الأسماء .
وما كان من أسماء الله وصفاته كمالاً في حقه، نقصا في حق المخلوق، لأنه لا يليق بالعبد، فلا يجوز الاتصاف بموجبه، لأنه مختص بالله ، كاسم الله الجبار والمتكبر و أمثالهما من اسماء الربوبية .

# ٣- طرق الوصول إلى التعبد لله بأسمائه وصفاته

للتعبد لله بأسمائه وصفاته طرق كثيرة أصولها أربعة :

الأول : إحصاء أسماء الله الحسنى بعدها، وحفظها، وفهم معانيها ، والتعبد لله بموجبها ، و دعاء الله بها .

فالعلم بها وسيلة إلى التعبد بها ، و فهم معانيها وسيلة إلى معاملة الرب بمقتضاها و ثمراتها من الحب لله ، والخوف منه ، والرجاء له ، والتوكل عليه و الاستعانة به : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:١ -٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن الرسول ﷺ قَالَ : «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» متفق عليه [(١)].

الثاني : النظر والتفكر والتدبر في آيات الله الكونية؛ فجميع المخلوقات في السموات والأرض ، دالة على عظمة الله ، وناطقة بتوحيده ، ومسبحة بحمده ، و شاهدة بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، وأفعاله الحميدة، عالمة أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، و مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته : ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾ [الأنبياء:٣٠].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٧٧).

فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦-٨].

الثالث : التفكر في نعم الله التي لا تُعد و لا تُحصى :

وهذا الباب يدخل منه كل أحد إلى محبة الله ، فإن نعم الله على عباده كثيرة مشهورة ، متجددة في كل زمان و مكان ، ليس لها حد ولا عد ولا حصر.

وكلما عرف العبد نعمة ازداد حبا لله، وشكراً له، وتعظيما له ، وطاعة له : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

الرابع : التدبر والتفكر في آيات الله الشرعية، وما فيها من الأخبار الصادقة عن الله و أسمائه و صفاته و أفعاله، و عن مخلوقاته ، وما فيها من العلوم العظيمة، والأحكام العادلة ، و الشرائع الحسنة : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

وقال الله عز وجل : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

وهذا باب عظيم يطلع العبد على كمال عظمة الله، وكمال الرحمة بعباده ، وكمال أوامره وعلمه وأحكامه، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله ، وصدق وعده ووعيده: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾[الزمر:٢٣].

# ٤ - مراتب المؤمنين في التعبد لله بأسمائه و صفاته

الناس متفاوتون في التعبد لله بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا ، بحسب معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، و بحسب معرفتهم بدينه وشرعه ، ومعرفة ثوابه وعقابه ، وبحسب تفاوتهم في الذكر والغفلة، والإيمان والتقوى ، والعلم والقدرة والفهم والذكاء: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد:١٩].

فالناس متفاوتون في التعبد لله بحسب ما يُفتح لهم من مشاهد الإيمان والتوحيد، والمعرفة بأسماء الله وصفاته و أفعاله، و أوامره و أحكامه، والعمل بموجب ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد:٢٨].

فمن الناس من يأخذ من العلم الإلهي بنور ضعيف ، و منهم من يأخذ كالشمعة ، و منهم من يأخذ كالقنديل ، و منهم من يأخذ كالكوكب ، و منهم من يأخذ كالقمر ، ومنهم من يأخذ كالشمس نوره يشع بين الخافقين : ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٣].

ومن شرح الله صدره بنور الإيمان أراه في ضوء ذلك النور حقائق أسماء الله وصفاته و أفعاله، و أراه حقائق العبودية ، وما يصححها ، و ما يفسدها : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

فيرى المؤمن في ضوء ذلك النور المبين، ربه العلي العظيم، الرحمن الرحيم، مستويا على عرشه العظيم، أكبر من كل شيء، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

و يرى السموات السبع، و الأراضين السبع، في يد ربه الكبير كالخردلة في كف العبد، و يرى السموات السبع، والأرض، وما فيهما ، وما عليهما و ما بينهما من خلائق تسبح بحمد ربها الملك الحق، وتشهد بتوحيده ، وتسرع إلى إرادته ، وتخضع لمشيئته ، و تدل على كمال أسمائه و صفاته ، و عظمة ملكه و سلطانه: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤].

و يرى عرش ربه الرحمن محيط بجميع ملكه ، ومحيط بالكرسي الكريم ، ومحيط بالسموات السبع، وبالأرضين السبع ، و يرى رحمة ربه وسعت كل شيء ، و يرى علمه محيط بكل شيء ، و الله محيط بكل شيء : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال الله عز وجل : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر:٧].

فلو أن جميع الناس مع كافة المخلوقات في السموات و الأرض، قاموا صفا واحدا ما أحاطوا بالجبار العلي الكبير جل جلاله ، بل هو المحيط بكل محيط كما قال سبحانه : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء:١٢٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢].

و يرى ربه في جماله فوق كل جميل في العالم العلوي و العالم السفلي .

فلو اجتمع جمال الخلائق كلهم في شخص واحد منهم ،ثم أعطي الخلق كلهم مثل ذلك الجمال ، لكانت نسبته إلى جمال الرب الجميل سبحانه دون نسبة سراج ضعيف إلى ضوء الشمس ، فلا نسبة بين الخالق و المخلوق أبدا، لا في الذات ، و لا في الأسماء ، و لا في الصفات ، ولا في الأفعال : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

و يرى قوة ربه أعظم من كل قوة في الكون كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود:٦٦].

فلو اجتمعت قوى الخلائق كلها من العرش و الكرسي ، و السموات و الأرض، و الجبال و البحار وغيرها في شخص واحد، ثم أعطي كل منهم مثل تلك القوة، لكانت نسبتها إلى قوته جل جلاله، دون نسبة قوة البعوضة إلى قوة حملة العرش العظيم : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

و يرى علم ربه العليم وسع كل شيء .
فلو اجتمع علم الخلائق كلهم في شخص واحد، ثم أعطي الخلائق كلهم مثل ذلك، لكانت نسبته إلى علم الله أدنى من نقرة عصفور من البحر ، و هكذا في سائر أسماء الله وصفاته، وأفعاله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].
وهو العليم بجميع الذرات والمجرات، عالم الغيب والشهادة، والعليم بكل ظاهر وباطن : ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩].
فهذا أول مشاهد المعرفة المغذية للقلب ، ثم يرتقي العبد إلى مشهد فوقه ، لا يتم إلا به و هو مشهد الإلهية : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].
فيشهد ربه العظيم إلها عظيما يأمر و ينهى ، ويحكم و يقضي ، و يحيي و يميت، متجليا بأمره و نهيه، صادقا في وعده و وعيده ، كريما في ثوابه ، عدلا في عقابه ، له الأسماء الحسنى، والصفات العُلا ، و الأفعال الكبرى والمثل الأعلى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].
ثم يعبده بهذه المعارف النورانية بما يحبه و يرضاه حتى يلقاه كالأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].
ثم ينكشف له في ضوء هذا النور أحوال اليوم الأخر ، و ما فيه من الحشر، والحساب، والصراط، والميزان، والجنة، والنار : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ

أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة:٦-٨].

وقال الله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء:٤٧].

فإذا رأى ذلك علم عظمة ربه، و كفايته له، ورحمته به، وبره به، و إحسانه إليه، و حلمه عليه، فأوجب له ذلك كمال العبودية لربه العظيم، بالحب، والتعظيم، والذل له، و التقرب إليه بما شرعه و أمر به: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [الشورى:١٠].

وقال الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

ثم لا يزال العبد يتقرب إلى ربه العظيم، بكل محبوب إليه بحسب رقيه في هذه المعارف، والله يؤتي فضله و علمه من يشاء وهو الحكيم العليم: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة:٢٦٩].

## ٥ - فقه كيفية التعبد لله بأسمائه وصفاته

معرفة ربنا بأسمائه و صفاته و أفعاله أجل العلوم ، و أزكاها ، و أحسنها ، وأعظمها ، وأنفعها، و عبادته بها أحسن الأعمال ، و حمده ، و تمجيده ، و تكبيره ، و تعظيمه ، و الثناء عليه بها أشرف الأقوال : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد:١٩].

و عبادة الله، و الدعوة إليه، أحسن الأقوال و الأعمال التي يتقرب بها العبد إليه ، و ينال أعظم ثوابها بعد القدوم عليه : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

و على هذه الأصول العظيمة قامت دعوة الرسل عليهم الصلاة و السلام .

فالله عز وجل أرسل رسله إلى خلقه بثلاثة أمور عظيمة :

الأول : تعريف الخلق بالله وأسمائه وصفاته و أفعاله ، ليعبدوه وحده لا شريك له، و يتركوا عبادة ما سواه : ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾[الحجر:٤٩-٥٠].

الثاني : تعريفهم بالطريق الموصلة إليه ، وهو عبادة الله وحده، بالدين الذي شرعه لهم على ألسنة رسله : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

الثالث : تعريف الخلق بما لهم بعد الوصول إليه في دار كرامته، من النعيم الذي أجله رؤيته، و رضاه عنهم : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي

ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦].

وقال الله عز وجل : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

وكلما كانت معرفة العبد بربه أعظم ، كانت محبته و خشيته وعبادته لله أتم و أكمل ، لأن معرفة الله بأسمائه و صفاته و أفعاله، تملأ القلب بالتوحيد والإيمان، وتُقوي محبة الله وتعظيمه في القلب ، و تثمر أنواع العبادات ، و الطاعات ،وعظيم الأجر و الثواب : ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

و كلما كان العبد بالله أجهل، كان من الله أبعد، وإليه أكره ، و من بين خلقه أخسر : ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر:١٥-١٦].

وحياة الإنسان بحياة قلبه و روحه ، و لا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره، و محبته، وتوحيده، والإيمان به، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة:٤].

وقال الله عز وجل : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ

عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

و من لم يدخل جنة المعرفة الإلهية في الدنيا، لم يدخل جنة الأخرة يوم القيامة : ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء:٧٢].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد:١٢].

فألذ شيء وأحلاه في الدنيا والأخرة معرفة الله بأسمائه و صفاته وأفعاله، والإيمان به، وذكره وحمده، وعبادته بما شرع، وتلك أعظم تجارة رابحة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الصف:١٠-١٢].

فهل يليق بالعاقل الفطن أن يخرج من الدنيا وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيشة البهائم، وانتقل منها انتقال الخاسرين المفلسين ، وغادر الدنيا وهو محروم من أحسن ملاذها ، فخسر دنياه وأخراه، وقدم على ربه بما يسخطه عليه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٨].

إن معرفة الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الجميلة، أجل المعارف

الإلهية على الإطلاق، وهي مقصود الرب من خلقه ، بأن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويعبدوه بمقتضى ذلك: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

وأفضل العطايا من الله لعباده هذا العلم العظيم ، لأنه روح التوحيد، ولب الإيمان، وزبدة اليقين : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

ومن فتح الله له هذا الباب العظيم، انفتحت له أبواب الدين كلها .

أبواب التوحيد الخالص ، و أبواب الإيمان الكامل ، وأبواب الإحسان العام ، وأبواب التقوى ، و أبواب العمل الصالح ، و أبواب الخلق الحسن ، و أبواب الأجر العظيم : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة:٤].

و أحسن السبل و الطرق إلى هذه المعرفة هو النظر في الآيات الكونية ، و النظر في الآيات الشرعية ، فذلك أعظم مفتاح لمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، واستحضار معانيها، وتحصيلها في القلوب، حتى تتأثر القلوب بأثارها ، وتتصف بصفاتها و تذوق طعم حلاوتها .

وإذا امتلاء القلب بهذه المعارف الإلهية جاء فيه حب الله الكريم ، و تعظيمه و الذل له ، و حُسن عبادته ، ثم انقادت الجوارح معه في فعل كل طاعة لله، و ترك كل معصية لله : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

فتعرف إلى ربك العظيم بالنظر في آياته و مخلوقاته ، تعرف ربك بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويزيد إيمانك ، وتحسن عبادتك، وتعظم أُجورك: ﴿إِنَّمَا

ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾
[الأنفال:٢-٤].

فمعرفة أسماء العظمة والمجد والكبرياء ، والجبروت والجلال تملأ القلب تعظيما لله، وإجلالاً له، و تكبيرا له ، و تعلقا به : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

ومعرفة أسماء الجمال ، والبر ، والجود ، و الإحسان ، واللطف ، والرحمة، تملأ القلب حبا لله ، وشوقا له ، وثناءً عليه ، وحمدا له ، وحياءً منه، وطمعا في رحمته وعفوه وكرمه : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

ومعرفة أسماء العزة، والقهر، والقوة، والقدرة، والحكمة، تملأ القلب خضوعاً لله، وخشية له، وخشوعاً له، وخوفاً منه، و انكساراً بين يديه : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

ومعرفة أسماء الغنى، والكرم، والإحسان، تملأ القلب افتقاراً إلى الله، واضطراراً إليه، وتوكلاً عليه، والاستغناء به ، و عدم الالتفات إلى غيره : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

ومعرفة أسماء العلم، والخبرة، والمراقبة، والإحاطة، تملأ القلب مراقبة لله في كل حال، وإحسان العبادة لله، وحراسة الخواطر عن الأفكار الرديئة ، والإرادات الفاسدة ، و حراسة الجوارح عن المعاصي والمنكرات : ﴿وَأَسِرُّواْ

﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٣-١٤].

وجميع هذه المعارف الإلهية تزيد الإيمان في القلب، و تثمر للعبد كمال التعظيم لله، والذل له ، والحب له ، والحياء منه ، وتعلق القلب به ، والشوق إليه، والرجاء له ، والخوف منه ، والإنابة إليه، و التوكل عليه ، والأُنس به ، والفرار من الخلق إليه ، و توحيده، وإخلاص العمل له ، و حُسن عبادته ، و دخول جنته : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

وكلما قويت هذه المعرفة استنار القلب بنور العلم و الإيمان، ورأى بهذا النور عظمة ربه وجلاله، وإنعامه وإحسانه، ولطفه ورحمته ، فعظم إقباله على ربه، واستسلامه لشرعه، ولزومه لأمره ، وبعده عن نهيه ، وتجريد لتوحيده ، وأنسه بمناجاته: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

والله يحب أسمائه الحسنى، وصفاته العلا ، ويحب ظهور آثارها في خلقه ، ويحب كل من اتصف بها ؛ فهو واحد يحب التوحيد وأهله ، عليم يحب العلم وأهله، جميل يحب الجمال وأهله، مؤمن يحب الايمان وأهله، شكور يحب الشكر، وأهل الشكر ، كريم يحب الكرم، وأهل الكرم ، بر يحب البر وأهل البر، عفو يحب العفو، وأهل العفو ، رحيم يحب الرحمة، وأهل الرحمة، تواب يحب التوبة، و يحب التوابين : ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ

تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال الله عز وجل : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

والله عز وجل يريد منا تحصيل الصفات التي يحبها ، و من رحمته أرسل الرسل إلى الخلق، لتحصيل هذه الصفات التي هي مراد الله من خلقه ، وتوحيده وعبادته بموجب ذلك .

هو سبحانه الكريم الذي يهب لعباده هذه الصفات و يجازيهم بالثواب العظيم بحسب ما فيهم من هذه الصفات التي يحبها ، و يرغبهم بالتعبد له بها بقوله سبحانه : ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وأهل تلك الصفات هم الذين اشتراهم الله ووصفهم بقوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢].

و الله حكيم عليم، لا يفعل و لا يشرع من الأحكام إلا ما هو مقتضى أسمائه الحسنى، وصفاته العلا: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١].

فأفعاله سبحانه كلها دائرة بين العدل والإحسان ، والحكمة والرحمة ، وأخباره كلها حق وصدق ، وأوامره ونواهيه كلها عدل وحكمة، ورحمة و إحسان.

هو الحكيم الذي يأمر بكل خير ، وينهى عن كل شر : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ

وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠].

و هذه المعارف الإلهية تورث للعبد قوة في الإيمان ، و زيادة في اليقين ، و حمدا للرب ، و حبا للرب ، و صدقا في التوكل على الله ، و رغبة في عبادته وطاعته : ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:١٦٤].

و الله عز وجل يحب أسماءه و صفاته ، و لهذا أظهر آثارها في جميع مخلوقاته ، في السموات والأرض ، في الدنيا والأخرة : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس:١٠١].

ويحب كذلك ظهور أثارها فيمن اصطفاه من خلقه، وهو آدم ﷺ وذريته .

وقد خلق الله عز وجل آدم ﷺ على صورته أسماء وصفات موصوفًا بصفات العبودية، من ذل وخضوع، وضعف وعجز، وفقر و مسكنة .

وموصوفا بصفات الربوبية من كبر وجبروت، وعزة وقوة، ومشيئة وإرادة .

فمن علم الله أنه يصلح للهداية والجنة تولاه فكفاه شر نفسه ، وهداه لاستعمال أسماء الربوبية، وصفات الألوهية، وفق ما يحبه الله ويرضاه مع ربه، ومع أولياء الله واعدائه.

فينسخ عن عبده المؤمن أسماء وصفات الربوبية مع ربه ، و يوجهها منه إلى أعدائه ، ثم يوجهه بصفات الألوهية و العبودية إلى ربه، و يستعمله بها بين يديه من الحب لله، و التعظيم له، و الذل له ، و الخوف منه، و الرجاء له ، و التوكل عليه و غير ذلك من سمات العبودية : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ

كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا» متفق عليه (١).

فسبحان الملك الحق ، الرحمن الرحيم بعباده ، الذي تعرف إلى خلقه بجميع أنواع التعريفات ، و دلهم عليه بأنواع الدلالات ، و فتح لهم إليه جميع الطرقات، ثم عرفهم بالصراط المستقيم الذي يسيرون عليه إليه ، و أمرهم بسلوكه إليه : ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال:٤٢].

فلله الحمد كثيرا على أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الحميدة، و نعمه العظيمة ، ودينه الحق : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

وله الحمد كثيرا أن نهج لنا سبيل معرفته، بما كشف لنا عن حقيقة عجزنا عن بلوغ كنهه ، فأكمل خلقه معرفة به أعلمهم بأنه لا نهاية لمعرفته ، و لا إحاطة لأحد بأسمائه و صفاته و أفعاله، و لا إدراك لأحد لكنهه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وله الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا ملء السماء، و ملء الأرض ، أن رفع لنا أعلام الهداية إلى توحيده و عليِّ وجوده ، و عظمة جبروته ، و سعة رحمته و علمه ، و كثرة نعمه و عظيم فضله ، و عموم إحسانه ، و عظيم بره ، و كمال

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٧)،وأخرجه مسلم برقم (٢٨٤١).

قدرته ، و سعة علمه ، و لطيف حلمه ، و ذلك بما نصبه سبحانه من أثار صنعه ، وبما أشهدنا من عظمة مخلوقاته ، و بما نراه كل يوم من بدائع مخلوقاته، و عظيم آياته في ملكوته : ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [فصلت:٥٣].

فما أظهر قدرة الله في ملكه العظيم : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف:٥٤].

ولله الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا ، أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ، و أنار لنا الدليل على الإلهية و العبودية، بما فطر القلوب على الوله له، والحب له، والتعظيم له، والأنس به، والتلذذ بعبادته : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم:٣٠].

وهو سبحانه الملك الحق المبين، الذي خلق كل شيء بالحق ، و أنزل كتبه بالحق ، و أرسل رسله بالحق ، و أكرم عباده بدينه الحق : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج:٦٢].

وهو سبحانه الأول الذي ليس قبله شي، الاخر الذب ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد:٣].

و هو سبحانه القوي الذي له القوة التي لا تقهر، العزيز الذي له العزة التي لا

تضام ، الجبار الذي له الجبروت الذي لا يسامى ، الحاكم الذي له السلطان الذي لا يغلب ، الملك الذي لا نهاية لملكه ، الكريم الذي لا نهاية لكرمه ، الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر:٢٢-٢٣].

وهو سبحانه الخالق القادر الذي أبدع جميع المخلوقات، البارئ الذي برأ جميع البريات ، المصور الذي صور جميع المصورات ، الجميل الذي أحسن كل شيء خلقه ، الحكيم الذي أحكم الخلق و الأمر ، الملك الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر:٢٤].

و هو سبحانه الملك القادر على كل شيء، القاهر الذي قهر كل شيء ، القادر الذي لا يعجزه شيء ، الواحد الأحد المحيط بكل أحد ، القوي الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، الكبير الذي له الكبرياء في السموات و الأرض : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر:٦٧].

فإذا عرف القلب هذه الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، أذعن لربه العظيم، و تصاغر لكبريائه ، و ذل لعزته : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾

[محمد:١٩].

وهو سبحانه العليم بكل شيء، الذي يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار ، و عدد ذرات الرمال ، و عدد ورق الأشجار ، و عدد المخلوقات ، و عدد الكلمات ، و عدد الأقوال ، و الأفعال ، و الأنفاس ،و الأرحام ،و الارواح : ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧﴾ [السجدة:٦-٧].

هو سبحانه علام الغيوب الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض و لافي السماء ، السميع البصير ، العليم بكل ذرة في ملكه العظيم ، لا توارى منه سماء سماء ، و لا أرض أرضا، و لا جبل مافي وعره، و لا بحر مافي قعره ، و لا ليل مافي ظلمته : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ۝٦١﴾ [يونس:٦١].

فسبحان الملك الحق المبين ، العليم بخفيات الأمور ، الخبير بما تكنه الصدور، البصير بمحجوبات الغيوب : ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩﴾ [الأنعام:٥٩].

وهو سبحانه الحي القيوم، الذي كل شيء قائم بأمره ، خاضع لسلطانه ، مستجيب لمشيئته ، الحي الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، العليّ الذي كل شيء دونه ، الحكيم الذي أحكم الأمور ، الخبير الذي أتقن كل شيء صنعه ، الفتاح الذي بيده مقاليد الأمور كلها، الرزاق الذي جميع الخلائق تأكل من خزائن رزقه ، القريب الذي يسمع و يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على

الصخرة الصماء : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة:٢٥٥].

فسبحان عالم الغيب والشهادة ، العليم الذي لا ينسى من ذكره ، ولا يخيب من رجاه ، و لا يرد من دعاه ، ولا يعذب من والاه : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

هو سبحانه الرحمن الرحيم ؛ الذي وسعت رحمته كل شيء ، الرحمن الذي خلق الرحمة في كل راحم ، و خلق الإحسان في كل محسن ، و خلق القوة في كل قوي : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر:٢٢].

هو سبحانه الملك الكبير وحده لا شريك له، ذو العزة و الجبروت ، و الملكوت و الكبرياء ، و الجلال و العظمة .

له الحمد كله في الدنيا والأخرة على أسمائه الحسنى، وصفاته العُلا ، و أفعاله الجميلة، ونعمه السابغة، وإحسانه العظيم، ودينه القيم : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

و هو سبحانه القوي القادر الديان الذي لا يدان ، الملك الحق فلا تضرب له الأمثال ، له الملك كله ، و له الخلق كله ، و له الأمر كله ، و إليه يرجع الأمر كله، و له الحمد و الشكر كله ، وبيده الخير كله : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك:١].

له جل جلاله الأمر النافذ فلا يبدل القول لديه ، و له الحجة البالغة فلا تتوجه الحجج عليه ، و له الربوبية المطلقة فكل الخلائق مفتقرون إليه ، و له خزائن كل شيء فجميع المخلوقات مضطرة إلى ما لديه : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر:٢١].

هو الملك الحق الذي أذعنت المخلوقات لعظمته ، وذل الأقوياء لجبروته ، وخشعت الأصوات لهيبته ، و جميع المخلوقات في السموات والأرض مستجيبة لمشيئته ،و مسرعة إلى إرادته ، و خاضعة لأمره : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس:٨٢-٨٣].

فسبحان من دل عباده بأفعاله على صفاته ، و دلهم بصفاته على أسمائه ، و دلهم بأسمائه و صفاته و أفعاله على ذاته : ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه:٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢].

إن معرفة الله بأسمائه و صفاته و أفعاله، و ظهور أثارها في حياة المسلم، تجارة رابحة ، بل هي أعظم التجارات التي لا تخطر أرباحها العظيمة بالبال .

ومن أرباحها الكبرى في الدنيا امتلاء القلب بالتوحيد ، و انشراح الصدر بالإيمان ، و طمأنينة القلب بذكر الله، والأنس بالله، ودوام ذكره، وشكره، وحسن عبادته ، و طاعة الله ورسوله ، ومحبة الله، و رسوله، و دينه، وأوليائه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧].

أما أرباحها في الأخرة، فهي دخول جنة الفردوس ، و النظر إلى وجه ربنا الكريم ، و القرب من الرب ، و سماع كلامه ، و الفوز برضاه ، و النجاة من سخطه و عذابه ، و الخلود في نعيم الجنة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

فما أعظم بركات و أرباح العلم بالله وأسمائه وصفاته و أفعاله .

هذا العلم هو الجالب لتعظيم الرب، ومحبته، وتكبيره، و تمجيده ، الفاتح لباب الطاعات و القُرب ، الواقي من المعاصي و الذنوب ، الدافع للشك والريب ، المعين على الصبر والسلوان عند المصائب ، الحرز الحامي من الشيطان ، المحرك للبذل والعطاء والإحسان : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

فلا إله إلا الله ، لا يحصي ثمار هذه المعارف إلا هو ، و لا يذوق حلاوتها إلا من عرفها، واتصف بها ، و عبد الله بمقتضاها ، ودعا الخلق لمعرفتها ، و التعبد لله بموجبها : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

و كل أسم من أسماء الله الحسنى يقتضي أثاره من الخلق و الأمر :

فاسمه الملك ؛ يقتضي ملكا و تصرفاً و تدبيراً ، واسمه الخالق ؛ يقتضي خلقا و مخلوقا ، واسمه الرزاق ؛ يقتضي رزقا ومرزوقا، واسمه التواب ؛ يقتضي توبة تقبل ، واسمه الغفار ؛ يقتضي جناية تغفر، واسمه الحكيم ؛ يمنع ترك الإنسان سدى مهملا، لا يؤمر و لا ينهى ،و لا يحاسب، و اسمه السميع ؛ يقتضي

مسموعا من مخلوقاته، واسمه البصير ؛ يقتضي مبصرات يبصرها سبحانه .
و هكذا الشأن في جميع أسماء الله الحسنى : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥].
و كل أسم من أسماء الله الحسنى له تعبد خاص به ، لا يتحقق إلا بمثل هذا النظر و التدبر في الآيات الكونية و الشرعية ، و التفكر في كل أسم و ما يقتضيه: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦-٨].
وأكمل الناس عبودية لله، من تعبد لربه بجميع أسماء الله وصفاته، فلا تحجبه عبودية أسم عن عبودية أسم أخر ، و لا عبودية صفة عن عبودية صفة أخرى .
فلا يحجبه مثلا التعبد باسم الله القوي القادر عن التعبد باسمه الرحمن الرحيم الحليم ، ولا التعبد باسمه البر اللطيف ، عن التعبد باسمه العظيم الجبار ، وهكذا.
ولا يحجبه التعبد بصفة العطاء ، عن التعبد بصفة المنع ، ولا التعبد بصفة القبض، عن التعبد بصفة البسط و هكذا : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٧-١٨].
و هذه طريقة الكمل من السائرين إلى الله عز وجل بأحسن ما يحبه و يرضاه ، و لهذا أمرنا الله عز وجل بالدعاء و التعبد له بأسمائه و صفاته بقوله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٠].

و الدعاء بها يتناول ثلاثة أمور :
دعاء السؤال والطلب .. ودعاء الحمد و الثناء .. وحسن التعبد لله بالاتصاف بها.

فدعاء السؤال والطلب : أن نقول يا غفار اغفر لنا ، يا رزاق ارزقنا ، يا لطيف الطف بنا و نحو ذلك .

و دعاء الحمد و الثناء : كما قال سبحانه : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:١-٤].

و حسن التعبد لله بالاتصاف بها ، يكون بالصفات التي يحبها الله ، من الإيمان، والصدق، والصبر، والعفو، والرحمة، والحكمة، والحلم، والعدل، والإحسان، والكرم و نحو ذلك : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقد فتح الله عز وجل لعباده أبواب معرفته ، و التبصر في أسمائه و صفاته و أفعاله ، فدعا عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين، و كل منهما باب واسع في معرفة الرب العظيم، و الإله الحميد و هما :

الأول : النظر و التفكر في مخلوقات الله المشهودة في ملكه العظيم، فهي أدل شيء على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس:١٠١].

الثانية : النظر و التفكر و التدبر في آياته المتلوة في القرآن العظيم : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۝٢٤﴾ [محمد:٢٤].

و كل أسم من أسماء الله ، وكل صفة من صفاته، له عبودية خاصة ؛ هي من مقتضياتها، و من موجبات العلم بها .

فالمسلم إذا علم تفرد الرب عز وجل بالخلق والأمر ، و النفع و الضر ، و العطاء و المنع، و الأحياء و الإماتة، أثمر له ذلك عبودية التوكل على الله باطنا ، و لزوم التوكل عليه ظاهرا : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

و إذا علم العبد بجلال الله، وعظمته، وكبريائه، وعلوه على خلقه، أثمر له ذلك عبودية الخضوع لربه العظيم ، والاستكانة لربه الكبير ، و المحبة لربه الكريم ، والشكر لربه الوهاب، والإقبال على طاعة ربه العظيم ، و البعد عن معصيته : ﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يونس:٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وإذا علم العبد أن الله سميع ، بصير ، عليم ، لا يخفى عليه مثقال ذرة ، ويعلم السر وأخفى ، وعلم مراقبته لكل شيء ، وشهوده له ، أثمر له ذلك عبودية الإقبال على ما يحبه الله ويرضاه، وأثمر له خشية الله ، ومراقبته في كل حال ، وحفظ قلبه و لسانه وجوارحه عن كل ما لا يرضي الله عز وجل : ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

و إذا علم العبد أن ربه غني كريم ، بر رحيم ، واسع المغفرة ، عظيم الإحسان ، أثمر له ذلك عبودية الرجاء و الطمع فيما عند الله عز وجل ، و إظهار الافتقار

إليه ، و إنزال جميع حوائجه به ، و حسن التوكل عليه، و عدم الركون إلى غيره : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن:١٣].

وإذا علم العبد بعدل الله ، و شدة انتقامة ، و عقوبته ، وغضبه ، وسخطه على من كفر به وعصاه ، أثمر له ذلك عبودية خشية الله، والخوف منه ، و البعد عن كل ما يغضبه، ويسخطه، ويكرهه : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة:٩٨].

و إذا علم بجلال الله و جماله و كماله ، أوجب له ذلك عبودية خاصة ، هي كمال الحب له ، و كمال التعظيم له ، وكمال الذل له، و شدة الشوق إليه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

فالعبودية التي يحبها الله راجعة بجميع أنواعها إلى مقتضيات أسماء الله الحُسنى ، و صفاته العلا، معرفة و تعبدا ، و دعاء و سؤالا ، و حمدا وشكرا .

فيجب علينا لنذوق طعم الإيمان ، و حلاوة اليقين ، و لذة العبادة، أن نعرف الله بأسمائه و صفاته و أفعاله، لنستفيد من اثارها و ثمارها ، و ذلك باستفراغ الوسع في معرفتها، و حسن التعبد لله بها ، و توفير كل همة في طلب رضاه ، و التقرب إليه بالنوافل بعد أداء الفرائض ، و نشر الحق بين الخلق ، و الصبر على كل أذى في سبيله : ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [غافر:١٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:١-٣].

و لمحبة الله لأسمائه وصفاته أمر عباده بعبادته بموجبها ، واجتناب ضدها .

فأمرهم بالتوحيد والإيمان ، و العفو و الإحسان ، و الرحمة و المغفرة، و الكرم و الحلم، وأمثال ذلك من الصفات المحمودة، ووعدهم على ذلك السعادة في الدنيا، والجنة والرضوان في الأخرة : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

و نهاهم عن ضدها من الشرك و الكفر ، و الشدة و الإساءة ، و القسوة و الظلم ، و البخل و السفه و امثال ذلك من الصفات المذمومة ، و توعد من اتصف بذلك بالشقاء في الدنيا ، والنار وسخط الجبار في الأخرة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨].

وأحب عباد الله إليه من اتصف بالصفات التي يحبها كالإسلام، والإيمان، والكرم، والصبر، والإحسان، والعفو، والصدق، والتقوى وأمثالها .

وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يبغضها كالكفر، والشرك، والنفاق، والفجور، و الكذب، و الفسق، والخيانة، والإساءة وأمثالها : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

و يستثنى من أسماء و صفات الرب ما لا يليق بالعبد أن يتصف به ، كصفات الكبر و العظمة ، والجبروت، لأنها مختصة بالملك العزيز الجبار، فلا تليق بالعبد، ولا تحسن منه أمام ربه وأوليائه، لمنافاتها رتبة العبودية والذل الملك الجبار جل جلاله، وإنما يستعملها المؤمن مع أعداء الله من الكفار : ﴿مُّحَمَّدٌ

﴿رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

و لما كان العلم بالله وأسمائه وصفاته و أفعاله أعظم أبواب التوحيد، و أول العلوم ، و أشرف المعارف، لأنه أساس العبودية ، و العلم به يدعو العبد إلى محبة الله، وتعظيمه، وتوحيده ، و خشيته، وتقواه، وإخلاص العمل له، ولوجوب معرفة الرب العظيم، والإله الكريم الرحيم، ولتحصل للعبد معرفة المعبود قبل العبادة ، و معرفة المطاع قبل الطاعة ، و معرفة الحاكم قبل معرفة أحكامه، ومعرفة المسؤول قبل السؤال ، و معرفة الآمر قبل معرفة الأوامر ، فتستقر في القلوب عظمة الرب و جلاله و تمتلئ بمحبته و إجلاله، وتطمئن بذكره و عبادته ، و تنشرح الصدور لامتثال أوامره، و تخشع القلوب لهيبته ، و تلهج الألسن بذكره وحمده ، و تنقاد الجوارح لطاعته و عبادته ، ويجتمع باطن الإنسان و ظاهره على طاعة مولاه ، و يتفق سر الإنسان و علانيته على حسن الثناء على ربه، وحمده وشكره، والافتقار إليه، والانكسار بين يديه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨].

لهذا أمرنا الله عز وجل أولا بمعرفته قبل كل شيء .

فمعرفة الله بأسمائه و صفاته و أفعاله، من أعظم العلوم نفعا، وأحسنها ثمرة، وأحلاها طعما، وأزكاها تربية، وأفضلها علما، و أنفسها قيمة ، و أرفعها درجة ، و أعلاها مرتبة : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

و بهذا العلم الإلهي يعرف الناس ربهم، وتقوم الحجة البالغة على الناس ، و يسجد الناس بالتعظيم و المحبة و الذل لرب الناس : ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن

تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد:١٦-١٧].

و حظ كل مسلم من هذا العلم العظيم بعد توفيق الله و عونه، بقدر همته ، و قوة مجاهدته ، و طول مثابرته ، و صدق توكله ، و دوام صبره ، و شدة افتقاره لربه ، و لزوم تقواه : ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة:٤].

وقال الله عز وجل : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة:٢٨٢].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام:١٢٤].

فالله أعلم حيث يجعل رسالته وهداه وتقواه، ويهب علمه وحكمته وهدايته : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام:٧٥].

و لأهمية معرفة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا ، وأفعاله الجميلة، أمرنا الله بمعرفته أولا قبل معرفة أحكامه ، فقال : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

# ٦- كيف يرى العبد ربه بأسمائه و صفاته

الله سبحانه هو الملك الحق، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، و المثل الأعلى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم:٢٧].

والله سبحانه يحب ظهور معاني أسمائه و صفاته في عباده ، كما قال سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

والمؤمن يقف بين يدي ربه بصفات العبودية، ناظرا إلى ربه بصفات الربوبية ، وعظمة الجلال و الجمال والكبرياء لربه العظيم، فيتصاغر العبد لكبرياء ربه العظيم، ويتذلل لعزته ، لما يراه من عظمة أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الجميلة: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

فأفعال ربنا كلها حكمة و رحمة، وعدل و إحسان، وأوصافه كلها أوصاف كمال، ونعوت جلال و جمال ، و أسماؤه كلها حسنى، و حمده قد ملأ الأرض و السماء ، و نعمه لا تعد و لا تحصى، والكون كله ناطق بحمده و شكره ، وشاهد بجلاله، وجماله، ووحدانيته و مسبح بحمده : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤].

هو سبحانه الواحد الأحد ، ولو لم يوحده من العباد أحد ، و هو المحمود لذاته وجلاله وجماله ، ولو لم يحمده أحد ، وكل ذرة و مجرة تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

هو الواحد الأحد الذي وحد نفسه قبل أن يخلق الموحدين له : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٨].

هو الإله الحق الذي شهد لنفسه بالألوهية، قبل ان يؤلهه أحد : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة:١٦٣].

هو الحميد الذي حمد نفسه على لسان خلقه، حيث أجرى حمده على لسان أوليائه بقوله : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة:١-٤].

فله الحمد كله ، و له الخلق كله ، و له الأمر كله ، وله الملك كله ، و إليه يرجع الأمر كله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

فلو استنفذ جميع العبيد جميع أنفاسهم في حمد ربهم، لما أدو شكر نعمة واحدة ، فكيف بشكر و حمد ربهم على جميع نعمه و آلائه و إحسانه في الدنيا والأخرة : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥].

والمؤمن حقا يقف بين يدي ربه في الصلاة و هو يشاهد ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا ، يشاهد ربا عظيما كبيرا، و إلها رحمناً رحيما ، وملكاً قويا عزيزا، ورباً قادرا لطيفا، حكيما حميدا، عفوا قديرا : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ

﴿فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾[المؤمنون:١-٢].

ويناجي إلها رحيما غفورا، غنيا كريما، توابا عفوا، حليما رؤوفا ، و يشهد جميع مخلوقاته خاضعة لعظمته ، و مستجيبة لمشيئته ، و مسبحة بحمده ، و مسرعة إلى إرادته ، و ذليلة لعزته، وشاهدة بوحدانيته : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج:١٨].

و يشهد ربه العظيم فوق خلقه مستو على عرشه ، الخلق كله بيده، والملك كله له والتدبير كله بأمره، فيرى الأصوات خشعت لجلاله، والنفوس ذلت لكبريائه، والقلوب أذعنت: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم:٢٦].

ويرى القهار يقهر، والحكم يحكم: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٨].

و يشاهد العبد ربه القوي العزيز يدبر الأمر ، ويفعل ما يشاء، و يحكم ما يريد ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، يعطي و يمنع ، ويخلق ويرزق ، ويحيي ويميت، ويعز و يذل، ويكرم ويهين ، ويأمر و ينهى ، و يقبض و يبسط : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

ويشهد ربه القادر على كل شيء ينصر و يخذل ، ويعز ويذل، ويرفع و يخفض، ويقدر المقادير والمواقيت : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ

ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧].

و يشهد ربه كما أنه رب العالمين الذي خلقهم و رزقهم و رباهم بنعمه، فهو إله العالمين الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، و هو إلههم، ومعبودهم، ومَفزَعهم عند الشدائد : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢].

ويشهد ربه الرحمن الرحيم وسعت رحمته كل شيء ، وسعت رحمته كل حي ، وسع علمه كل شيء : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر:٧].

و الرحمة من أعظم صفاته ، و لهذا استوى بها الرحمن على عرشه ، و هي السبب الواصل منه إلى خلقه ، و العبودية أعظم صفات العبد ، و هي السبب الواصل من العبد إلى ربه : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف:٥٦].

و يشهد ربه العظيم ملكا ، خالقا، رازقا، بيده ملكوت كل شيء ، يفعل ما يشاء ، و يحكم ما يريد : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس:٨٢-٨٣].

والتعبد لله بأسمائه الحسنى يكون بالاتصاف بالأسماء و الصفات على شاكلة العبودية .

فإذا علمت أن الله رحيم يحب الرحمة وأهلها فتتصف بالرحمة، وترحم الإنسان والحيوان، وإذا علمت أن الله عليم فتتعلم العلوم منه، وتعلمها للناس، وتعمل بموجبها وهكذا .

ويكون التعبد كذلك بأن تنادي ربك بالاسم الذي تريده من الله عز وجل؛ فتقول : يا غفار اغفر لي ، ويا رزاق أرزقني ، ويا تواب تب علي ، و يا رحمن أرحمني ، ويا نصير أنصرني على من بغى علي ، و يا شافي اشفني و هكذا،

وتناديه وتدعوه بصفاته فتقول ؛ يا أرحم الراحمين أرحمني ، يا ذا الجلال والإكرام اكرمني ، يا ذا القوة المتين انصرني : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف:١٨٠].

و كذا يخضع قلب العبد، وتعمل جوارحه، بمقتضى علمه بتلك الأسماء، والصفات، و الأفعال لربه العظيم: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر:٢٨].

فيحب العبد ربه، لما يراه من جلاله وجماله و إنعامه، ويعظم ربه، لما يراه من عظمته وكبريائه ، و عظمة ملكه وسلطانه، ويستغفر ربه، لأنه علم أنه غفور ، ويسأله حوائجه لأنه علم أنه غني كريم ، و إذا ظلم نفسه أو غيره استغفر ربه، لأنه يعلم أن ربه غفور رحيم.. وهكذا: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩].

و إذا علمت ان الله هو الرزاق وحده ، فلا تطلب الرزق من غيره، و إذا علمت أن الله هو السميع البصير، العليم ، فلا تعمل و لا تتكلم إلا بما يرضي الله عز وجل ، وإذا علمت أن الله هو القوي القادر، فلا تستعين إلا به، ولا تتوكل إلا عليه: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].

و إذا علمت أن الله هو الرقيب الشهيد الخبير ، فيجب ان تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾[الملك:١٢] .

وإذا علمت أن الله هو الحكيم ، فلا تعترض على شيء من أقداره و أوامره، وإذا علمت أن الله هو الوكيل الكفيل الكافي وحده لا شريك له، فلا تتوكل على أحد سواه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن:١٣].

## ٧- ثمرات التعبد لله بأسمائه و صفاته

معرفة الله بأسمائه و صفاته و أفعاله مثمرة لجميع الخيرات والبركات، العاجلة والآجلة : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

ومن أعظم أثارها و ثمراتها :

الأول : عبادة الله وحده لا شريك له .

والعبادة بأنواعها أجل ثمرات العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فمن عرف ربه بالملك والجبروت، والعظمة والكبرياء، وعرفه بالغنى والإحسان، والرحمة واللطف ، وعرفه بالعلم والإحاطة ، وعرفه بالقوة والقدرة، وعرف أنه السميع البصير، تضرع إليه بالذكر و الدعاء، وتوجه إليه بالحمد والثناء : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

الثاني : محبة الله عز وجل .

ومحبة الله قوت القلوب، وشفاء الصدور، وقرة العيون ، ومن أحب الله أحبه، ورضي عنه وأرضاه، و تقبل منه وهداه : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

فإذا اجتمع للعبد معرفة داع الإحسان و الإنعام ، إلي داع جلال ربه و جماله فذلك الخير كله : ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور:٣٥].

وقال عز وجل : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

ولا يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب و أخبثها : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

وكمال العبودية ثمرة المحبة ، والمحبة لله ثمرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وإنعامه وإحسانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد :١٩].

ومحبة الله تجذب العبد لطاعة ربه، وفعل ما يرضيه، واجتناب معاصيه ، وتحرك القلب و اللسان والجوارح إلى عبادة الله، واتباع رسول الله ﷺ ، والإعراض عما سوى ذلك : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:٣١].

الثالث : التعظيم و الذل لله عز وجل .

فإذا شهد العبد عظمة ربه، أفاض ذلك على قلبه الذل و الانكسار بين يدي العزيز الجبار: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلا لربه، و تعظيما له، وحبا له، وخوفا منه، ورجاء له، و أكثرهم سجودا لربه أكملهم معرفة بأسمائه و صفاته وأفعاله، ومن سجد هذه السجدة القلبية سجدت معه جميع الجوارح، و اكتملت عبوديته لربه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك:١٢].

ومن أراد السعادة الأبدية، فليلزم عتبة العبودية لربه الملك العزيز الجبار :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

و جميع أبواب الطاعات عليها زحام إلا باب الذل و الافتقار إلى الله، فهو أقرب الأبواب و أوسعها، ولا مزاحم فيه، لقلة الداخلين منه ، فأدخل منه إلى ربك الحق، ليأخذ بيدك إليه، و تكن عبده بين يديه : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

الرابع : الخوف و الخشية لله عز وجل .

فمن كان بالله أعرف، كان منه أخوف ، و كان له أشد خشية : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

الخامس : اليقين و الطمأنينة بالله عز وجل .

فإذا عرف العبد ربه العظيم بأسمائه الحُسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الجميلة، امتلأ قلبه إيمانا و يقينا، ونورا و إشراقا، ومحبة تعظيما، وانتفى عنه كل ريب وشك : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

و إذا تيقن القلب نزلت فيه السكينة ، وحلت فيه الطمأنينة ، وزاد إيمانه، وحسنت عبادته : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾﴾ [الفتح:٤].

السادس : الرضى عن الله عز وجل .

فمن عرف ربه بعدله و إحسانه، وحلمه ورحمته وحكمته ، وعرف أسماءه الحسنى، وصفاته العلا، أثمر له ذلك الرضا بحكم الله، وقدره، والتسليم لأمره

ونهيه، لعلمه أن تدبير الله أحسن من تدبيره ، و أحكام الله خير من هوى نفسه ، و ثواب الله أحسن من عمله ، و رحمة الله أرجى من أعماله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٧-٨].

السابع : التوكل على الله وحده .

فمن عرف ربه العظيم بأسمائه و صفاته و أفعاله سكن إليه، و توكل عليه وحده في جميع أموره ،لعلمه بكمال كِفايته، وقيامه بشؤون خلقه كلهم إيجاداً، وأمداداً، وتدبيراً، وحفظاً : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

و كلما كان العبد بالله أعرف كان إيمانه بالله أعظم ، و كان توكله على ربه أقوى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن:١٣].

الثامن : إخلاص العمل لله عز وجل .

فمن عرف ربه بأسمائه و صفاته و أفعاله أخلص له العمل ، لعلمه بكماله، وغناه عما سواه ، و شدة حاجة الخلائق إليه : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

ولا يشرك أحد مع الله غيره في عمل إلا لجهله بأسماء الله وصفاته و أفعاله : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال الرسول ﷺ :قَالَ اللهُ تَعالَى : «أَنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» أخرجه مسلم [1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

التاسع : التوبة و الإنابة إلى الله عز وجل .

فمن عرف ربه العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الكبرى ، سارع إلى طاعته ، و تاب إليه من معصيته ، لعلمه بكمال حبه لعبده و رحمته به ، وفرحه بتوبته : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٧-٢٨].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢].

العاشر :من ثمار معرفة الله بأسمائه و صفاته و أفعاله، حلاوة عبادة الله عز وجل.

فمن عرف ربه بأسمائه و صفاته وأفعاله كانت قرة عينه في مناجاة ربه ، والأنس به : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الجنة إلا هذه المعرفة ، و لا حلاوة تشبه حلاوة الجنة إلا عبادة الله بهذه المعرفة .

وكلما ازداد العبد معرفة بربه العظيم ازداد إيمانا وحبا وتعظيما وحمدا لربه، ووجد حلاوةً و لذةً في كل ما يحبه ربه ويرضاه، واستأنس بربه، واستوحش من كل ما يشغله عنه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

و عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجدَ حلاوَةَ الإيمانِ، أنْ يكونَ اللهُ و رسولُهُ أحبَّ إليه مِمَّا سِواهُما ، و أنْ يُحِبَّ المرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا للهِ ، و أنْ يَكْرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ بعدَ إذْ أنقذَهُ اللهُ مِنْهُ ؛ كَما يَكرَهُ أنْ

يُلْقى في النارِ» متفق عليه [1].

الحادي عشر : السعادة في الدنيا، والفوز بالجنة، والنجاة من النار .

فمن عرف ربه العظيم عبده بما يحبه ويرضاه ، ثم الله يثيبه على دينه في الدنيا، ويسعده بالأمن والهداية : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢].

اما في الأخرة، فيكرمه الكريم بدخول الجنة و رؤية الله سبحانه و القرب منه ، و سماع كلامه ، و الفوز برضوانه ، و التلذذ بنعيم الجنة ، و الخلود في دار المتقين، و النجاة من نار الجحيم : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢].

و غير ذلك من الثمرات، والحسنات، والخيرات، والبركات، التي تثمرها معرفة الله بأسمائه و صفاته و أفعاله، لأن عبادة الله ثمرة معرفته : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق:١٢].

اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

اللهم ارزقنا حسن معرفتك، وحسن عبادتك ، وجميل الإحسان إلى خلقك .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، غير ضالين ولا مضلين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾[آل عمران:٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦)، وأخرجه مسلم برقم (٤٣).

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الحادية والعشرون

## خصائص العقيدة الإسلامية

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : حكمة خلق الإنسان .

الثاني : أعظم النعم .

الثالث : كمال دين الإسلام .

الرابع : أعظم خصائص العقيدة الإسلامية.

# البصيرة الحادية والعشرون

# خصائص العقيدة الإسلامية

## ١ - حكمة خلق الإنسان

الله عز وجل خلق هذا الكون العظيم؛ ليدل على كمال ذاته، وأسمائه ،وصفاته، وأفعاله ، وعلى كمال عظمته وقدرته وعلمه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢].

وكل مخلوق من مخلوقات الله ، بل كل ذرة في الكون، شاهدة بوحدانية الله، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، وناطقة بعظمته، ومسبحة بحمده: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٤].

وقد جعل الله سبحانه لكل مخلوق في هذا الكون سُنة يسير عليها ، وبها يتحقق مراد الله منه ، فلكل شيء سُنة لا تتبدل ولا تتغير، ولا تتقدم ولا تتأخر، إلا بأمر الله وحده : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح:٢٣].

فالشمس لها سُنة ، والقمر له سُنة ، والليل له سُنة ، والنهار له سُنة ، والجماد له سُنة ، والنبات له سُنة ، والحيوان له سُنة ، والمياه لها سُنة ، والكواكب لها سُنة،

والرياح لها سنة، والبحار لها سُنة ، والجبال لها سُنة وهكذا : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى:١ -٣].

والإنسان مخلوق من مخلوقات الله، محتاج إلى سُنة يسير عليها في جميع أحواله؛ ليسعد في الدنيا والآخرة، وهذه السنة هي الدين الذي أكرمه الله به، ورضيه الله له ، ولا يقبل منه غيره ، وسعادته وشقاوته مرتبطة بمدى تمسكه به أو إعراضه عنه ، وهو أحوج شيء إليه ، وهو مختار في قبوله أو رده، وقد بينه الله له، ودعاه للدخول فيه ، ورغبه في العمل به ، وحذره من مخالفته : ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف:٢٩-٣٠].

# ٢ - أعظم النعم

الله عز وجل قد امتن على عباده بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى كما قال سبحانه : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤].

وأعظم هذه النعم ثلاث :

نعمة الإيجاد .. ونعمة الإمداد .. ونعمة الهداية .

وأعظم هذه النعم وأجلها نعمة الإسلام الذي أرسل الله به رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة وإلى العالم قاطبة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء:١٠٧].

والإسلام دين الحق والعدل والإحسان، وكله محاسن، جمع الله فيه محاسن الأقوال والأعمال والأخلاق ، وقد أكمل الله لنا الدين، وأتم به النعمة، ورضي الإسلام لنا دينا ، فمن قبله سعد في الدنيا، و دخل الجنة يوم القيامة ، ومن أعرض عنه شقي في الدنيا ، ودخل النار يوم القيامة ، ولن يقبل الله من أحد دينا غير الإسلام بعد نزوله : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة:٣].

والإسلام هو دين الله للناس جميعاً : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال الله تعالى : ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام:٤٨-٤٩].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، وَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْت بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» أخرجه مسلم (١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٥٣).

# ٣- كمال دين الإسلام

الإسلام هو الدين الحق الذي أرسل الله به جميع أنبيائه ورسله .

الإسلام دين الحق، والعدل، والرحمة، والإحسان، وهو الدين الكامل الشامل الباقي إلى يوم القيامة : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ﴾[آل عمران:١٩].

وقد أكمل الله عز وجل لهذه الأمة هذا الدين ولن يقبل الله غيره بعد نزوله سواه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فالإسلام هو دين الحق الذي ينظم علاقة الإنسان مع ربه بعبادته وحده، والإيمان به ، وشكره، والتوجه إليه في جميع الأحوال، والخوف منه، والتوكل عليه ، والذل له، والمحبة له ، والتقرب إليه، والاستعانة به ، وطلب مرضاته ، وسبل الوصول إلى جنته، وكيفية النجاة من غضبه وعقابه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء: ١٢٥].

و الإسلام ينظم علاقة الإنسان مع سيد الخلق رسول الله ﷺ .

وذلك بطاعته، ومحبته، والإيمان به، واتباع سنته، وتصديق ما جاء به، والاقتداء به في أقواله وأعماله وأخلاقه، وأن يعبد الله بما شرع : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١].

والإسلام ينظم علاقة الإنسان مع غيره على أحسن الوجوه كالأم والأب ، والزوجة والأولاد ، والأقارب والجيران ، والعالم والجاهل ، والمسلم والكافر، والحاكم والمحكوم وغيرهم : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

﴿تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

والإسلام ينظم معاملات الناس المالية بكسب الحلال ، وتجنب الغش والخيانة والسرقة ونحو ذلك ، والسماحة في البيع والشراء ، والإنفاق في وجوه الخير ، وكيفية توزيع الصدقات ، وتقسيم المواريث ونحوها ، وتحري الصدق، وتجنب الربا، والكذب، والنفاق ، والحسد وغيرها من مساوئ الأخلاق والأعمال .

والإسلام كذلك ينظم حياة الإنسان الزوجية، وتربية الأولاد، على أكمل الوجوه وصيانة الأسرة من الفساد ، وينظم حياة الرجل والمرأة في حال السراء والضراء ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والأمن والخوف ، والحضر والسفر :

وينظم الإسلام كذلك سائر العلاقات على جسور متينة، من الحب في الله، والبغض في الله ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ، وجميل الصفات كالكرم والجود، والحلم والعفو ، والحياء والعفة ، والصدق والبر، والعدل والإحسان، والرحمة والشفقة ونحوها : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وينهى الإسلام عن كل شر وفساد ، وظلم وطغيان كالشرك بالله ، والقتل بغير حق ، والزنا ،والكذب ، والكبر ، والنفاق ، والسرقة ، والغيبة ، والنميمة ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وأكل الربا ، وشرب الخمر ، والسحر ، و الرياء والغش ونحو ذلك من مساوئ الأخلاق: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣].

ويكشف الإسلام بعد ذلك كله حياة الإنسان في الأخرة، وأنها مبنية على حياته في الدنيا ، فمن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة دخل الجنة ، وسعد برؤية ربه سبحانه ، وتمتع بما فيها مما لا عين رأت، ولا اذن سمعت، ولا خطر على قلب

بشر، خالدين فيها أبدا : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

ومن جاء بالكفر والمعاصي دخل النار ، والنار فيها عذاب أليم ، وعذاب شديد، وعذاب عظيم، وعذاب كبير، وعذاب ومهين، يخلد فيها الكافر ، ويعذب فيها العاصي المؤمن بقدر ذنوبه او يغفر الله له : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة:٣].

فلله الحمد والمنة على نعمة الإسلام، ومصدر السعادة والأمن في الدنيا والآخرة : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥-١٦].

فمن قبل هذا الدين الكامل، نال الثواب الكامل، ومن رفضه استحق العذاب لكفره : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٣-١٤].

# ٤ - أعظم خصائص العقيدة الإسلامية

تمتاز العقيدة الإسلامية بالخصائص الآتية :

الأولى : أن العقيدة الإسلامية عقيدة ربانية تؤخذ من القرآن والسنة فقط ، لا من غيرهما، وذلك للأمور الآتية :

الأول : ثبوت كمال الدين بأصوله وفروعه كما قال سبحانه : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ٣﴾ [المائدة:٣].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه (١) .

الثاني : تواتر النصوص الشرعية الأمرة بإتباع الكتاب والسنة ، ولزوم ما جاء فيهما من أخبار وأحكام كما قال سبحانه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر:٧].

وقال الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩].

ونهى الله عز وجل عن الخروج عن أحكام القران و السنة بقوله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

وقال تعالى : ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [العنكبوت:٥١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، وأخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

الثالث : تحريم القول على الله وعلى رسوله بغير علم كما قال سبحانه : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

وقال عز وجل : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣].

وقَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ : «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» متفق عليه (١).

الرابع : وجوبَ التسليم لله ورسوله في كل ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة كما قال سبحانه : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

و قال عز وجل : ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج:٣٤].

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨].

الثانية : من خصائص العقيدة الإسلامية الإيمان بالغيب .

فالعقيدة الإسلامية تقوم على الإيمان بالغيب من الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، ولهذا بين الله في كتابه أن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٩١)، وأخرجه مسلم برقم (٤).

الإيمان بالغيب أول صفات المؤمنين فقال : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة:١ -٥].

وقال النَّبيُّ ﷺ حينما سأله جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام : أَخبِرْني عَنِ الإِيمانِ؟ قَالَ : «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» متفق عليه [1] .

والإيمان بالغيب أجل مقامات الدين على الإطلاق ، والإيمان بالغيب من خصائص الإنسان الفطرية، فهو يشترك مع سائر الحيوان في إدراك المحسوسات، ويتميز عنها بالإيمان بالغيب الذي جاء به الوحي : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١٣٦﴾ [النساء:١٣٦].

وعالم الغيب عالم كبير ، يقابله عالم الشهادة ، وعالم الشهادة ذرةٌ من عالم الغيب، وقد مدح الله نفسه بأنه عالم الغيب والشهادة وخالقهما كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢﴾ [الحشر:٢٢].

وقال عز وجل : ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩﴾ [الأنعام:٥٩].

وعالم الغيب مما لا يمكن للعقل إدراكه إلا بواسطة الوحي ، فالله ورسوله جاء

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠)، وأخرجه مسلم برقم (٩).

عنهما الخبر عن عالم الغيب ، فنصدق كل ما جاء عن الله ورسوله، ونسلم له .

الثالثة : من خصائص العقيدة الإسلامية الوسطية .

فالوسطية من أظهر خصائص العقيدة الإسلامية ، والوسطية هي التوازن بين الأمور المتقابلة ، والتوسط بين الأطراف المتباعدة في ضوء القرآن والسنة .

وقد وصف الله هذه الأمة بأنها الأمة الوسط : فقال سبحانه : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣].

فهم عدولٌ خيار ، ولذا كلفهم الله أن يكونوا شهداء على الناس يوم القيامة ، ووسطية هذه الأمة كونها على الحق بين باطل من غلا ، وباطل من جفا : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة:٧٧].

فالمسلمون وسطٌ في صفات الله بين اليهود الذين شبهوا الخالق بالمخلوق ، حيث قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ، وقالوا يد الله مغلولة ، وبين النصارى الذين شبهوا المخلوق بالخالق ، كقولهم عن عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ أنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة ، والمسلمون هم الوسط الذين وصفوا الخالق بصفات الكمال، ونزهوه عن صفات النقص ، ونزهوه أن يكون شيءٌ يشبهه من خلقه كما قال سبحانه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

وقال عز وجل : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

والمسلمون وسط في الأنبياء بين اليهود الذين قتلوا الأنبياء كما قال سبحانه عنهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة:٨٧].

وبين النصارى الذين غلوا في المسيح فعبدوه من دون الله كما قال الله عنهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة:٣١].

والمسلمون آمنوا بجميع الأنبياء والرسل، وما جاءوا به من الكتب، واليهود قتلوا الأنبياء، وكفروا بما جاء به محمد ﷺ.

واليهود والنصارى فرقوا بين الأنبياء فقال سبحانه مبيناً لهم أمة الوسط: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة:١٣٦-١٣٧].

الرابعة: تكريم العقل، واستعماله فيما خلق له.

فالمسلمون يعتقدون أن العقل الصريح، لا يخالف النقل الصحيح.

وقد رفع الوحي من قيمة العقل، وحث على التعقل، والتفكر، والتدبر، وأثنى على العقلاء كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وفي القرآن كثيراً أفلا تعقلون، أفلا يتدبرون، أفلم يدبروا: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم:٢١].

ودعا الله في القرآن أهل العقول إلي التدبر والتفكر فقال : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة:١٦٤].

وذم الله عز وجل التقليد الأعمى، الذي هو حجاب العقل، وغطاء الفهم، ومنبر الضلال، كما قال سبحانه : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)﴾ [البقرة:١٧٠].

وعلم التوحيد والإيمان والأحكام، إنما يتلقى من القرآن والسنة، لا من تقليد الآباء : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)﴾ [المائدة:١٠٤].

والوحي يأمر بتوجيه العقل إلي مجالاته النافعة، وكفه عن الخوض فيما لا يطيقه ولا يفهمه من أمور الغيب ونحوها .

فقد أمر الله في القرآن الكريم العقل بالنظر في الآيات الكونية، وتدبر الآيات القرآنية؛ ليعرف الإنسان دلائل التوحيد، وبراهين التصديق كما قال سبحانه : ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨)﴾ [ق:٦-٨].

وقال الله عز وجل : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ [محمد:٢٤].

والله سبحانه ركب العقول في بني آدم؛ ليهتدوا بالمحسوس إلي المعقول، وبالمخلوق على الخالق، وبالشهادة على الغيب، و بالجزء على الكل، وبالدنيا على الآخرة، وترك الباب مفتوحاً أمام العقل؛ ليستنبط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، ولو شاء الله لأنزل حكم كل مسألة على التفصيل ، لكنه أنزل قواعد عامة ترد من خلالها الفروع إلى الأصول، وذلك توجيه منه للإستفادة من خلال الوحي المنزل : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء:٨٣].

و قَالَ النَّبِيَّ ﷺ : «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه (١) .

وتنويهٌ بشأن العقل إذا أستعمل في مجاله المثمر قَالَ ﷺ : «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» متفق عليه (٢).

وخوض العقل في غير مجاله ، وتسوره الكلام في علم التوحيد بدون نور الوحي، سبيل الظلال، وطريق الهلاك : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام:٦٨].

الخامسة : من خصائص العقيدة الإسلامية موافقة الفطرة الربانية.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، وأخرجه مسلم برقم (١٠٣٧).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٥٢)، وأخرجه مسلم برقم (١٧١٦).

فالله سبحانه فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه:
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠].

و قَالَ النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، وَيُمَجِّسَانِهِ» متفق عليه (١).

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي: «إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا» أخرجه مسلم (٢).

فالتوحيد والإيمان بالله عز وجل مركوز في الفِطَر، والمطلوب من كل إنسان أن يسقي الإيمان الفطري بالإيمان الكسبي، والإيمان الكسبي يحصل بالنظر العقلي في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية كما قال الله عز وجل:
﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقال الله عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢].

السابعة: من خصائص العقيدة الإسلامية الشمولية

فهي عقيدة شاملة فيما تقوم عليه من أركان الإيمان، وشعبه، وقواعده، وهي كذلك شاملة في نظرتها للوجود كله، تدل الإنسان على ربه، وعلى آياته،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣٥٨)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٥٨).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٥).

ومخلوقاته ، وعلى الدنيا والآخرة، وعلى ما يسعد العبد في الدنيا والآخرة .
فأركان الإيمان الستة يكمل كل منهما الآخر ،وأركان الإسلام الخمسة يكمل كل منهما الآخر ، وكلها تجمع بين عمل القلب واللسان والجوارح .
وشمولية العقيدة الإسلامية تبرز في المظاهر الآتية :
تظهر في العناية التامة بأنواع التوحيد كلها ، التوحيد العلمي، والتوحيد العملي.
التوحيد العلمي الخبري، وهو توحيد الربوبية .
والتوحيد الطلبي الإرادي العملي، وهو توحيد الألوهية .
فكل نوع مستلزم للآخر، وثمرة له، ولهذا يقرن الله بينهما في القرآن كثيرا كما قال سبحانه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].
وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف:٥٤].
وتوحيد الربوبية هو الأساس والأصل الذي يبنى عليه توحيد الألوهية والعبادة، فإن الرب الملك الخالق الرازق، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، وهو الإله الذي يجب أن نتوجه إليه بالذكر والدعاء ، والخوف والرجاء والحب ، وأنواع العبادة التي شرعها الله : ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر:٦٥].
فالعبادة لا يعقل ولا يصح أن تكون لغير الرب الخالق لكل شيء ، المالك لكل شيء ، الرازق لكل شيء : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ

فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

ولما كان توحيد الربوبية كالأساس لتوحيد الألوهية ، أولاه القرآن عناية خاصة فلا تكاد سورة، بل آية، أن تخلو منه، أو الإشارة إليه .

فمن أقر بتوحيد الربوبية لزمه أن يفرد ربه بالعبودية ، والقرآن يسوق دلائل الربوبية، ثم ينتقل منها إلى توحيد العبودية كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

فالله عز وجل بين صفات الربوبية؛ ليعرف العباد ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم يتوجهوا إليه بعبادته وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وقال عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الثامنة : من خصائص العقيدة الإسلامية، أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة، أن يوالي أهلها، ويعادي أعداءها .

فيحب أهل التوحيد والإيمان والتقوى و يواليهم ، ويبغض أهل الشرك والكفر، ويعاديهم : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤].

التاسعة : أن الله عز وجل هو الواحد الأحد الذي خلق هذا الكون العظيم، لينتسب إلى خالقه العظيم الواحد الأحد .

وخلق سبحانه هذه الخلائق العظيمة، لتقر له بالعبودية وحده لا شريك له، وتتلقى منه الشريعة وحده لا شريك له، وتعبده وحده لا شريك له : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

فإذا عرفتم ذلك وحدتم الله، وآمنتم به، وعبدتموه، واخلصتم العبادة له وحده لا شريك له : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

وقال الله عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

وكل ما يخرج عن قاعدة التوحيد هذه فهو شرك و باطل وكفر ، وصاحبه مخذول مذموم : ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

وقال الله عز وجل : ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء:٢٢].

وقال الله عز وجل : ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء:٢١٣].

العاشرة : من خصائص العقيدة الإسلامية، أن من أمن وعمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت:٤٦].

والله سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة إليه، ثم يعرض عنها : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء:١٥].

الحادية عشرة : أن العقيدة الإسلامية عقيدة ربانية، منذ خلق الله آدم إلى بعثة خاتم الأنبياء محمد ﷺ، فكل نبي قال لقومه : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأعراف:٥٩].

ودين الله واحد كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٩].

وهذه العقيدة ثابتة، لا تتغير ولا تتبدل، ولا تزيد و لا تنقص، أرسل الله بها كل رسول إلى قومه ، وكل عقيدة سواها مردودة ، وكل عمل بني على غير هذه العقيدة فهو مردود : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقالَ رَسولُ الله ﷺ : «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أخرجه مسلم (١).

والناس كلهم سواء أمام هذه العقيدة، العرب والعجم، والأبيض والأسود، والرجال والنساء، والأغنياء والفقراء، وأكرمهم على الله أتقاهم لله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات:١٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

الثانية عشرة : من خصائص العقيدة الإسلامية، أن العقيدة الإسلامية قد تكفل الله بحفظها بكلياتها وجزئياتها إلى يوم القيامة : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩].

وقال عز وجل : ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت:٤١-٤٢].

الثالثة عشرة : أن العقيدة الإسلامية، واضحة بينة، لا غموض فيها، ولا لبس، ولا تعقيد ، وهي تتلخص في أن لهذه المخلوقات خالقا وهو الله وحده : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر:٦٢].

وأنه المستحق للعبادة وحده لاشريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢].

وأنه يجب أن يدعي الناس إلى عبادته وحده: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨].

الرابعة عشرة : أن العقيدة الإسلامية قائمة على الحجة والبرهان، والدليل الحسي ، والدليل النقلي من القرآن والسنة ، ومظاهر آيات الله في الكون كثيرة لا تعد و لا تحصى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١].

وقال الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ [النساء:١٧٤].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

ومصادر هذه العقيدة أربعة :

القرآن .. والسنة .. والإجماع .. والقياس .

فهي عقيدة تحترم العقول، ولا تكتفي بالإلزام الصارم فقط : ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:٢٩].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٢-٣].

الخامسة عشرة : أن العقيدة الإسلامية، عقيدة إيجابية، تسعد أهلها في الدنيا والآخرة ، وتوفر لهم الأمن والهداية والطمأنينة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

وقال عزوجل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

وقد بينت هذه العقيدة صفات الرب الذي يستحق أن يعبد ويطاع ، وبينت صفات العبد العاجز المحتاج ، الضعيف الفقير إلى مولاه : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

وقال الله عز وجل : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

السادسة عشرة : أن العقيدة الإسلامية عقيدة واقعية، تراعي فطرة الإنسان، وطبيعة تكوينه، وواقع حياته ، فلا تأمره إلا بما يطيق، ولا تكلفه ما لا يطيق ، ولا تأمره بما لا يفهمه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [البقرة:٢٨٦].

لهذا فهي قليلة التكاليف، عظيمة الأجور ، فأوامرها وأحكامها لا تأخذ من وقت الإنسان إلا جزءاً يسيرا كالصلوات الخمس ، والزكاة كل عام، والصوم مرة كل سنة، والحج مرة في العمر، وكذا جميع أنواع الرخص، وكذا تنوع

العبادات، لئلا يمل المسلم من نوع واحد : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣].

هذه هي أهم خصائص العقيدة الإسلامية ، وفي القرآن والسنة تفصيل هذه الخصائص .

نسأل الله عز وجل أن يفقهنا وإياكم في الدين، وأن يجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين و لا مضلين .

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

اللَّهُمَّ أَعْطِنَا وَلَا تحَرِمْنَا، وَ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا ، وارفعنا و لا تضعنا .

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، يَا ذا الجَلالِ والإِكْرامِ .

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات:١٨٠-١٨١].

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الثانية والعشرون

## التوحيد أول واجب على العبيد (١)

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : فقه التوحيد

الثاني : أقسام التوحيد

الثالث : أركان التوحيد

الرابع : فضائل التوحيد

# البصيرة الثانية والعشرون

# التوحيد أول واجب على العبيد (١)

## ١ - فقه التوحيد

التوحيد هو إفراد الله تعالى بما يختص به ، وما يجب له سبحانه .
بأن يتيقن العبد أن الله واحد لا شريك له في ربوبيته، وألوهيته ، وأسمائه وصفاته وأفعاله .

و معناه : أن يتيقن العبد ويقر أن الله وحده ، رب كل شيء ومليكه ، وأنه الخالق وحده، الذي يدبر الكون كله وحده ، وأنه سبحانه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وأن كل معبود سواه فهو باطل ، وأنه سبحانه متصف بصفات الكمال، منزه عن كل عيب ونقص ، له وحده الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، و الأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

وقال عز وجل : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

الله جل جلاله واحد لا شريك له ، أحد لا مثيل له ، في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته، وأفعاله ، له الملك كله ، والخلق كله ، والأمر كله ، وبيده الخير كله ، وحده لا شريك له : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

هو الملك ، وكل ما سواه مملوك له، وهو الرب ، وكل ما سواه عبد له، وهو الخالق ، وكل ما سواه مخلوق له : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

وهو سبحانه القوى ، وكل ما سواه ضعيف، وهو القادر ، وكل ما سواه عاجز، وهو الكبير ، وكل ما سواه صغير، وهو الغني ، وكل ما سواه فقير إليه، وهو العزيز ، وكل ما سواه ذليل بين يديه: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان:٢٦].

وهو الحق، وكل معبود سواه باطل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان: ٣٠].

وهو سبحانه العظيم ، الذي لا أعظم منه، العلي، الذي لا أعلى منه، الكبير، الذي لا أكبر منه، الرحمن ، الذي لا أرحم منه .

وهو سبحانه القوى ، الذي خلق القوة في كل قوي، القادر ، الذي خلق القدرة في كل قادر، الرحمن ، الذي خلق الرحمة في كل راحم، العليم ، الذي علم كل مخلوق، الرزاق ، الذي خلق جميع الأرزاق والمرزوقين : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه الإله، الواحد الأحد ، الحق ، الذي يستحق العبادة وحده دون سواه: لذاته، وجلاله، وجماله، وجميل إحسانه، وله وحده الأسماء الحسنى، والصفات العلى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١].

وهو الحكيم العليم ، الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤].

وهو سبحانه الأول قبل كل شيء، الآخر بعد كل شيء، الظاهر فوق كل شيء، الباطن دون كل شيء، العليم بكل شيء، وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣].

وهو سبحانه الملك، الحق، الذي بيده كل شيء، وكل ما سواه ليس بيده شيء، فتوجه إليه وحده لا شريك له، وأعبده مخلصا له الدين: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران:٢٦].

وهو وحده المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، المنعم بكل شيء، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

وهو وحده المحيط بكل محيط، القادر على كل قادر، القاهر لكل قاهر، الواحد المالك لكل واحد: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك:١].

## ٢ - أقسام التوحيد

التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، ونزلت به الكتب نوعان :

الأول : توحيد المعرفة والإثبات

ويسمى توحيد الربوبية، والأسماء، والصفات، وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وتوحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

ومعناه أن يتيقن العبد ويقر أن الله وحده هو الرب الخالق المالك، الذي يتصرف بهذا الكون العظيم وحده لا شريك له ، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، بيده الملك، وهو على كل شيء قدير، له وحده الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨].

وليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١].

الثاني : توحيد القصد والطلب .

ويسمى توحيد الألوهية والعبادة، وهو إفراد الله عز وجل بجميع أنواع العبادة : كالدعاء ، والصلاة ، و الخوف ، والرجاء ، والمحبة ونحوها : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢].

ومعناه أ ن يتيقن العبد ويقر أن الله وحده ذو الألوهية على خلقه أجمعين، وأنه سبحانه المستحق للعبادة وحده دون سواه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس:٣].

فلا يجوز لأحد صرف شيء من أي نوع من أنواع العبادة كالدعاء والصلاة ، والاستعانة والتوكل ، والخوف والرجاء ، والذبح والنذر ونحوها ، إلا لله وحده دون سواه ؛ ومن صرف شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك كافر : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وحقيقة التوحيد ولبه أن يرى الإنسان الأمور كلها من الله تعالى خلقاً ، وتدبيراً، رؤيةً تقطع الالتفات إلى غيره من الأسباب والوسائط ، فلا يرى الخير والفضل، والعطاء والمنع ، والنفع والضر ، والتصريف والتدبير ، والخلق والأمر ، إلا من الله وحده، وأن يعبده سبحانه بموجب هذا العلم ، عبادة يفرده بها، ولا يعبد غيره معه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس:٣].

وكل من عبد غير الله فهو أجهل الجاهلين، وأضل الضالين، وأخسر الخاسرين : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر:٦٤-٦٦].

وقال الله عز وجل : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٦].

## ٣- أركان التوحيد

التوحيد له سبعة أركان :

الأول : توحيد الله جل جلاله بذاته :

فالله هو الواحد الأحد لا شريك له ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، له الخلق والأمر كله : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤].

الثاني : توحيد الله عز وجل بأسمائه الحسنى :

كالعليم ، والقدير ، والسميع ، والبصير ، والغني، والكريم، والغفور، والرحيم وغيرها من الأسماء الحسنى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه:٨].

ثالثاً :توحيد الله عز وجل بصفاته العلى :

كالخلق ، والرزق ، والحياة ، والسمع ، والبصر، والقوة، والقدرة ، والرحمة، والرأفة وغيرها من الصفات العلى : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر:٦٥].

رابعاً : توحيد الله عز وجل بأفعاله :

كالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، والتدبير والتصريف : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٨٠﴾ [المؤمنون:٨٠].

خامساً : توحيد الرب جل جلاله بأفعال العبد :

كدعاء الله وحده، والتوكل عليه وحده، ومحبته، والخوف منه، والصلاة، والزكاة، والصوم ، وسائر انواع العبادة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧﴾ [الحج:٧٧].

سادساً : توحيد كتابه بالإتباع :

ومعناه توحيد كتابه عز وجل بالتصديق والتطبيق ، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٤].

سابعاً : توحيد رسوله ﷺ بالإتباع : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

فهذه أركان التوحيد السبعة :

توحيد الله بذاته .. وتوحيد الله بأسمائه .. وتوحيد الله بصفاته ..وتوحيد الله بأفعاله .. وتوحيد الرب بأفعال العباد .. وتوحيد كتابه بالاتباع .. وتوحيد رسوله ﷺ بالإتباع .

وكل ذلك يحصل للعبد بكمال معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

وبقدر تلك المعرفة يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان والتقوى ، وينشرح الصدر لأنواع الطاعات، ويمتلئ القلب بحب الله، وحب أوامره ، وتنقاد الجوارح للعمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه، من الأقوال ، والأعمال الظاهرة والباطنة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر:٢٨].

وبهذا يحصل للعبد توحيد الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيده بالعبادة ، وتوحيد الرسول ﷺ بالإتباع ، وتوحيد كتابه بالإتباع .

ويعبد المؤمن ربه، بكمال الحب ، وكمال التعظيم ، وكمال الذل كما عبده الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

## ٤ - فضائل التوحيد

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وعن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ على ما كان من العمل» متفق عليه (١).

وعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ الله مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ هذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لمِا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ : أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ» أخرجه البخاري (٢).

والمؤمن الذي امتلأ قلبه بالتوحيد والإيمان يُرجع الأمر كله لله وحده ، خلقاً ورزقاً ، وعطاءً ومنعاً ، وإحياءً وإماتة ، وتصريفاً وتدبيراً ، ونصراً وهزيمة : ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم: ٤-٥].

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٣٥)، وأخرجه مسلم برقم (٢٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٩٩) .

﴿تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾
[آل عمران:٢٦].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فمن عرف الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرف عظمة خزائنه ونعمه، وعرف دينه وشرعه، وعرف وعده ووعيده، وعرف عظمة ملكه وسلطانه، توجه إلى ربه العظيم وحده، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾
[محمد:١٩].

وقال الله عز وجل: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

وقال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

فأهل التوحيد والإيمان أرجح الناس عقولاً، بل هم عقلاء الخلق، وأهل الشرك والكفر أسفه الناس عقولاً، وأضلهم سبيلاً: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة:١٣٠].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ

﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام:٧١-٧٢].

وما أنعم الله على أحد من الخلق بأفضل من أن عرفه كلمة التوحيد لا إله إلا الله، ورزقه العمل بمقتضاها : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات:١٧].

وتوحيد الله عز وجل زادٌ يدفع المؤمن إلى الاستقامة على الصراط المستقيم ، ومراقبة الله في كل حال ، وإتقان العمل في كل ما قدمته يداه : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

والإسلام عقيدة وعمل ، لا ينفك أحدهما عن الآخر مادام الإنسان حياً، فالعقيدة بلا عمل كالروح بلا جسد، والعمل بلا عقيدة ، كالجسد بلا روح : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام:١٢٢].

فنور الشمس فلق كل ظلام ، ولكن لا يراه إلا البصراء، ونور الحق أضوأ من نور الشمس ، ولكن لا يرآه إلا أهل البصائر والعقول : ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام:١٠٤].

ومنذ استبدل الناس الهوى بالهدى أثمر لهم ذلك العزة ، والأمن ، والطمأنينة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

وقال الله عز وجل : ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران:١٠٣].

ولما استبدل الناس الهدى بالهوى عوقبوا بالذلة، والخوف، والشقاء، والهوى مقرونٌ بالهوان ، فمن أتبع هواه هان على الله وعلى الخلق : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٤].

وقال الله عز وجل : ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص:٥٠].

والله سبحانه خلق الخلق، ودعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له واجتناب عبادة ما سواه.

وقد فطر الله قلوبهم حين خلقهم على معرفته ، وعلى حب الخير، وكراهة الشر: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم:٣٠].

و قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «كل مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ» متفق عليه [١].

ثم الله عز وجل برحمته أرسل الرسل، وأنزل الكتب، لسقي هذه الفطرة ، فطرة التوحيد، وردّ الناس إلى عبادة الله وحده كلما انحرفوا عن هذه الفطرة : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة:٢١٣].

فقد خلق الله الخلق جميعاً ، وفطرهم على التوحيد ، فلما اختلفوا وأشركوا بالله، أرسل الله الرسل إليهم، ليردوهم إلى التوحيد ، وعبادة الله وحده لا شريك

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣٥٨)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٥٨).

له : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦].

فلا إله إلا الله أفضل الذكر ، وكلمة التقوى ، وثمن الجنة ، وأساس الأعمال ، وأثقل شيءً في الميزان ، ومن أجلها خلق الله السموات والأرض ، والجنة والنار : ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الجاثية:٢٢].

ولا إله إلا الله كلمة الإخلاص ، وأعلى شعب الإيمان : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

وقال الله عز وجل : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

و قَالَ النبي ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ» متفق عليه [١].

ولا إله إلا الله أول أركان الإسلام ، وأول أركان الإيمان : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقَالَ النبي ﷺ : «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» متفق عليه [٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٩)، وأخرجه مسلم برقم (٣٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨)، وأخرجه مسلم برقم (١٦).

وأحوج ما يكون الإنسان إلى هذه الكلمة العظيمة، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

هذه الكلمة العظيمة، المبشرة بكل خير، نقولها بعد كل صلاة مفروضة، لأنها جمعت منافع الدنيا والآخرة، والأمن والسعادة في الدنيا والآخرة.

فكل إنسان مبتلى بين حاجات لا تنتهي، ومستهدف من أعداء لا يحصرون، ومن هداه الله إلى هذه الكلمة، وجد فيها ما يفتح له أبواب خزائن رحمة الله عز وجل، الذي بيده مفاتيح كل شيء: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢].

ووجد فيها قوة تدفع عنه جميع الشرور، وتصرف عنه جميع الأضرار: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن: ١٣].

وذلك لما يرآه المؤمن من قوة مولآه الحق، وعظمة ملكه وسلطانه، وكمال جبروته وقدرته: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وفي هذه الكلمة العظيمة: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) حصن للمؤمن، وملجأ يحفظه، وينقذه من المهالك والمخاوف التى تحيط به من كل جهه، لأنه عرف ربه، وأحتمى بحماه: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

فهي تقول له: إن ربك هو الله الواحد الأحد، فلا تتعب، ولا تتعب نفسك بمراجعة غيرك، ولا تتذلل للخلق، ولا تتملق لهم، ولا تحني رأسك لهم، ولا تخشى أحداً منهم، فكلهم مماليك صغار، بيد الله الملك الكبير المتعال:

﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ

مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [هود:٥٦].

وقال الله عز وجل : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال الله عز وجل : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

فسبحان ربنا العظيم ، الواحد الأحد ، القادر على كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد ، الغني عن كل أحد .

هو الملك العظيم الذي جميع مخلوقاته شاهدةٌ بوحدانيته ، ومسبحةٌ بحمده ، ومستجيبةٌ لمشيئته ، ومسرعةٌ إلى إرادته ، وخاضعةٌ لأمره : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج:١٨].

فرب الكون واحد ، ومالك الكون واحد ، وإله الكون واحد ، له ملك كل شيء وبيده مفاتيح كل شيء ، وتنحل عقد كل شيء بأمره وحده ، وتنفرج كل كربة بإذنه وحده ، فإن وجدته ملكت كل شيء ، وفزت بما يسعدك في الدنيا والآخرة : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٧-١٨].

وقال الله عز وجل : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

والله وحده واحدٌ لا شريك له في ذاته ، ولا في أسمائه، ولا في صفاته ولا في

أفعاله ، ولا في ملكه وسلطانه ، ولا في خلقه وأمره ، ولا في حكمه وعبادته : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك:١].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف:٤٠].

من استنار قلبه بنور التوحيد والإيمان ، توجه إلى ربه العزيز الرحيم في كل حال، لأنه عرف أنه ذو الجلال والإكرام ، وذو العزة والجلال، فهو وحده الذي عنده خزائن كل شيء ، وله القدرة المطلقة على كل شيء : ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىۡءٍ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس:٨١-٨٣].

هو جل جلاله الواحد الأحد ، الذي يسبح بحمده كل أحد : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾ [الإسراء:٤٤].

هو سبحانه الواحد الأحد ، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

وإذا عرف قلب العبد هذه الكلمة العظيمة لا إله إلا الله ، وتيقن عليها، امتلأ قلبه توحيداً وإيماناً، وفرحاً وسروراً ، وبهجةً وأُنساً، وانقادت جوارحه لعبادة

ربه وحده: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾ [الرعد:٢٨-٢٩].

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك كله ، وله الحمد كله، وانت ملكه كما أنك عبده، وأنت عاملٌ في ملكه ، تسكن في أرضه ،وتأكل من رزقه ، وتتقلب في نعمه، فعليك أن تؤمن به، وتوحده، وتطيع أمره : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج:٧٧].

فأيها الإنسان اعرف قدر نفسك، واعرف عظمة ربك، وتوكل على ربك الذي بيده مقاليد الأمور كلها.

خلقك الله، لتكون عبداً لمِلك الملوك، ومالك الدنيا والآخرة ؛ لأنك لا تقدر على تدبير أمور نفسك ، ولا يمكنك أن تحفظها من البلايا والشرور ، ولا توفر لها لوازم الحياة : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل:٥٣].

وقال الله عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

فأخضع رحمك الله لأوامر ربك الشرعية، كما خضعت لأوامره الكونية : في نوعك، ولونك، وطولك، وعرضك ورزقك : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار:٦-٨].

وقال الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

وكما أن الله له الملك وحده لا شريك له ، فكذلك له الحمد وحده، لأن كل نعمة في الدنيا والآخرة منه، فجميع النعم تفيض من خزائنه ، وخزائن الغني سبحانه لا تنفذ، ولا تنقص، ولا نهاية لها، ولا فناء لها : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص:٥٤].

وعَنْ أبي ذرٍّ الغفاري رضيَ اللهُ عَنْه عَنْ النبيِّ ﷺ فيما يَرويه عن ربِّه تبارك وتَعالى أنه قال : «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» أخرجه مسلم [1].

ونعم الله على العباد لا تعد ولا تحصى ، وأعظمها ثلاث نعم :

نعمة الخلق والإيجاد .. ونعمة العطاء والإمداد .. ونعمة الهداية والإسعاد

وأعظم هذه النعم نعمة الهداية، فيجب علينا شكر الله وحمده ، والثناء عليه، على كل نعمة ظاهرة وباطنة : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤].

وقال الله عز وجل : ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:١٨].

ولذة النعمة، تفوقها لذة أن خصك الله بها ، فلو أن ملكاً عظيماً أهدى إليك تفاحةً مثلاً ، فإن لذة أن خصك الملك بها من بين الناس تفوق لذة طعم التفاحة

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

بأضعاف مضاعفة : ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨].

فعلينا جميعاً الإكثار من الحمد والشكر لمن خصنا بأنواع النعم المتوالية، الظاهر والباطنة، والتي لا تعد ولا تحصى : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

اللهم ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، ملء السماء والأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد ،لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

لا إله إلا أنت، أنت الحي القيوم الذي يحي ويميت، وهو حي لا يموت، واهب الحياة، المتكفل بكل ضروراتها وحاجاتها : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران:٢].

أيها العبد الضعيف الفقير المحتاج لا ترهق نفسك بتحمل أعباء الحياة الثقيلة، ولا تذهب نفسك حسرات على فناء الحياة، ولا تظهر الندم على مجيئك إلى الحياة، كلما تراه زوال نعيمها، وزوال أهلها : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

وقال الله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

واعلم أن أمور الحياة والموت، بيد الحي العليم، الحكيم الخبير : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون:٨٠].

وأنت أيها الإنسان ما أنت إلا عامل بسيط في سفينة الحياة، فقم بواجبك ثم

أقبض أجرتك، وتمتع بها في حياة أبدية، تعقب هذه الحياة : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

والله سبحانه هو الحي الذي يحيي ويميت، والذي يملك الحياة هو وحده الذي يملك الموت : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:١-٢].

هو الحكيم الذي ينقلك من الحياة الفانية إلي الحياة الباقية، بالأعمال الصالحة، وينقلك من دار إلي دار ، حتى تستقر في دار القرار في الجنة أو النار: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم:٤٠].

فأبشر أيها المؤمن، الموت ليس إعداما ولإفراقا، وهذه الحياة ليست عبثاً ولا سدىً، وإنما الأمر انتقال من دار إلي دار أوسع، ومن نعيم إلي نعيم أحسن، ومن حياة إلي حياة أجمل وأبهى وأبقى : ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر:٣٩].

فأبشروا يأهل التوحيد، وأملوا ما يسركم، فبعد فراقكم هذه الحياة الدنيا، ستحيون حياة أخرى ترون فيها ربكم في حياة أبدية لا تزول : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وسيحل عليكم رضوانه، وترضون عنه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة:٧-٨].

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له ،له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لايموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير .

فالله وحده بيده الملك كله، وجميع أعمال العباد مسجلة لديه : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾ [يس:١٢].

فأيها المؤمنون أبشروا بما يسركم، ولا تقولوا عندما تغادرون هذه الحياة الدنيا إلى المقبرة، وآسفاه !! واحسرتاه!! ذهبت أموالنا، وضاع سعينا، وفارقنا أولادنا، ودخلنا ضيق القبر، بعد فسحة الدنيا، فكل ما عملتموه محفوظ، وكل ما قدمتموه مسجل لديه، وسوف يجزيكم عليه بأحسن الجزاء : ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل:٩٧].

وقال الله عز وجل : ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن:٦٠].

وقال الله عز وجل : ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس:٢٦-٢٧].

فهنيئا لكم أيها المؤمنون الموحدون، فقد أمنتم بربكم، وأتممتم أعمالكم، وأنهيتم وظائفكم، اليوم تنالون ثواب ما قدمتم من خير : ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾ [المزمل:٢٠].

فسبحان من بيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير .

هو الواحد الأحد القادر على كل أحد، الواحد القهار العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة:١٢٠].

فأبشر أيها المؤمن، فقد أحياك القادر على كل شيء، لتعيش في الدنيا حياة محدودة، ولتقوم بعمل محدود، وما دمت قد أتممت العمل، فسينقلك الملك القادر على كل شيء، الرحمن الرحيم، العزيز الكريم، إلى حياة بلا موت ، وإلى نعيم بلا بؤس ، وإلى شباب بلا هرم، هذا وعد الله، والله لا يخلف الميعاد : ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم:٦-٧].

فهنيئا لأهل التوحيد والإيمان، الذين أدوا الأمانة، وفازوا في الاختبار، وربحوا في تجارتهم مع الله في دنياهم : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

إنهم سيعودون إلى ربهم مكرمين آمنين : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

وقال الله عز وجل : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم:٨٥-٨٦].

فأيها المؤمنون لا تحزنوا، ولا تبكوا عند دخولكم القبر، فأنتم ذاهبون إلى مولاكم الكريم، وإلى جنة عرضها السموات والأرض : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ

عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

وأنتم مدعوون إلى دار ضيافته الأبدية، إلى جنة خالدة سرمدية : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر:٧٣-٧٤].

اللهم يا حي يا قيوم ،يا من بيده الخلق والأمر ، اجعلنا وجميع المؤمنين والمؤمنات من هؤلاء يا ذا الجلال والإكرام.

فيا من في قلبه التوحيد والإيمان ، لا تخف ، ولا تحزن ، ولا تتوهم انك ماض الى الفناء والعدم بعد الموت ، بل انت ذاهب الى البقاء لا الى الفناء ، إلى دار السرور لا إلى دار الشقاء، إلى عالم النور لا إلى عالم الظلمات : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

وعلم التوحيد هو أفضل العلوم، وأوجبها، وأساسها، فلماذا نتعلم علم التوحيد أولاً ؟؟، لأن علم التوحيد هو جنة المعرفة في الدنيا الموصلة إلى الجنة في الآخرة .

علم التوحيد هو أول الواجبات، وأوجب التكليفات، وأساس جميع الأعمال : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وقال الله عز وجل : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ

رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

فأول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

فالتوحيد أول ما يدخل به العبد في الإسلام ، وآخر ما يخرج به العبد من الدنيا، فهو أول واجب ، وآخر واجب ، وعليه تبنى الأعمال .

قال النبي ﷺ لمَّا بَعَثَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ : «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَأَنِّ محمد رَسُولُ اللهِ» متفق عليه [1].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ» أخرجه مسلم [2].

ولأن علم التوحيد أفضل العلوم وأوجبها ؛ لأنه الأصل الذي تبنى عليه الأعمال الصالحة، فكل عمل لا توحيد فيه فباطل : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

وعلوم الشريعة أفضل من غيرها ؛ لتعلقها بالوحي والسعادة في الدنيا والآخرة، وعلم التوحيد في الذروة العليا من تلك العلوم ، حيث حاز الشرف الكامل دون غيره من العلوم، وشرف العلم بشرف المعلوم، فالعلم الإلهي حاز غيره من العلوم من جهات ثلاث :

من جهة موضوعه .. ومن جهة معلومة .. ومن جهة الحاجة إليه .

فأولاً : التوحيد من جهة موضوعه :

يتعلق بالله الحي القيوم ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى، المتفرد بصفات الجلال ، والجمال ،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٩٦)، وأخرجه مسلم برقم (١٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩١٧).

والكمال، ونعوت العزة ، والكبرياء : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨].

والعلم يشرف بشرف المعلوم، وعلم التوحيد موضوعه معرفة رب العالمين بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعبادته بموجب هذه المعرفة ، لتعرف القلوب ربها بذاته ، وتوحده بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتعبده وحده بموجب هذه المعرفة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

وتعرف صفوة الخلق أجمعين محمد ﷺ ، وتعبد الله عزوجل متبعة لرسوله ﷺ في أقواله ، وأعماله ، وأخلاقه : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

وتحقيق التوحيد هو أفضل الأعمال مطلقا ، فقد سُئِل النبي ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ فقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» متفق عليه (١).

وسُئل رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: «إِيمَانٌ لا شَكَّ فِيهِ» أخرجه النسائي (٢).

والتوحيد موضوعه دعوة الرسل لله أجمعين، فالله أرسل الرسل ، وأنزل الكتب، لإقامة التوحيد بين العبيد : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦].

وقال عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

ثانياً : فضل التوحيد من جهة معلومة :

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦)، وأخرجه مسلم برقم (٨٣).

(٢) أخرجه النسائي برقم (٢٥٢٥).

فعلم التوحيد هو مراد الله الشرعي من عباده ، الجامع للعقائد الحقة من الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الأخر ، والقدر خيره وشره .

ومراد الله عز وجل يجمع أموراً ثلاثة ، وتترتب عليه أمور ثلاثة :

فهو يجمع أن الله تعالى أراده ، وأحبه ، فأمر به، ويترتب على كونه أمر به، أن يثيب فاعله ، ويعاقب تاركه ، وأن ينهى عن مخالفته : ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر:١١-١٢].

ثالثاً : أما فضل التوحيد من جهة الحاجة إليه :

فالله سبحانه وتعالى أمر به كل مكلف، لشدة حاجته إليه : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وقال سبحانه : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴿٣﴾﴾ [الزمر:٢-٣].

وأثنى الله عز وجل على أهل التوحيد ومدحهم بقوله : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤].

ووعد الله عز وجل الموحدين أجراً عظيماً كما قال سبحانه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الثالثة والعشرون

## التوحيد أول واجب على العبيد(٢)

وتشتمل هذه البصيرة العظيمة على المباحث الآتية :

الأول : التوحيد في القرآن.

الثاني : حكم الدعوة إلى التوحيد.

الثالث : حكم الإقرار بالتوحيد.

الرابع : واجبات أهل التوحيد.

الخامس : ثمرات التوحيد في الدنيا والآخرة.

السادس : جزاء أهل التوحيد في الدنيا والآخرة فَأْتُوا

# البصيرة الثالثة والعشرون

# التوحيد أول واجب على العبيد (٢)

## ١ - التوحيد في القرآن

القرآن الكريم هو كتاب الدعوة إلى الله ، وكتاب التوحيد والإيمان ، وكتاب الهداية، وكتاب العلوم والأحكام، وكتاب الأجر والثواب : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

والقرآن العظيم من فاتحته إلى خاتمته في تقرير علم التوحيد والإيمان .

فهو في أول سورة الفاتحة يقول الله فيه عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة:٢-٥].

وهو في آخر القرآن في سورة الناس ،يقول عز وجل : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [الناس:١-٣].

فالقرآن العظيم من فاتحته إلى خاتمته في تقرير علم التوحيد بأنواعه، وفي بيان لوازمه، وفي بيان عاقبة أهله الموحدين : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥-١٦].

وجميع العبادات والأذكار والأدعية ، كلها توحيد لله عز وجل، وتعظيم له، وتسبيح له .

وحياة النبي ﷺ، ودعوته، وتعليمه، وأقواله، وأفعاله، كلها توحيد لربه عز وجل ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

والقرآن الكريم كله في بيان ثلاثة أمور :

أحدها : التعريف بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده وعظمة ملكة وسلطانه ، وعظمة نعمه وإحسانه .

فقد بين الله عز وجل في جميع سور القرآن ، بل في كل صفحة من القرآن ، بل في كل آية من القرآن أسماء الله، وصفاته، وأفعاله كما قال سبحانه : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢)﴾ [آل عمران:٢].

وقال الله تعالى : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

الثاني : الكلام عن سيرة الأنبياء والرسل ، وما قاموا به من الدعوة إلى الله، والصبر على ذلك كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾ [النحل:٣٦].

الثالث : الكلام عن اليوم الآخر، وما يجري في عرصات القيامة، من الحشر والحساب ، والثواب والعقاب، وصفة الجنة والنار ، وأحوال أهل هذه وأهل هذه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ

ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [ الروم : ١٤ -١٦ ] .

وعلم التوحيد هو أعظم شيء بينه الله عز وجل في كتابه بأقسامه الستة .

وعلم التوحيد هو الذي أرسل الله به جميع الأنبياء والرسل كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦].

وقال عزو جل : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

والتوحيد حق الله على عباده كما قَالَ النَّبِيِّ ﷺ : «حَقُّ اللهِ عَلَى العباد أَنْ يَعْبُدُوا الله وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» متفق عليه (١) .

وعقيدة التوحيد، هي ملة أبينا إبراهيم التي أمرنا الله بإتباعها بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل:١٢٣].

وقال عز وجل : ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأنعام:١٦١].

ولأهمية التوحيد جعله الله شرطاً لقبول الأعمال الصالحة ، وانتفاع العبد به في الدنيا والآخرة فقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

وسعادة البشرية في الدنيا والآخرة منوطةٌ بالتوحيد ، فلا راحة ولا أمن، ولا طمأنينة ولا سعادة، لأهل الأرض إلا بالتوحيد : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٢٦٧)، وأخرجه مسلم برقم (٣٠).

بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨].
وقال عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].
وقال الله عز وجل : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام:١٢٢].
وقد سمى الله ما أنزله على رسله من الوحي روحا ، لتوقف الحياة الحقيقية عليه فقال : { وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [ الشورى : ٥٢ -]
وسمى كتابه نورا لتوقف الهداية عليه فقال عز وجل : ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥-١٦].
وقال عز وجل : ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء:١٧٤].
وسماه شفاءً؛ لأنه شفاءٌ للنفوس المؤمنة من عللها الظاهرة والباطنة فقال سبحانه : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء:٨٢].
وقال عز وجل : ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت:٤٤].
والرسالة التي جاءت بها جميع الرسل، هي الدعوة إلى التوحيد ، وهي روح

العالم ونوره وهداه وحياته، فلا صلاح للعالم مطلقاً إذا فقد الروح والنور والهدى والحياة، بل الدنيا مظلمةٌ ملعونةٌ إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة والتوحيد، فكذلك الانسان مالم تشرق في قلبه شمس الرسالة، فهو في ظلمة وعذاب، وهو ميت وإن كان بدنه حيّا : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام:١٢٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة:٢٥٧].

وقال عز وجل : ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء:٢١٣].

إن مدار سعادة الانسان في الدنيا والآخرة تكون بمعرفة الله ، وتوحيده ، والإيمان به ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

ومدار شقاء الإنسان في الدنيا والآخرة يكون بالجهل بالله، والكفر به، والإعراض عن دينه : ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن:١٧].

وقال عز وجل : ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء:٢٢].

فحياه الكافر في الدنيا والآخرة حياة شقاء وعذاب ، حياة خوف وضلال ، حياة هم واضطراب : ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء:٢١٣].

وقال عز وجل : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٥].

وأما حياة المؤمن في الدنيا والآخرة، فهي حياة أمن وطمأنينة ، وحياة نعيم وسعادة ، وحياة أُنْس وسرور : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

وقال عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

فما طابت الدنيا إلا بتوحيد الله ، وعبادته وحده، وما طابت الأخرة إلا بتوحيده، وجنته ، ورضوانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٧-٨].

ولأهمية علم التوحيد جاءت نصوص القرآن والسنه مبينةً له ، مفصلة لأنواعه الخمسة :

الأول : أن تلك النصوص من القرآن والسنة إما أن تكون في تقرير التوحيد في نوعه العلمي الخبري، ببيان أسماء الله وصفاته وأفعاله، وخزائنه، وآياته، ومخلوقاته ، وغيرها من أركان الإيمان كما قال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ

سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢].

الثاني : أو تكون في تقرير التوحيد في نوعه الطلبي الإرادي بدعوة الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة:٢١].

وقال عز وجل : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء:٣٦].

الثالث : أو تكون في لوازم التوحيد من الأحكام الفقهية العملية، من أنواع العبادات ، وأنواع المعاملات، ومكارم الأخلاق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧].

الرابع : أو تكون في جزاء أهل التوحيد، وما لهم من الجنة والرضوان عند ربهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

الخامس : أو تكون في بيان عقوبة أهل الشرك، وما لهم من النار، وغضب الجبار : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد:١٢].

والتوحيد أصل لغيره من العلوم ، وما سواه من العلوم مبنيٌّ عليه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥].

وعلم التوحيد هو الفقه الأكبر الذي جاء به كل رسول ، وأنزل الله به كل كتاب ، وفرضه الله على كل انسان : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦].

## ٢- حكم الدعوة إلى التوحيد

دعوة الرسل جميعاً هي الدعوة إلى توحيد الله ، والإيمان به ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾ [النحل:٣٦].

فأصل الدعوة، هي الدعوة الى توحيد الله بأسمائه، وصفاته وأفعاله، وتوحيده بعبادته : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾ [الأنبياء:٢٥].

وكَان ﷺ يطوف على الناس في موسم الحج : وِ يَقُولُ لهم : «أَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، تُفْلِحُوا» أخرجه أحمد [(١)].

وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي طَالِبٍ، وهو على فراش الموت : «أَيْ عَمُّ قُلْ : لا إِلَهَ إلا اللهُ ، كَلِمَةٌ أَحاج لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» متفق عليه [(٢)].

وقبل وفاته ﷺ بعام واحد، بعث معاذاً إلى اليمن و قال له : «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ» متفق عليه [(٣)].

وأمر ﷺ بقتال الناس، حتى يشهدوا لله بالتوحيد .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله عز وجل» متفق عليه [(٤)].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٥٤٤٨)

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٤)، وأخرجه مسلم برقم (٢٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٩٦)، وأخرجه مسلم برقم (١٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥)، وأخرجه مسلم برقم (٢٢).

ولما سحب كثير من الدعاة الدعوة إلى توحيد الله، وتعريف الخلق بأسمائه وصفاته وأفعاله، ووضعوا مكانها مسائل الأحكام ، وقدموا الفروع على الأصول ، أثمر ذلك تعلق الناس بغير الله ، لأنهم لا يعرفونه كما يجب كما يعرفون غيره ، وأنتج ذلك وأثمر أنهم صاروا يصفون الأعداء والكفار بصفات العظمة، والقدرة، والقوة، والعلم ، وغيرها من صفات الرب سبحانه ، فتزعزع الإيمان في القلوب ، وتعلقت الأمة بغير الله القوي العزيز الجبار ، وفزعت عند الشدائد إلى أعداء الله ، لأنها لم تعرف ربها الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى ، وله الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

فأصل الدعوة الدعوة إلى الله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال عز وجل : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

فإذا عرفنا الله عظّمناه وكبّرناه، وإذا عرفنا نعمه وإحسانه حمدناه وشكرناه وأحببناه، وإذا عرفنا كمال قدرته استعنا به، وتوكلنا عليه .

فأكثر الخلق لم يعرف ربه الذي خلقه وهداه واجتباه ، لم يعرف ربه الذي دعاه إلى معرفته بقوله : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩].

وقال عز وجل : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

والدعوة إلى التوحيد هي أول الأوامر الإلهية ، ومقصود جميع الأعمال الصالحة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] أي يوحدون.

وقال عز وجل : ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر:١١-١٢].

وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِّيَ الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِّ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» متفق عليه [1].

ومقصود جميع العبادات القولية والفعلية، هو تحقيق التوحيد لله وحده لا شريك له : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

ولماذا نقدم الدعوة إلى التوحيد على غيرها ؟

والجواب : ان الدعوة إلى التوحيد هي الأصل الذي بدأ به كل رسول، كما قال الله سبحانه : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦].

وكل نبي قال لقومه : ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴿٨٤﴾﴾ [هود:٨٤].

فإذا عرفنا الرب أمنا به ووحدناه، وامتثلنا أمره ، ونلنا ثوابه، ونجونا من عقابه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨)، وأخرجه مسلم برقم (١٦).

ولأن التوحيد هو الأصل الذي تبنى عليه الأعمال الصالحة ، كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧].

ولِأن التوحيد هو السبب في دخول الجنة، والنجاة من النار والشرك هو السبب في الخلود في النار، والحرمان من الجنة : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال عز وجل : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وعن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ : «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ ، دَخَلَ النَّارَ» أخرجه مسلم (١).

ولِأن التوحيد هو أول الأوامر الإلهية ، وهو المقصود من كل عمل صالح : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة:٢١].

وسَأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلام النَّبِيَّ ﷺ : فقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ : «الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ الله لاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئا ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ» متفق عليه (٢).

ولأن فساد البشرية سببه الانحراف عن التوحيد إلى الشرك؛ لأن الشريعة لا تقوم أبداً إلا على العقيدة، وإذا فقدت العقيدة، أنصرف الناس عن الشريعة،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٣) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠)، وأخرجه مسلم برقم (٩).

وعبدوا غير الله، وتعلقوا بغير الله، كما غيَّر عَمْرو بن لحي الخزاعي عقيدة العرب إلى الوثنية، حينما جلب الأوثان إلى مكة، فتعلق الناس بها، وتركوا عبادة الله، فانتقلوا من الحنيفية التي جاء بها إبراهيم ﷺ إلى عبادة الأوثان والأصنام من دون الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [لقمان: ٢١].

واليهود والنصارى أفسدوا رسالة التوحيد والإيمان التي جاء بها موسى وعيسى عَلَيْهِمُ الصلاة والسَّلَامُ، بعبادتهم لعزير وعيسى ، فصاروا بذلك مشركين كافرين: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال عز وجل عن النصارى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقال عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

وعمل الجوارح تابع لإيمان القلب ، ففعل الأوامر، واجتناب النواهي، دليلٌ على رسوخ الإيمان في القلب، وترك الأوامر، وارتكاب النواهي دليلٌ على ضعف الإيمان في القلب ، وعدم رسوخ التوحيد فيه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ : «لاَ يَزْني الزَّاني حِينَ يَزْني وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ

حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» متفق عليه (١).

ولأن التوحيد هو سبيل تحقيق العبودية لله عز وجل ، فالعبودية التي يريدها الله من خلقه في كل حال تأتي بالتوحيد لا بسواه .

فلا إله إلا الله تقتضي أن الله وحده هو الإله الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له ، وأن يطاع فلا يعصى هيبة له ، وإجلالاً له ، ومحبة له ، وخوفاً منه ، ورجاء له، وتوكلاً عليه : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴿٣﴾﴾ [الزمر:٣].

وقال عز وجل : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل:٤٩-٥٠].

ولأن التوحيد هو الذي يبعث الأمن والطمأنينة والسكينة في قلوب أصحابه .

فمن كان بالله أعرف، كان لله أخوف ، وله أحب ، وله أعبد ، لأنه علم أن الملك لله، وأن الخلق لله ، وأن الأمر كله لله ، وأن مقاليد الأمور كلها بيد الله ، فتوكل على الله : ولم يلتفت لأحدٍ سواه : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

فإذا أدلهمت الخطوب ، وهبت الفتن ، وعظمت الأهوال ، وانقطعت الأسباب، واشتد الكرب ، أمتاز الموحدون عن المشركين ، وفروا إلى الله وحده، يطلبون العون منه ، لأنهم يعلمون أنه قاضي الحاجات ، وكاشف الكربات ، وحده لا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٧٥)، وأخرجه مسلم برقم (٥٧).

شريك له : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل:٦٢].

وقال عز وجل : ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

فسرعان ما تزول الشدائد ، وتنفرج الكربات ، وتزول الأهوال، عن أهل التوحيد : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٢-٣].

فمن تعلق بالله وحده نجا ، ومن تعلق بغير الله هلك وشقي في الدنيا والآخرة ، لأن الأمر كله بيد الله الواحد الأحد : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

فليس بيد أهل السماء والأرض شيء ، ولا بيد الغرب والشرق شيء ، بل كل شيء بيد القادر على كل شيء وحده لا شريك له : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك:١].

فالأمن كله بيد الله الواحد القهار وحده لا شريك له ، ولو كانت الدنيا كلها علينا ومعنا الله لنصرنا : ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران:١٦٠].

والله ينصر من نصر دينه : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج:٤٠-٤١].

ولو كانت معنا جنود السموات والأرض من دون الله، لهزمنا جيش من النمل فضلاً عن جيش من البشر : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣].

وقال عز وجل : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء:٢٢].

مذموماً : لا حامد لك ؛ مخذولاً : لا ناصر لك .

ولأن التوحيد سبب لمغفرة الذنوب، ودخول الجنة ، ورضوان الله، والشرك سبب للشقاء ، ودخول النار، وسخط الجبار .

فإذا انحرفت النفوس عن فطرة التوحيد، وحادت عن الصراط المستقيم إلى الصراط المعوج ، واتبعت الشهوات ، وتركت أوامر الله، فلن يردها إلى الصواب، ويعصمها من انزلاقها، إلا عقيدة التوحيد، ونور الإيمان : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:٣٠].

فانظر في الآيات الكونية ،وتدبر الآيات القرآنية ، فلن ترى إلا رباً واحداً ، وملكاً واحداً ، وإلهاً واحداً ، وخالقاً واحداً ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ويخلق ويرزق ، ويعطي ويمنع ، ويعز ويذل ، ويخفض ويرفع ، ويحيي ويميت، ويدبر الأمور ، ويصرف الأحوال : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢].

فسبحان الواحد القهار، الذي ليس له شريك في ملكه ، وخلقه ، وعبادته : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون:٩١].

وقال عز وجل : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٢].

وقال عز وجل : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الإسراء:٤٢-٤٣].

ولأن الإيمان بإله واحد هو الذي يستقيم مع الفطرة الإنسانية ، لأنه يثمر استقامة القلب والقالب لله رب العالمين ، وبذلك تحصل للإنسان السعادة في الدنيا والآخرة، فالذي امتلأ قلبه بالتوحيد والإيمان ، تحرك لسانه بالذكر و الحمد والثناء ، والتمجيد لربه العظيم، والدعوة إليه ، وتحركت جوارحه بأنواع الطاعات والقُربات : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

والدعوة إلى التوحيد تشريفٌ لهذه الأمة كلها : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والدعوة إلى التوحيد فرض عين على كل مسلم ومسلمة، كل أحد حسب علمه وقدرته : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨].

وقال عز وجل : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥].

وقال عز وجل : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

## ٣- حكم الإقرار بالتوحيد

توحيد الربوبية يقر به الإنسان بموجب فطرته، ونظره في الكون .

والإقرار به وحده لا يكفي للإيمان بالله ، والنجاة من العذاب ، فقد أقر به إبليس ، وأقر به المشركون، فلم ينفعهم، لأنهم لم يقروا بتوحيد العبادة لله وحده: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨)﴾[الزمر:٣٨].

فمن أقر بتوحيد الربوبية فقط لم يكن موحداً ولا مسلماً ، ولَم يحرم دمه ولا ماله، حتى يقر بتوحيد الألوهية، فيشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ويقر بأن الله وحده هو المستحق للعبادة وحده دون سواه ، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)﴾ [البينة:٥].

وتوحيد الألوهية والعبادة كفر به وجحده أكثر الخلق ، لجهلهم بالله العظيم، ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل إلى الناس ، وأنزل عليهم الكتب، ليأمروهم بعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾ [النحل:٣٦].

وتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، متلازمان ، فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية ، فمن أقر بأن الله وحده الرب الخالق ، المالك الرازق ، لزمه أن يقر بأنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده ، فلا يدعوا إلا الله، ولا يستغيث إلا به ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يصرف شيئاً من أنواع العبادة إلا لله وحده دون سواه : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾ [يونس:٣].

وتوحيده الألوهية مستلزم لتوحيد الربوبية ، فكل من عبد الله وحده، ولمَ يشرك به شيئا، لا بد أن يكون قد أعتقد أن الله ربه وخالقه ومالكه وحده لا شريك له ٠
والربوبية والألوهية، تارة يذكران معاً فيفترقان في المعنى ، فيكون معنى الرب الملك الذي له الخلق والأمر ، ويكون معنى الإله المعبود بحق ، المستحق للعبادة وحده دون سواه كما قال سبحانه : ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣﴾ [الناس:١-٣].
وتارة يذكر أحدهما منفرداً عن الآخر فيجتمعان في المعنى كما قال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ [آل عمران:٢].
وقال الله عز وجل : ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس:٥٨].
فالتوحيد أعدل العدل ، وأحسن المحاسن، والشرك أظلم الظلم ، وأسوأ المساوئ : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء:١٢٥].
وقال عز وجل : ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان:١٣].
وقبائح الشرك كثيرة، وقد ذكر الله عز وجل للشرك أربع قبائح، في أربع آيات من كتابه الكريم، فقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء:٤٨].
وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء:١١٦].
وقال عز وجل : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة:٧٢].
وقال تعالى : ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ [الحج:٣١].

# ٤- واجبات أهل التوحيد

أهل التوحيد هم رؤوس الناس، وخيرهم، وأسعدهم، وأعظمهم مكانة عند الله.

ويجب على أهل التوحيد الأعمال التالية :

الأول : الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

الثاني : إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

الثالث : طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ ، وطاعة أولي الأمر في غير معصية الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩].

وعَنِ ابْنِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنهُما ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ : «عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ ، إِلا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَمَنْ أَمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ عَلَيْهِ وَلا طَاعَةً» متفق عليه (١).

الرابع : تعلم العلم الشرعي وتعليمه، كل أحد حسب قدرته : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩].

وعَنْ عُثْمَانَ رَضِي اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُم مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٥٥)، وأخرجه مسلم برقم (١٨٣٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

الخامس : الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

السادس : الجهاد في سبيل الله، صيانة للدين وأهله من أَذى الكفار وعدوانهم، وقتال من صد عن سبيل الله : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩].

السابع : الاعتصام بحبل الله ، وعدم التفرق : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

الثامن : الاستقامة على الدين ظاهراً وباطناً حتى الممات : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

التاسع : حسن الخُلق مع الخالق بعبادته وحده لا شريك له ، وحسن الخُلق مع الخلق : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال عز وجل : ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

العاشر : لزوم الاستغفار والتوبة في كل حال : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣].

وقال عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

## ٥ - ثمرات التوحيد في الدنيا والآخرة

ثمرات التوحيد، والعمل بموجبه كثيرة، ويجمعها أمران :

ثمرات باعتبار المكلف .. وثمرات باعتبار العلم نفسه .

وما يتعلق بالعبد المكلف يعود إلى منافع دنيوية وأخروية .

والدنيوية ترجع إلى منافع علمية وعملية ، وإليك تفصيل ذلك :

الأول: الثمرات التي تعود على المكلف :

أولاً : في الحياة الدنيا، من أعظم ثمرات التوحيد الحياة الطيبة، والأمن والطمأنينة، واتساع الرزق ، وحصول البركات : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦].

وقال عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

وَقَالَ ﷺ : «عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحدٍ إلا للمُؤْمنِ إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ» أخرجه مسلم [١].

فأطيب الناس عيشاً في الدنيا ، وأشرحهم صدراً ، وأسعدهم حياة، هم أهل التوحيد والإيمان، الذين أدخلهم الله جنة معرفته ، وعبادته قبل لقائه ، ودخول جنته في الآخرة : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

ومظاهر الحياة الطيبة التي خص الله بها أهل توحيده في الدنيا كثيرة منها:

الأول: ولاية الله للمؤمنين: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة:٢٥٧].

وقال عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس:٦٢].

ثانياً: محبة الله للمؤمنين، ومحبة الخلق لهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة:١٦٥].

ثالثاً: حصول نور البصيرة التي تفرق بين الحق والباطل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال:٢٩].

رابعاً: حصول العزة، وتمام الكرامة للمؤمنين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨].

وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران:١٣٩].

خامساً: نصر الله للمؤمنين، ودفاعه عنهم: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر:٥١].

وقال عز وجل: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج:٣٨].

وقال عز وجل : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

وغير ذلك من الثمرات التي جاءت في القرآن والسنة .

**الثاني : ثمرات التوحيد العلمية :**

أولاً: أعظمها معرفة الله بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله معرفة يقينية ، وعبادته بموجب هذه المعرفة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩ ﴾ [محمد:١٩].

وكلما ازداد المؤمن علماً بالتوحيد ازداد رقياً في مدارج الإيمان والتقوى، وأرتقى من الإيمان المجمل إلى الإيمان المفصّل، وأرتقى من الإسلام ، إلى الإيمان ، إلى الإحسان ، إلى كمال اليقين، وأرتقى من حال التقليد ، إلى حال اليقين ، والتسليم، وهذا أفضل ما اشتغل بعلمه الإنسان، لأنه يثمر خشية الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨ ﴾ [فاطر:٢٨].

وقال عز وجل : ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩ ﴾ [الرعد:١٩].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ : أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ : «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ» متفق عليه (١)

ثانياً : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله سبيل لرفع الدرجات ، وحصول البركات : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١ ﴾ [المجادلة:١١].

ثالثاً : علم التوحيد هو العلم الصحيح الذي تُحل به جميع العقد .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥١٩)، وأخرجه مسلم برقم (٨٣).

عقد الضلال والشرك، وعقد عبادة الحجر والشجر، وعقد عبادة الهوى والشهوات، من دون الله : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المائدة:٧٦].

وقال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠].

رابعاً : علم التوحيد هو السبب الوحيد في انشراح الصدر ، وطمأنينة القلب ، وحصول الأمن : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

خامساً : ومن ثمرات علم التوحيد حصول برد اليقين على الله ، وعلى دينه وشرعه ، وعلى وعده ووعيده ، واستقرار الفكر وثباته خاصةً عند حلول المحن، والابتلاء بأنواع الفتن : {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ }[ ابراهيم : ٢٧-]

سادساً : في علم التوحيد لزوم الصراط المستقيم ، ونجاة من الانحراف عن الصراط المستقيم : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وفي الجهل بالتوحيد، خروج إلى الصراط المعوج ، وانتقال من السنة الهادية إلى البدعة المهلكة المضلة : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥].

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة:٧٢].

**الثالث : ثمرات التوحيد العملية :**

فالتوحيد له قوة عملية تحمل المسلم على حسن الاستقامة ، والاجتهاد في عبادة الله ، والتقرب إلى الله بما يرضيه ، واجتناب ما يسخطه، ويظهر ذلك فيما يلي :

الأول :إخلاص العبادة بأنواعها لله وحده لا شريك له

والإخلاص هو حقيقة الدين، وروح التوحيد، ولب الرسالة : ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر:١١-١٢].

والإخلاص يتوقف في حصوله وكماله على معرفة العبد ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعبادة الله بمقتضاها، ومن كان بالله أعرف كان له أخلص ، ومنه أخوف ، وله أرجى ، وفيما عنده أرغب : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

والأعمال تتفاضل بحسب ما في القلوب من العلم، والإيمان، والإخلاص

الثاني : يثمر علم التوحيد قوة اشتغال الجوارح بأنواع الطاعات والقربات .

فإذا امتلأ القلب بالتوحيد والإيمان ، انطلقت الجوارح بأنواع الطاعات والعبادات ، وسارعت إلى كل عمل صالح؛ وصلاح الظاهر فرع على صلاح الباطن ، وأعمال الجوارح فرع ، وأعمال القلوب أصل ، ولا يصح الفرع إلا إذا صح الأصل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

قال الله عز وجل : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

وقال النبي ﷺ : «أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا

فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه (١).

الثالث : ومن أعظم ثمرات التوحيد في الدنيا الوحدة، والاجتماع، والائتلاف : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وقال الله عز وجل : ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال النَّبِيِّ ﷺ : «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» متفق عليه (٢).

الرابع : ثمرات التوحيد في الآخرة .

وعد الله جميع الموحدين من المسلمين بالجنة ، سواء كان المسلم ظالما لنفسه أو مقتصداً أو سابقا بالخيرات، فالسابق منهم مقرب، والمقتصد ناج، والظالم لنفسه مغفور له .

هؤلاء الأصناف الثلاثة قد ضمن الله لهم الجنة كما قال سبحانه : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٢-٣٤].

فالله سبحانه رحمته وسعت كل شيء ، وحلمه سبق غضبه .

فكل موحد قد وعده الله بالجنة : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، وأخرجه مسلم برقم (١٥٩٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٢٦)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٨٥).

ودخول المؤمن الجنة برحمة الله والأعمال سبب.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ، قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : وَلا أنا ، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ» متفق عليه [(١)].

الثاني : الثمرات التي تعود إلى العلم نفسه، مع علوم الإسلام الآخرى .

فثمرة علم التوحيد باعتبار العلم نفسه هي حفظ هذا العلم العظيم ، وفي هذا حفظ الدين نفسه، فعلم التوحيد أصل لجميع علوم الشريعة ، فلا يقبل أي عمل إلا بوجوده ، لأنه أصل، والعمل فرع عليه، فهو أول الواجبات وأعظمها وأوجبها كما قال سبحانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩].

وأصحاب هذا العلم هم ورثة الأنبياء، وهم أهل فضل الله ورحمته، وهم أهل خشية الله وتقواه، وهم أهل الدرجات العالية في الدنيا والآخرة : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[المجادلة:١١].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وقد دعا النبي ﷺ لأهل هذا العلم بنضارة الوجه، ورفعة الدرجات، وتكفير السيئات، واستغفار الملائكة وجميع المخلوقات لهم .

قال النبي ﷺ : «إِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ هذا الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ» أخرجه أبوداود والترمذي [(٢)].

وقال ﷺ «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللهُ لَهُ به طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ» أخرجه أبوداود وابن ماجه [(٣)].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣)، وأخرجه مسلم برقم (٢٨١٦).

(٢) صحيح/ أخرجه أبوداود برقم (٣٦٤١) ، وأخرجه الترمذي برقم (٢٦٨٢) .

(٣) صحيح/ أخرجه أبوداود برقم (٣٦٤١) ، وأخرجه الترمذي برقم (٢٣٣) .

وقال النَّبِيَّ ﷺ : «خَيركُمْ من تعلم الْقُرْآنَ وَعَلَّمَه» أخرجه البخاري (١).

وقال النَّبِيَّ ﷺ : «مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين» متفق عليه (٢).

وأشهد الله على وحدانيته نفسه والملائكة من أهل السماء ، والعلماء من أهل الأرض، فقال سبحانه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٨].

وعلم التوحيد هو أنفع العلوم على الإطلاق ، وهو أصلها وأساسها ، لهذا يجب تعلمه، وحفظه، والعمل بموجبه، والدعوة إليه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

وحفظ العلم كما يكون بتعلمه، والعمل به، يكون كذلك بتعليمه، وتوريثه، وبذله لمن طلبه، وهذا من أفضل القرب ، وأعلى الرتب، لما فيه من النفع العام: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩].

وقال ﷺ : «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ : إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» أخرجه مسلم (٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، وأخرجه مسلم برقم (١٠٣٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٦٣١).

# ٦- جزاء أهل التوحيد في الدنيا والأخرة

وعد الله أهل التوحيد والإيمان في الدنيا بموعودات كريمة ومن أعظمها .

الفلاح و الهداية، والنصر، والعزة، والطمأنينة، والخلافة في الأرض، والتمكين في الأرض، والدفاع عنهم، والأمن، والنجاة والحفظ، وحصول البركات، وعدم تسليط الكفار عليهم، ومعية الله الخاصة ، ومحبته لهم : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر:٥١-٥٢].

أما في الأخرة فقد أعد الله للمؤمنين من النعيم المقيم ، والملك الكبير، مالم تره عين ، ولم تسمعه أذن ، ولم يخطر على قلب بشر : {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[ السجدة: ١٧]

ومن أعظم كرامات أهل التوحيد والإيمان في الدنيا والأخرة ما يلي :

الأولى : الحياة الطيبة في الدنيا والأخرة : ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

الثانية : دخول الجنة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج:١٤].

الثالثة : الخلود في نعيم الجنة : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

الرابعة : رضوان الرب عليهم : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢].

الخامسة : رؤية الرب جل جلاله : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

السادسة : القرب من الرب جل جلاله : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

السابعة : سماع كلام الرب جل جلاله : ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس:٥٥-٥٨].

الثامنة : النجاة من النار : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧١-٧٢].

والصفات الموجودة في الدنيا غير موجودة في حياة كثير من المسلمين اليوم ، مما يدل على ضعف إيمانهم ، ولا سبيل للحصول عليها ورؤيتها إلا بتقوية الإيمان الموجود بالإيمان المفقود ، لنحصل على موعودات الله المذكورة في الدنيا على الإيمان المطلوب، بأن يكون إيماننا وأعمالنا كإيمان وأعمال الأنبياء والصحابة على وجه الحقيقة : ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة:١٣٧].

وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٨].

اللهُمَّ إِنَّا نسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران:٥٣].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة:٢٠١].

# بصائر الإسلام الكبرى

## في ضوء القرآن والسنة

## البصيرة الرابعة والعشرون

## النفاق، آثاره، وأضراره، وعلاجه

**وتشتمل هذه البصيرة على المباحث الآتية :**

الأول : ما هو النفاق؟

الثاني : أقسام الناس في الدنيا.

الثالث : خطر النفاق والمنافقين.

الرابع : أقسام النفاق.

الخامس : نشأة النفاق.

السادس : أسباب ظهور النفاق.

السابع : كيفية التعامل مع المنافقين.

الثامن : أحوال التعامل مع المنافقين في حال السِلْم.

التاسع : أحوال التعامل مع المنافقين في حال الحرب.

# البصيرة الرابعة والعشرون
# النفاق، آثاره، وأضراره، وعلاجه
## ١ - ما هو النفاق؟

النفاق هو تكذيب الباطن للظاهر، بإظهار الإسلام، وإبطان الكفر.

والمنافقون أشد الناس عذاباً يوم القيامة، لسوء أفعالهم وجرمهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء:١٤٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨].

فالمنافقون قوم أظهروا الإسلام، ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر، ومعاداة الله ورسله، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

وهؤلاء في الدرك الأسفل من النار، فالكفار المجاهرون بكفرهم أخف منهم عذاباً، والمنافقون تحتهم في دركات النار، لعظيم خطرهم وضررهم.

فالطائفتان اشتركتا في الكفر، ومعاداة الله ورسله، وزاد المنافقون بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين، وهم الذين يدلون العدو على عورات المسلمين، ويتربصون بهم الدوائر صباحاً ومساءً.

وهم أشقى الأشقياء، ولهذا يستهزأ بهم في الآخرة، كما استهزؤوا بالمسلمين في الدنيا، ويعطون نوراً يتوسطون به على الصراط، ثم يطفئ الله نورهم: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد:١٣-١٥].

## ٢ - أقسام الناس في الدنيا

ذَكَرَ الله عز وجل أقسام الناس في الحياة في أول سورة البقرة وهم : المؤمنون.. والكافرون.. والمنافقون.

فالمؤمن معلنٌ إيمانه فنصحبه، والكافر معلنٌ بكفره فنعرفه ونحذره، أما المنافق فهو معلنٌ بإسلامه، مبطنٌ لكفره، فننخدع به، ونتضرر بكيده، فهو أخطر على المسلمين من الكافر المعلن بكفره.

فالمؤمن أقوى الناس، والمنافق أضعف الناس .

فالمؤمن عنده قوتان :

قوة على نفسه، حيث حملها على الإيمان ، وقوة على الكافر، حيث قاتله من أجل دينه.

والكافر ضعيف في نفسه، حيث لم يقدر على حملها على الإيمان، قوي على عدوه، حيث قاتل من قاتله من أجل دنياه وشهواته.

أما المنافق فليست عنده قوة على نفسه، حيث لم يؤمن، وليس له قوة على عدوه، فلم يقاتله ، بل لشدة ضعفه أظهر إسلامه، وأبطن كفره كما قال الله عن المنافقين :

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون:١-٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه» متفق عليه [١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١٧٩)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٢٦).

## ٣- خطر النفاق والمنافقين

يكاد القرآن أن يكون كله في بيان صفات المنافقين، والتحذير من كيدهم، ومكرهم، وإفسادهم، وخطرهم.

وكما أن للإيمان شُعَب، فكذلك للكفر شُعَب، وللنفاق شُعَب.

فالعبد قد تكون فيه شُعَبة من شُعَب الإيمان، وشُعَبة من شُعَب النفاق الأصغر.

قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، واؤْتمِنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ فَجَرَ» متفق عليه [(١)].

وإذا كان في المسلم إيمانٌ ونفاق يسمى مسلما، فإن غلب نفاقه العملي على إيمانه، فهو أحق باسم المنافق.

وإن غلب إيمانه على نفاقه العملي، فهو أحق باسم الإيمان، فإن ما فيه بياضٌ وسواد، و سواده أكثر من بياضه، فهو بالأسود أحق من الأبيض: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران:١٦٧].

أما من معه النفاق المحض الأكبر، فهو كافر مخلد في النار كما قال سبحانه (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تجِدَ لهُمْ نَصِيرًا)[سورة النساء ١٤٥]

واسم المسلمين في الظاهر يجري على المنافقين؛ لأنهم استسلموا ظاهرا، وأتوا بالأعمال الظاهرة، من صلاة وصوم وحج وغيرها، لكنهم يوم القيامة في الدرك الأسفل من النار: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة:٨-١٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٩)، وأخرجه مسلم برقم (٥٨).

## ٤ - أقسام النفاق

النفاق ينقسم إلى قسمين :

الأول : النفاق الأكبر : وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله عز وجل، ويبطن الكفر بالله عز وجل.

وهذا النفاق مخرج من الملة، وصاحبه مخلد في النار، إذا مات ولم يتب منه .

والنفاق المذكور في القرآن كله من هذا النوع؛ ويسمى النفاق الاعتقادي، وهؤلاء المنافقون أغلظ كفراً، وأشد عذابا يوم القيامة : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦].

الثاني :النفاق الأصغر : وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك، ويسمى النفاق العملي وهو غير مخرج من الملة، وهو مذكور في السنة كما سبق .

فالنفاق الأصغر : هو اختلاف السر و العلانية في الواجبات.

قال رسول الله ﷺ : «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خصلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَر، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» متفق عليه (١).

فيجب على المسلم أن يحذر النفاق بنوعيه.

الأكبر : وهو إبطان الكفر، وإظهار الإسلام .

والأصغر : وهو اختلاف السر عن العلانية في الواجبات

والمنافق يسمى منافقًا، أو مداهنًا، أو زنديقًا، أو فاسقًا، أو مرائيا: ﴿إِنَّ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٩)، وأخرجه مسلم برقم (٥٨).

ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾ ﴾[النساء: ١٤٢-١٤٣].

والتقية مرادفة للنفاق، وهي إظهار شيء، وإبطان ضده، إظهار الإسلام، وإبطان ضده، وهو مذهب الشيعة الفاسد: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥].

فليحذر العبد النفاق الذي ذكره الله ورسوله، ليسلم من عقوبته : ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة: ٦٧].

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة: ٦٨].

## ٥ – نشأة النفاق

لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة صار الناس ثلاثة أصناف :
مؤمن مظهر للإيمان، وكافر مظهر للكفر، و منافق بينهما مظهر للإسلام، ومبطن للكفر.

والنفاق ظهر في المدينة لا في مكة، فحين قدم النبي ﷺ إلى المدينة أسلم من أسلم من الأوس والخزرج، وقليل من اليهود مثل عبدالله بن سلام، ولم يكن هناك نفاق؛ لأنه لم يكن للمسلمين هناك شوكة يُخاف منها في أول الهجرة، ولم يكن من المهاجرين منافق، وإنما كان النفاق في قبائل الأنصار .

ومكة كانت في بداية الدعوة للكفار، فهم المسيطرون عليها، فليس هناك داع إلى النفاق، فكان فيمكة إسلام صريح، أو كفرصريح.

فمن آمن من الناس، وكانت له قبيلة تحميه بقي في مكة، وإلا هاجر من مكة.

ومن كان ضعيفًا آذاه الكفار كما حصل لبلال، وعمار، وسمية وغيرهم من ضعفاء المسلمين.

وصفات المنافقين ذكرها الله في القرآن في السور المدنية بعد الهجرة، فمكة ليس فيها نفاق، بل كان فيها خلافه، فبعض المسلمين يظهر الكفر مستكرها، وهو في الباطن مؤمن، خوفًا من تعذيب الكفار له في مكة .

فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، واستقر فيها، وآمن به بعض أهل الشوكة من الأنصار، من الأوس والخزرج، صار للمؤمنين بها عزة ومنعة ، فمن لم يظهر الإيمان آذوه، فاضطر المنافقون من الأوس والخزرج واليهود إلى إظهار الإيمان، مع أن قلوبهم لم تؤمن كما قال سبحانه لرسوله ﷺ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ

وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ [المائدة: ٤١].

وقد تمالي اليهود مع المنافقين والكفار، على حرب الإسلام في المدينة .

واليهود في المدينة كانوا ثلاث قبائل :

بنو قينقاع حلفاء الخزرج، وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس .

وحين قدم النبي ﷺ المدينة، مباشرة وادع اليهود والقبائل حول المدينة ، وبدأ المسلمون يزيدون ويتكاثرون بفضل الدعوة إلى الله عز وجل .

فلما كانت وقعت بدر، وهُزم الكفار، وأظهر الله كلمته، وأعز الإسلام وأهله، قال عبدالله بن أُبَيَ بن سلول سيد الخزرج ، وكان الأوس والخزرج قد عزموا أن يملكوه عليهم، وصنعوا له التاج قال :هذا أمر قد توجه، فأظهر الدخول في الإسلام، وتبعه في نفاقه بعض قبائل الأنصار، وأخرون من أهل الكتاب من اليهود ، فمن ثم وجد النفاق في المدينة، وما حولها من الأعراب .

ولعل بروز ظاهرة النفاق بدأت من قبل اليهود أولاً كما قال سبحانه : ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ [آل عمران: ٧٢].

ثم أظهر النفاق وتبناه عبدالله بن أبي بن سلول الخزرجي، والمنافقون من قبائل الأنصار يعدون أنفسهم إخوانا لليهود في الكفر والنفاق، كما قال سبحانه : ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ

﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر: ١١-١٢].

وسبب نفاق اليهود أن احبارهم الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، نصبوا العداوة لرسول الله ﷺ بغياً وحسدا وضغنا، لما خص الله به العرب من بعث رسوله ﷺ منهم ، ثم أنظم إليهم رجال من الأنصار من الأوس والخزرج، ممن بقي على كفره و جاهليته وعناده .

هؤلاء كلهم لما عز الإسلام، واشتدت شوكته، خافوا من أهله ، فأظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر، وصاروا يكيدون للإسلام من داخله، ويتعاونون مع الكفار من خارجه : ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ١-٤].

فهكذا ظهرا النفاق والمنافقون في المدينة بعد أن عز الإسلام، وقويت شوكته، ولا يزال النفاق والمنافقون يظهرون في كل زمان ومكان كلما عز الإسلام.

## ٦ - أسباب ظهور النفاق

من أبرز أسباب ظهور النفاق والمنافقين ما يلي :

الأول : بغض الإسلام وأهله .

فلما قوي الإسلام صار المنافقون يخادعون أهله، ويسخرون منهم : ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)﴾ [آل عمران: ١١٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)﴾ [البقرة :٨- ١٠ ].

الثاني : طمع المنافقين في المنافع والأموال، التي يحصل عليها المنافق، اذا انتسب إلى الإسلام ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨)﴾ [التوبة : ٥٨].

الثالث : الخوف الشديد من المسلمين، وجبنهم عن المواجهة : ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤)﴾ [الحشر :١٤ ]

الرابع : الشك والريب، والحيرة والتذبذب : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (١٤٣)﴾ [النساء :١٤٢-١٤٣].

الخامس : وجود المنافق تحت سيطرة حكومة إسلامية تحميه، وضعفه عن مواجهة هذه الحكومة بعقيدته التي يضمرها في نفسه .

السادس : حب الدنيا وشهواتها، وكراهية كل ما يقطعه عن الدنيا وشهواتها .
السابع : الكيد للإسلام والمسلمين من الداخل، ونقل اخبار المسلمين لعدوهم في الخارج، ليسهل القضاء عليه، الكفار من خارجه، والمنافقون من داخله : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٣٢﴾ [التوبة:٣٢] .
هذه هي أهم أسباب ظهور النفاق في المدينة .
والمنافقون هم أخطر أعداء الإسلام، لأنهم من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويعيشون بيننا، ويظهرون موالاتنا، وهم يفسدون بيننا، ولا يزال الإسلام منهم في محنة وبلية ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ۝١٦﴾ [البقرة: ٨-١٦].
فما أعظم عدواتهم ، وما أخطر كيدهم للإسلام وأهله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [ المنافقون :٢-٤ ].

## ٧- كيفية التعامل مع المنافقين

السنة هي قول النبي ﷺ، أو فعله، أو تقريره، أو خلقه .

وتصرفات النبي ﷺ تنقسم الى أربعة أقسام :

أحدها :تصرف بحكم الإمامة كإقطاع الارض، وإقامة الحدود، وإرسال الجيوش ونحوها.

الثاني : تصرف بحكم القضاء كتسليم السلع، ونقد الثمن، ودفع الديون، وفسخ النكاح ونحوها.

الثالث : تصرف بحكم الفتيا كالإفتاء في مسائل الأحكام، من العبادات والمعاملات وكالصلاة والزكاة والمناسك، والبيع والشراء، والنكاح والطلاق ونحو ذلك.

الرابع :ما وقع منه ﷺ متردداً بين هذه الاقسام، فإن قصد به القربة فهو مندوب وإلا يبقى على أصل الإباحة، كالمبيت في المحصب بعد فراغه من الحج ﷺ

والتعامل الشرعي مع المنافقين لابد أن يكون صادرا عن ولي الأمر؛ لأن هذا من تدبير شؤون الرعية، ورعاية المصالح، ودرء المفاسد : ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٤٩-٥٠].

والنبي ﷺ كان صاحب جميع الولايات الشرعية، من الإمامة والقضاء والفتيا وإبلاغ الدين وغيرها من أمور الشرعية : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة/ ٤٨].

وتعامل النبي ﷺ مع المنافقين ليس على وجه واحد، بل له صور مختلفة.

فكان ﷺ يعطي لكل مقام ما يناسب حاله، من الفقه السياسي الشرعي الذي تتحقق به المصلحة، وتدرأ به المفسدة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فتارة يقول ربنا لنبيه ﷺ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩﴾ [التحريم:٩].

وتارة يقول له : ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣﴾ [النساء:٦٣].

وكذا فعله ﷺ حينما صلى صلاة الجنازة على عبد الله ابن أُبَي ابن سلول، ودعا لرأس النفاق في صلاة الجنازة يوم موته؛ ثم نزل الوحي بعد الصلاة عليه ناهياً له عن ذلك: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥﴾ [التوبة:٨٤-٨٥].

فلكل حالة من أحوال المنافقين حلٌ يناسبها، ويطفئ نارها، ويدفع شرها، بما يراه الإمام صالحا : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤].

وقال الله عز وجل : ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة:٢٦٩].

## ٨- أحوال التعامل مع المنافقين في حال السلم

سياسة النبي ﷺ في تعامله مع المنافقين لها ثلاث حالات:

الأولى: سياسة النبي ﷺ في تعامله مع المنافقين في حال السِلْم والأمن والاستقرار.

فالأصل في التعامل الدنيوي مع الناس عمومًا أنه مبني على ظواهرهم، وظاهر المنافق أنه مسلم، فيُتَعَامل معه بحسب ظاهره.

**وسياسة النبي ﷺ مع المنافقين في حال السِلْم تنقسم إلى ثلاثة أقسام:**

الأول: تعامله ﷺ مع المنافقين في أمور الولايات العامة.

والولاية سلطة شرعية، وعبادة من العبادات، يتولى بها الوالي تنفيذ أوامر الله فيمن تحت يده، تبدأ بالحاكم إلى أدنى مسؤول في الدولة: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص:٢٦].

وسياسة النبي ﷺ في تولية المنافقين الولايات، أن المنافقين جزء من الأمة، وركن من أركان الدولة، وإن كانوا قلة، وقبول النبي ﷺ بدخول المنافقين في جملة أتباعه، مع علمه بما تنطوي عليه قلوبهم من النفاق والكفر، كان من حُسنِ النظر، وحُسنِ التدبير، حيث يُكَثِّر بهم سواد أتباعه في الظاهر، ويفصلهم عن أن يكونوا أعوانا لأعدائه، ويرجو مع ذلك هدايتهم؛ لكثرة ما يرون من آيات نبوته وما يشاهدون من دلائل صدقه ﷺ، وقد تحول كثير منهم بعد نفاقهم إلى إيمان لا شك فيه.

وهذه مصالح من باب سد الذرائع، ودفع الضرر عن الأمة، لا تظهر بجانبها المفاسد الناجمة عن بقائهم بين المسلمين، لا سيما مع الحذر منهم، ومراقبة

رؤوسهم وتحركاتهم.
والنبي ﷺ لم يُوَلِي على المسلمين منافقا قط، فرأس النفاق عبد الله بن أُبيَ ابن سلول مع أنه كان سيداً مطاعًا في قومه، لم يوليه الرسول ﷺ أي ولاية شرعية، وربما سمع النبي ﷺ شورى المنافقين للمصلحة، كما أشار عبد الله ابن أُبَيَ بالبقاء في المدينة، وعدم الخروج منها إلى أُحُد، لقتال قريش . ورأيه وافق رأي النبي ﷺ في عدم الخروج إلى أُحُد، فلما أشار غيره من الصحابة بالخروج إلى أُحُد، أجابهم وخرج بالمسلمين إليها فقال عبد الله ابن أُبَيَ لأصحابه أطاعهم وعصاني، علاما نقتل أنفسنا ؟ ! فرجع بثلث الجيش إلى المدينة، وكان على كل عشيرة في المدينة عريف وسيد تختاره العشيرة من قِبَلِ نفسها، أو يختاره الرسول ﷺ لهم، ولم يكن فيهم منافق أبدا.
فلم يولي النبي ﷺ منافقًا ولاية عامة أو خاصة ؛ لأن الولايات كلها لإقامة أحكام الله في الأمه، والمنافق كافر لم يصلح نفسه، فكيف يصلح أحوال غيره.
لكن كان من سيرة النبي ﷺ استصلاح المنافقين، ودعوتهم إلى الإسلام، وتلاوة القرآن عليهم، ليكونوا نبتة صالحة تَصَلُحُ وتُصْلِح
وقد صرح النبي ﷺ بأسماء بعض المنافقين لبعض أصحابه ، كما صرح بأسماء بعضهم لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ لأن وظيفة حذيفة أن يفضح هؤلاء القلة من المنافقين، إذا حاولوا إثارة الفتن بين المسلمين، أو التطلع لمناصب قيادية، أو ممارسة الدس أو التشكيك أو التحريف في يوم من الأيام.
ومن رحمة الله أن أظهر لنا في القرآن صفات المنافقين ؛ حتى لا ننخدع بهم، أو نغتر بحُسْنِ حديثهم، وحلاوة منطقهم .
الثاني : من سياسة النبي ﷺ التصريح بظاهرة النفاق، فالمنافقون نبتة سامة في

الجسد الإسلامي، ولخطورة هذه النبتة جاء الإعلان عنها في وقت مبكر، وبيان صفات أهلها مُنذُ ظهرت بين الناس، وذلك لكبح جِمَاحِهَا، والحَدِ من انتشارها، وإطفاء نارها قبل اشتعالها و استفحالها.

ولو لم يحدث ذلك، أو تأخر التصريح بكشفها، وبيان خطرها؛ لكثُرَ عدد أهلها، وثبتت أقدام المنافقين، وانتشر فكرهم، فزاد النفاق وعم وطم، لكن من رحمةِ الله وحفظه لدينه أن بين صِفاتهم، وسِماتهم، وعَظمة خطرهم، وشرهم مُنذُ قَدِمَ النبي ﷺ إلى المدينة، في آيات تتلى في كتاب الله العظيم؛ ليحذر المؤمنون منهم، ويتقوا شرهم من أول يوم.

ففي أوائل سورة البقرة وهي أول سورة نزلت في المدينة، في السنة الأولى من الهجرة، جاء التصريح مبكرًا وقويًا بوجود المنافقين بقوله سبحانه: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ٨** ﴾ [البقرة:٨].

وبين الله عز وجل صفات المنافقين، وكشف أسرارهم في آيات كثيرة، كما في سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والتوبة" والمنافقون وغيرها من سور القرآن.

وقال النبي ﷺ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتمِنَ خَانَ» متفق عليه (١).

الثالث: سياسة النبي ﷺ في دعوة المنافقين إلى الإسلام.

لقد بعث الله رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين، فقد قام بدعوة أصناف الناس للإسلام، الكفار، والمنافقون، واليهود، والنصارى، وكافة الناس: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٦٧** ﴾ [المائدة:٦٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣)، وأخرجه مسلم برقم (٥٩).

وقال عز وجل : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].
وقال عز وجل : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

وإلى جانب ذلك حذر النبي ﷺ المسلمين من النفاق، وبيَّن لهم صفات أهل النفاق ؛ ليتجنبها كل مسلم ومسلمة، ومن آثار ذلك أن خاف الصحابة على أنفسهم من النفاق، حتى خشي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يكون منهم فلما قال له حذيفة لست منهم اطمأن.

ومن السياسة الوقائية من المنافقين إعداد القوة التي ترهب الأعداء الظاهرين، ومن دونهم من الأعداء الباطنين من المنافقين، كما قال سبحانه : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ ﴾ [الأنفال:٦٠].

ومن سياسة النبي ﷺ الوقائية العلاجية المتكررة أنه كان يقرأ غالباً في صلاة الجمعة سورة الجمعة، وسورة المنافقون؛ وذلك للتذكير بخطر النفاق والمنافقين، والتحذير منهم، وتوبيخ من حضرها منهم .

ومن سياسته ﷺ حرصه على دعوتهم وهدايتهم، وهداية كل الناس، ومنهم المنافقون الذين هم من جملة أمته، حتى إنه ليحزن ويهتم لأمرهم، حتى قال الله له : ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦ ﴾ [آل عمران:١٧٦].

وأمر الله نبيه ﷺ أن يقوم بوعظهم، لعلهم يهتدون حيث قال له : ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣ ﴾ [النساء:٦٣].

ودعاهم لتدبر القرآن، لعلهم يفقهون ما جاء به كما قال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤].

وخوفهم من عذاب الله فقال الله له : ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩].

وذكرهم الله عز وجل بأسمائه وصفاته، وفتح لهم باب التوبة، ودعاهم ليستغفر النبي ﷺ لهم كما قال سبحانه : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ [المنافقون:٥].

ودعاهم الله الى التوبة النصوح من نفاقهم فقال : ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦].

﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء:١٤٧].

وفتح الله لهم باب الامل لعلهم يعقلون فقال سبحانه لرسوله ﷺ : ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦﴾﴾ [الفتح:١٦].

وكثيراً ما يذكر القرآن المنافقين باسم الموصول الذي يُخفي تحته اسم المذنب، ولم يصرح بأسمائهم، مع إنهم معروفون؛ ترغيباً لهم، ورجاءً لهدايتهم، وعدم فضحهم كما قال سبحانه : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨].

وقال سبحانه : ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ [التوبة:٤٩].
وقال سبحانه : ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ ﴾ [التوبة:٦١].
وكل ما ورد من ذم للمنافقين في القرآن والسنة، إنما هو لبيان حقيقة حالهم، وقُبح صفاتهم، بقصد الوعد والانذار؛ لعلهم يتقون ربهم، ويتوبون من ذنوبهم، والذم لم يكن لأشخاص بأسمائهم، وإنما كان بأسماء عامة، كالمنافقين، والظالمين، والفاسقين، والمفسدين.
وقد ذكر القرآن اسم أبي لهب عم النبي ﷺ، واسم آزر والد ابراهيم ﷺ ؛ ليدل على أن مبنى الاحكام على الإيمان والأعمال الصالحة، لا على الأنساب والقرابات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات:١٣].
ومن حرص النبي ﷺ على هدايتهم حسن التلطف بهم، والبشاشة في وجوههم، واللين معهم، ولهذا أثنى عليه ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].
وعن عائشة أَنّه استأذن على النَّبي ﷺ رجل فقال : ﷺ«ائْذَنُوا لَهُ، فَلَبِئْسَ ابْن الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ» [المُراد بِالْعَشِيرَةِ قَبِيلَته، أَيْ بِئْسَ هَذَا الرَّجُل مِنْهَا].
فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ .
قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ لَهُ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ.قَالَ : «يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَدَعَهُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ» متفق عليه [(١)]
ومن حرصه ﷺ على دعوة المنافقين حُسنُ محاورتهم، وكشف شبههم بالحكمة : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٣٢)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٩١).

ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [البقرة:١٣].

ومن ذلك إخبار القرآن عما في نفوسهم، لعلهم يتذكرون ويتوبون : ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [البقرة:١٤٢].

وكذلك الصبر، والتوكل على الله، وعدم الخوف منهم مع أخذ الحذر منهم، فلا يُعطى المنافق أكبر من حجمه، لئلا يفُت في عضد المسلمين، وأخذ الحيطة منهم : ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٨].

فالتدرج في التعامل مع المنافقين بالتلطف معهم أولاً، ثم الإعراض عنهم إن استكبروا، ثم بجهادهم والإغلاظ عليهم إن تعدى آذاهم إلى المسلمين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التوبة:٧٣].

ثم بالتوعد والتهديد كما قال سبحانه : ﴿ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٠-٦١].

فنجاهد المنافقين أولاً بالعلم، واللسان، والحكمة، واللطف، فإن لم يستجيبوا وأذوا، فنجاهدهم بالسيف والسنان : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥].

ومن ذلك بيان حالتهم النفسية، التى تؤكد ضعفهم، وشدة خوفهم من المسلمين : ﴿ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحشر:١٣].

وذلك ليزداد المؤمنون قوة على حربهم، وصد عدوانهم، وكشف عجزهم و خوفهم : ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر: ١٤].

وقال الله عز وجل : ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤].

رابعًا : سياسة النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين في الأمور التى ظاهرها الخير والإحسان، وباطنها الشر والعدوان.

كبناء المنافقين مسجد الضرار في المدينة؛ لتقوية أهل النفاق واجتماعهم فيه، وتفريق المؤمنين، وليكون مأوىً للمنافقين، وإضراراً بالمؤمنين.

فنهى الله نبيه ﷺ عن الصلاة فيه، وأمر بهدمه وإحراقه؛ لما في بنائه من الضرر الكبير، والإفساد العظيم : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٩].

فإذا وصل الأمر بالمنافقين إلى التعدي على أمن الدولة، وتفريق الأمة ، وَحبكِ المؤامرات في الظلام، وزع الكيانات الضارة في جسد الأمة؛ فيجب أن يكون الرد زاجرًا وقويًا وعاجلاً : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣].

وهكذا كل مكان أسس لضرب الإسلام باسم الإسلام ، فيجب على الإمام

تعطيله وإزالته، قطعا لدابر الشر والفساد والمفسدين .

**الثانية : سياسة النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين في الأمور القضائية والجزائية.**

فحين هاجر النبي ﷺ إلى المدينة واجه عدوًا آخر إلا وهو المنافقون، فلطف بهم وتدرج معهم في مسلك الدعوة، وجلَا أمرهم وصفاتهم للمسلمين ؛ لئلا يقعوا فريسة مكرهم وكيدهم، وذلك عقوبة لهم على فعلهم بفضحهم، وكشف أمرهم للمسلمين.

وقد ذكر الله ورسوله صفات المنافقين الظاهرة والباطنة فقال عنهم : ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [محمد: ٣٠].

وقال سبحانه : ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤].

وقال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٢-١٤٣].

وقال رسول الله ﷺ : «مَثَلُ المؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لاَ رِيحَ لهَا، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المنُافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المنُافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحنْظَلَةِ، لَيسَ لهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ» متفق عليه [(١)].

وقد ذكر النبي ﷺ أسماء بعض المنافقين لحذيفة ابن اليمان صاحب سر رسول

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٠)، وأخرجه مسلم برقم (٧٩٧).

الله ﷺ ، وعدم تعيين أسماء المنافقين في الكتاب والسنة له حِكَم.
الأول : أن الله ستير يحب الستر على عباده، لعل المنافق يتوب إلى ربه .
الثاني : أن الذم متوجه إلى من اتصف بذلك الوصف من المنافقين إلى يوم القيامة، حتى يخاف كل أحد على نفسه من النفاق إذا اتصف بهذه الصفات؛ ولذلك كان ذكر الصفات أعم وأشمل من ذكر الشخص
الثالث : أن الأصل أخذ الناس بظواهرهم، و ترك سرائرهم إلى الله، والأصل ذم القول والفعل والصفات، وليس الذوات و الأشخاص .
وهذا المنهج الكريم أدى إلى قتل المنافقين معنويا، دون الحاجة إلى قتلهم حسيا، ولهذا قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في نهاية المطاف لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ مِنْ شَأْنِهِمْ : كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِهِ، لأُرْعِدَتْ لَهُ آنُفٌ، لَوْ أَمَرْتُهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتُهُ.
فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ لأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي.
ومن سياسة النبي الرحيم ﷺ مع المنافقين درء الحد عنهم، تأليفا لقلوبهم، لعلهم يهتدون ويتوبون، فتألفهم وأعرض عنهم، لئلا ينفروا عنه، ثم يكونون ضده، ويتحالفوا مع عدوه .
وهذا كما كان ﷺ يعطي الصدقة للمؤلفة قلوبهم، مع علمه بسوء اعتقادهم ؛ تأليفا لقلوبهم، ودرءاً لمفاسدهم، وكف ﷺ عن قتل المنافقين؛ لأنه لا يعلمهم سواه، وليبين لأمته أن القاضي لا يحكم بعلمه فقط، ولئلا يتحدث الناس أن محمدا ﷺ يقتل أصحابه، فيحصل بسبب ذلك نفور الناس من الإسلام، وغضب قومهم لهم، لأن الذنب لم يكن ظاهرا يعرفه كل الناس كالقتل مثلا .
وهذا من باب درء المفسدة، فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، كما

قال النبي ﷺ في عدة وقائع :" .. دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه " متفق عليه (١).

فمصلحة التأليف على الإسلام أعظم من مصلحة قتل المنافقين ، ومفسدة التنفير أعظم من مفسدة ترك القتل ، ومن ذلك تركه ﷺ إقامة حد القذف على رأس النفاق عبد الله بن أبي في قصة الإفك، لمصلحة هي أعظم من إقامته ، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وذلك لتأليف قومه، وعدم تنفيرهم من الإسلام، فإنه كان رئيس مطاع فيهم، فلم تؤمن الفتنة إذا أقيم عليه الحد أن يثأروا له .

**الثالثة : سياسة النبي ﷺ في تعامله مع المنافقين في الأمور المالية**

فقد استعمل النبي ﷺ المال لتأليف قلوب الكفار والمنافقين على الإسلام ، خاصة من كان سبب دخوله في الإسلام حب المال، أو الخوف من الإسلام، أو كراهة الإسلام، فيعطى من الزكاة أو الفيء أو الغنيمة، تأليفا لقلبه كما قال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦٠].

وكان ﷺ يعطي بعض المنافقين، ويترك بعضهم، يتألف من يرى المصلحة في تأليفه : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [التوبة:٥٨].

أما سياسته ﷺ مع المعترضين على قسمة المال فكانت مبنية على تحقيق المصالح، ودرء المفاسد، ومراعاة الظروف الخارجية .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ : " أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ الله ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٩٠٥)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٨٤).

النَّاسَ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ، اعدِلْ، قَالَ : «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ : «مَعَاذَ اللهِ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» أخرجه مسلم (١).

وعن ابي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا ، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ ، فَقَالَ : «وَيْلَكَ ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ» ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ؟ فَقَالَ : «دَعْهُ ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ »متفق عليه (٢).

فهؤلاء وأمثالهم ترك النبي ﷺ عقوبتهم؛ لأنه يخشى أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٦٣) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦١٠)، وأخرجه مسلم برقم (١٠٦٤).

## ٩ - أحوال التعامل مع المنافقين في حال الحرب

**سياسة النبي ﷺ في تعامله مع المنافقين في الحرب:**

المنافقون يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، فيعاملون من حيث الأصل بحسب ظاهرهم، لذا بموجب إظهارهم للإسلام، وإقامتهم في دار الإسلام، فلهم ماللمسلمين من الحماية، وحفظ أموالهم وأنفسهم، وعليهم ما على المسلمين من الجهاد والدفاع عن الإسلام، وسائر أحكام الإسلام، فقد أمرهم الله بالجهاد بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة:٣٨-٣٩].

وعاتبهم الله لما تخلفوا عن الجهاد بقوله: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة:٤٤-٤٥].

ووبخهم الله عز وجل حين تثاقلوا عن الجهاد بقوله: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة:٤٢-٤٣].

وكان المنافقون يخرجون مع النبي ﷺ في المغازي كما قال الله سبحانه عنهم: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨].

وقد غض النبي ﷺ البصر عن المنافقين، وأجرى عليهم حكم الظاهر، وهم ضد الدين، حتى قويت بهم الشوكة، وكثر بهم العدد الذي يخيف العدو .

لهذا يجوز الاستعانة بالمنافقين في القتال إذا كانوا مأمونين، أما إذا خرجوا لتخذيل المسلمين، وترويج الإشاعات المثبطة، أو إطلاع الأعداء على عورات المسلمين، فلا يسمح لهم بالخروج إلى القتال، لما في ذلك من الأضرار :

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة:٤٦-٤٨].

**وسياسة النبي ﷺ في معاملة المنافقين في الحرب تنقسم إلى ثلاثة أقسام :**

الأول : سياسته ﷺ مع المنافقين قبل القتال .

فحين قدم النبي ﷺ المدينة نظم العلاقات بين جميع سكان المدينة ، وذلك بكتابة صحيفة المعاهدة التي بينت التزام جميع سكان المدينة من المسلمين، والكفار، واليهود، والمنافقين، بالحقوق والواجبات التي تضمن الأمن والسلام والعدل لجميع سكان المدينة .

ومن سياسته ﷺ مع المنافقين قبل القتال أنه إذا أراد غزوة ورّى بغيرها؛ لئلا يسبقه المنافقون والجواسيس إلى العدو، فيستعدوا للمسلمين قبل وصولهم .

قال كعب بن مالك رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة إلا ورّى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك . متفق عليه [1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٤١٨)، وأخرجه مسلم برقم (٢٩٦٧).

فالمنافقون من أشد الأعداء على المسلمين ، بكشفهم خطط المسلمين، ومن أقرب العيون إلى ملاحظة خطوات المسلمين وحركاتهم ، فكان من الخير والمصلحة التخفي عنهم بحسب الطاقة .

وفي غزوة أحد استشار النبي ﷺ الناس في أسلوب القتال ، هل يخرجون إلى كفار قريش في أحد ، أم يبقون في المدينة في بيوتهم، فأشار عبدالله ابن أبي بالبقاء في المدينة ، وهو رأي النبي ﷺ .

فقال من فاتته غزوة بدر من الصحابة أخرج بنا يا رسول الله إلى عدونا، حتى لا يرون أن بنا جبنا عنهم ، فأخذ برأيهم، ولبس لامته، وخرج بالجيش من المدينة، ولما خرجوا قال عبد الله بن أبي : عصاني وأطاع غيري، فرجع بثلث الجيش إلى المدينة .

ومن سياسة النبي ﷺ مع المنافقين بث روح التفاؤل في مواجهة إرجاف المنافقين، كما حصل منهم ذلك في غزوة الأحزاب كما قال سبحانه:﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب:١٠-١٢].

وكلما اشتد الكرب، وتفاقم الخطر، كان ﷺ أشد تفاؤلاً بالنصر؛ لثقته بالله، وكمال يقينه على وعده .

عن البراء رضي الله عنه قال : حين أمرنا الرسول ﷺ بحفر الخندق، عرض لنا فيه صخرة لم تأخذ فيها المعاول ، فشكوناها إلى رسول الله ﷺ، فجاء فأخذ المعول ثم قال : «باسم الله ، فضرب ضربة ، فكسر ثلث الحجر ، وقال : الله أكبر ، أعطيتُ مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا ، ثم قال : باسم الله ، وضرب أخرى ، فكسر ثلث الحجر ، فقال : الله أكبر ،

أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر المدائن ، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا ، ثم قال : باسم الله ، وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر ، فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة» أخرجه النسائي (١) .

ومن سياسته ﷺ قبل القتال إذنه للمنافقين بالخروج معه للغزو، فقد كانت المدينة صغيرةً محدودة، وكانت الذئاب حولها من كل جانب، واليهود والمنافقون في داخلها ، وأكثر المسلمين يخرجون مع النبي ﷺ إلى الغزو، إلا المعذور، فيبقى النساء وحدهم في المدينة.

فكان من حسن التدبير عدم ترك المنافقين وحدهم في المدينة، لما في ذلك من الفساد الكبير، والغدر بالمسلمين، وربما أدى إلى مؤامرةٍ على المسلمين بواسطة اليهود والمنافقين ، فكان من المصلحة الذهاب بهم إلى المعارك، وربما أهلك الله بعضهم هناك، فيستريح المسلمون من مكرهم وشرهم .

فلما قويت الدولة الإسلامية فيما بعد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [التوبة:٨٣].

الثاني : سياسة النبي ﷺ في تعامله مع المنافقين أثناء القتال، ويظهر ذلك فيما يلي :

أولا : حرص النبي ﷺ على تأليف القلوب، وتماسك الصف، وقت السلم، وفي أثناء الحرب من باب أولى .

ثانيا : ترك النبي ﷺ إقامة الحد على من استهزأ بالله ورسوله وآياته من المنافقين كما حصل في غزوة تبوك، حين قال المنافقون ما قالوا فقال الله عز وجل : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي برقم (٨٨٥٨).

وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وعن جابر رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي ﷺ، وقد ثابَ معه ناسٌ من المهاجرين حتى كَثُروا، وكان من المهاجرين رجلٌ لَعَّابٌ، فكسع أنصاريًّا، فغضب الأنصاري غضبًا شديدًا حتى تَدَاعَوْا، وقال الأنصاري: يا لَلأنصار، وقال المهاجري: يا لَلمهاجرين، فخرج النبي ﷺ، فقال: «مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟»، ثم قال: «مَا شَأْنُهُمْ»، فأُخبر بكسعة المهاجريِّ الأنصاريَّ، قال: فقال النبي ﷺ: «دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ». أخرجه البخاري(١)

وقال عبد الله بن أبي بن سلول: قد تداعوا علينا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث، يعني عبد الله، قال النبي ﷺ «لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه» متفق عليه (٢).

فمن الحكمة والسداد عدم مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات، والاقتصار على معاتبتهم، وقبول أعذارهم، وتصديق إيمانهم؛ لئلا ينفر أتباعهم، ولما في ذلك من التأليف لقلوبهم.

ثالثا: معالجة الأمور التي تحصل من المنافقين معالجةً سلمية لطيفة، حفاظا على وحدة الصف، وعدم الانشقاق، خاصة في أوقات الشدة.

رابعا: صرف الاهتمام إلى العدو المباشر، وعدم فتح جبهات أخرى تمزق الصف، وتحدث الخلل، وتضر أكثر مما ينفع.

ثالثا: سياسة النبي ﷺ في تعامله مع المنافقين بعد انتهاء القتال.

فقد كان ﷺ يؤلف القلوب بعد انتهاء القتال بشيء من الغنائم التي كسبها

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥١٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥١٨)، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٨٤).

الجيش، لتأليف قلوب الناس على الإسلام، كما فعل بعد غزوة حنين وغيرها .

أما سياسته ﷺ مع المتخلفين عن الغزو من المنافقين، فيظهر ذلك بصور مختلفة، فحين رجع عبد الله بن أبي المنافق بثلث الجيش من الطريق إلى أحد، وخذل المسلمين، وأراد أن يفت في عضدهم، ويفرق شملهم ، تعامل معهم النبي ﷺ بالحكمة، ولم يعنفهم، بل تركهم وشأنهم ، ولم يبالي بفعلهم واكتفى بفضيحتهم أمام الناس، حتى صغروا في أنفسهم، وذلوا بين قومهم حيث نزل فيهم : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران:١٦٦ -١٦٧].

ونزل قوله سبحانه : ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران:١٧٩].

وعاتب الله بعض المؤمنين على اختلاف موقفهم من المنافقين بقوله ﴿ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾﴾ [النساء:٨٨].

ومن ذلك إعطاء الرسول ﷺ الفرصة للمتخلفين عنه بالخروج إلى مكة يوم الحديبية، بعد ما طلبوا الخروج معه في المعارك المقبلة كما قال سبحانه : ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦﴾﴾ [الفتح:١٦].

ومن أحوال تعامله ﷺ مع المنافقين المتخلفين عن الغزو، معاقبتهم على

تخلفهم بعدم الخروج معه للغزو مرةً أخرى، كما حصل مع المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك كما قال سبحانه : ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [التوبة:٨٣].

فكان ﷺ يعامل المنافقين بما تقتضيه المصلحة، وتندفع به المفسدة ، حسب الأحوال، والأشخاص، والمصالح .

هذه سياسته ﷺ الحكمة مع المنافقين في حال السلم، وحال الحرب، وبعد الحرب، سياسة كلها حكمة ورحمة، وعدل وإحسان، وتوجيه وإرشاد، وقوة وعزة، وتأليف ودعوة : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال الله عز وجل : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧].

فهذه أحوال التعامل مع المنافقين في حال السلم ، وأحوال التعامل مع المنافقين في حال الحرب .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران:٨].

اللهم علمنا ما ينفعنا ونفعنا بما علمتنا وزدنا علما .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، اللهم فقهنا في الدين، واجعلنا هداة مهتدين، يا رب العالمين .

# فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| المقدمة | ٥ |
| حقيقة ( لا إله إلا الله ) بين النفي والإثبات | ١٨ |
| القسم الأول: النفي | ١٨ |
| القسم الثاني: الإثبات | ٥٨ |
| ١ - بصائر التوحيد والإيمان | ٨٧ |
| ٢ - مَعْرِفَةُ الله بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَاله | ١٠٨ |
| ٣ - كيفَ يزيدُ الإيمانُ في قلوبِنا ؟ | ١٣٤ |
| ٤ - القرآنُ مَنْهَجُ حَيَاةِ كُلِّ إِنْسَانٍ | ١٦٨ |
| ٥ - النبيُّ ﷺ إمامٌ وقدوةٌ لِكُلِّ إنْسَانٍ | ٢١٠ |
| ٦ - الإنسان بين التكريم والتكليف والتشريف | ٢٥٢ |
| ٧ - الشيطانُ عدو مبين لكل إنسان | ٣١١ |
| ٨ - الدنيا دارُ الإيمانِ، والعملِ، والابتلاء | ٣٧٦ |
| ٩ - الآخرة دار القرار، والثواب، والعقاب | ٤٤٦ |
| ١٠ - فاستقمْ كمَا أُمرتَ | ٥٤٠ |
| ١١ - فقه القضاء والقدر | ٦٣٨ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


١٢ - واجبات الإسلام الكبرى.................................................. ٦٩٢

١٣ - صفات العقلاء.................................................. ٧١٢

١٤ - صفات المؤمنين.................................................. ٧٣٠

١٥ - صفات أولي الألباب.................................................. ٧٥٢

١٦ - صفات المحسنين.................................................. ٧٨٣

١٧ - فقه عظمة الله عز وجل.................................................. ٨٢٠

١٨ - فقه أسماء الله الحسنى.................................................. ٨٤٠

١٩ - أسماء الله الحسنى.................................................. ٨٦٨

٢٠ - كيفية التعبد لله بأسمائه و صفاته.................................................. ٩٠٢

٢١ - خصائص العقيدة الإسلامية.................................................. ٩٤٨

٢٢ - التوحيد أول واجب على العبيد (١).................................................. ٩٧٠

٢٣ - التوحيد أول واجب على العبيد(٢).................................................. ٩٩٦

٢٤ - النفاق، آثاره، وأضراره، وعلاجه.................................................. ١٠٢٨

فهرس الموضوعات.................................................. ١٠٥٩